الجمهورية الجزائرية الديمقراطية
وزارة التعليم العالي العلمي
جامعة الجزائر

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

الاتساق والانسجام في القرآن

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة
في تخصص: لسانيات النص

إعداد الطالب: مفتاح بن عروس

السنة الجامعية: 2008/2007

مقدمة

عرف الدرس اللساني تحولات كبرى خلال فترة الستينات. وكان الدافع الكبير لهذه التحولات تساؤل عن حدود البحث اللساني وانحصاره في الجملة.

وتمثل محاولة هاريس من خلال مقاله «تحليل الخطاب» أولى المحاولات الصريحة التي تكلمت عن وحدة أكبر من الجملة. وسماها دون تمييز تارة النص (Texte) وتارة الخطاب (Discours) وتارة القول المتتابع(énoncé suivi)

وإذا كان هذا المقال يؤسس لمنهج تحليل الخطاب كما يصرح بذلك هاريس منذ البداية. فإن أهم ما فيه هو مقدمته التي عرض فيها مجموعة من الإشارات التي تؤسس لهذا التحليل الذي يروم الوصول إليه. وأول هذه الإشارات الكيفية التي بها يتم القيام بتحليل الخطاب. يقول هاريس في هذا السياق:

« يمكن أن نقوم بتحليل الخطاب انطلاقا من نوعين من القضايا، التي هي مرتبطة ببعضها أولاهما هو توسيع مجال اللسانيات الوصفية(Linguistique descriptive) إلى خارج حدود الجملة الواحدة والثانية تمس العلاقات بين «الثقافة» واللغة.(أي بين السلوك غير اللغوي والسلوك اللغوي)[1].

من الواضح أن توسيع مجال اللسانيات الوصفية هو وفاء من هاريس لأستاذه بلومفيلد وهو وفاء يظهر في سياقات دفاعية كثيرة عن هذه اللسانيات الوصفية وقدرتها على تحليل ماهو أكبر من الجملة.

« تقف اللسانيات الوصفية عادة عند حدود الجملة. وهذا ليس نتيجة لقرار مسبق لأن الأدوات/التقنيات اللسانية بلورت بشكل يسمح بدراسة أي قول مهما كان طوله»[2]

ويؤكد في سياق آخر:

«إن تتابع الجمل في خطاب يشكل في المقابل مجالا محبذا لمناهج اللسانيات الوصفية لأن هذه الأخيرة لها كموضوع التوزيع النسبي للعناصر داخل قول تتابع جمله مهما كان طوله»[3]

وإذا كانت اللسانيات الوصفية التي يتكلم عنها هاريس قد أثبتت قدرتها على تحليل بناء الجمل وسمحت ببلورة أنحاء ملائمة فإن عبارة مهما كان طوله تؤكد حرص هاريس على ضرورة توسيع مجال اللسانيات إلى ما هو أكبر من الجملة.

والنقطة الثانية هي علاقة القول المتتابع بما هوغير لغوي أو بعبارة أخرى علاقة هذا القول بالخارج. ويبدو أن الذين اهتموا بهاريس باعتباره مؤسسا لتحليل الخطاب وقفوا عند حدود الإشارة الأولى المتعلقة بتحليل القول المتتابع في حد ذاته دون ربطه بالخارج. ويؤكد هاريس بوضوح أن التحليل الذي تقوم به هذه اللسانيات الوصفية بإمكانه أن يمدنا بمعلومات عن بعض التعالقات بين اللغة والخارج يقول:

---

[1] - Z.HARRIS : Analyse du discours , Tr Francoise DUBOIS- CHARLIER P9

[2] - نفسه ص 11

[3] - نفسه ص 11

« يمكن أن يمدنا التحليل التوزيعي داخل نفس الخطاب، منظور إليه فرديا، بمعلومات عن بعض التعالقات بين اللغة وأشكال أخرى من السلوكات ومرد ذلك إلى أن كل خطاب متتابع منتج في مقام معين»[4]

وإذا كانت الإشارات السابقة تبين لنا تصور هاريس لقدرة اللسانيات الوصفية أن تدرس القول من حيث هو قول مهما كان طوله وتدرس علاقته بالخارج. فما مفهوم هذا القول عند هاريس؟

حينما نتتبع هاريس في سياقاته المختلفة نستطيع أن نستخلص منها مجموعة من المعطيات التي بضمها إلى بعضها تعطينا تصورا نعتقد أنه الأقرب إلى تصور هذا الباحث. ويستحسن بنا هنا أن نعرض بعضا من هذه السياقات:

- تحليل القول المتتابع الذي نسميه خطابا.....
- نستطيع أن نحصل من النص المدروس على .....\
- تواتر العناصر في النص ...
- نحدد التعالقات الخاصة لمورفيمات النص ....وبذلك نكتشف شيئا من بنيته(أي النص).
- يمكن أن نتناول تحليل الخطاب...
- التحليل التوزيعي داخل خطاب منظور إليه ككل...
- لا نأخذ بعين الاعتبار إلا جمل الخطاب الواحد المتتابع...
- لا تمثل مجموعات الجمل الاعتباطية أية قيمة....
- تتابع الجمل في خطاب متتابع تمثل مجالا محبذا...

فأول هذه المعطيات وجود ترادف بين الخطاب والنص والقول المتتابع. فهاريس يستعمل هذه المصطلحات للدلالة على شيء واحد .وثاني هذه المعطيات أن هذه الوحدة التي هي أكبر من الجملة لها بنية وتمثل كلاّ وتتميز بخاصية التتابع. وتسمح لنا هذه المعطيات بتمثل النص عند هاريس كالآتي:

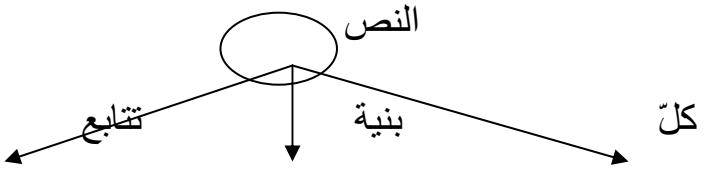

والحقيقة أن مسألة التتابع تعتبر من أهم المسائل عند هاريس ذلك أنها تؤسس لما يعرف في تاريخ التحليل اللساني بالتحليل التوزيعي (analyse distributionnelle). والتوزيع عنده توزيعان توزيع للوحدات داخل الجملة وميزته إمكانية تغيير الترتيب فيه. وخير ما يجسد هذه الإمكانية الانتقال من البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول .وتوزيع الجمل داخل النص، وهو توزيع يتميز بخاصية الثبات ومن ثم فإن أي تغيير في ترتيب الجمل التي نجدها في نص ما يعني ببساطة أنه أصبح نصا آخر.

---

[4] - نفسه ص 11

ولئن كان تتبع هاريس في تحليله يأخذنا بعيدا في التفاصيل لتحديد أقسام التكافؤ والتواترات المختلفة التي نجدها في النص[5] فإن الذي يهمنا هنا هو هذه الإشارة إلى النص على أنه كلّ.

إن اعتبار النص كلاّ فتح في المراحل اللاحقة الباب واسعا للكلام عن شروط قيام النص. ولعل من المحاولات الأولى التي اندرجت في هذا السياق ما نجده عند ايوالد لانغ (Ewald Lang) ففي مقال له ترجم من الألمانية ونشر في مجلة "Langages" (العدد 26) يحاول أن يضع أسس **نحو لنص** (Grammaire de texte) في مقابل **نحو للجملة** (Grammaire de phrese). ويستند في وضع هذه الأسس إلى ضرورة:

- إثبات أن هناك فرقا يجب تحديده بين «الجملة» و«النص»
- وأن هذا الفرق يجب تحديده بكيفية تجعل النص هو الوحدة المسؤولة عن هذه العلاقات البنوية التي تتجاوز حدود الجمل.

لقد دفعه هذان الشرطان المنهجيان اللذان وضعهما إلى مناقشة مجموعة من التصورات المتعلقة بالنص وما يترتب عنها من اقتراحات تحليل[6]. وأوصلته هذه المناقشة إلى اقتراح مفهوم للنص رآه صالحا ليؤسس عليه نحوا يختلف عن نحو الجملة. يقول لانغ في هذا السياق:

« سأعدد الآن خصائص مركب لساني أسميه«نص» تبدو لي مميزة له باعتباره وحدة«مختلفة» عن «الجملة» لأني سأستعمل «الجملة» عنصرا لذكر هذه الخصائص:
إن دلالة نص (أو المعلومات التي يقدمها) هي أكبر من مجموع دلالات الجمل المكونة له، وهذه الإضافة في الدلالة ترتبط بالخصائص الآتية:

- النص هو الإطار الذي يزول داخله لبس/إبهام الجمل
- النص يحتوي على افتراضات أخرى واقتضاءات غير افتراضات واقتضاءات الجمل المكونة له.
- للنص إمكانية أخرى لإعادة الصياغة (Paraphraser) غير الإمكانيات التي للجملة (إمكانيات الحصول على ملخصات عديدة للنص الواحد) [7]

إن هذا التصور يلغي مفهوم النص باعتباره تتابعا من الجمل .بل إن النظر إلى النص على أنه مجموعة من الجمل المتتابعة لا يسوغ الكلام عن نحو للنص في مقابل نحو للجملة إذ إن الفرق بين جملة وتتابع جمل ليس حاسما.فهناك من العمليات الممكنة التي تجعل الحدود بين الجملة ومجموعة الجمل تفقد دلالتها. فعمليات التحويل (الاختزال في حالة مجموعة من الجمل المتعاطفة) مثلا تسمح بدمج مجموعة من الجمل في جملة واحدة.

وما يهمنا هنا هو مفهوم الترابط بين الجمل الذي يستند إليه رفع اللبس وهو مفهوم بعكس ما أشرنا إليه عند هاريس سابقا وهو أن النص كل. فكل جملة تتحدد دلالتها

---

[5] - لمزيد من البسط في التحليل الذي قام به هاريس ينظر العينة التي حللها والكيفية التي استخرج بها أقسام التكافؤ المختلفة .ومن ثم بنية النص. ص 20 وما بعدها. ينظر أيضا:
Lafont(R) et Gardes-Madray(F) : Introduction à l'analyse textuelle , Larousse 1976
خاصة الفصل المخصص للتحليل التوزيعي .

[6] - انظر عرض هذه المفاهيم وما صاحبها من كيفيات في تحليل:
E.Lang : Quand une «Grammaire de texte» est-elle plus adéquate qu'une« Grammaire de phrase» -Langages .N26-P 76et SQ .

[7]- نفسه ص 78.

(برفع اللبس عنها) بالنظر إلى غيرها من الجمل وهذا ما يعكسه مفهوم التبعية (Dépendance).

وقد بدأ يتبلور مع نهاية الستينات هذا التوجه نحو مستوى أكبر من الجملة، تجلى في شكل نقد للنحو التوليدي الذي أصبح إطارا نظريا مهيمنا في هذه الفترة. ويعتبر فإن دايك من أوائل الذين تبنوا هذا التوجه النقدي في مؤلفه Some aspects of text Grammars [8]

وقد اقترح تحوير القواعد الأساسية للنحو التقليدي حتى تصبح قادرة على إبراز بعض الظواهر التي لا يسمح الوقوف عند حدود الجملة بتفسيرها كالضمائر العائدة (pronoms anaphoriques) وبعض مظاهر اللبس التي تتطلب خروجا من حدود الجملة.

وعلى هذا الأساس تم اقتراح تغيير قاعدة إعادة الكتابة (règle de réecriture) الأساسية بالشكل التالي:

من ج ← م إ م ف

إلى ج ← ج و ج ... ج ن

وهكذا تصبح آلية التوليد (engenderment) القاعدية متجاوزة للمركب الاسمي والمركب الفعلي إلى تتابع جمل بسيطة أو مركبة بعدد غير محدود.

ويشكل هذا التصور، رغم محدوديته مقارنة بالخطاب كموضوع للدراسة[9] منعطفا هاما في تاريخ تحليل المستوى الأكبر من الجملة، فهو يمثل أولى المحاولات الصريحة[10]

---

[8] - يدافع فان دايك في مؤلفه عن أنحاء للنص. ويقدم قصد هذا الدفاع مجموعة من الحجج يقسمها إلى حجج عملية (empirical arguments) وحجج نحوية (grammatical arguments) ويمثل المؤلف بمجموعة عرضا لهذه النظرية إذ يحتوي على مقارنة بين أنحاء الجملة (S. Grammars) وأنحاء النص (T. Grammars) وشكل نحو النص (form of text-grammar) وعرض للتمظهرات المختلفة لنحو النص. من خلال توظيف مصطلحات النحو التوليدي فيما يتعلق بالبنية السطحية والبنية والعميقة.

فكما أن هناك بنية سطحية في الجمل هي التمظهر لبنية عميقة فكذلك للنص بنية سطحية وتشكل هذه الأخيرة مجالا لدراسة العلاقات بين الجمل(relation between sentences) وبنية عميقة وهي التي يعطيها تسمية أخرى هي البنية الكبرى(Macro-structure) وهي التي تمثل الميزة الجوهرية لأي نحو يتجاوز حدود الجملة. يقول في هذا السياق:" لا ينحصر دور نحو النص في وصف سلاسل الجمل المرتبة خطيا, ولكنه يفترض وجود مستوى البنى الشاملة(global) والمجردة. وهناك عدد من المبررات لاعتبار هذا المستوى البنية العميقة للنص (ب ع ن) تماثلا مع النحو التوليدي.وهذه البنية العميقة للنص يفترض أن تتضمن البنى المحلية للجمل والعلاقات فيما بينها التي عرضناها في الفصل السابق والتي اعتبرناها البنية السطحية للنص ".

- TEUN.A.VAN DIJK!: Some aspects of text grammars.
Mouton , the Hague- Paris, 1972 . p 130 .

وقد فتح مفهوم البنية الكبرى المجال لدراسات عديدة نذكر منها على سبيل المثال :

J.M.ADAM : Pour une analyse macro- textuelle: l'exemple du CONTE DE GRAAL **Pratiques** 9 , MET2.76.
- MATEO. FALCONE (I) : pour une analyse Macro- textuelle. Pratiques, 9, METZ . 1976.

ومهد لظهور مفهوم قاعدة النص (base de texte) الذي استغل استغلالا هاما لتحديد البنية الكبرى للنص. وقد مثل المقال المشترك بين فان دايك ووالتر كينتش (walter KINTSCH) الموسوم بـــ comment on se rappelle et on résume des histoires, **langages** 40. عرضا لكيفية استغلال هذا المفهوم للوصول إلى البنية الكبرى للنص.

[9]– لابد أن نتذكر هنا، حينما ندرج مسألة الخطاب في الدراسة، أن هناك محاولات كانت قبل فان دايك تمثل مزاوجة بين الالتزام بحدود الجملة من حيث تبنى بعض المفاهيم التي تحصرنا، بتتبعها، في سياق ما يسمى بلسانيات الجملة وهي بذلك تبقى بنوية ولكن اشتغالها على وحدات أكبر من الجملة لا كمدونة فقط للبحث عن اللغة(في تقابل الكلام) ولكن لمحاولة تلمس بنية لهذا الذي هو أكبر من الجملة. فبروب(Propp) مثلا اشتغل على ما هو أكبر من الجملة. ليصل من خلال **مدونة** عريضة من الحكايات إلى تحديد ما يعرف عنده ببنية الحكاية (وهي مسألة تتجاوز حدود الجملة، لكن اعتماد مفهوم المدونة لتحديد ما هو ثابت فيها ينقلنا إلى ثنائية دى سوسير **اللغة / الكلام**.

لمزيد من التفصيل ينظر:

-Vladimir PROPP: Mrophologie du conte, seuil , 1970.

لتحليل اللغة في هذا المستوى. ولئن كان توجه هذه المحاولة بنويا وبقي بنويا، فإن هذا لا يقلل من أهميته من حيث كونه أدرج موضوع دراسة النص ضمن الأسئلة اللسانية المعاصرة.

وفي مقابل هذا التوجه البنوي كان هناك في الفترة نفسها توجه آخر ينطلق من نظرة مختلفة. فقد تأسس نظر أصحاب هذا التوجه على منظور للخطاب على أنه أكبر وحدة بنائية للغة على مستوى التواصل. وتستمد هذه النظرة من مسألتين:

- أن الخطاب الملائم على مستوى التواصل يختلف شكليا عن مجموعة من الجمل غير المترابطة.
- أن المتكلمين الفطريين(natifs) للغة ما، يستطيعون بعفوية أن يفرقوا بين هذه الأنماط القصوى للكفاءات (أي القدرة على إنتاج مختلف أصناف الخطابات وتلقيها).

انطلاقا من الملاحظتين السابقتين تم الخروج إلى خلاصة مفادها أنه إذا كان الخطاب الملائم مختلفا شكليا عن اللانص فهذا يعني أنه يحتوي على ميزات خاصة وسمات مميزة وثوابت تضمن له النجاح على مستوى التواصل [11] وقد تمحورت الدراسة انطلاقا من هذه النظرة في جوانب يمكن تلخيصها فيما يلي:

يتميز النص عن اللانص بـ:

- **الوحدة**(unicité): وتتمثل في أنه في مستوى معين ينظر إلى النص على أنه كل وعلى أنه وحدة مستقلة عن مختلف البنى المكونة له.
- **الاستمرارية** (continuité) وتتمثل في أن النص يحتوي على مجموعة من العلامات الشكلية التي تسمح بعبور المعنى المعبر عنه خارج حدود الجملة.
- **القصدية** (intentionatité): وتتمثل في أن النص هو أساسا فعل تواصلي يسعى المتكلم عن طريقه إلى الدخول في تفاعل مع خطاب عن طريق اللغة لهدف ما.
- **الملاءمة** (adéquation): وتتمثل في تلاؤم النص مع الظروف التي تحيط به.
- **الموضوع** (topicalité) وترتبط بضرورة أن يكون له موضوع يبلوره ويستطيع المتلقي أن يحدده.

- Roland BARTHE : Introduction à l'analyse structurale des recits, in . l'analyse structurale du récit, seuil 1981.

[10] - تمثل محاولة هاريس التي عرضناها سابقا في مقاله " analyse du discorrs " حديثا صريحا عن بنية للنص, والمتتبع للمقدمة التي خصصها لهذا الموضوع يجد هذه السعي للخروج من حدود الجملة (عكس نظرة أستاذه بلومفيلد الذي كان يرى أن أكبر وحدة هي الجملة) تحت تسميات مختلفة مثل النص (texte) والخطاب (discours) والقول المتتالي (Enonce suivi). ومثلما حاول بروب المزاوجة بين التزام مفاهيم دى سوسير والعمل في الوقت نفسه على ما هو أكبر من الجملة كذلك فعل هاريس. ويكفي أن نلاحظ إلحاحه الشديد على ضرورة التمسك باللسانيات الوصفية (linguistique descriptive) (وهي إشارة إلى أستاذه) لدراسة ما هو أكبر من الجملة. وأهم ما في محاولته هو الكلام عن بنية للنص انطلاقا من تصور بنية خاصة لكل نص، وهذا ما يفسر حرصه على ثابت ترتيب الجمل. لأن هذا الترتيب يعتبر عنده ميزة نصية.
لمزيد من التفصيل بنظر المقال وخاصة النقطة التي خصصها لترتيب الجمل .

[11] - ينظر في هذا السياق :

- NEVERT, NESPLOUS et LECOURS : approches psycholinguistiqes du discours du psychotique in **communiquer demain**, actes du congrès international de la fédération des ortophonistes Français , (1984).
- R. PARTY : Introduction to text linguistic. new- york , Longman .
- M.CHAROLLES : I ntroduction aux problèmes de la cohérence des textes, L. F 38 , Larousse 1978.

- **الإخبارية** (informativité): وتتعلق بمسألة أن يكون للنص مضمون إخباري أدنى، لاغيا بذلك كل إنتاج لا يبلور محتوى إخباريا إلى اللانص.

إن توفر هذه الجوانب، بالإضافة إلى أنها تسمح بالتمييز بين النص واللانص فإنها تعكس هذه القدرة التي يملكها المتكلم على إنتاج النص والقدرة التي يملكها المتلقي على التفريق بين النص واللانص وبالتالي القبول أو الرفض.

غير أن هذه الخصائص التي أمكن استخلاصها، تطرح مجموعة من الإشكاليات حينما نحاول أن نضع علامة بينها وبين محتوياتها اللغوية. فالكلام عن الوحدة مثلا أو عن الاستمرارية تمثل صورة هامة لمحاولة ربط هذه الخصائص بالمحتويات اللغوية. ومثل الكلام عن الانسجام والاتساق تحمل بصمات هذه المحاولات للجمع بين ما اعتبر خصائص للنص وبين جانبه اللغوي.

- بين الانسجام والاتساق:

إذا كان مصطلحا **الانسجام** و**الاتساق** يسيران معا في الدراسات اللسانية المعاصرة، فإن الجانب التاريخي فيهما يضعنا أمام حقيقة مفادها أن الكلام عن الانسجام سابق. فمع نهاية الستينات وبداية السبعينات لم يكن مصطلح الاتساق موجودا لا كمفهوم ولا كمجال للدراسة.

يشير jean LUC NESPLOUS[12] في هذا السياق إلى أن عمل R. HARWEG الموسوم pronominal und textconstitution (1968) وعمل I. BELLERT الموسوم on a condition of the coherence of text (1970) كانا منصبين على مسألة الانسجام. وهما يتفقان في التفريق بين نوعين أساسيين من دعائم الاستمرارية الدلالية في النص أحدهما يمس الجانب اللغوي وثانيهما يمس الجانب التداولي.

إذا أخذنا المثالين الآتيين:

1- يحب (أندري) الموسيقى وهو مولع بالذهاب إلى كل حفلة موسيقية.

2- هل بإمكانك أن تعطيني قهوة لآخذها معي؟

- بالحليب والسكر؟

يشكل المثالان وحدتين خطابيتين يتقبلهما المتلقي مع الحكم عليهما بأنهما منسجمتان. وإذا نظرنا إلى مكونات كل مثال فسنجد أن المثال الأول تتحقق فيه الاستمرارية عن طريق عنصر لغوي هو الضمير "هو"، بينما لا توجد علاقة شكلية كما هو الحال في مثال1 بين جزئي المثال 2. فالظاهر ينبئ عن علاقة انفصال، غير أن المتلقي في هذه الحالة لا يوظف معرفته اللغوية بل معرفته الموسوعية أو ما يسمى بمعرفة العالم (connaissance du monde).

---

(12)- J.L. NESPLOUS : Tendances actuelles en linguistique moderne, paris.
وسنرى فيما يأتي من هذا العمل أن لاندكيست (LUNDQUIST) قد اعتمدت كثيرا على هذين الباحثين لتحديد مفهوم النص ووضع أدوات لتحليل الانسجام.

ولئن تم تحديد هاتين الظاهرتين المحققتين للاستمرارية الدلالية، فالذي يُلفت الانتباه إليه أنهما كانتا تدرسان تحت تسمية واحدة هي الانسجام (13). ومع مرور الزمن وتطور البحث في المجال النصي أدى إلى تخصص تدريجي لدراسة هذين النوعين من العلاقات.

---

(13) - مسألة التداخل بين مفهومي الاتساق والانسجام بقيت مستمرة. وعادة ما كان يعبر عن الأول بالثاني. ولميشال آدم لفته هامة في هذا التداخل, ففي مقاله :METZ 1977 , 13 , pratiques , ordre du discours , ordre du texte . يشير إلى أنه كثيرا ما يستعمل مصطلح الانسجام (cohérence) ويكون المقصود الاتساق(cohésionà) . وهذا التداخل يظهر عند مجموعة من الباحثين. فآدم نفسه وقع في هذا التداخل في مؤلفه: Linguistique et discours littéraire .
ويشير في مقاله: Grammaires textuelles et structures narratives
Semiotique narrative et textuelle, Larousse , Col. L . 1973.
إلى أنه « من غير المحتمل، مثلما اقترحنا ذلك، أن نحدد الانسجام النصي فقط في هذا المستوى من العلاقات بين الجمل. فهناك مجموعة من الحجج الفاصلة اللسانية والنفسية التي يمكن أن تقدم لدعم الفرضية التي مفادها أن الانسجام النصي يحدد أيضا على مستوى البنية الكبرى. هذا المستوى الذي يمكن أن نماثله(identifier) مع البنية العميقة لنص ما، spécifie محتوى « عاما» للنص يحدد هو بدوره التشكيل العام للتمثيلات الدلالية للجمل المتعاقبة. وبدون هذه البنية الكبرى والقواعد التي تتضمنها فإن انسجام النص يبقى سطحيا وخطيا» ص 189 .
ويلاحظ هذا التداخل حينما يربط دور الروابط المنطقية(connecteurs) بالانسجام وبذلك يتم الانزلاق من مستوى تحليل يتعلق بنظام القواعد اللسانية الشكلية(formelles) إلى مستوى آخر يتعلق بظروف انتاج الخطاب والتشكيلات الخطابية(formations discursives) . وبعباة أخرى ينتقل من مستوى الدالية(plan de la signifiance) إلى مستوى المداولة(plan de la signification)

(14)- ولابد من التذكير هنا أن سلاكتا (SLAKTA) أشار في مقاله الهام : . L'ordre du texte, ELA 19 , paris , 1975
إلى ضرورة التفريق بين المفهومين. يقول في هذا السياق :«... وفي هذا الصدد، فإنه لا يمكن أن نأخذ الاتساق مرادفا للانسجام : فالاتساق يتحدد لسانيا على مستوى الدالية والنص أما الانسجام فيتحدد على مستوى المدلولية والخطاب باعتباره انعكاسا متباينا " للظروف المادية المحددة تاريخيا " التي تنتج الخطابات». ص 31-32 .
ويلاحظ القارئ هنا أن المقابلة بين الاتساق والانسجام تتأسس على مقابلة أخرى بين النص والخطاب وتتفرع عن هذه المقابلة مقابلات أخرى تشكل محورين متدرجين من الأعلى إلى الأسفل ومن الأسفل إلى الأعلى هكذا :

نـص	خطاب
جملـة	قــول
مورفيم	كلمـة
مستوى الدالية	مستوى المدلولية

الاتساق	الانسجام
(نظام القواعد اللسانية الشكلية)	(مجموع المعايير الاجتماعية الملموسة)

- وسنرى لاحقا بشيء من التفصيل نظرية هاليداي في الاتساق

ويعتبر مؤلف HALLIDAY وHASAN الموسوم (cohesion in English) نقطة فصل بين الظاهرتين، أي الانسجام والاتساق، فقد وضعت هذه المساهمة الأسس النظرية والمنهجية لما يعرف اليوم بتحليل الاتساق.[14]

تماشيا مع الأسبقية التاريخية، سنتكلم أولا عن الانسجام ثم عن الاتساق حتى إذا جئنا إلى المدونة سنقوم بعملية عكسية فنحلل المدونة راصدين فيهما مختلف ظواهر الاتساق ثم نحاول أن ننظر إليها ككل.

إن تعلق الجمل بعضها ببعض يعني أن كل جملة تستند على سابقتها... والاهتمام بهذا التعلق يظهر بوضوح مع فان دايك حينما يحاول أن يعرف النص. يقول في هذا السياق:

«من غير المؤكد بل من غير المحتمل أن يكون النص مجموعة من الجمل... مثلما أن الجملة ليست تتابعا للكلمات فقط »[15]

فهناك إذن ما يجعل من هذه الجمل نصا أي وحدة. وإذا كان النحو يسعى إلى تحديد مجموعة القواعد التي تحكم الوحدات المكونة للجملة وإبراز أنواع العلاقات التي تقيمها هذه الوحدات مع بعضها لتشكل من هذه العناصر هذه الوحدة التي نسميها الجملة. فليس من الصعب إذا نحن أثبتنا أن النص يتميز بالوحدة وأنه في التكوين ليس مجرد رصف لجمل، أن نتكلم عن نحو للنص.

سيكون عملنا هذا محاولة للجواب عن سؤالين أساسيين يتفرع عنهما سؤال ثالث. أما السؤالان الأساسيان فهما: كيف حدد مفهوم الانسجام؟ وكيف حدد مفهوم الاتساق؟ وأما السؤال الذي يتفرع عنهما فهو: كيف نتلمس الاتساق والانسجام في النصوص؟

سيمثل الكلام عن الانسجام الباب الأول من هذا العمل. وهو باب ينقسم هو بدوره إلى مجموعة من الفصول، نخصص الأول منها لما أسميناه بالانسجام بين مفهومي الاستمرارية والقطيعة. نحاول من خلاله عرض نظرتين تستندان إلى البنية الخطية للنص. وترى إحداهما أن هناك علاقة ما بين كل جملة لاحقة وجملة سابقة. وتقابلها الأخرى، اعتمادا على معطيات التحليل الوظيفي للجملة، إلى أن إمكانية القطيعة واردة في هذه البنية الخطية، غير أن هذه القطيعة لا تلغي الوحدة ومن ثم يتم التوكؤ عليها لتفسير هذه القطيعة وإثبات وحدة النص استنادا إلى مفهوم البنية الكبرى.

---

(15) -W.Kintsch et Van Dijk : comment on se rappelle et on résume des histoires .langages 40, p 100 .

أما الفصل الثاني فسنعرض فيه نظرة أخرى للانسجام يمكن أن نسميها بالنظرة الموسعة للانسجام وتمثلها الباحثة ليتا لاندكيست (Lita Lundquist) ويأتي مسوغ التوسيع فيها من منطلق نظرية أفعال الكلام. وكما أن الجملة فعل يتكون من مجموعة من الأفعال (فعل الإسناد وفعل الإحالة وفعل الإنجاز) فكذلك يمكن توسيع هذا التحليل إلى النص باعتباره فعلا. ومن ثم فهو **يقول يقول شيئا ليحقق شيئا**.

وإذا كان هذان الفصلان يعكسان ارتباطا بالنص من حيث هو نص في التكوين، فإن هناك نظرة للانسجام تستند إلى ربط النص بالمتلقي وتمثل نظرية الحصافة (Théorie de pertinence) أحسن ممثل لهذه النظرة. ومن ثم سيكون الفصل الثالث حول الانسجام ومسألة التلقي.

ويمثل الكلام عن الاتساق الباب الثاني من هذا العمل. يخصص أساسا لعرض نظرية هاليداي ورقية حسن عن الاتساق من خلال مؤلفهما الشهير
(Cohesion in English 1976) وقد اعتمدنا نحن على الطبعة الخامسة(1983) ويعضده مؤلف هاليداي لوحده الذي صدر سنة 1985 تحت عنوان: **functional An introduction to grammar**

وينقسم هذا الباب إلى فصلين يخصص الأول منهما لمفهوم النص عند هاليداي ورقية حسن ونتتبع العلاقات التي تنشأ بين النص والخارج. أما الفصل الثاني فنحاول أن نعرض فيه مختلف الوسائل التي يتحقق بها الاتساق.

ولا بد أن نشير هنا إلى أن الحيز الذي يأخذه هذا الباب أقل بشكل ملحوظ من الجزء الذي يأخذه الباب الأول. ويعود هذا إلى أن مسألة الانسجام متشعبة في المعالجة. فأحيانا ينظر إليها انطلاقا من النص، وأحيانا ينظر إليها انطلاقا من علاقة النص بالمتلقي. ولذلك كان لزاما علينا أن نعرض هذه الكيفيات حتى ترتسم السورة بشكل أوضح وأوفى عند القارئ. يضاف إلى هذا أننا في مسألة الاتساق اقتصرنا على عرض نظرية هاليداي ورقية حسن من منطلق أنها أهم ألّف خصيصا في هذا المجال. وقد ارتأينا أن هذا العرض يكون نفعه أهم بالنسبة للقارئ العربي.

وبالكلام عن وسائل الاتساق نكون قد أنهينا جانب العرض المتعلق بمسألتي الانسجام والاتساق لنشرع في الباب الثالث في الدراسة التطبيقية بحثا عن مظاهر الاتساق ومحاولة تحليل الانسجام في سورة البقرة. وسنبدأ الفصل الأول بالكلام عن الاتساق في سورة البقرة، ونعرض من خلاله مختلف الوسائل التي يتحقق بها ابتداء من الضمائر إلى العلاقات بين الجمل في الحدود.

حتى إذا انتهينا من تلمس هذه العناصر المحققة للاتساق، نظرنا إلى سورة البقرة ككل. وتحتم علينا هذه النظرة عرض بعض محاولات المفسرين (الرازي، الطاهر بن عاشور، سيد قطب) لأنها محاولات تجاوزت التفسير المعتمد على الانتقال من آية إلى آية إلى تفسير يأخذ بعين الاعتبار السورة ككل ويحاول أن يحدد مقاصدها وأغراضها.

وتشجعنا محاولاتهم هذه لندلي بدورنا في هذا المجال، باقتراح مدخل آخر لدراسة الانسجام في السورة من خلال تحديد ما نسميه بالبنى الخطابية ثم نحاول استنادا إلى تحديد هذه البنى من أن نقرأ السورة كبنية كلية. وهي محاولة بقدر ما فيها من الجرأة فيها من الاستعداد لتقبل التعديل والتحسين بل وحتى العدول إن تبين أنها لا يمكن أن تصل بنا إلى تلمس الانسجام في السورة.

المدونة:

لقد وقفنا عند حدود سورة البقرة. وهو تحديد قد لا يتماشى مع عنوان هذا العمل. إذ إنه يروم معالجة مسألتي الانسجام والاتساق من خلال القرآن كله. غير أنه لا يخفى وهذه

مسألة لا تحتاج إلى كثير تبرير. أن بسط المسألة انطلاقا من مدونة القرآن ككل هو ضرب من المحال في عمل كهذا. ومن ثم كان اختيارنا لسورة البقرة. وهو اختيار سنده الوحيد هو أنها أول ما في المصحف بعد الفاتحة. وبهذا الترتيب فهي تؤسس لكثير من العلاقات بينها وبين ما يليها من السور وبينها وبين ما قبلها (سورة الفاتحة). وإن كان هذا بابا تفادينا فتحه لتشعبه ولما يطرحه من مسائل بين ترتيب النزول وترتيب المصحف. واكتفينا في أقصى الأحوال بالاعتماد على بعض الإشارات مما جاء عند المفسرين وخاصة الرازي في إيجاد علاقات مختلفة بين السابق من السور واللاحق منها في الترتيب المصحفي.

هذا جهد المقل والله نسأل التوفيق والسداد

البـاب الأول:

الانـسجـام

مدخـل:

ليس من السهل عرض مفهوم الانسجام بكيفية تسمح ببناء تصور موحد، وذلك لسببين أولهما عدم وجود نظرية موحدة لهذا المجال من تحليل مستوى النص. ومن هذا الباب لا تعدو

المسألة أن تكون مقاربة تشكلت من مجموعة من الإسهامات لا يشكل مجموعها كلا. فكل إسهام من هذه الإسهامات يمثل منحى مستقلا بعينه، ومع أنها تشترك في حد أدنى من الاهتمامات الأساسية، فإنه من الصعب أن نقوم بتعميمات ملائمة لعدد كبير من الدراسات، وإضافة إلى صعوبة التعميم هناك إشكال آخر يتمثل في أن استعمال كلمة **" انسجام "** يأتي للدلالة على مفهومين مختلفين تماما. فمن الدراسات ما يعطي للانسجام مفهوما مرادفا للنصية (Textualité). يتعلق الأمر في هذا السياق بمجموع الخصائص التي تجعل نصا ما **ملائما** وينظر إليه على أنه **كل** يؤدي إلى فعل **تواصلي ناجح**. ويقابل هذه النظرة نظرة أخرى أكثر تقنية وهي تلامس كثيرا حدود الاتساق. فهي تنظر إلى النص على أنه تتابع جمل وتتجاوز حدود التعامل مع الروابط الشكلية بين الجمل إلى روابط غير شكلية تتأسس على نظرة لهذه الجمل على أنها وقائع أو أحداث تتعالق فيما بينها كالعلاقات السببية وعلاقات التتابع الزمني.

سنقف عند مجموعة من الدراسات التي تناولت هذا المفهوم إما بربطه بمفهوم النصية وإما بواسطة ربطه بمفهوم العلاقات بين الجمل من خلال مزاوجة بين النظرتين.

الفصل الأول:

الانسجام بين مفهومي الاستمرارية والقطيعة

1- الانسجام ومفهوم الاستمرارية:

1.1- ميشال شارول ومسألة الانسجام:

يعود اهتمام شارول بمسألة الانسجام إلى سنة 1976 حينما نشر مقالا في مجلة "pratiques".ع/11-12 تحت عنوان:

Grammaire de text**e**,théorie de discours,narrativité.

ويمثل هذا المقال محاولة لتقديم بعض القضايا العامة لأنحاء النص ونظرية الخطاب وتطوراتهم فيما يخص السرد، ورصد مجموعة من المفاهيم الأساسية كـ:

- البنية الكبرى والبنية الصغرى.
- الملكة النصية والخطابية والأداء النصي والخطابي.
- التداولية والإطار المعرفي.
- نظرية العوالم.

ويعتمد في هذا المقال أساسا على فان دايك وبيتوفي ويبرر هذا الاعتماد بكون هذين الباحثين تقدما كثيرا في مجال نظرية النص والخطاب ولذلك سيكونان عمدته ليحدد مفهوم نحو النص.

1.1.1- نحو النص:

1.1.1.1- مسوغات نحو للنص في مقابل نحو للجملة:

يرى شارول أن الحاجة إلى تأسيس نحو يتجاوز الجملة ظهرت حينما بدا أن النحو التوليدي التحويلي غير قادر على معالجة بعض الظواهر اللسانية مثل **الإضمار**(pronominalisation) و**تحويل الصلة** (la relativisation) و**التعريف** (la définitivation) ويعلل هذا العجز بضرب مثال يمس الإضمار:

- يرجو جورج أن يذهب معه جان. **George** espère que Jean partira avec lui

إن أقصى ما يقوم به النحو التوليدي التحويلي هو أن:
- يقوم انطلاقا من البنية العميقة بتقويس (un étiquetage) للمركبات الاسمية حتى يوضح علاقاتها على مستوى الاشتراك الإحالي (co- référence) بهذا الشكل:

George ..... jean ..... lui
م إ 1 م إ 2 م إ 1

1- صياغة القيود(les contraintes) التي تؤثر على التحويل الضميري. فتكون الصيغة مثلا أن الضمير لا يستطيع أن يسبق ويحكم في الوقت نفسه. ولو اعتبرنا الضمير سابقا وحاكما فإن مثالا من نوع:

George avec partira jean que espère il (هو) يرغب في أن يذهب جان. مع جورج:

م إ 1 م إ 2 م إ 4

لا يكون سليما نحويا إذا قلنا أن م إ 4 يحيل على م إ 1 .

وإذا وسعنا الدائرة بأمثلة من نوع:

* George espère que jean partira avec lui . Il le lui a demandé .
" يرجو جورج أنَ يذهب معه جان . فقد طلب منه ذلك ".

فإنه لا يمكن تحديد العناصر التي تحيل عليها الضمائر الثلاثة **" il "** و**" le "** و**" lui "** داخل الجملة نفسها وإنما يمكن ذلك بالرجوع إلى جملة أخرى سبقت في السياق وهكذا نحصل على:

Il ⟶ George

le ⟶ Jean partira avec George[2]

Lui ⟶ Jean

وكذلك في المثال:

George espère que jean partira avec lui.[1] Il le lui[2] a indiqué par écrit.
ج1 ج2

" يرجو جورج أن يذهب معَه جان . لقد أعلمه بذلك كتابة".
نحصل على:

Il ⟶ Georges
Le ج 1

Lui ⟶ jean

انطلاقا من هذه الأمثلة يتبين أن مسألة الإضمار (pronominalisation) تنتمي إلى مجال نحو يتجاوز حدود الجملة ويستعين ببعض المعطيات الدلالية من مثل دلالة الأفعال **يرجو، يطلب، يدل، يؤكد،** ... لضبط إحالة كل ضمير.

وإذا كان النحو التوليدي التحويلي يستند إلى مجموعة من المعطيات التجريبية التي يحددها شومسكي كالآتي:

- إذا كان كل متكلم للغة بإمكانه أن يرسل ويستقبل عددا لا نهائيا من الجمل التي لم يسمعها من قبل.
- و إذا كان بامكانه أن يصدر أحكاما حول السلامة النحوية حول جملة ما.

فإن ذلك يعني أنه رسخ مجموعة من القواعد اللسانية التي تعطيه هذه القدرة.
وتشكل هذه القواعد **ملكته اللسانية**. وتظهر هذه الملكة من خلال **الأداء**.
ويظهر النحو بذلك نموذجا لهذه الملكة (un modele de cette compétence) لمتكلم مثالي.
أي جهاز يستطيع بواسطته أن يحدد ويصف كل الجمل السليمة نحويا وشبه السليمة وغير السليمة في لغته عن طريق عدد محدود من الرموز المقولية (Symboles categoriels) وقواعد إعادة الكتابة وقواعد التحويل(règles de transformations).

من هذا المنطلق يحاول شارول أن يؤسس نحوا للنص بنقل هذه المبادئ إلى مجال أكبر من الجملة فيحصل على:

- إذا كان كل متكلم للغة قادرا على إرسال وفهم و صياغة عدد لا نهائي من النصوص في هذه اللغة.
- وإذا كان بإمكانه أن يصدر أحكاما حول نصية نص ما (jugement de textualité) فإن ذلك يعني أنه رسخ عددا من القواعد التي تمكنه من هذه القدرات ومنه:
- هناك ملكة نصية (compétence textuelle).
- أن نحوا للنص يجب أن يؤسس لنمذجة(modélisation) هذه الملكة النصية.

ويبدو أن نحوا للنص يكون أهم من **نحو توليدي تحويلي (ن ت ت)** لأنه يؤسس على معطيات أكثر صلابة من الناحية العملية. فنحن نتكلم في معظم الأحيان بأقوال تتجاوز حدود الجمل كما أنه يكون أقوى من **ن ت ت** لأنه يعالج ظواهر لسانية جملية ونصية فيكون أحد مكوناته نحو الجملة.

وإذا أراد هذا النحو أن يكون في مستوى صرامة النحو التوليدي التحويلي فعليه أن يكون جهازا استنباطيا يحوي على رموز مقولية وقواعد إعادة الكتابة وقواعد التحويل.

2.1.1.1- شكل نحو النص:

لابد من الإشارة إلى أن نحو النص يتميز بالاعتماد على تحاليل تتم في مجال علم الدلالة التوليدي وفي مجال الأنظمة المنطقية الحديثة وفي مجال أفعال الكلام. ففي مجال علم الدلالة التوليدي تعتبر الدلالة هي المكون القاعدي. وهذا الاعتبار للدلالة ينقله نحاة النص فيصبح العنصر الأدنى المكون للنص تمثيلا دلاليا في البنية العميقة. ويأخذ هذا التمثيل الدلالي[16] شكل قضية (une proposition) تتكون من محمول(un prédicat)
بمواضيع له مواقع متعددة(arguments).
ويمثل شارول هذا التمثيل الدلالي بهذا الشكل:

شكل القضية

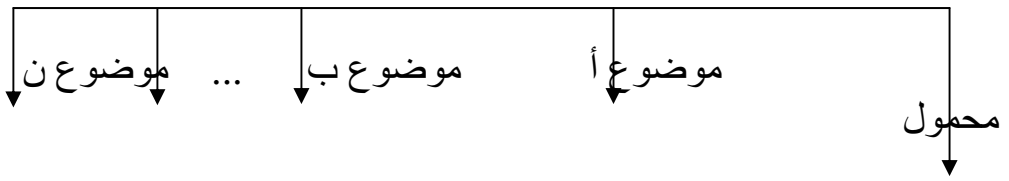

[16]- يستمد شارول (CHAROLLES) مسألة التمثيل الدلالي (représentation sémantique) من فان دايك وبيتوفي. ويتم تحديد هذا المفهوم من تصور أن لكل نص بنية دلالية (structure sémantique) متضمنة فيه بحيث نستطبع أن نقدمها بالشكل الآتي.

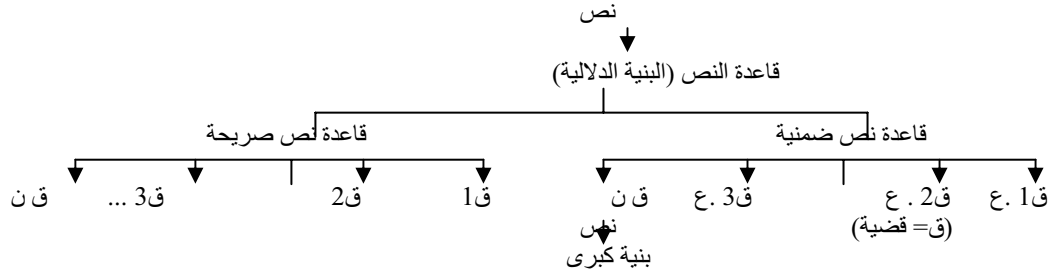

Structure de signification glbala d'un texte.
بنية الدلالة العامة للنص

ينظر في هذا السياق إلى مجموعة الملاحظات النقدية التي يقدمها فولجانج هاينه من (wolf-gang Heinemann) و ديتر فهفيجر (Dieter viehweger) في مؤلفهما الذي ترجمه فالح بن شبيب العجمي تحت عنوان : مدخل إلى علم اللغة النصي خاصة النقطة (2-2-4-1) الخاصة بـ النص والبنى العميقة و (3-2-4-1) ص 42-50 .

هذه القضية يمكن أن تصبح "موضوعا " لقضية أكبر[17] فنحصل على:

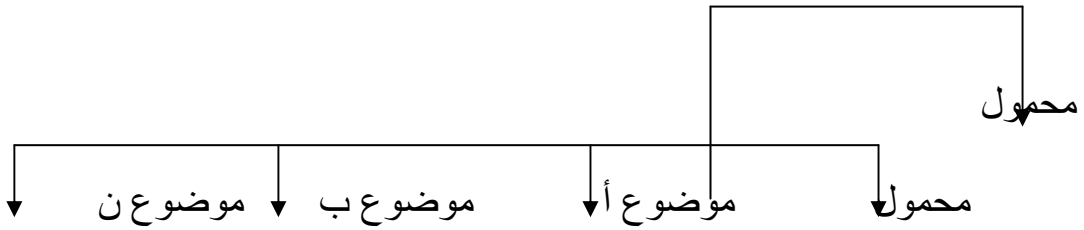

كل موضوع (argument) يحدد حالة (un cas) أو دور دلالي[18]. ويشير شارول إلى أن فان دايك يستعمل الحالات الآتية: منفذ(agent)- ضحية(patient)- موضوع(objet)- أداة(instrumental)- مصدر(source)- هدف(but).

(17) – يمثل الربط بين المركبات القضوية في سياق النظر إلى النصوص على أنها مركبات قضوية موضوعا هاما مثل محاولة تجاوز مسائل البنية الكبرى وما تطرحه من مشاكل. ويعد البحث عن الروابط بين القضايا من أهم الجوانب التي تهم الباحثين المهتمين بمسألة البنية الدلالية النصية. انظر محاولة جرد هذه العلاقات بين القضايا في: **مدخل إلى علم اللغة النصي ص 46-47** . ويورد الباحثان مصطلحا هاما هو : " التكامل القضوي أفقيا ورأسيا " ويتعلق بمعالجة مسألة العلاقات بين القضايا و طبيعتها. ويكون النص من منظور القضية هكذا :

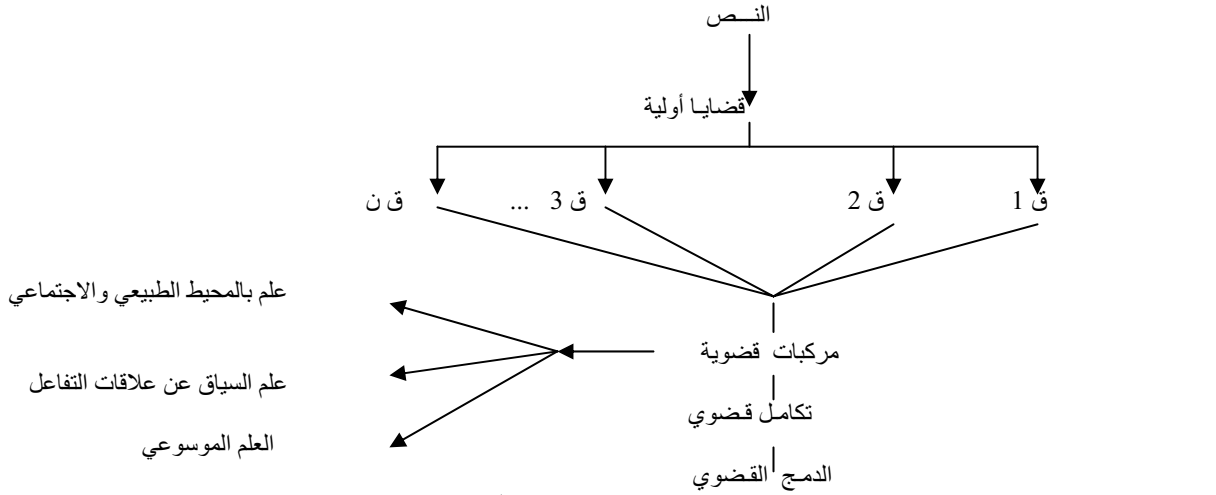

أنظر المرجع المشار إليه أعلاه ص 165-166 .

(18) - سنتعرض لاحقا إلى مسألة توظيف " نحو الحالات " مع لاندكيست والاستفادة منه في معالجة قضية الانسجام في النصوص

وتحتل الأفعال عامة موقع المحمول والمركبات الاسمية موقع المواضيع.

أما في مجال الأنظمة المنطقية فإن نحو النص يعتمد على الكتابة المنطقية ويستعمل مختلف الأنظمة[19] مثل:

- حساب المحمولات من الدرجة الأولى والثانية للتمثيل الدلالي في شكل قضايا.
- منطق العلاقات(logique des relations) لصياغة علاقات التكافؤ أو الاستلزام أو الاحتواء أو التقاطع بين التمثيل الدلالي (représentation sémantique) وقاعدة النص (base de texte).

وإذا كان نحو النص قد استفاد من علم الدلالة التوليدي فحدد قاعدة النص الدلالية واستفاد من مختلف الأنظمة المنطقية ليجسد مختلف العلاقات بصفة صارمة، فإنه فتح أيضا بابا واسعا للاستفادة من نظرية أفعال الكلام. فحين ينظر إلى نحو النص من منظور أفعال الكلام فإنه يعطى لكل جملة أو قضية (proposition) في البنية العميقة جملة أكبر(أو قضية أعلى)(une proposition supérieure) تسمى(communication hyper phrase de) وتحدد:

- المساهمين في فعل التواصل النصي والجملي (مرسل النص ومستقبله).
- العوامل الزمانية والمكانية لفعل التواصل النصي والجملي.
- فعل الكلام (إخبارassertion، استفهام، أمر..) الذي يشكله فعل التواصل النصي والجملي.

(19) - يشير شارول إلى أن اللجوء إلى الأنظمة المنطقية المختلفة يعكس هذا الحرص على الوصول إلى الصرامة في نحو النص. ولكنه يبدي من طرف آخر تشكيكا في إمكانية الوصول إلى هذه الصرامة. يقول في هذا السياق : " إن أفق مثل هذا المنظور لم يتم الوصول إليه بعد (إن كان ذلك ممكنا)، ولكننا يمكن أن نجد عند فان دايك (1973) محاولة هامة في شكل محصلة ".
Grammaire de texte, théorie du discours , Narrativité , Pratiques , 11/12- Metz , 1976 . 138

2.1- مفهوم الانسجام:

يحدد شارول في بداية الأمر أن الانسجام يدخل في إطار الأحكام المتعلقة بالنصية (les jugements de textualité) وهذه الأحكام هي من صلاحيات المتكلم المثالي. وهذه الأحكام التي تتعلق بالنصية تكون إما أحكاما حول الانسجام أو أحكاما أحكاما تصنيفية (jugements typologiques).

فالأحكام التي يصدرها الفرد حول الانسجام هي ذات وجهين، فهي أحكام حول الانسجام بالمعنى التام للكلمة يسميها شارول (cohérence textuelle proprement dite)

أما الأحكام التي تتعلق بالجانب التصنيفي فإنها تمس النص ككل استنادا إلى اتفاقيات ضمنية تسمح لـ الفرد بالتفريق بين نص سردي ونص غير سردي مثلا.

وهكذا يمكن أن نمثل هذه الأحكام المتعلقة بالنصية هكذا :

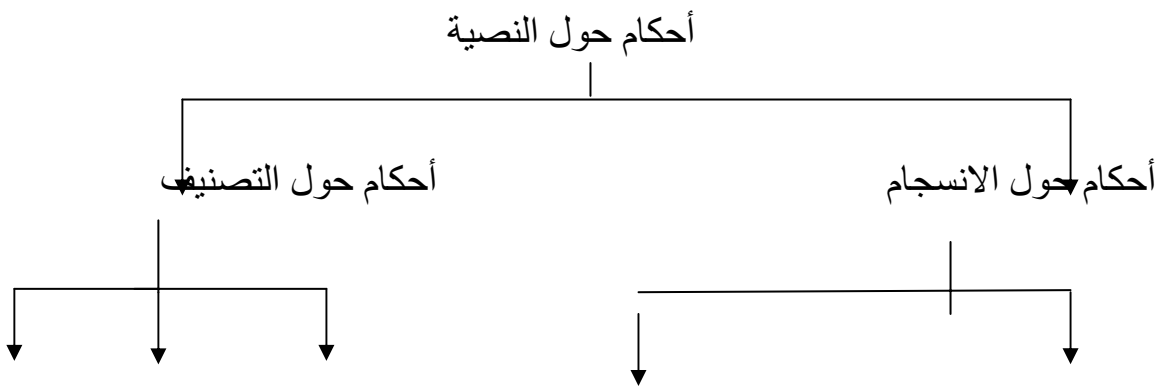

أحكام حول الانسجام النص بالمعنى التام أحكام حول الانسجام الخطابي نص سردي نص وصفي نص..

1.2.1- العناصر المحققة للاستمرارية:

ينطلق شارول في تحديد ما يقصده من الانسجام النصي بالمعنى التام بصفة حصرية من أن النص حتى يحكم عليه بأنه منسجم يجب أن يتحقق فيه **طابع الاستمرارية** وهذا يعني أن يحتوي في تدرجه الخطي عناصر تكرارية (des éléments de recurrence) وتوفر اللغة مجموعة من الأدوات التي تسمح بتحقيق هذه الاستمرارية. ولا بأس أن نضعها هنا في خطاطة ونضع تحت كل أداة مثالا يوضحها.

العناصر المحققة للاستمرارية

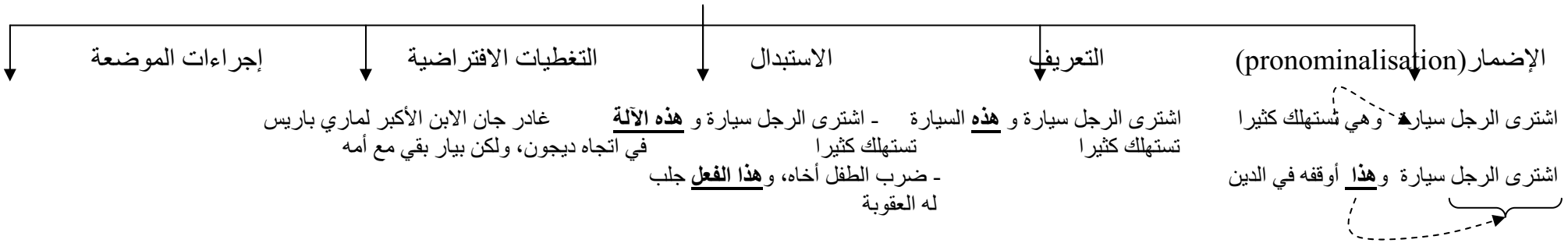

ملاحظـات : - يتم بواسطة الإضمار التذكير بعنصر أو بجملة أو أكثر من جملة.

- التعريف هو الانتقال من البنية س ن...إلى ال+ س أو إشاري + س في الفرنسية((déf + x) ou (Demons + x) (indéf+x)

وتختلف العربية في هذا السياق فهي: س ن (ال+س) أو ((اشاري+ ال) + س) رجلن (ال + رجل) أو ((هذا الـ) رجل)

- الاستبدال يشبه التعريف ولكنه يمكن أن يمس مركبات اسمية أو فعلية أو حتى جملا .
- التغطيات الافتراضية هي ما يسمح باستنتاجه السياق مما لم يصرح به. فوجود عبارة **الابن الأكبر** في المثال تقتضي أن يكون لماري أكثر من ابن.

- إجراءات الموضعة (Thématique):

يستند شارول على أعمال مدرسة براغ فيما يعرف عندهم بالديناميكة التواصلية[20] (Dynamuque cammunicative) وخاصة ما قام به دانش (DANESŠ) ويقسم الجملة قسمين مستعملا مصطلحي موضوع(thème) ومحمول(commentaire) ويعرف **thème** بأنه ما هو معروف في الجملة و**commentaire** هو جديد في هذه الجملة. ويورد مقطعا[21] يمثل من خلاله للدور الذي يلعبه هذا التحليل في تحديد الاستمرارية التي تعتبر شرطا للانسجام. واستئناسا بمثاله نورد هذا المقطع من القرآن الكريم لأنه يعكس بوضوح مسألة تقسيم الجملة إلى **thème** و **commentaire** .

(**الله** نور السماوات والأرض. مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة. الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) (النور/35)

الجمـــل	الموضـوع	المحمـول
الله نور السماوات و الأرض	الله	نور السماوات والأرض
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح .	مثل نوره	كمشكاة فيها مصباح
المصباح في زجاجة	المصباح	في زجاجة
الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد	الزجاجة	كأنها موكب دري ...
من شجرة مباركة ...		

---

[20] - يمثل مفهوم الديناميكية التواصلية (Dynamique communicative) الركيزة لما يعرف في مدرسة براغ بالبعد الوظيفي للجملة (perspective fonctionnelle de la phrase) وقد فتح المجال واسعا لاستغلاله من طرف عدد من الباحثين. نذكر منهم على سبيل المثال:

- M.A.K HALLIDAY. Notes on transitivity and thème in English. Paris 2. Journal of linguistics 3. 1967.
- F.DANES : paper on fonctional sentence perspective . MOUTON . 1974.
- J.M.ADAM : ordre du texte, ordre du discours Pratiques, 13,METZ 1977.
- B. COMBETTES : ordre des éléments de la phrase et lingmistique du texte, Pratiques 13, METZ 1977.
- J. FIRBAS : on defining the theme in fonctional sentence analysis. Travaux linguistiques de Prague 1 , 1964

[21]- المقطع الذي يمثل به هو :

Pierre a rencontré une amie. Il l'a entretenue de son travail et de sa vie privée. La jeune fille lui a appris qu'elle s'était inscrite à l'université .

ويحلله بالشكل التالي:

Phrases	Thème	commentaires
P 1	Pierre	-a rencontré une amie
P 2	Il (= pierre)	-a entretenue une amie de …
P 3	La jeune fille	-a appris … à pierre -s'est inscrite à l'université.

فهذا المقطع يعتبر منسجما لأن :

- " بيار هو الموضوع (Thème) المشترك بين ج1 و ج2 .
- الفتاة (jeune fille) الذي هو موضوع ج3 يوجد في كلمة "amie" (صديقة) المرتبط بموضوع هذه الجملة (ج1) بواسطة الفعلين المخبرين (predicates): être l'amie de Pierre و avoir été rencontrée par Pierre

لمزيد من التفصيل أنظر ص 144-145 من المقال نفسه

يمثل هذا مقطعا منسجما لأن موضوع ج2 يحتوي على موضوع ج1 عن طريق الإضمار: الله هو وموضوع ج3 يوجد في محمول ج2 وموضوع ج4 يوجد في موضوع ج3 وبالتالي تحققت الاستمرارية. ومن هنا يتبين أن دراسة إجراءات الموضعة تعتبر عاملا هاما في دراسة الانسجام.

أما الانسجام الخطابي فإنه يتجاوز المجال اللساني. وإذا كان الانسجام النصي يأتم معنى الكلمة يرتبط بمفهوم الاستمرارية في البنية الخطية للنص من خلال مجموعة العناصر التي عرضناها سابقا، فمن غير الممكن كما يقول شارول أن نقف عند حدود هذا الجانب اللساني، ذلك أن بعض الأحكام التي نصدرها حول الانسجام ترتبط بالمعارف التي يملكها المساهمون في فعل التواصل عن العالم.[22]

إن هذه المعرفة هي التي تسمح للمتلقي بإصدار أحكام عن انسجام أو عدم انسجام خطاب ما. ولا يكفي أن يكون الخطاب مؤسسا لغويا أي مبنيا بناء سليما حتى نحكم عليه بأنه منسجم. بل إن هذا البناء السليم يحتاج إلى معطيات خارجية حتى يحظى بالقبول عند المتلقي. ففي مثال من نوع:

1- دخل الولد سريره وتغطى ثم أطفأ الشمعة ونام فرأى أحلاما جميلة.
2- نام الولد ورأى أحلاما جميلة فدخل سريره وغطى نفسه ثم أطفأ الشمعة.

يمكن أن نصدر حكما على المثال الأول ونقول إنه خطاب منسجم بينما يبدو المثال الثاني غير مستقيم[23]. ولا يتعلق الحكمان بمسألة السلامة النحوية. وسلسلة الجمل في المثالين مبنية وفق قواعد اللغة وترتبط شكليا بواسطة عدد من الروابط كالعطف والضمائر العائدة.

ولكن مع ذلك لا يحظى المثال الثاني بالقبول. والمقياس المعتمد في هذه الحالة هو معرفة العالم فليس معقولا أن يطفئ شمعته بعد أن يكون قد نام.

إن هذا ما يسمح بإدراج العامل التداولي حتى يتحقق الانسجام. وهذا الانسجام يتدرج من المستوى الأدنى أو ما يسميه شارول بالانسجام في مستوى البنية الصغرى cohérence micro-structurelle إلى المستوى الأعلى أو الانسجام في مستوى البنية الكبرى (cohérence macro-structurelle) [24]. فكيف يتم ذلك ؟

---

[22] - تمثل معرفة العالم أو ما يعرف بالعلم الموسوعي عاملا هاما يستند إليه المتلقي لاستقبال الخطابات المختلفة وتأويلها أو بعبارة أخرى صنع الانسجام فيها ." فأعضاء أية جماعة بشرية في تعاملهم الفعلي مع البيئة الطبيعية والاجتماعية وأيضا بسبب توزيع العمل بين أفراد المجتمع يكتسبون علما خاصا عن العالم يتفاوت سواء في كمه أو عمقه ... والقيمة التي يعطيها العلم الموسوعي لقضايا معالجة النص من الأمور التي لا جدال فيها ". لمزيد من التوسع ومعرفة مختلف العلوم التي يحتاجها منتج النص ومتلقيه أنظر " مدخل إلى علم اللغة النصي " خاصة الفصل السابع " أنساق العلم وإنتاج النص ". ص 125-146

[23]- يحدد سيبويه في " باب الاستقامة من الكلام و الإحالة " وجوها من الكلام تتفاوت من الاستقامة إلى الإحالة.يقول: " فمنه (أي الكلام) مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح و ما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس وسآتيك غدا وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس. وأما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه. وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك : قد زيدا رأيت، وكي زيد يأتيك وأشباه هذا، وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس ". سيبويه، الكتاب، تحـ عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، ج1 ص 25-26 .

[24]- تمثل هذه المصطلحات إمتدادا لـ فان دايك.

لو نظرنا إلى مجموعة الأمثلة التي استعملها لوجدنا أنها تمثل مدونة محدودة, وهي لا تعدو كونها سلاسل قليلا ما تتجاوز الجملتين[25]. وهذه المحدودية هي التي تدفعنا إلى أن نأخذ بعين الاعتبار مجموعة من المعطيات حينما يتعلق الأمر بنصوص أكثر تعقيدا ومن هذه المعطيات:

- أن النص يمكن أن تتوفر في جمله كل شروط الصحة والسلامة ومع ذلك لا نستطيع أن نحكم عليه بأنه منسجم **باعتباره كلا**.
- أن أي فرد يستطيع أن يلخص نصا بنيت جمله بناء سليما (يستعمل شارول عبارة **مبنى محليا بناء سليما**) و أن يصدر أحكاما حول ملاءمة ملخصه لنص المنطلق.

وهذا يدل على أن النص ليس مجرد تتابع للجمل. ولا يمكن أن ننظر إليه من هذه الزاوية فقط، بل هناك عوامل أخرى تدخل حين يتعلق الأمر بالحكم عليه من ناحية الانسجام. إن عدم الانحصار في مسألة البناء السليم للجمل هو الذي سوغ لشارول إدراج مفهومي البنية الصغرى والبنية الكبرى المستمدين أصلا من أعمال فان دايك. ويصبح الانسجام بذلك تدرجيا من البنية الصغرى إلى البنية الكبرى، ونحصل بذلك كما أشرنا سابقا، على انسجام على مستوى كل بنية.

تتكون البنية الصغرى عند شارول من قاعدة النص(base de texte) الصريحة أو الضمنية مضاف إليها بعض المعلومات الخارجية الحصيفة (pertinente) أما البنية الكبرى فتتكون من متتالية من الجمل أو القضايا(propositions) تتعالق فيما بينها وتخضع لشروط البناء السليم.

وحتى يوضح مسألة التعالق بين ما يسميه بالبنى الصغرى والبنى الكبرى، يضعنا أمام مجموعة من الأمثلة لا نرى مانعا من إيرادها هنا لأنها تقرب كثيرا من التجريدات.
المثال هو نص يتكون من مقطعين نرمز للمقطع بـ **مق**.

مق1: حرث (جان) الأرض التي تحيط ببيته/ (و) زرع الخضروات والورود/. (و) سقى النباتات ونقشها.
مق2: زرع (جان) عددا كبيرا من البطاطا الجيدة ومن السلاطة/(و) كان له أيضا ورود جميلة.

---

(25) - لقد التفتت آن روبول (Anne REBOUL) وجاك موشيلر (Jacque MOESCHLER) في مؤلفهما الذي خصص لنقد تحليل الخطاب من خلال عرض مجموعة من المعطيات التي يعتمد عليها أصحاب تحليل الخطاب، إلى نظرة المهتمين بتحليل الخطاب إلى الخطاب من حيث التكوين. لنتأمل هذا السياق الذي يوردانه في مؤلفهما : " نتذكر حينئذ أن إحدى قطاعات المهتمين بالخطاب هي أن القواعد الخطابية تطبق بمجرد أن يكون لدينا تتابع من جملتين. ذلك هو بوضوح موقف شارول وكومبيت في مقاليهما لسنة 1978. وذلك هو أيضا موقف ستاتي (1990) الذي يعتبر أن عبر- الجملي (transphrastique) يبدأ بمجرد أن يكون عندنا جملتان وأن الأمثلة من هذا النوع تسمح باستخراج قواعد تطبق بصفة متطابقة على مقاطع أكبر ". ص 65-66 .
لمزيد من التوسع فيما يقدم الباحثان من حجج لدحض الأسس التي يستند إليها تحليل الخطاب ينظر :
Pragmatique du discours: de l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours. Armand colin, paris , 1998.

تتكون قاعدة النص لكل مقطع من تتابع متعالق للتمثيلات الدلالية (ت.د) (représentations sémantiques)

مقـ1: ت د$_1$ & ت د$_2$ & ت د$_3$.

مقـ2: ت د$_1$ & ت د$_2$.

ومن معلومات تدل على أن:

ـ جان وضمير الغائب يشتركان في الإحالة على الشخص نفسه (co-référents).

إذا طرحنا الآن أن هذا النص يقبل بنية كبرى المقطع 3.

مقـ3: هيأ (جان) حديقة / (و)حقق محصولا جيدا.

هذا المقطع يتكون من تمثـيلات دلالية يمكن تقديمها بالشكل نفسه الذي قدم به مقـ1 و مقـ 2.

مقـ3: ت د$_1$ & ت د$_2$

يتوفر في هذا المقطع سلامة البناء وشرط العلاقة التي تحقق الاستمرارية .

لو وضعنا مكان مقـ 2 مقـ 4 الآتي:

مقـ4: الموظفون السامون شخصيات هامة (و) يحكمون مناطق ويساهمون في القرارات الوطنية.

نلاحظ أنه مقطع تتوفر فيه سلامة البناء ويحقق انسجاما داخليا ولكننا لا نستطيع أن نكون به مقطعا أكبر (Marco- séquence) من نوع مقـ1 ـ مقـ 4 .

أوصلت هذه الأمثلة شارول إلى خلاصتين:

ـ كون النص متوفرا على انسجام في بنيته الصغرى لا يعني بالضرورة أنه منسجم في بنيته الكبرى.

ـ لا يكون النص منسجما في مستوى بنيته الكبرى إلا إذا استطعنا أن نعطيه بواسطة البناء قاعدة نصية كبرى منسجمة (macro-base de texte cohérente).

يتم الربط بين المستويين، مستوى البنية الصغرى ومستوى البنية الكبرى عن طريق مجموعة من القواعد يسميها شارول قواعد التحويل (règles de transformation) انطلاقا من قاعدة النص المقطعية(base de texte séquentielle). حين نطبق هذه القواعد فإننا نحصل على البنية الكبرى للمقطع أو النص. وتصبح هذه البينة الكبرى نهائية حين لا يصبح بالإمكان تطبيق هذه القواعد مرة أخرى[26].

لقد قدم فان دايك أربع قواعد، وأوردها شارول في عمله:

- **قاعدة التعميم:**

في مقطع يتكون من عدد من القضايا مثل:

مقـ: (محمول$_1$(محـ$_1$) موضوع$_1$ (مو$_1$)، محـ$_2$ (مو$_2$)، محـ$_3$ (مو$_3$)، محـ ن (مو ن))

[26]- "هذه القواعد تكرارية إذ يمكن تطبيقها عدة مرات انطلاقا من القاعدة نفسها. وهذا التطبيق اللانهائي نظريا، يفسر لنا مسألة تعدد التلخيصات ذات الأحجام المختلفة للنص الواحد" . من المقال نفسه . ص 148 .

إن وجد محـ* بحيث يندرج كل محمول من المحمولات فيه و مو* تندرج فيه كل الموضوعات فإنه يمكن أن نحول مقـ بـ محـ* مو*.

مثال : نظف جان الكؤوس. نظف جان الصحون. نظف جان الكؤوس.

نظف جان الأواني

- **قاعدة الإدماج: (règle d'intégration)**

مثالها: ذهب (جان) إلى باريس أمس. لقد أخذ سيارة ووصل إلى المحطة وركب في القطار الذي أخذه إلى باريس ذهب جان إلى باريس أمس.
فقد تم الاستغناء بالجملة الأولى عن بقية الجمل الأخرى لأنها تمثل مكونات أو شروط لهذه الجملة.

- **قاعدة البناء: (règle de construction)**

غادر (جان) بيته في ليون. ذهب إلى المحطة وركب القطار إلى باريس، وصل إلى العاصمة بعد ساعات قام جان برحلة

- **قاعدة المحو:(R . d'effacement)**

مثالها : كسرت (ماري) الزجاج بكرتها لعبت ماري بالكرة وكسرت الزجاج .
واستنادا إلى المعطيات السابقة يمكن تمثيل النص كالآتي:

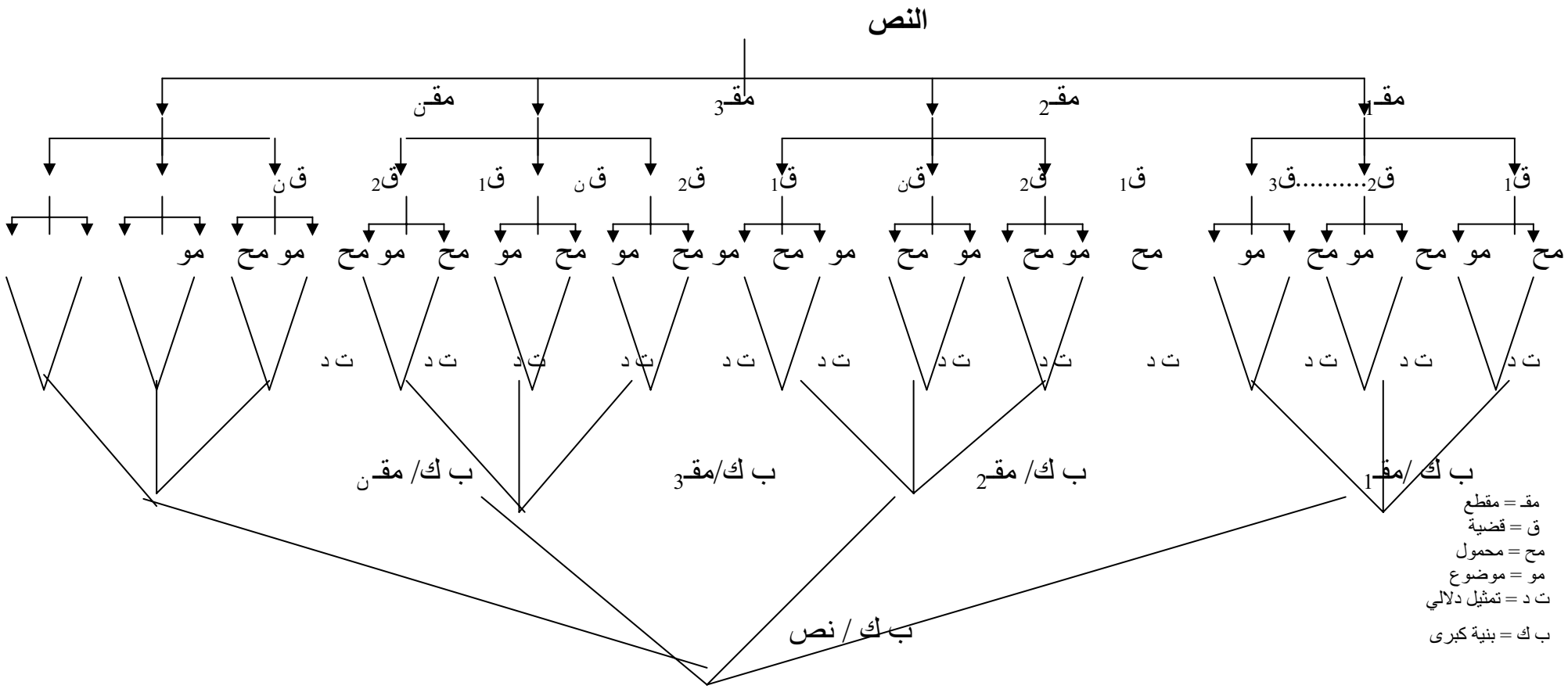
النص
مقـ1
مقـ2
مقـ3
مقـن
ق1
ق2.....ق3
ق2
ق1
قن
ق2
ق1
ق2
ق1
قن
ق2
ق1
قن
محمو
محمو
محمو
محمو
محمو
محمو
محمو
محمو
محمو
محمو
محمو
محمو
محمو
محمو
محمو
محمو
ت د
ت د
ت د
ت د
ت د
ت د
ت د
ت د
ت د
ت د
ت د
ت د
ت د
ت د
ت د
ت د
ب ك /مقـ1
ب ك/ مقـ2
ب ك/مقـ3
ب ك/ مقـن
ب ك / نص
مقـ = مقطع
ق = قضية
مح = محمول
مو = موضوع
ت د = تمثيل دلالي
ب ك = بنية كبرى

2.2.1 ـ نحو وضع قواعد للانسجام:

يمـثل المقـال الذي نشـره شـارول تحـت عنـوان:
Introduction aux problèmes de la cohérence des textes (1978) محاولة لوضع مجموعة من القواعد سماها القواعد الواصفة للانسجام (méta- règles de cohérence). ويؤسس لهذه القواعد بمنطلق مفاده أن الكلام عن الانسجام يجب أن يضع في الحسبان خطية النص، أي " يجب أن نأخذ في الحسبان التتابع الذي تظهر فيه العناصر المكونة له (النص)[27].

وهذا يعني أن القواعد التي يتكلم عنها تدرج علاقات الترتيب أي مفهومي القبل والبعد. كما أن مستويات الانسجام تلعب دورا هاما. وفي هذه النقطة هناك رجوع إلى مسألتي الانسجام على مستوى البنية الصغرى (cohérence micro- structruelle) والانسجام على مستوى البنية الكبرى (cohérence macro - structurelle).

هناك نقطة ثالثة تتعلق بالتفريق بين الانسجام والاتساق وهي من المسائل التي يعتبرها شارول غير مجدية[28]. يقول في هذا السياق :

« ... في الوضع الحالي للبحث. من غير الممكن تقنيا أن نقوم بتقسيم صارم بين القواعد ذات البعد النصي، والقواعد ذات البعد الخطابي. فأنحاء النص ستفجر الحدود التي تحظى بقبول واسع بين علم الدلالة والتداولية بين المحايث (l'immanent)، والمقامي، ومنه، وحسب رأينا، لا يكون أي معنى للتفريق بين الاتساق والانسجام»[29]

يحدد شارول بعد هذا التمهيد القواعد كالآتي:

- **قاعدة التكرار:**

حتى يكون النص منسجما في مستويي البنية الصغرى والبنية الكبرى يجب أن يحتوي في مدرجه الخطي عناصر تكرارية صارمة.

تسمح هذه القاعدة بتحقيق:

ـ طابع الاستمرارية.

ـ التدرج المتجانس والمستمر.

ـ غياب القطيعة.

---

[27] ـ المقال نفسه ص 12.

[28]ـ ينظر الهامش 13 حيث عرضنا مسألة التداخل بين المفهومين.

[29]ـ المقال نفسه . ص 14 .

وتترجم هذه القاعدة على المستوى اللغوي بوجود عناصر التكرار، ولا يقصد بالتكرار هنا المفهوم المتعارف عليه والذي يمكن تمثيله كالآتي: أ ← أ (مثل: الرجل... الرجل)

بل هذا المفهوم العام الذي يسمح بإدراج ما تكلم عنه شارول وعرضناه سابقا تحت عنوان العناصر المحققة للاستمرارية.

« تسمح هذه الإجراءات بربط جملة (أو مقطع) بأخرى توجد في محيطها القريب من خلال التذكير بأن مكونا ما (constituant) في جملة يوجد في مكون في الجملةالمجاورة»[30].

ويمثل الإضمار (pronominalisation) أهم إجراء، ولكن تلعب العوامل الأخرى (التعريف والاستبدال المعجمي والتغطيات الافتراضية) أيضا دورا في تحقيق الترابط بين الجمل وبالتالي الاستمرارية.

وإذا كان الإضمار والتعريف والاستبدال المعجمي تمثل آليات للتكرار تظهر على سطح النص، فإن المسألة تختلف مع التغطيات الافتراضية (les recouvrements présuppositionnels) فالتذكير فيها يتعلق بمحتويات دلالية غير ظاهرة يبنيها المتلقي حتى يظهر الاستمرار.

ولا يكفي أحيانا أن تتحقق عناصر التكرار على سطح النص لنقول إن هذا النص تحققت فيه الاستمرارية وبالتالي فهو منسجم. يضعنا شارول أمام مثال يستدل به على عدم توفر عناصر التكرار:

1- هل باع فيليب سيارته ؟
2- لا، باع دراجته.
3- لا، سرقت منه.
4- لا، لقد نقص وزنه.

يمثل المقطع (1-2) مقطعا منسجما بحكم وجود الضمير "هو" في الجواب الذي يحيل على فيليب.

كما يمثل المقطع (1-3) مقطعا منسجما أيضا لوجود ضميرين أحدهما يعود على السيارة والآخر يعود على فيليب. لكن المقطع (1-4) رغم وجود الضمير "هو" الذي يعود على فيليب، فإن عنصر الاستمرارية لا يتحقق.

لنقارن:

مق1: هل باع فيليب سيارته ؟ لا ، باع Ø دراجته

مق2: هل باع فيليب سيارته ؟ لا، سرقت منه .

مق3: هل باع فيليب سيارته ؟ لا، لقد نقص وزنه.

---

(30)- المقال نفسه . ص 15 .

في المقاطع الثلاثة يوجد عنصر من الجواب يحيل على عنصر من السؤال ومع ذلك لا يمكن أن يوصف بالانسجام إلاّ مقـ 1 ومقـ 2 اعتمادا على عناصر التكرار، بينما لا يكفي وجود هذه العناصر للكلام عن استمرارية في مقـ3 وعليه:
" فعوامل التكرار ليست كافية وحدها لضمان انسجام مقطع ما ".[31]

- **قاعدة التدرج: (méta- règle de progression)**

حتى يكون النص منسجما في مستويي البنية الصغرى والبنية الكبرى يجب أن يصاحب تدرجه سند دلالي متجدد باستمرار.
تمثل القاعدة الأولى الجانب الثابت في النص، ولكن من غير المعقول أن نتصور نصا مؤسسا كلية على التكرار، بل هذا يعتبر ضربا من المحال. وأبسط قواعد التواصل تأباه. ولذلك فإن قولا ما لا يكفي بالتكرار ليكون منسجما بل لابد من التدرج (progression).
ومن هذا المنظور فإن قاعدة التدرج تتكامل مع قاعدة التكرار، وإذا كانت إحداهما تتجه إلى الثبات فإن الأخرى تتجه إلى الحركة وإلى التجدد[32]. بل إن إنتاج نص منسجم يفترض إذن أن "يتحقق توازن بين استمرارية موضوعاتية (continuité thématique) وتدرج دلالي (أو محمولاتي rhématique)".[33]
ونرى في هذا التنصيص الأخير إشارة إلى ما قام به بعض المنتمين إلى مدرسة براغ فيما يعرف بالديناميكية التواصلية (dynamique communicative) والذي ترتب عنه تحليل وظيفي للجملة ولد مصطلحي موضوع thème /محمول rhème.[34]
وبالكلام عن هذه الديناميكية داخل الجملة، ثم تقسيمها إلى عناصر تتفاوت في درجات إعلاميتها أو ما تحمله من معان بحسب موقعها، واستخلاص ديناميكية هذه الجملة تتصاعد تدريجيا من بدايتها إلى نهايتها بهذا الشكل.[35]

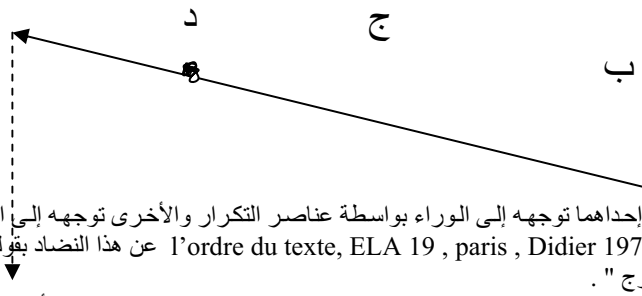

[31]- المقال نفسه ص 18 .

[32]- يحكم النص بذلك حركتان متضادتان، إحداهما توجهه إلى الوراء بواسطة عناصر التكرار والأخرى توجهه إلى الأمام بواسطة إضافة عناصر جديدة. وقد عبر سلاكتا في مقاله : l'ordre du texte, ELA 19 , paris , Didier 1975 . عن هذا التضاد بقوله :
" يتحكم في النص تضاد ... بين الاتساق و التدرج " .
إن إدراج هذه المقولة في سياق ما يسميه سلاكتا l'ordre du texte يوضح لنا بكيفية جيدة خاصية التضاد هذه التي يتأسس عليها النص

[33]- أنظر شارول، المقال نفسه ص 21.

[34]- يشير سلاكتا في المقال المشار إليه في الهامش (14) أن :
" الموضوع و المحمول مفهومان لسانيان حددتها مدرسة براغ " ص 36 .
وهو يعتمد عليهما في سياق l'ordre du texte . فالمسألة تتعلق عنده إذن بـ :
" التفريق بين الموضوع والمحمول يكون عمليا على مستوى خطية المكونات، يتعلق الأمر بتوضيح المفاهيم الواسعة لـ **البداية** و**الوسط** و**النهاية** للجملة" ص 36 .
ولابد من الإشارة هنا إلى أن شارول ينطلق من المقابلة Thème – commentaire

[35]- سنرى بشيء من التفصيل هذا التدرج و التقسيم إلى موضوع و محمول حين تتكلم عن مفهوم القطيعة في البنية الخطية.

أ

ج

بداية نهاية

فنكون أمام هذه المتراجحة: أ < ب < ج < د من حيث ما يحمله كل عنصر من معلومات مقارنة بما يسبقه وما يلحقه.

وهذا التقسيم نُقل إلى ما هو أكبر من الجملة، أي إلى تتابع جمل مع مراعاة هذا التتابع مقياسا لقياس درجة الإعلامية في العناصر. وقد ولدت مراعاة التتابع مصطلحات راجت كثيرا في منتصف السبعينات أهمها: ترتيب النص (l'ordre du texte) [36].

- **قاعدة عدم التناقض: (méta – règle de non-contradiction)**

إذا كان المنطق يمنع، استنادا إلى مبدأ عدم التناقض أن توجد القضية ونقيضها في الوقت نفسه، فإن تطبيقه بحرفيته على الجمل في علاقاتها ببعض يعتبر ضربا من المحال ويرجع شارول ذلك إلى:

- استحالة أن يستدل مباشرة استنادا إلى مقياسي الصدق والكذب.
- ضرورة أخذ الأبعاد الزمنية بعين الاعتبار.
- ضرورة أخذ بعض المعطيات الدلالية غير المطروحة بصراحة بعين الاعتبار أيضا

وإذا كان التناقض الذي يقترب من التناقض بالمفهوم المنطقي قابل للورود، فإن ذلك يكون نادرا. ويسميه شارول التناقض الطبيعي (contradiction naturelle) وهو من نوع:

- الضوء ذو طبيعة تموجية. الضوء ليس ذو طبيعة تموجية.

وعادة ما يكون ذا توجيه بلاغي في سياق الحجاج، ولذلك لا يؤثر على مسألة الانسجام غير أن التناقض الذي يكون له تأثير على الانسجام هو التناقض غير المراقب ويقسمه إلى:

- التناقض التلفظي: (contradiction énonciative)

يتأسس الكلام في هذا النوع من التناقض من خلال اعتبار أن كل جملة أو نص يحدد إطاره التلفظي (cadre énonciatif) بتحديد نظام و سمه الزمني، و بإرساء كيفية عمل خطابية محددة.

فلو كان لدينا:

---

[36]- ظهرت مجموعة من المقالات تحت هذا العنوان بين سنتي 1975-1977 .
من بينها مثلا :

- D. SLAKTA : l'ordre du texte ELA , 19 . 1975.
-F . PA LMER : ORDRE ET SÉQUENCE . EL A 19 , 1975 .
- B . COMBETTES : ordre des éléments de la phrase et linguistique du texte, pratiques 13 , 1977
- J .M . ADAM : ordre du texte, ordre du discours , pratiques 13 , 1977.

مثال: دخل مالكو إلى مكتب مدير **وكالة المخابرات الأمريكية** دون أن يطرق الباب. كان يلبس بدلة داكنة ويحمل في يده حقيبة جميلة مصنوعة من جلد التمساح.

نلاحظ أن هذا المقطع يحتوي على مجموعة من العلامات اللغوية التي يمكن تحديدها:

- يحيل إلى زمن $ز_1$ سابق عن الزمن $ز_0$ لفعل التواصل.
- يتميز بالشفافية أي لا يحتوي على أي علامة شكلية تدل على اندماج المتلفظ في القول.[37]

لو واصلنا هذا المقطع بمقطع من المقطعين الآتيين:

أ - يجلس (مالكو) ويشعل سيجارة.

ب - لا أتذكر إن كان (مالكو) قد أخذ معه علبة من سجائر الهافانا.

فإن التناقض يتحقق ويغيب الانسجام، ذلك أن المقطع الأول كان الزمن فيه متجها إلى الماضي بينما يتجه الزمن في **أ** إلى الحاضر. كما أن غياب المتكلم من العبارة في المقطع الأول كان يحدد كيفية للخطاب تتناقض مع **ب** من حيث اندراج المتكلم في عبارته.

- التناقض الاستنتاجي والافتراضي:

يعرف شارول التناقض الاستنتاجي (contradiction inférentielles) كما يلي:

"يكون هناك تناقض استنتاجي حينما نستطيع أن نستنتج من قضية، إلى قضية أخرى تناقض المحتوى الدلالي للموضوع (المعطى) أو المفترض (presupposé) في جملة مجاورة".[38] ومثاله:

مثال: عمتي **أرملة**. زوجها **يهوى** جمع آلات الخياطة.

"فأرملة" يسمح باستنتاج لا يوجد في الجملة الثانية، بل يوجد نقيضه. فكون زوجها يهوى جمع الآلات يعني أنه حي وهو ما يتناقض مع مفهوم **" أرملة "**. ويكفي مثلا أن نحول الزمن بإضافة **" كان "** إلى الجملة الثانية حتى يصبح المقطع منسجما.

عمتي أرملة. **كان** زوجها يهوى جمع آلات الخياطة.

---

[37]- يعيدنا هذا إلى أهم المسائل التي تناولها بنفينيست (BENVENISTE) في قضية علاقة المتكلم بكلامه . وإليه تعود هذه الإشارة الهامة المتعلقة بوجود المتكلم في كلامه وبعدم وجوده. وبناء على هذا بنى مقابلته الهامة المتعلقة بوجود المتكلم في كلامه وبعدم وجوده. وبناء عليها أسس مقابلته

الهامة بين السرد والخطاب Récit / Discours وما ترتب عنها من مفاهيم من مثل instance de discours وsignes vides وغيرها من المفاهيم التي تدرج اليوم في **نظرية التلفظ** (Théorie de l'énonciation) .

" يجب إذن الإشارة إلى هذه النقطة: أنا لا يمكن تحديده إلا بواسطة مقام الخطاب الذي يحتويه وبواسطته فقط. ولا قيمة له إلا في المقام الذي يستعمل فيه ".

لمزيد من التفصيل أنظر: Emile BENNENISTE : problèmes de linguistique générale, gallimard , 1966 , T1 وخاصة الفصل المتعلق بـ la nature des pronoms

وكذلك : john Lyons : la linguistique.

[38]- شارول ، المقال نفسه ، ص 24 .

غير أن شارول يلفت الانتباه إلى أن التناقض لا يعد عامل تناقض مطلقا. وإذا كان المنطق يتميز بالصرامة فنكون **إما** أمام أ **أو** ~ أ . فإن هذه الصرامة لا تتحقق في الواقع اللغوي أي في الخطابات الطبيعية.[39]

- التناقض على مستوى العوالم وتمثلها:

يفرق شارول بين التناقض على مستوى العالم والتناقض على مستوى تمثل العالم. فالتناقض على مستوى العالم يتأسس على مفهوم العالم المدرج في المفاهيم اللسانية من المنطق la logique modale ويوضح هذه المسألة بمثال أخذه من المشتغلين بهذا الموضوع هو:

يحلم (بيار) بأنه ألماني وأن لا أحد يعرف ذلك.

فهناك الإشاري **"ذلك"** الذي يحيل على **" بأنه ألماني "**. هناك أيضا الفعلان **"يحلم"** وهو فعل اقتضاء سالب (un implicatif negatif) و**"يعرف"** وهو فعل تحصيلي(factif).
فالفعل " يحلم " يوصلنا إلى النتيجة: " بيار ليس ألمانيا " وهي تتناقض مع الاقتضاء **" بيار ألماني "** الناتج من الفعل **"يعرف"**.
وبهذا المنطق يبدو أن هناك تناقضا، ولكن الأمر على غير ذلك. وتتمحور المسألة كلها حول الفعل **"يحلم"** واعتباره قادرا على خلق عوالم إحالية متعددة. وعليه فإن هذا الفعل يسمح بخلق العوالم الآتية:

عوالـــم " يحلـــم "

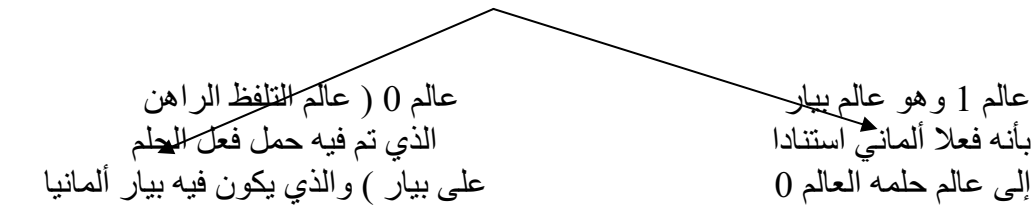

وبذلك يسري الفعل "يحلم" على "كونه ألمانيا" و "معرفة الكل لهذا الأمر" وهذا ما يفسر عدم التناقض.

يستند الأمر في مثل هذه الحالات على ما يسمى بالوحدات الخالقة للعوالم, وهي وحدات من نوع " **يظن** " ، " **يرى** " ... الخ[40]

---

[39]- يشير شارول إلى مجموعة من الدراسات تكلمت عن التناقض غير المؤثر على الانسجام. يتعلق الأمر في هذا السياق بالدراسات التي تناولت الروابط المنطقية (les connecteurs) .
أنظر على سبيل الاستزادة الأمثلة المتعددة التي أعطاها الباحث ص 25-26 .
وكذلك الدراسات التي تناولت هذه المسألة في الهامش الموجود في ص 25 من المقال نفسه.

[40]- أنظر مسرد الوحدات الخالقة للعوالم في المقال نفسه ص 27 .

إن التناقض الذي يتم على مستوى العوالم أو تمثل العوالم يختلف عن سياق المثال السابق. إنه ذو طبيعة تداولية. فهويستند إلى معتقدات المشاركين في فعل التواصل النصي، ويرتبط بالصورة التي يضعونها للعالم أو للعوالم التي يحيل عليها النص ".[41]

حينما ننقل نصا أو نحاكمه على ضوء عالم معين، **يمكن أن** نحكم عليه بأنه متناقض أو غير متناقض. إن مثالا طريفا كـ:

- " رأت البنت وردة وأرادت أن تمسك بها، ولكن الوردة كانت تريد أن تمسك شعاع الشمس، لكن الشمس نامت فلم تستطع الوردة أن تمسك الشعاع ".

لو فهمناه من زاوية إحالته على الواقع لظهر تناقضه صارخا، ولكنه يكون مقطعا منسجما تماما لو فهمناه من زاوية عالم الخيال الشعري.

- **قاعدة العلاقة (méta règle de relation)**

" حتى يكون مقطع ما أو نص منسجما، يجب أن تكون الوقائع التي يوردها في العالم المطروح مترابطة ".[42]

تفسر هذه القاعدة مسألتين، إحداهما عدم كفاية الروابط الشكلية كالإحالة بواسطة الضمائر للحكم على انسجام مقطع أو نص أو عدم انسجامه، والثانية أن الحكم بالانسجام أو عدمه على مقطع أو نص هو وليد ما يصنع المتلقي من علاقات استنادا إلى العالم الذي ينظر منه.[43]

لنقــارن:

مثال: * اشترت المرأة خزانة قديمة . إنها تعاني من آلام حادة في الرأس .

* الثلج يتساقط / العصافير حزينة وبائسة .

تمثل القواعد التي عرضناها مجموعة من الشروط اللسانية والتداولية التي تجعل النص منسجما، ولكنها شروط، وإن كانت ضرورية ليست كافية كما يرى ذلك شارول. وتعود مسألة عدم الكفاية هذه إلى أن الجانب التداولي في مسألة الانسجام فيه من المرونة والحركة ما يضعنا أمام حيرة وتردد أمام كل محاولة للنمذجة . يقول شارول في هذا السياق:

---

(41)- نفسه ص 29 .

(42)- نفسه ص 30 .

(43)- هناك نظرة أوسع من مسألة الربط بين الوقائع ليتحقق الانسجام ، فالطرح الذي يقدمه J . P Bronckart في مؤلفه :
Activités langagières , textes et discours .
تضع مسألة الانسجام في مستوى يتكون من :

1- le plan général du texte.
2- les types de discours qu'il comporte.
3- modalités d'articulation de ces types de discours.
4- les séquences qui apparaissent éventuellement.

- يتعلق (1) بالتنظيم العام للمحتوى الموضوعاتي ويمكن تلخيصه.
- يتعلق (2) بأنواع المقاطع التي يتكون منها هذا النص.
- يتعلق (3) بالعلاقات المختلفة التي تربط بين هذه الأنماط الخطابية مثل الإدماج والإضمار.
- يتعلق (4) بالمقاطع المختلفة التي تظهر في نص ما منظور إليه انطلاقا من نظرة ميشال آدم.

لمزيد من التفصيل في هذه المسائل أنظر خاصة الجزء المتعلق بـ les textes et leur statut وكذلك الفصل 4 من المؤلف

« يمكن أن نتساءل، من منطلق أهمية العوامل التداولية في التعامل مع مسألة الانسجام، إن لم يكن من العبث أن نبقى حريصين على الاعتقاد بوجود إمكانية للنمذجة».

ولكن هذا لا يمنع من أن يوجه البحث إلى هذه المسائل التداولية وهو التحول الذي نراه مع شارول في عرضنا القادم .

3.2.1 ـ مسألة الانسجام على مستوى الفهم:

في مرحلة لاحقة[44] يضع شارول مسألة الانسجام على مستوى فهم الخطاب. ويؤسس تصوره من منطلق أن الخطاب ليس مجرد تتابع للأقوال يوضع الواحد منها بجانب الآخر بل إن فحصا بسيطا لنص ما يسمح باكتشاف عناصر تترابط مع عناصر أخرى حتى تحقق الاتساق. وتصبح مهمة التحليل اللساني حينئذ أن يصف هذه العناصر ويحدد طبيعة علاقاتها، وكيفية تفاعلها حين يتعلق الأمر بفهم الخطاب.

إن تحديد هذه العناصر المحققة للاتساق لا يكفي، بل إن تمييز وظيفة هذه العناصر يفرض علينا إدراج بعض العناصر التداولية والمعرفية من منطلق أنها تمثل إشارات تفسيرية تسمح للمتلقي بالقيام ببعض العمليات الاستنتاجية (opérations inférentielles) انطلاقا من معطيات لسانية و من السياق الذي تظهر فيه هذه المعطيات. مع كل هذا «فلكي نفهم حقيقة كيف تساهم علامات الاتساق هذه في فهم الخطاب، لابد أن ينصب تفكيرنا على **انسجام** هذا الخطاب أو حصافته (sa pertinence) ».[45].

يمكننا من هذه المقولة الأخيرة أن نكتشف تصورا للخطاب يعكس ترابطا بين خاصيتين أساسيتين هما الاتساق و الانسجام، وتحديد دور عناصر الاتساق في الفهم مرتبط بالاهتمام بمسألة الانسجام. لكن هناك مسألة أخرى تتعلق بالانسجام و الحصافة. فإذا اعتبرنا المعطى اللغوي في المقولة فإننا نصل إلى معادلة بين الانسجام والحصافة أي أننا حينما نقول مثلا أن خطابا ما هو منسجم فكأننا قلنا إنه حصيف، فأحدهما إذن يغني عن الآخر وبالتالي يمكن تمثيل النص هكذا:

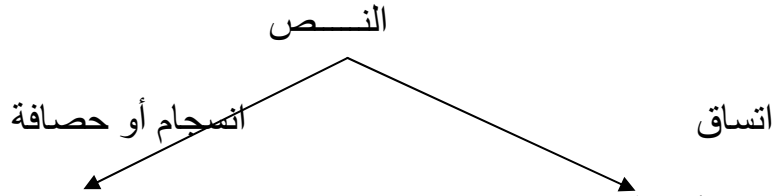

1.3.21- أهمية تحديد عناصر الاتساق:

---

[44]- يتعلق الأمر هنا بالمقال الذي نشره شارول في مجلة Travaux de linguistique № 29 , Duculot , 1994 . تحت عنوان : cohésion , cohérence et pertinence du discours.

[45]- نفسه ص 126 .

حين نعود إلى المقال السابق الذي حاول فيه شارول أن يضع مجموعة من القواعد المتعلقة بالانسجام نراه يشير بوضوح إلى أن التفريق بين الاتساق والانسجام غير ضروري، ولا يجلب كبير نفع، بل أن كلامه هذا يدرجه في سياق الرد على فئة من الباحثين انطلقت في معالجة القضايا المتعلقة بالاتساق والانسجام من منطلق ضرورة الفصل بينهما.[46] يقول في هذا السياق:

« في الوضع الحالي للبحث (وستكون لنا الفرصة لنثبت ذلك) ليس ممكنا تقنيا أن نحدث تقسيما صارما بين القواعد ذات البعد النصي، والقواعد ذات البعد الخطابي، ستفجر أنحاء النص الحدود المتعارف عليها عامة بين علم الدلالة والتداولية، بين المحايث والمقامي مما يؤدي في رأينا إلى عدم أهمية التمييز الحالي بين الاتساق والانسجام الذي يقترحه البعض معتمدين على تقسيم دقيق بين هذين المجالين ».[47]

بعد أربع عشرة سنة، يكتب هذا المقال الذي نحن بصدده، ويشير عنوانه إلى أن الفصل بين الاتساق والانسجام أصبح عنده تحصيل حاصل. ولئن كان الكلام قبل أكثر من قبل عن نحو للنص وعن قواعد للانسجام، فإن هذا المقال فيه كلام عن الاتساق والانسجام والحصافة (cohésion, cohérence et pertinence du discours).

ومن منطلق أن الخطاب ليس مجرد تتابع للأقوال كما رأينا، بل تتحقق بين الأقوال علاقات مختلفة تقوم بها عناصر لغوية مختلفة وبطرق مختلفة، فلابد إذن من تحديد هذه العناصر. ذلك أن «التحليل اللساني للخطاب (المكتوب والمنطوق) له هدف أساسي... هو تحديد ووصف مختلف أنظمة العلامات المساهمة في اتساقه»[48].

2.3.2.1- العناصر المحققة للاتساق:

إذا كانت أنظمة العناصر المحققة للاتساق ذات طبيعة مختلفة، فإنه لابد أن نضع في الحسبان أن أولها هو ما يحقق ما يسمى بالروابط البنوية (connexions structurales)[49]، وتنتمي هذه الروابط إلى مجال التراكيب. وعلى هذا الأساس فالتركيب يمثل عاملا قويا

---

(46)- أشرنا سابقا إلى مسألة الخلط بين المفهومين. ونشير على سبيل التذكر أن سلاكتا سعى في مقاله " l'ordre du texte " إلى الفصل بين المفهومين وتبعه في ذلك آدم .

(47)- انظر :
M .CHAROLLES : introduction aux problèmes de la cohérence des textes , L . F № 38 , 1978 . p 14

(48) - M-CHAROLLES : Cohésion, cohérence et pertinence du discours
Travaux de linguistique , №29 , Duculot , 1994 , P 126 .

(49)- من المهم الإشارة هنا إلى أن لوي تانيار (LOUIS TESNIERE) هو من بسط مسألة الربط باستعمال مصطلحي " الربط البنوي " (connexion structurale) و الربط الدلالي (connexion sémantique) . وهو حين يتكلم عن العائد (anaphore) يورد هذه المصطلحين : " كل عائد يقتضي ربطين دلاليين، ربطا يضاعف الربط البنوي والربط الذي يشطل العائد ".
ففي جملة من نوع : يحب الوالد ولده يظهر الربط المضاعف هكذا:

يجب

الوالد ولد

لإدراج المعطيات اللغوية ويستند إلى العلاقات بين وحدات تنتمي إلى أقسام نحوية محددة و بإمكانها أن تحتل مواقع محددة مسبقا".[50]

إن أهم ما يميز هذه الروابط البنوية هو محدوديتها، فالفعل مثلا يرتبط بعدد محدود من العناصر تحدد به وظائف هذه العناصر. وإذا كانت هذه الروابط بنوية فإن مجالها هو الجملة. والخروج من مجال الجملة إلى الخطاب (أي إلى ما هو أكبر من الجملة) لا يعطينا روابط بنوية، بل إن أقصى ما يمكن أن يقال أن جملة ما تتبع أخرى. ومن هنا فإن الخطاب يبدأ حينما تنتهي سلطة هذه الروابط البنوية.[51] ولا يكفي الوقوف عند هذا المستوى من الروابط باستثناء ما يعترضنا من مسائل تقتضي الرجوع إلى الجوانب التركيبية كالحذف مثلا.[52]

وبجانب هذه الروابط البنوية، هناك مجموعة من أدوات الربط ذات طبيعة دلالية تداولية. ويمكن تمثيل هذه الروابط مجتمعة (بنوية وغير بنوية) في المخطط الآتي:

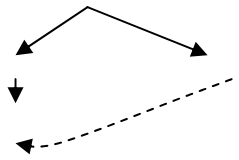

هـ

انظر : L .TENIERE : Eléments de syntaxe structurale
Paris, KLINCKSIECK . P 85 -86

وانظر كذلك :
- MOGCA SCHLAMBERGER BRESAR : Le rôle syntaxique et pragmatique des connecteurs dans le discours argumentatif français , linguistica X L I I .
- Françis CORBLIN : Sur la notion de connexion

(50)- شارول ، المرجع السابق ، ص 126 .

(51)- في صدد تفريقه بين مقاربة من زاوية نظرية التلفظ (théorie de l'énonciation) ومن زاوية نحو النص، فإن نظرية التلفظ ترى أن الجملة لا يمكن أن تمثل وحدة تدخل في تنظيم أعلى، لأن ما فوق الجملة لا توجد فيه قواعد تركيبية توضح لنا كيفية اندراج وحدات الخطاب. يقول بنفينيست في هذا السياق:
"مع الجملة نغادر مجال اللغة كنظام من الأدلة وندخل في فضاء آخر هو فضاء اللغة باعتبارها وسيلة تواصل يتم التعبير عنها بواسطة الخطاب P130-129 ، 1966 ، Paris Gallimard ، T 1. problèmes de linguistique générale .

(52)- يمثل الحذف نقطة وسيطة يسن مستوى الجملة ومستوى الخطاب، ذلك أن الاستدلال على العنصر المحذوف يتم بواسطة الرجوع إلى النظام أي إلى مجموعة القواعد البنوية التي تربط العناصر فيما بينها أو بواسطة العودة إلى المقام. وسنرى كيف عالج هاليداي الحذف مستندا إلى مبادئ الجملة وبناء مكونات الجملة. وهناك معالجة تأخذ بعين الاعتبار البعدين معا البعد القواعدي والبعد المقامي نجدها عند عبد القاهر الجرجاني وعادة ما يسمي الاستدلال على الحذف بالمقام : دليل الحال، وبالسياق اللغوي : ما سبق من الكلام.
ولتفصيل أكثر في أنواع الحذف وكيفية الاستدلال عليه أنظر : دلائل الأعجاز، دار المعرفة ، ص 112-130 .

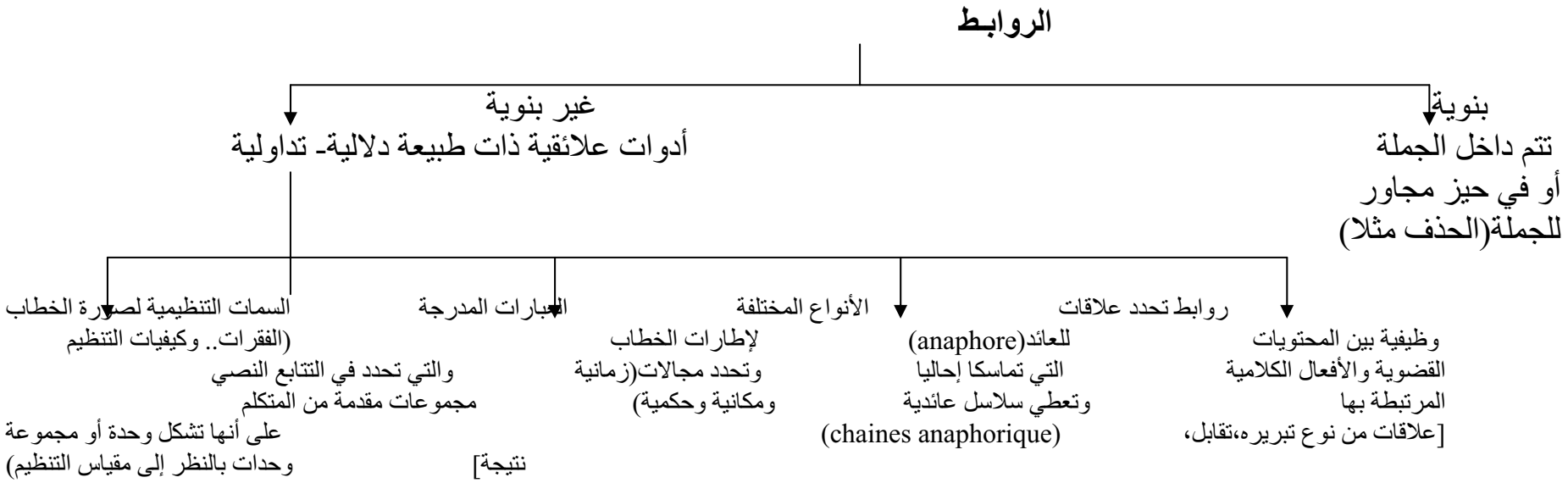
الروابط
بنوية
تتم داخل الجملة
أو في حيز مجاور
للجملة(الحذف مثلا)
غير بنوية
أدوات علائقية ذات طبيعة دلالية- تداولية
روابط تحدد علاقات
وظيفية بين المحتويات
القضوية والأفعال الكلامية
المرتبطة بها
[علاقات من نوع تبريره،تقابل،
الأنواع المختلفة
للعائد(anaphore)
التي تماسكا إحاليا
وتعطي سلاسل عائدية
(chaines anaphorique)
العبارات المدرجة
لإطارات الخطاب
وتحدد مجالات(زمانية
ومكانية وحكمية)
السمات التنظيمية لصورة الخطاب
(الفقرات.. وكيفيات التنظيم
والتي تحدد في التتابع النصي
مجموعات مقدمة من المتكلم
على أنها تشكل وحدة أو مجموعة
وحدات بالنظر إلى مقياس التنظيم)
نتيجة]

3.3.2.1- الانسجام وعدم كفاية عناصر الاتساق:

يمثل جرد ودراسة العناصر المحققة للاتساق بالنسبة لشارول إحدى المهام التي لها الأولوية والخصوصية في التحليل اللساني للخطاب.

" ... جرد ودراسة مختلف أنظمة علامات الاتساق يمثلان فعلا إحدى المهام التي لها الأولوية والخصوصية ... وهي مهمة مازالت بعيدة عن الانتهاء ".[53]

ولكن هذه الأهمية لا يجب أن تحجب عنا حقيقة أخرى وهي عدم كفايتها. بعبارة أخرى فإن اللساني لا يقف عند حد دراسة هذه العناصر حينما يتعلق الأمر بالخطاب. يستند شارول في عدم الكفاية هذه على نقطتين هما:

- إن دراسة هذه العناصر يصل بنا أحيانا إلى حدود الجوانب التداولية .
- إن كثيرا من المقاطع (séquences) تكون منسجمة دون أن تحتوي على عنصر علائقي.

ومن هنا فإن:

" وجود رابط (connecteur) و / أو عائد (anaphore) و / أو أي علامة اتساق أخرى لا يمثل شرطا ضروريا ولا كافيا حتى يكوّن تتابع قولين مثلا مقطعا منسجما"[54].

يبدو لنا من هذه المقولة الأخيرة أن شارول يتجه إلى دراسة المقاطع المحكوم لها بالانسجام دون أن تتوفر فيها هذه الروابط الشكلية المحققة للاتساق. ويمثل هذا السياق العام الذي يدرج فيه مسألتي الانسجام والحصافة (la pertinence).

يستند في هذا التوجه على دراسة قامت بها بيلار I.BELLERT [55] عالجت فيها مسألة الانسجام انطلاقا من الاهتمام بمعرفة أية علاقة انسجامية مما تسميه شبه الاقتضاءات (quasi-implications) وتمثل شبه الاقتضاءات هذه قواعد عامة للاستدلال تسمح بتحديد علاقات بين حالات أشياء موضوعة بواسطة قولين متتابعين عبر ضم معارف عن العالم.[56]

يضعنا شارول بعد ذلك أمام مثالين هما:

- أصيبت ماري بالزكام. البرد شديد.
- أصيبت صوفي بالزكام، لكن ألبير يتعلم البيانو منذ سن الرابعة .

ففي المثال الأول لا يجد المتلقي أدنى عائق في ربط القول الأول **أصيبت ماري بالزكام** بالقول الثاني **البرد الشديد** مع غياب الرابط الشكلي بينهما ويشكل القولان بذلك مقطعا منسجما. أما المثال الثاني فرغم وجود **لكن (Mais)** بين القولين، فإن هذا لا يسمح لنا بأن

---

[53]- أنظر شارول ، المرجع نفسه ص 130.

[54]- نفسه - ص 130 .

[55]- يتعلق الأمر بمقالها الموسوم بـ : on a condition of the coherence of texts, semiotica № 4 , p 363- 335

[56]- شارول ، ص 131.

نعتبر القولين مشكلين لمقطع منسجم. ويكون إحساس المتلقي أنه أمام قولين وضع أحدهما بجانب الآخر بدون مبرر.[57]

يسند هذين المثالين بسلسلة أخرى من الأمثلة التي تغيب فيها العناصر المحققة للاتساق ومع ذلك لا يجد المتلقي صعوبة في تقبلها على أنها مقاطع منسجمة.[58] ويسمح هذا بالخروج إلى خلاصة عن العوامل التي تدخل في الحكم على انسجام مقطع أو خطاب ما، أو بعبارة أخرى يقتضي الانسجام:

- تحديد العناصر المحققة لعلاقة اتساقية إن وجدت.
- القيام بعمليات استنتاجية، وخاصة الاستنتاجات العلائقية (inférences de liaison)، التي تمس محتوى المعطى الخطابي، والمقام الذي وجه فيه الخطاب ومعارف الأشخاص.

ويمكن تمثيل ما سبق بيانيا هكذا:

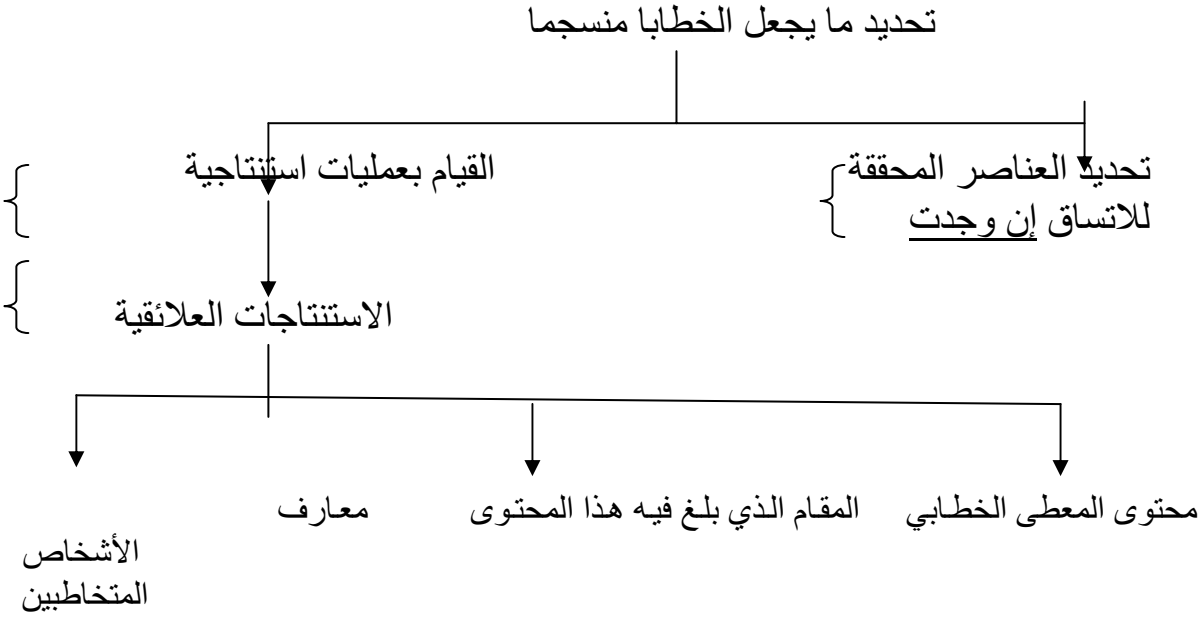

وهكذا يتبين لنا أن مسألة الانسجام تكون في جانب التلقي، أي لا تمثل سمة في الخطاب بل " مبدأ عاما يتحـكم في تأويله (الخطاب) " [59] أو هو "شكل مسبق" (forme à priori) لتلقيه (الخطاب).

---

[57]- ينظر ميشال آدم في مسألتي النص المتسق غير المنسجم والنص المنسجم غير المتسق .

[58]- يورد أمثلة أخرى تغيب فيها العناصر المحققة للاتساق ولكن المتلقي يتقبلها بسهولة و من بينها :

1 - A : on sonne
- B : je suis dans mon bain

2 - la poubelle est pleine.
- Je suis fatigué

3 - j'ai faim
- passe moi le guide Michelin

P 133

[59]- ينظر مسألة تعدد الانسجامات عند(Maingueneau)

4.2.1- بين مبدأ الانسجام ومبدأ الحصافة:

إن اعتبار الانسجام مبدأ عاما يتحكم في تأويل الخطاب يقربه كثيرا من مبدأ الحصافة الذي يمثل أحد مبادئ المحادثة عند قرايس (Grice)، ولكنه يمثل نظرية كاملة عند سبيربر و ويلسون كما سنرى لاحقا. واللافت للانتباه أن تأسس الانسجام على ما يسميه شارول القيام بعمليات استنتاجية، والذي يولد الاستنتاجات العلائقية يعني أن المسألة تتجاوز المعطى اللغوي إلى مجال المعارف التي يوظفها كل متلق لخطاب، وبالتالي يصبح اللجوء إلى مجال علم النفس اللغوي مشروعا.

إن تأسس نظرية الحصافة على عدم كفاية المقاربات التي تعتمد على الاتساق، وعلى أن تأويل الكلام هو أساسا سياقي واستنتاجي[60] هو الذي جعل شارول يلجأ إليها في دراسة مسألة الانسجام.

يشير في بداية الأمر إلى أن الأعمال التي تبنت نظرية الحصافة تنطلق دائما من أمثلة تنتمي إلى مجال المحادثة. ولا يخفى ما في هذا الاختيار من عوامل. فالتواصل الشفوي يوفر معطيات مقامية متنوعة (ملامح الوجه، النبر، معطيات حول المحيط الفيزيائي، معارف المتخاطبين ...) على عكس النصوص المكتوبة، إذ الذي ينتج نصا مكتوبا لا يعرف شيئا عن السياق الذي سيقرأ فيه نصه.

إن فقدان المعطيات المقامية التي تساعد المتلقي في التأويل حين يتعلق الأمر بما هو مكتوب يدفعه إلى الاعتماد على ما يسميه شارول بالمعارف المشتركة ومخططات الأفعال(sehémas d'action) " المتفق عليها ".

ويبدو أن هناك توجها كما يرى شارول، استنادا إلى مجموعة من الدراسات، إلى بلورة علاقات الانسجام اعتمادا على الاستنتاجات السببية (les inférences causales) . أي أن المتلقي يكون أكثر ميلا في المتتاليات الجملية التي تغيب فيها الروابط الاتساقية إلى جعلها منسجمة بربطها سببيا.

لو أخذنا المثال الذي ضربه شارول وهو.

ـ صفر ألبير (ف) انطلق الأرنب.

يكون المتلقي أكثر ميلا إلى ربط انطلاق الأرنب بسبب صفير ألبير. لكن يجب الانتباه إلى أن المسألة تتعلق أساسا بمعارفنا المخزنة، ولذلك يلفت صاحبا نظرية الحصافة الانتباه إلى ضرورة تبني وجهة نظر تداولية تجمع بين:

ـ دلالة الجملة أو الجمل.
ـ عوامل معرفية عامة.
ـ مقياس الانسجام مع مبدأ الحصافة.[61]

---

(60) ـ سنرى مفهوم الأثر السياقي حينما نعرض نظرية الحصافة (théorie de pertinence) ولكن نشير هنا فقط أن السياق في نظرية الحصافة ليس معطى على خلاف المقاربات السياقية. إنما هو منشأ بواسطة المؤولين ويتغير بحسب دوران الكلام . أما الاستنتاج فمحكوم / كشف أحادي (heuristique unique) .

(61) – سنرى كيف ينظر سبير برو ويلسون إلى الحصافة على أنها مبدأ على خلاف ما هي عند قرايس. انظر جدول المقارنة الذي أنشأناه.

يتجه شارول بعد ذلك إلى دراسة قام بها أوم (hume) عنوانها:
(Enquête sur l'entendement humain (1748) وتعالج مسألة العلاقات التي ينشئها المتلقي بين الأحداث أو الأفعال.

يرى أوم أن الكاتب " حينما يورد أحداثا أو أفعالا يجب أن تكون مترابطة بعضها ببعض برباط ما يجب أن يعود إلى الجملة " وتشكل نوعا من الوحدة تجعلها تدخل في مستوى واحد، أو نظرة واحدة. و يمكنها أن تكون موضوع أو غاية الكاتب في مشروعه الأول " [62]

وهذا الترابط غالبا ما يكون ذا طابع سببي خاصة في البناء السردي، وهذا ما يجعله يختلف عن المؤرخ من حيث إن هذا الأخير يعتمد على تتابع الأشياء ولكنه في عرضه لها يجتهد في أن يجعلها في بناء سردي يساعد على ربط الأحداث أو الوقائع ربطا سببيا. وهذا كله يجسد هذا الميل إلى هذا النوع من الربط لأنه يمثل أقوى الروابط.

وإذا كان هذا النوع من الربط يتم في الأذهان، فإن هناك ثلاثة مبادئ للربط بين الأفكار هي:

- علاقة التشابه (ressemblance) .
- علاقة التجاور في المكان و الزمان.
- علاقة السبب والنتيجة

يورد سلسلة من الأمثلة توضح هذه العلاقات: [63]

---

[62] - شارول ص 139 .

[63] – دراسة العلاقات بين الجمل شكلت محورا هاما في الدراسة البلاغية خاصة في باب الفصل و الوصل. وقد خصص له الجرجاني بابا خاصا هو باب الفصل والوصل . بين فيه مجموع العلاقات التي تربط الجمل سواء أكانت تلك العلاقات شكلية أم دلالية . وكذلك كانت محورا هاما في الدراسات القرآنية. ويضعنا الزركشي أمام فصل من مؤلفة " البرهان في علوم القرآن " خصصه لـ " أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض . يقول في هذا السياق :

" ذكر الآية بعد الأخرى، إما أن يظهر الارتباط بينهما لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح. وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير أو الاعتراض والتشديد ... وإما ألا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى ، وأنها خلاف النوع المبدوء به .

فإما أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم أولا.

القسم الأول أن تكون معطوفة ... وقد تكون العلاقة بينهما المضادة ... والقسم الثاني ألا تكون معطوفة فلابد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط . والأول مزج لفظي وهذا مزج معنوي ... وله أسباب أحدها التنظير. والثاني المضادة ... الثالث الاستطراد ".

لمزيد من التفصيل أنظر.

بدر الدين محمد عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، المكتبة العصرية ، ط 2 – 1972- ص 40-50 .

وتعرف الدراسات المهتمة بالخطاب اليوم اهتماما بما يسمي بـ بنية الخطاب (structure du discours) ويعرفها لورانس ديلور (Laurence DELORT) في مقاله :

Structure communicative du discours : étude pour la génération
Automatique des textes . (laurence, delort @ linguistic , jussicu.fr . Juin 2003 .

" لقد أبرزت بنية الخطاب من خلال علاقات سميت بالعلاقات البلاغية أو الخطابية.

وعلاقات الخطاب هذه تبين العلاقات بين المكونات الخطابية (constituants discursifs) (احتمالات، أحداث أو حالات) ، وقائع أو قضايا. ص4.

ومن هذه العلاقات :

- بلورة (élaboration) : حينما توضح ج 2 ، ج1 بإعطاء معلومات إضافية.
- يجب أن ننوه بقدرة هذا الرجل (ف) هو الذي مكن أصحابه من الفوز.

التوازي (parallèle) : حينما تتناول ج1 و ج2 الموضوع نفسه :

انزلق بول (ف) سقطت المزهرية ← علاقة سببية + وجود في المكان.
انزلق بول . سقطت صوفي في البهو ← علاقة وجود في المكان.
نام ليون . نظرت صوفي إلى التلفزة ← تجاور في الزمن .
دخل ماكس إلى المقهى(ف) ذهبت زوجته إلى الحانوت ← تتابع في الزمن.
خسر ماكس 500 فرنك في لعبة اللوطو. تكسرت رجل ماري وهي خارجة من القداس
تشابه إيجابي (فقدان في الحالتين)
خسر ماكس 500 فرنك في لعبة اللوطو. وجدت ماري خاتما ذهبيا.
تشابه سلبي (فقدان # ربح)

تسمح هذه العلاقات للمتلقي بصنع الانسجام في الخطابات التي يتلقاها، وهي أكثر العلاقات التي يستند إليها هذا المتلقي.

5.2.1- الانسجام بين مسألة الربط بين الوقائع والاستمرارية الإحالية:

لو نظرنا إلى الأمثلة السابقة لوجدنا أنها تتكون من قولين يمثل كل واحد منهما حدثا، ولكن لا تترابط هذه الأقوال فيما بينها بواسطة رابط إحالي اتساقي. فهي من هذه الناحية منفصلة ولكن سمحت علاقة من العلاقات التي عرضناها سابقا بجعلها مقطعا منسجما.

حينما نتصور مقاطع أخرى تتجاذبها من جهة العلاقة الإحالية الاتساقية والربط بين الأحداث كما في الأمثلة السابقة يسمح ذلك بطرح السؤال الآتي:

على أي العلاقتين يعتمد المتلقي ليصنع الانسجام؟

مثّل هذا السؤال نقطة انطلاق عند شارول واستند في الإجابة عنه على دراسة قام بها مجموعة من الباحثين.[64] تنطلق هذه الدراسة من تجربتين تتعلق الأولى منهما بأخذ نصوص معقولة.

كتبت بواسطة بلورة مصفوفة (matrice) لا تحتوي على أي مركب اسمي أو ضمير.

وأحدثت فيها تعديلات فيما يتعلق بمعقوليتها (plausibilité).

حينما طلب من الأشخاص الذين هم محل التجربة أن يتذكروا ظهرت صعوبات التذكر حينما تعلق الأمر بالنصوص ذات المعقولية القليلة كما ظهر اختلاف في صعوبة إيجاد علاقات بين الأحداث عند الأشخاص محل التجربة وكانت خلاصة هذه التجربة:

أن النصوص قليلة المعقولية يصعب فهمها وتخزينها وتذكرها.

تحصل سيمون على الأقل على نقطة في كل مقابلة من المقابلات الإحدى وعشرين. (و) تحصل θ أيضا على كأس في لافلور.

التعليق (commentaire) : حينما تكون ج2 تعليقا على ج1 :

فاز فريق الحفارين في مقابلات التصفية ، إنه نصر جميل.

النتيجة (résultat) : حينما تكون ج 2 نتيجة لـ ج 1 :

فاز فريق الحفارين للمرة الثانية في مقابلات التصفية ، أنا فخور بهذا الفريق .

التفسير (explication) : حينما تكون ج2 سببا في ج 1 أو شرحا لها .

أنا فخور بفريق الحفارين.

لقد فاز للمرة الثانية في مقابلات التصفية

[64] - الدراسة في شكل مقال نشره الباحثون : أ . بلاك ، ب . فريمان ، ي.ن.حونسون – لارد

تحت عنوان plausibility and the comprehension of text . British journal of psychology , 77, 1986

أما التجربة الثانية فإنها تشبه النصوص الأولى مع فرق أنه احتفظ بالمركبات الاسمية وبالضمائر وكانت النتائج مطابقة لنتائج التجربة الأولى رغم أن هناك ترابطا إحاليا وهذا أوصلهم إلى خلاصة أولى أن الاتساق الإحالي ليس له أثر فيما يتعلق بالمعقولية/ اللامعقولية على المتلقين وهذا ينفي الفرضية القائلة بأولوية هذه العلاقات في مسألة الانسجام.

هناك تجربة أخرى يعتمد عليها شارول قام بها J.K.KEAMAN وaliii وتبين أهمية العلاقات السببية. لقد صنع هذان الباحثان مدونة تتكون من مجموعة من الجمل فيها جملة تدرج كل مرة بعد إحدى الجمل من هذه المدونة، فالجملة المدرجة هي:

1- في الغد كان كل جسمه أزرق.

والجمل الأخرى هي:

2- لم يكفَّ الأخ الأكبر لجوي عن ضربه.
3- سقط جوي من على دراجته وهو يعبر المنحدر.
4- كانت أم جوي غاضبة كثيرا منه.
5- ذهب جوي ليلعب عند الجيران.

وكانت النتيجة:

ـ الزمن يزداد كلما ضعفت درجة قوة العلاقة السببية كما هو الحال بين 1 و4.

ـ رغم أن هناك علاقة إحالية بين 1 وكل الجمل الباقية، فإن الأفراد الذين كانوا محل التجربة لا يكتفون بهذه العلاقة بل يؤسسون علاقات معرفية قاعدية.

ـ سهولة الربط الإحالي بين 1 و 2 بدلالة كلمة " ضربه " يعكس البعد الاستنتاجي الذي يوظف فيه المتلقي السياق حتى يجد العلاقة بين القولين بسهولة. وعكس هذا نجده بين 1 و4 إذ يغيب السياق المساعد وبالتالي يصبح إرساء علاقة غير العلاقة الإحالية صعبا.

3.1- خلاصـــة:

لقد حاولنا تتبع شارول ابتداء من محاولته وضع أسس نحو للنص يتأسس على مفهوم الانسجام إلى محاولة إيجاد قواعد للانسجام تتأسس على عدم ضرورة التفريق بين الاتساق والانسجام وصولا إلى ضرورة الفصل بين مفهومي الاتساق والانسجام والسعي إلى تحديد العناصر اللغوية التي تحقق علاقات اتساقية وتصنيفها (كما رأينا ذلك سابقا). وكل ذلك تمهيدا لربط مسألة الانسجام بمبدأ الحصافة.

ولعل الذي يلفت الانتباه في هذا المسار أن هناك سعيا واضحا إلى إثبات أن المتلقي ينطلق دائما من تصور وجود علاقة واحدة على الأقل تربط بين قولين متتابعين حتى يتحقق مبدأ الاستمرارية الدلالية (continuité sémantique). وإذا كان تصورنا للخطاب على أنه تتابع للأقوال فإن هذا يعني من زاوية المتلقي أن هذه الأقوال المتتابعة تتعالق إما بواسطة العلاقات الاتساقية أو تتجاوز الحدود اللسانية للبحث عن علاقات بين هذه الأقوال من زاوية الوقائع والأحداث.

ويبين استناد شارول على التجارب التي توضح خروج المتلقي من دائرة العلاقات اللسانية إلى العلاقات التداولية حينما يريد أن يصنع انسجاما أن **مبدأ الاستمرارية** يشكل ثابتا عند المتلقي. أي أنه يسعى دائما إلى إيجاد علاقات بين الأقوال اعتمادا على المعطيات اللغوية (جانب الاتساق) أو غير اللغوية (الجانب التداولي).

2- الانسجام ومفهوم القطعية:

رأينا في عرضنا السابق كيف حاول شارول عبر مسار زمني أن يبلور مفهوما للانسجام من خلال مجموعة من المحاولات تتسلسل من البحث عن نحو لمستوى أكبر من الجملة مستمدا من فان دايك وبيتوفي إلى البحث عن الانسجام من خلال رسم مجموعة من القواعد إلى معانقة نظرية الحصافة وفي كل ذلك هناك خيط ثابت بين هذه المحاولات هو تصور استمرارية تفسرها إما المعطيات اللغوية حين توجد أو غير اللغوية حين تغيب هذه المعطيات اللغوية.

في مقابل هذه النظرة، هناك نظرة أخرى تحاول أن تقترب من مفهوم الانسجام وتختلف عن نظرة شارول من جهتين، إحداهما تتمثل في أن النمذجة المقترحة تستند إلى تحليل شكلي للمحتوى اللساني ويتعلق الأمر في هذا السياق باعتماد ما عرف في مدرسة براغ بالمنظور الوظيفي للجملة (perspective fonctionnelle de la phrase) انطلاقا من تصور مفاده أن للجملة ديناميكية تواصلية.[65] والأخرى تتمثل في اقتراح تحديد أنماط من الأداءات الخطابية بدرجات مختلفة.

---

[65] - سنرى فيما بعد حينما نتناول مسألة الترتيب في النص أهمية هذا المصطلح ودوره فيما يعرف بالتدرج الموضوعاتي (progression thématique). ينظر في هذا السياق كذلك الهامشين 20 و21 .

يتعلق الأمر في هذا السياق بما قام به ليكور ونيفر ونسبلو (NESPLOUS وNEVERT وLECOURS) من خلال مقال هام نشر سنة 1984 وأعاد عرض خطوطه العامة NESPLOUS فيما بعد.[66]

وقد ترتب عن هذا العمل مجموعة من الدراسات التي اعتمدت أيضا على تحليل مدرسة براغ وبلورت مفهوم القطعية في البنية الخطية. سنحاول أن نعرض هذه الأعمال لنتبين من خلالها كيفية معالجتها لمسألة الانسجام.

1.2- أنماط التعبير الخطابي:

يعتمد نسبلو وصاحباه للكلام عن مسألة الانسجام من منظور القطعية على تصنيف للأنماط الخطابية التعبيرية. وهذه الأنماط تبدأ من مستوى أدنى يكون أساسه التكرار بين عنصري الجملة في التحليل الديناميكي لمدرسة براغ ويتعادل فيه العنصران دلاليا ويطلق على هذا النوع من الخطابات **الحشو (Tautologie)** باعتبار سمة التكرار بين العنصرين[67] في الجملة.

ومثالــه: الثلــج أبيـض

موضوع ↓ محمول ↓

يلي هذا التكرار الذي يمثل النمط الأدنى من الخطابات تكرار آخر لا يحقق معادلة دلالية بين عنصري الجملة، ولكنه يحقق هذه المعادلة في السلسلة الكلامية المتكونة من عدة جمل يتكرر فيها دائما العنصر الأول، بالصيغة نفسها.[68]

إذا كانت لدينا سلسلة كلامية **س** و تتكون من عدد من الجمل فإنها تأخذ الصورة الآتية:

س: أ ب أ ج أ د ..... . أ ن

---

[66] – أنظر : M . NEVERT, J.L NESPLOUS A. R LECOURS . Approche psycholinguistique du discours du psy- chotique in **communiquer demain**. actes du congrès international de la fédération des orthophonistes français.

وكذلك : J . L NESPLOUS : Tendances actuelles en linguistique générale. 1984 . Delachaux et NIESTLE. S . A NEUCHATEL . paris 1993.

[67] - نتكلم عن عنصرين في الجملة من زاوية التحليل الديناميكي لأن الجملة تقسم، وهذا سنراه بشي من التفصيل، إلى قسمين، قسم يسمى(**thème**) . ويكون هو العنصر الفقير من حيث ما يقدمه من معلومات، وقسم يسمى(**rhème**) وهو العنصر الأغزر من حيث المعلومات. وتتدرج هذه العناصر تصاعديا من اليسار إلى اليمين (على مستوى الكتابة بالفرنسية) . سنعطي ترجمة لهذين المصطلحين هكذا :

Thème: موضوع

rhème: محمول

[68] - حينما نتكلم عن التكرار بالصفة نفسها، فنحن نفرق بين مفهوم التكرار الذي يستند على الإحالة ويأخذ العنصر المحيل صورة أخرى كما هي الحال بين الاسم والضمير، وبين مفهوم للتكرار تكون فيه الوحدة اللغوية نفسها مكررة في الجمل المتتابعة.

أ = أ = أ = أ

وتسمى هذه الأنماط من الخطابات الأنماط قبل-الخطابية (Pré-discursifs). تقابل هذه الأنماط أنماط أخرى تسمى الأنماط الخطابية العادية لأنها تندرج حسب الباحثين في سياق التدرج النصي العادي من وجهة نظر التدرج الموضوعاتي (Progression tthématique). وقد درجت مدرسة براغ على تحديد ثلاثة أنواع من التدرج الموضوعاتي هي:

- التدرج بموضوع ثابت.
- التدرج الخطي.
- التدرج بمواضيع مشتقة.

ففي السلسلة الكلامية يمكن أن نجد في الجمل المكونة لهذه السلسة عنصرا ثابتا هو الموضوع (thème) ولكن تتغير صورته حسب ما تسمح به اللغة ولا يأخذ الصورة نفسها كما هو الحال في النمطين الأولين اللذين عرضناهما ويمكن تمثيله تجريديا هكذا:

التدرج الموضوعاتي:

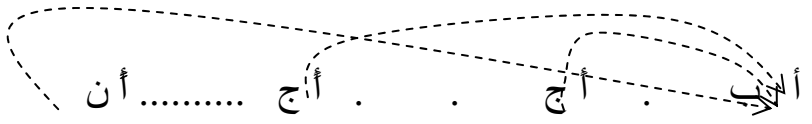

حيث :أ = أ = أ = أ ن .

أما التدرج الخطي فيمكن تمثيله هكذا :

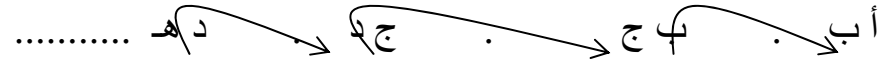

أما التدرج بمواضيع مشتقه فيمكن تمثيله هكذا :

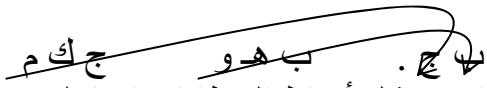

وهكذا يمكن تمثيل أنماط الخطابات كما يلي:

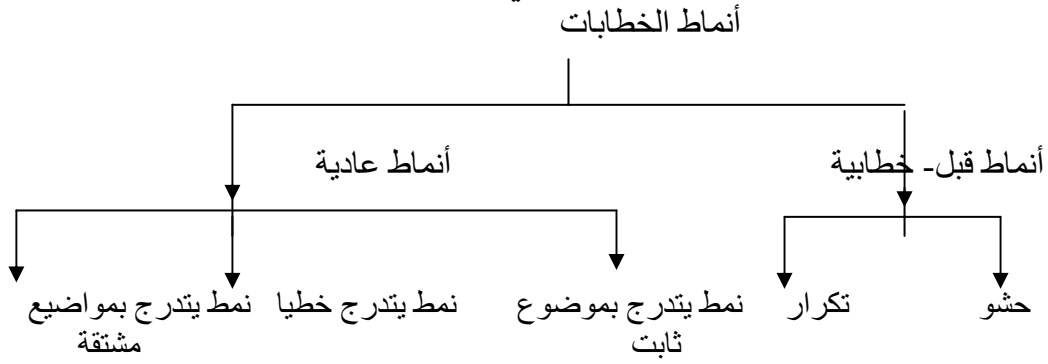

وإذا كان مفهوم الاستمرارية يتحقق كما هو الحال بالنسبة للتدرج بموضوع واحد أو التدرج الخطي فإن هناك أنواعا من النصوص لا تتحقق فيها هذه الاستمرارية المستندة إلى معطيات لغوية. فحينما لا تكون هناك علاقة بين موضوع الجملة الأولى وموضوع الجملة التي تليها إذن هناك قطيعة. ولكن رغم هذه القطيعة فإن المتلقي يتقبل هذا النوع من النصوص.

2.2- القطيعة ومفهومي الموضوع العام(hyperthème) والموضوع الشامل (hyper-hyper thème):

بلور نسبلو وصاحباه مفهومين للكلام عن الانسجام حينما تغيب الاستمرارية المستندة إلى معطيات لغوية كما أشرنا إلى ذلك سابقا. وهذا المفهومان هما:
الموضوع العام(L'hyperthème) ويعرفه كما يلي:
" هو الموضوع الغائب من البنية الجملية للخطاب. إنه موضوع حاضر على المستوى الدلالي، ولكنه لا يتحقق بصفة خاصة في أي جملة من جمل الخطاب ".[69]
ويضرب لذلك المثال الآتي:
" المدينة مضيئة لأننا نرى كثيرا من **الأشرطة المزخرفة•** الجو تارة جميل وتارة ردئ• الطرقات فيها **حركة كثيرة** لأن الناس **تتجول،** وتذهب إلى المرقص وعندهم **عطل** كثيرة• وفي **المحلات** نرى أشجار الصنوبر و**الألعاب** و**الثياب** ".

لو نظرنا إلى هذا المثال على ضوء الأنماط التي حددناها في ما يعتبر أنماطا عادية للاحظنا أن هذا النص لا يخضع لأي نمط من هذه الأنماط. فموضوع الجملة الأولى يختلف عن موضوع الجملة الثانية وعن الثالثة.

---

[69] – أنظر: NESPLOUS : Tendances P 123

المدينة ..... الجو .....الطرقات.

ولكن القارئ يستطيع أن يحدد أو يبني موضوع هذا النص اعتمادا على ما يسميه نسبلو بـ الآثار المعجمية (traces lexicales). فهناك مجموعة من الوحدات المعجمية التي تساعده على هذا البناء فـ:

مضيئة + الأشرطة المزخرفة + حركة كثيرة + يتجولون + المرقص + عطل + محلات + أشجار الصنوبر + الألعاب كلام عن الاحتفالات بنهاية السنة الميلادية.

←

أما الموضوع الشامل(l'hyper . hyper thème) فيعرفه كما يلي:

" هو شكل من الانسجام أبعد، لا يمكن بناؤه مباشرة بواسطة الخطاب نفسه ولكنه إسقاط من طرف المتلقي الذي يحاول بواسطة مجهود نهائي أن يمنح معنى لخطاب الآخر ".(70)

يقترب هذا التعريف من مفهوم الحصافة كما سنراه لاحقا. واللافت للانتباه في هذا التعريف أن محاولة المتلقي الكبيرة لإعطاء معنى وبالتالي جعل ما يتلقاه منسجما تعنى أنه يرفض الفراغ وبعبارة أخرى يضع مسألة الانسجام في جانبه ويستغل كل المنابع التي يملكها وتساعده على بناء هذا الانسجام.

لقد سمحت هذه النظرة للانسجام عند هؤلاء الباحثين ببلورة ترسيمة (schéma) تحدد فيها هذه المزاوجة بين اللغوي وغير اللغوي في شكل تقابل بين الكيفيات التي تحدد فيها المواضيع (les thèmes) على مستوى الشكل اللغوي، وهي مستمدة كما ذكرنا من منظور التحليل الوظيفي للجملة وبين المواضيع التي لا تظهر في العبارة اللغوية ولكن تسمح بعض المعطيات اللغوية (المثال المتعلق بـ l'hyperthème مثلا) من تحديدها أو المواضيع التي تخرج من دائرة اللغة (hyper- hyper thème) إلى اتفاق أوسع ذي طابع اجتماعي حيث يوظف المتلقي قاعدة اجتماعية مفادها أن المتكلم حين يتكلم يريد أن يقول شيئا، أي أن لكلامه معنى.

الانقطاع الشكلي للانسجام (71)

(70)- نفسه ص 123 .

(71)- نفسه ص 122 .

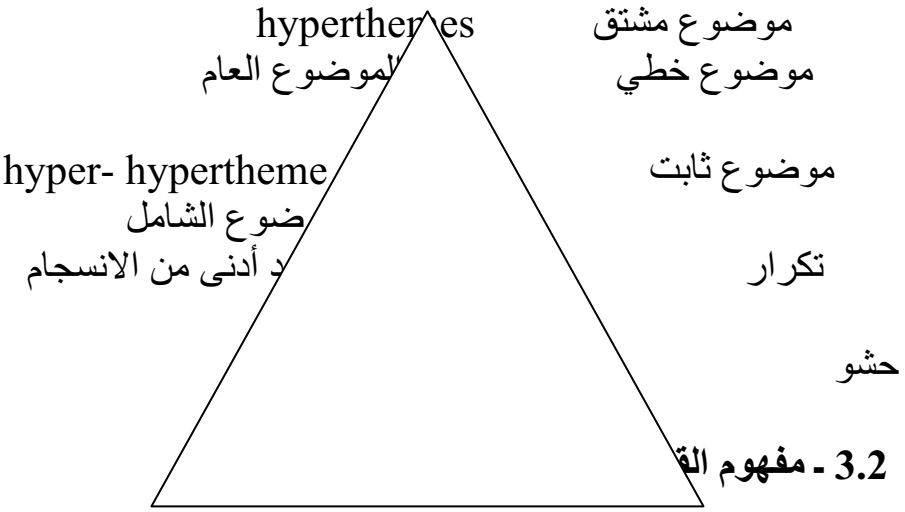

3.2 - مفهوم الق

يمثل مؤلف ديبون (D.DUPONT) وفوفو (T.FAUVAUX) وغنيت (M.GHENET) الموسوم بـ la dynamique de l'information عملا هاما من حيث تركيزه على مسألة الديناميكية التي مثلت مفهوما هاما في مدرسة براغ ولذلك يمثل هذا العمل استفادة مباشرة من هذه المدرسة. ويمثل العنوان إحالة مباشرة إلى مفهوم الديناميكية التواصلية.[72]

يعتبر **التحليل الوظيفي** الذي يقوم به هؤلاء الباحثون مرحلة ثالثة تسبقها مرحلتان هما: مرحلة التحليل التركيبي ومرحلة التحليل الدلالي. وإذا كان التحليل التركيبي يحدد طبيعة عناصر الجملة والعلاقات التي تحكمها (فعل، فاعل، مفعول... الخ) والتحليل الدلالي يحدد الدور الذي تلعبه عناصر الجملة في الواقع الخارجي (المنفذ، المستفيد، الهدف الزمان، المكان) فإن التحليل الوظيفي يميز بين المحدث عنه [73] ويكون هو المعطى المعروف (أي ما نتكلم عنه) والحديث وهو العنصر الجديد (أي ما نقوله عن هذا الذي نتكلم عنه).

إذا كانت لدينا الجملة:

يمثل الضلع الأيمن أنواع التدرج. فمن الأسفل إلى الأعلى نجد علاقات مختلفة في البنية الخطية، فبالنسبة للحشو يكون العنصر الأول متضمنا دلالة العنصر الثاني (الثلج أبيض)، فمفهوم البياض متضمن في المفهوم الثلج. ومن هنا جاء معنى **الحشو**. يليه نحو أعلى خطابات تتسم بالتكرار مثل الخطابات التي نجدها في الطقوس الدينية. ويزداد التدرج تعقيدا كلما اتجهنا إلى الأعلى. وابتداء من الموضوع الثابت يصبح بالإمكان الكلام عن القطيعة. ولا يتنافى مفهوم **الموضوع الثابت** مع مفهوم القطيعة لأننا نجد أحيانا في النص الواحد عدة مواضيع. ومن ثم تتم بلورة كل موضوع على حده استنادا إلى توظيف مجموعة من العلاقات. غير أن ربط المواضيع ببعضها يستند فيه إلى مفهوم **الموضوع الشامل** أو الموضوع العام، وهكذا الحال بالنسبة للموضوع المشتق.

[72]- أنظر : SLAKTA : l'ordre du texte.

[73]- لنتأمل هذا السياق الذي يتكلم فيه ابن السراج عن المبتدأ والخبر :

" و المبتدأ يبتدأ فيه بالاسم المحدث عنه قبل الحديث. وكذلك حكم كل مخبر والفرق بينه وبين الفاعل أن الفاعل مبتدأ بالحديث قبله. ألا ترى أنك إذا قلت " زيد منطلق " فإنما بدأت " بزيد " وهو الذي حدثت عنه بالانطلاق و الحديث عنه بعده . وإذا قلت " ينطلق زيد " فقد بدأت بالحديث وهو انطلاقه ثم ذكرت زيدا المحدث عنه بالانطلاق بعد أن ذكرت الحديث.

كتاب الأصول في النحو – مطبعة النعمان 1973. ص 63 .

في 1985 وصل غورباتشيف إلى سدة الحكم. جوابا عن السؤال: ما الذي وقع في 1985 ؟

فإننا نستطيع تحليلها وفق المستويات الثلاث (التركيبي والدلالي والوظيفي) هكذا:

×	في 1985	وصـل	غورباتشيف	إلى سدة الحكم
المســـــــتوى التركيبي	جـار ومجـرور (فضلة)	فعل (نواة)	فاعل	شبه جملة متعلق بـ "وصـل" فـي مرتبة المفعول
المستوى الدلالي	الزمن	الحدث	المنفذ	الموضوع
المســـــــتوى الوظيفي	موضوع (Thème)	**محمول (rhème)**		

يمثل الجدول السابق نقطة انطلاق لتوضيح مسألة التحليل الوظيفي التي يتبناها هؤلاء الباحثون ولتحديد المقاييس التي يتم بواسطتها تحديد الموضوع والمحمول (Thème et rhème).

1.3.2- الموضوع والمحمول: محاولة تحديد

إن عرض الكيفيات التي يتم بها تحليل اللغة في المستويات المختلفة من جهة، وانطلاق الباحثين من مقطع يتكون من سؤال وجواب لتحليل الجواب على ضوء السؤال، يلفت الانتباه إلى أن مسألة الموضوع والمحمول لا تتحدد دائما بالتتابع الخطي.

يحاول الباحثون من خلال عرض مجموعة من الأمثلة أن يحددوا الموضوع والمحمول اعتمادا على معطيات الجملة باعتبارها بنية خطية تتتابع فيها العناصر الواحد بعد الآخر وعلى معطيات السياق الذي ترد فيه هذه الجملة.

لقد رأينا أن نعرض مجموعة من الأمثلة التي قدموها في هذا المجال، لتمكين القارئ من إدراك أهمية التحليل الوظيفي[74] من جهة ودوره حينما نوسعه إلى النص.

الجملة	السياق المدرجة فيه
في 1985 وصل غورباتشيف إلى سدة الحكم	ما الذي حصل لغورباتشيف في 1985؟
في 1985 وصل غورباتشيف إلى سدة الحكم	ما الذي حصل في 1985؟
خلال فترة الامتحانات يضطرب النوم	ما الذي يضطرب خلال فترة الامتحانات؟
خلال فترة الامتحانات يضطرب النوم	كيف يكون النوم خلال فترة الامتحانات؟

الموضوع	المحمول

[74]- إن السياق التربوي اليوم يحتاج إلى الاطلاع على هذه المفاهيم.خاصة وأن المنظومة التعليمية تتبنى حاليا المقاربة النصية في بناء مناهج اللغة العربية . وتمثل الدراسة التي قام بها الباحثون حول التحليل الديناميكي للجملة وتوسيعه إلى مجال النص رافدا كبيرا يمكن أن تستغله المنظومة للسماح للرياح الجديدة بتطعيم العربية أو على الأقل بالنظر إليها نظرة مختلفة ولكنها نقدية من حيث معرفة قدرة هذه الأدوات التي بلورت في معاجة القضايا التي يطرحها النص العربي.

في 1985 ..... غورباتشيف	وصل إلى سدة الحكم
في 1985	وصل غورباتشيف إلى سدة الحكم
خلال فترة الامتحانات يضطرب	النوم
خلال فترة الامتحانات .....النوم	يضطرب

لو قدمنا هذا التقسيم كما تظهر العناصر في مدرج الكلام،لحصلنا على ما يلي:

في 1985	**وصل**	غورباتشيف	**إلى سدة الحكم**
في 1985	**وصل غورباتشيف إلى سدة الحكم**		
خلال فترة الامتحانات يضطرب			**النوم**
خلال فترة الامتحانات		**يضطرب**	النوم

يبين لنا الجدول السابق أن مسألة الموضوع والمحمول لا يحسم فيها دائما التتابع الخطي، وإنما هي مسألة يمكن أن ننظر إليها من منظور تواصلي على أن هناك في الجملة من العناصر ما هو قديم بالنسبة للمتلقي وورود لا يقدم من وراء المعلومات الجديدة قدرا يتساوى فيه مع العناصر الجديدة، ولعل النظرة إلى الجملة على أنها تتكون من عناصر قديمة وجديدة هو الذي جعل كثيرا من الباحثين الذين اهتموا بمسألة الديناميكية لا يكتفون بمقياس التتابع الخطي ليحددوا الموضوع (العنصر القديم) والمحمول (العنصر الجديد)[75]، بل راحوا يعتمدون مقاييس أخرى كالسؤال والجواب، لتحديد هذه العناصر واكتشاف الكيفية التي يتم بها التدرج.

لننظر إلى الأمثلة السابقة نظرة تأخذ بعين الاعتبار التدرج التصاعدي:

وصل **إلى سدة الحكم**

1. في 1985..... غورباتشيف

وصل غورباتشيف إلى الحكم

2. في 1985

النوم

3. خلال فترة الامتحانات يضطرب

يضطرب

4. خلال فترة الامتحانات..... النوم

1.1.3.2- من مستوى الجملة إلى مستوى النص:

رأينا سابقا أن الأمثلة تتعلق أساسا بتدرج العناصر من حيث ما تقدم من المعلومات بكيفيات إما خطية من اليمين (المثالان 2 و3)، أو تكسر وتيرة الخطية (مثال1 و4) وفي كل الأحوال هو تدرج لا يتجاوز حدود الجملة، ولكن السؤال الذي يطرح هو: كيف تتحقق هذه الديناميكية على مستوى النص؟.

---

(75)- انظر مثلا:

- SLAKTA : l'ordre du texte.
- ADAM : ordre du texte ,ordre du discours .
- COMBETTES : ordre des éléments de la phrase et linguistique du texte.

لقد اعتمد فيرباس(FIRBAS) ودانش (DANEŠ) على البنية الخطية فقط، واقترحا سلما تدريجيا يعكس الديناميكية التواصلية، وتتوزع فيه المعلومات التي يحملها كل عنصر توزيعا خطيا من اليسار إلى اليمين على مستوى المكتوب. فكلما توجهنا نحو اليمين وجدنا عنصرا أكثر غزارة في المعلومات، ويمثل هذا الصورة الأكثر ورودا في سياقات التواصل ولكن لا يمكن أن نرى قطيعة أو كسرا لهذه الوتيرة كم يبينه الجدول السابق.

إذا كان تحديد الموضوع والمحمول يتم في الجملة اعتمادا على معطيات التكرار ورائز السؤال والجواب، كما حاولنا أن نبينه فيما سبق من أمثلة، فإن التعامل مع النص يختلف، فتحديد هذين العنصرين المحققين لما يسمى بالديناميكية التواصلية، أي الموضوع والمحمول يصبح صعبا، فبداية النص أو الجملة الأولى منه ليست مرتبطة بما هو قبل، ولذلك فالمقياس المعتمد في هذه الحالة هو تطبيق مبدأ الخطية من جهة والاعتماد على منطق معقول، فلو كان لدينا مثلا:

الحزن يقلق (و)/ التجمل يردع (و) الدمع بينهما عصي طيع.

فإن المعقول في هذه الحالة أن تحلل الجملة الأولى هكذا:

انطلاقا من السؤالين [76]

عمّ يتحدث ؟ عن الحزن

ماذا قيل عنه ؟ يقلق

وكذلك الحال بالنسبة للجملتين الثانية والثالثة، لأننا أمام تدرج بمواضيع متعددة،[77] ويمكن تمثيل ديناميكية هذا النص بالشكل الآتي:

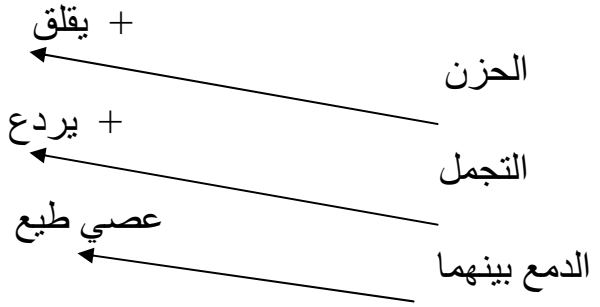

وإذا كان الاعتماد على هذا المنطق المعقول لتحديد الموضوع والمحمول في الجملة الأولى يبدو مسايرا للسياق الطبيعي للتواصل فإن الانتقال إلى النص يسمح بتوفر معطيات سياقية يسمح توظيفها بتحديد ما هو قديم من العناصر مما هو جديد.

لقد سمح توظيف المعطيات السياقية في النص بإدراج مفهوم الفاصلة النصية (l'intervalle texte) ويحدد ديبون هذا المفهوم كما يلي:

" يقصد بالفاصلة النصية المقطع من النص المأخوذ بعين الاعتبار لتحديد الفرق بين العناصر المشتركة والعناصر الجديدة" [78] .

---

[76]- يمثل الكلام في المبتدأ والخبر إشارة لطيفة من النحاة تعكس إدراكهم لأهمية الابتداء بما يشكل قاسما مشتركا في التواصل بين المخاطب والمخاطب، ولأمر ما لم يكن الابتداء بالنكرة إلا بمسوغ ، يقول ابن السراج في هذا السياق:

« وإنما امتنع الابتداء بالنكرة المفردة المحضة لأنه لا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه فلا معنى للتكلم به... فإذا اجتمع اسمان معرفة ونكرة فحق المعرفة أن تكون هي المبتدأ، وأن كون النكرة الخبر لأنك إذا ابتدأت فإنما قصدك تنبيه السامع بذكر الاسم الذي تحدث عنه ليتوقع الخبر بعده، فالخبر هو الذي ينكره ولا يعرفه ويستفيده والاسم لا فائدة له لمعرفته به وإنما ذكرته لتسند إليه الخبر»

كتاب الأصول في النحو - ص 63 – 64 .

[77]- بنظر مفهوم القطيعة ومفهومي الموضوع العام(l'hyperthème) والموضوع الشامل (hyper- hyperthème)

لقد وظف دانش(Daneš) هذا المفهوم[79]، وأعطاه دورا أوسع إذ ربطه بعملية تقسيم النص إلى فقرات ومجموعة فقرات وفصول وبالتالي يصبح المقياس المعتمد ليس الجملة ولكن أن يكون العنصر قد سبقت معرفته.

لو كان لدينا نص بالشكل الآتي:

عنوان

فق1

فق2

فق3

وأخذنا مثلا الفقرة3، فإننا يمكن أن نحصل عبر قراءتنا لها على معلومة جديدة ونعتبرها في سياق هذه الفقرة جديدة، لكن إذا نظرنا إليها من خلال الفقرتين السابقتين أو العنوان، أي إذا كانت قراءتنا للفقرة3 مندرجة في سياق تتابع القراءة فإن هذه المعلومة التي حكمنا لها بالجدة سرعان ما تصبح غير جديدة، ونلاحظ أن المقياس المعتمد في هذه الحالة هو المحتوى.

لا يحبذ ديبون هذه النظرة التي تأخذ بعين الاعتبار محتوى النص وإنما يعتمد على ما يسميه بالشكل الذي يعطيه المتكلم للأفكار، وعدم الاعتماد على هذه النظرة لا يعني عدم أهميتها، بل إنها تبين بكيفية هامة دور السياق من جهة وتساعد من جهة أخرى على فهم كيف أن "فكرة جديدة" يمكن أن تدرج فجأة في موضع الموضوع:لأن الفاصلة النصية تعطيها شيئا فشيئا قيمة موضوعاتية(valeur thématique)[80].

يستند لتوضيح هذه المسألة إلى مثال هو عبارة عن فقرة مقتطعة من مقال. وتعطينا هذه الفقرة حينما تنتقل من جملة إلى أخرى معلومات جديدة، غير أن هذه المعلومات الجديدة حينما تدرج في سياق المقال، أي حينما توضع في ترتيبها النصي تصبح هذه المعلومات التي حكمنا لها بالجدة معلومات متوقعة استنادا إلى معطيات قبلية توجد في الفقرات التي تسبق هذه الفقرة وفي العنوان.

النص :

« (...) هناك "مشتبه فيه" آخر: **د.**صحفي ينتمي إلى المحيط العائلي لفيك أنسيو، إحدى شخصيات فلكسونياه لكن **د.** لا ينتمي الآن إلى هذا المحيط، وعائلة أنسيو التي تتهمه

---

(78) - D. DUPONT , T. FAUVAUX , M.GHENET , Dynamique de l'information . DE BOECK- DUCULOT . 1994 . p 28.

(79) -DANEŠ : Papers of functional sentence perspective, Mouton , 1974 .

(80) -Dynamique de l'information , P28

بأنه استغل اسمها للحصول على المال رفعت شكوى ضده• ومهما يكن، فإن **د** هو أيضا عضو في مكتب هيغو شيلتر الذي كان وزيرا للميزانية في الحكومة الفلندية•
هو كبير وأبيض، وقد اعترف طواعية أنه كانت له علاقات مستمرة بشخص اسمه أناتولي، وهو دبلوماسي سوفياتي قريب من الجماعة الوطنية الفلندية، وقد قدمه على أنه "شاعر محب للحياة" • والمشكلة أن هذا الدبلوماسي كان ضابطا في المخابرات الروسية، مكلف باختراق الحركة الفلندية• وهذا أمر يؤكد أنه لم يكن على علم به أبداً».

تسمح قراءة هذا المقطع خطيا، أي جملة بعد جملة، بفهم أن:
د . متهم بالاحتيال استنادا إلى الجملة 2.
التهمة تتدرج لتصل إلى اتهامه بالجوسسة استنادا إلى5 و6 وبذلك فإن المعلومة:
من المعقول جدا أن يكون **د** جاسوسا التي يستنتجها القارئ تعتبر **معلومة جديدة**.

غير أن هذا المقطع الذي تسمح سياقاته بالخروج إلى هذه المعلومة، ما هو إلا جزء يأتي بعد عدة فقرات قد أعطيت فيها المعلومة حول الجاسوس والجوسسة من العنوان «تحريات حول أشخاص متهمين بعملهم لصالح الكاجيبي» كما توجد في الفقرة الأولى " تقدم البحث حول شبكة للكاجيبي(...) "
وبتوظيف معارفنا حول العالم نستطيع أن نربط بين المعطيات الموجودة في العنوان والفقرة الأولى لنصل إلى الخلاصة من البداية وهي أن **د**. من المحتمل جدا أن يكون جاسوسا ويبنى الاستنتاج هكذا:

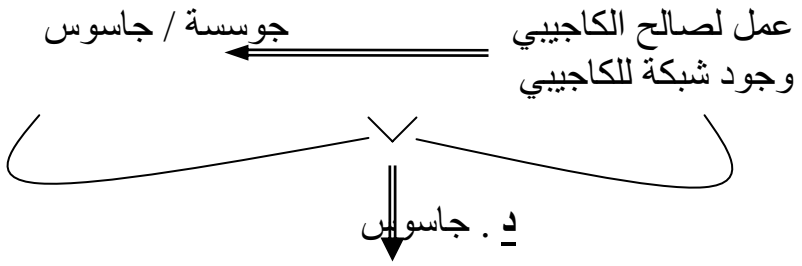

2.1.3.2- من الاعتماد على المضمون إلى مبدأ الخطية:

جسد المثال السابق كيفية لتحديد ما هو جديد مما هو قديم في النص، وهي كيفية لا يتبناها ديبون، كما أشرنا إلى ذلك، وبدل ذلك ينحو نحو مبدأ الخطية والاعتماد على تحليل مدرسة براغ وعلى المقاييس التي اعتمدوها في تحديد العنصر القديم أو ما سميناه بالموضوع (Thème)، والعنصر الجديد أو المحمول (Rhème)، وبما أن المسألة تتجاوز حدود الجملة إلى النص مع الاعتماد عليها في التتابع الخطي، فإن تحديد الكيفيات التي تتدرج بها النصوص يصبح مسألة مقتضاة حتى نتبين مفهوم القطيعة وعلاقته بالانسجام.

3.1.3.2- أنواع التدرج:

يعتمد تحديد الموضوع والمحمول كما سبق على السياق وعلى خاصية الخطية وعلى ما سميناه بالمنطق المعقول، فأما السياق فإن اللغة تسمح لنا عن طريق ما تتيحه من إمكانيات التكرار والإحالة من أن تفرق بين ما هو قديم وما هو جديد، وأما المنطق المعقول وخاصية الخطية فيلعبان دورا حينما نكون في سياقات البدايات حيث لا يمكن الاستفادة من سياقات قبلية لعدم وجودها (الجمل الأولى في النصوص مثلا).

1.3.1.3.2 - التدرج بموضوع ثابت:

في البنية الخطية تتتابع العناصر وتتحدد قيمتها المعلوماتية حسب ورودها في الترتيب انطلاقا مما سميناه بالمنطق المعقول، ويحدث أحيانا أن نجد أنفسنا أمام نصوص تتكلم عن الشيء نفسه وتضيف إليه في المسار الخطي كل مرة معلومة جديدة، ونلاحظ أن هذا الشيء الذي تتكلم عنه النصوص يتجلى لغويا في أشكال مختلفة(فقد يكون اسما أو ضميرا أو مرادفا...)، لنذكر بعض الأمثلة:

1- (يثبت **الله** الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل **الله** الظالمين ويفعل **الله** ما يشاء). (إبراهيم/الآية 22).

وصورته : الله (موضوع$_1$) يثبت.....الآخرة (محمول$_1$)

↓

الله (موضوع$_1$) يضل الظالمين (محمول$_2$)

↓

الله (موضوع$_1$) يفعل ما يشاء (محمول$_2$)

2- (أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ● ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون● خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ● خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين● والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون).(النحل/الآية 5).

وصورته: أمر الله (موضوع$_1$) أتى فلا تستعجلوه (محمول$_1$)

↓

هـ (موضوع$_1$) سبحان (محمول$_2$)

هو (موضوع$_1$) تعالى عما يشركون (محمول$_3$)

هو (موضوع$_1$) ينزل الملائكة (محمول$_4$)

هو (موضوع$_1$) خلق السماوات... الأرض (محمول$_5$)

هو (موضوع$_1$) تعالى عما يشركون (محمول$_6$)

هو (موضوع$_1$) خلق الإنسان.... مبين (محمول$_7$)

هو (موضوع$_1$) الأنعام خلقها...تاكلون (محمول$_8$)

ويمكن تجريد التدرج بموضوع واحد بهذا الشكل:

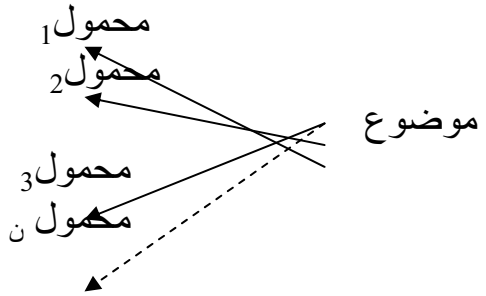

2.3.1.3.2- التدرج الخطي:

إذا انطلقنا من تصور أن الجملة تتكون من موضوع ومحمول فإن تتابع الجمل يتحقق فيه النمو الخطي عن طريق تحوّل المحمول أو جزء منه إلى موضوع في الجملة اللاحقة، ومثاله من القرآن:

(الله نور السماوات والأرض ● مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ● المصباح في زجاجة ● الزجاجة كأنها كوكب دريّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية).(النور/35).

وصورته:

الله (مو$_1$) ← نور السماوات والأرض(مح$_2$)

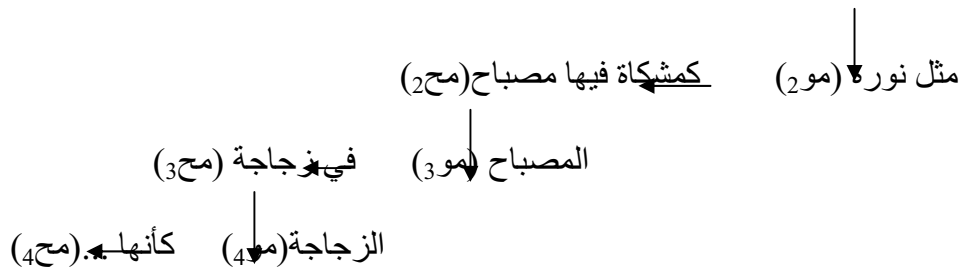

يمكن تجريد التدرج الخطي هكذا :

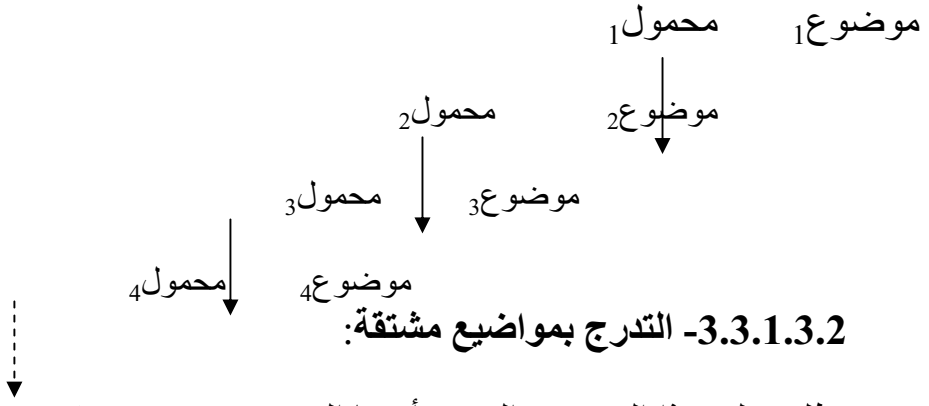

3.3.1.3.2- التدرج بمواضيع مشتقة:

يطلق على هذا النوع من التدرج أيضا التدرج بموضوع متفجر (Progression à thème éclaté)، وهو عبارة عن موضوع عام (Hyper- thème)، ويكون عادة كلمة تحتل رتبة دلالية أعلى قياسا بالعناصر التي تشتق منها.أو مجموعة من الوحدات التي تحتل موقع المحمول في الجملة السابقة. ثم تصبح كل وحدة موضوعا في الجملة اللاحقة ومثاله:

(... فمنهم **شقي** و**سعيد**. فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ). (هود 05-108).

4.2- القطيعة في البنية الخطية:

رأينا سابقا أن هناك توجهين في التحليل، أحدهما يعتمد على المحتوى فيكسر البنية الخطية والآخر يتم فيه تتبع النص خطيا ليحدد ما هو قديم من عناصره مما هو جديد اعتمادا على السياق. والواقع أن التتبع الخطي يسمح لنا باكتشاف خاصية الترابط التسلسلي بين ما يلحق وما يسبق وبواسطته أيضا نكتشف ما يقع في البنية من قطيعة.

ولو عدنا إلى الأمثلة السابقة وحاولنا النظر إلى هذا الترابط التسلسلي وإلى كيفية حدوثه لوجدنا أن هناك دائما لاحقا يرتبط بسابق. ويتحقق هذا الربط بواسطة العلاقة العائدية (relation anaphorique)، ففي التدرج الخطي مثلا نجد أن الموضوع (thème) في أشكاله اللغوية المختلفة يحيل دائما على نقطة الانطلاق بهذا الشكل:

شكل$_1$:

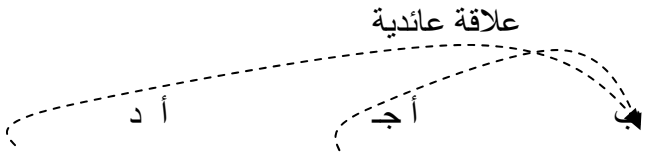

ع . ع

شكل$_2$:

(لقد وحدنا في الشكل$_1$ على وحدة الشكل اللغوي وغيرنا في شكل$_2$ للدلالة على تعدد الأشكال كالتحول من الاسم إلى الضمير أو اسم الإشارة أو إلى أي وحدة أخرى مما تسمح به اللغة في هذا النوع من العلاقات).

وفي التدرج الخطي يصبح العنصر الأول في السياق اللاحق مرتبطا عائديا بالعنصر الأخير من السياق السابق، هكذا:

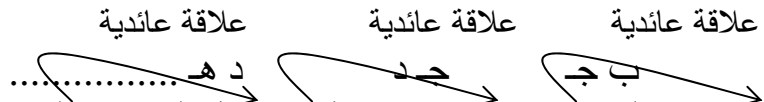

والحال نفسها في التدرج بمواضيع مشتقة، فعلاقة العموم والخصوص المجسدة لعلاقة الاحتواء تجعل العناصر المشتقة ترتبط إحاليا بالموضوع العام(hyper thème).

ونظرا لتحقق الاشتقاق إما من الموضوع أو من المحمول نكون أمام علاقات بهذا الشكل:

- <u>الاشتقاق من الموضوع</u>:

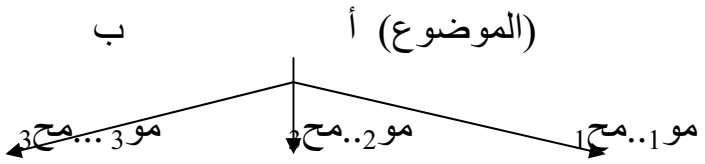

- <u>الاشتقاق من المحمول</u>:

- الشكل (1):

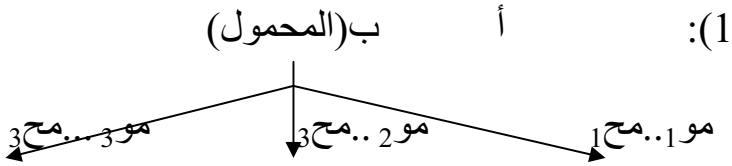

- الشكل (2):

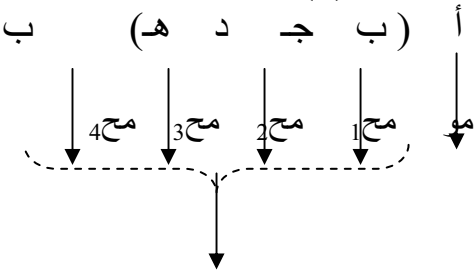

تتقاطع أنواع التدرج الثلاثة في خاصية الترابط عن طريق العلاقة العائدية مما يحقق لها مفهوم الترابط التسلسلي، ولكن يحدث أحيانا أن تقع قطيعة ويغيب هذا الترابط التسلسلي فيحدث ما يسمى بالقطيعة الموضوعاتية(rupture thématique).

1.4.2- مفهوم القطيعة الموضوعاتية:

يعرف ديبون القطيعة الموضوعاتية كما يلي:

« تكون هناك قطيعة كلما قام الكاتب بقطع تدرجه النصي القاعدي(الذي يعود إليه غالبا) »[81]

ويصوغ تعريفه في سياق آخر هكذا:

« نتكلم عن قطيعة موضوعاتية كلما صعب علينا ربط موضوع جملة بالسياق القبلي»[82].

يتأسس هذان التعريفان على مبدأ المقابلة بين مفهومي الاستمرارية والقطيعة. وبمعنى آخر فإن هناك من النصوص ما تتحقق فيه الاستمرارية بواسطة عناصر تضمن وجود الموضوع عبر سلسلة الجمل المكونة له، وفي المقابل هناك من النصوص ما يحدث في تتابع جمله قطيعة أو تحول، إذ نجد مجموعة من الجمل تتكلم عن موضوع ثم يتغير الموضوع في مجموعة أخرى. وانطلاقا من هذا التصور يناقش ديبون مثالا أورده كومبيت(COMBETTES) وبدا له فيه تداخل في استعمال المصطلحات والمثال هو:

" لزينيا شعر أسود لامع ومتموج قليلا: الذيل قصير. الأذن طويلة ومتدلية. الجبهة التي يقطعها دائما تجعدان عميقان تعطي للنظرة مسحة حزينة ووديعة".

يعتبر كومبيت أن العناصر: **الذيل و الأذن و الجبهة** لا ترتبط شكليا بموضوع المنطلق وهو **زينيا**، غير أننا نجد بينها وبين هذا الموضوع علاقة دلالية فهي تنتمي في نظره إلى موضوع عام(un hyper-thème) واحد هو **زينيا**، فالعلاقة إذن هي علاقة انتماء يمكن تمثيلها كالآتي:

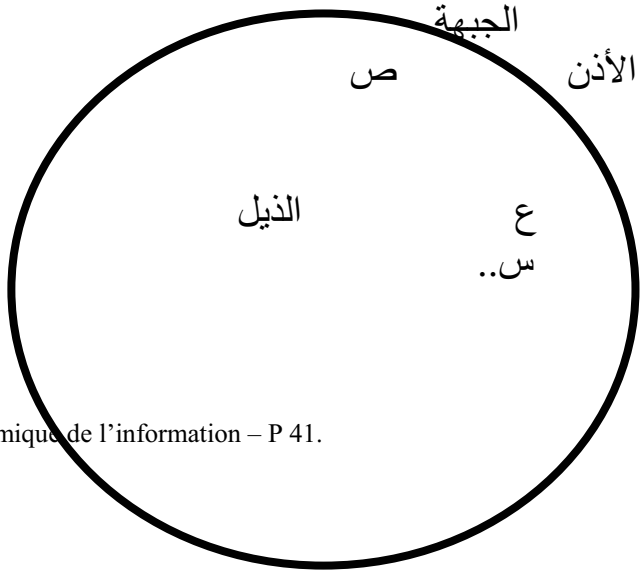

[81] -Dynamique de l'information – P 41.

[82]- نفسه ص 42 .

إن اعتبار وجود قطيعة على المستوى الشكلي وعلاقة دلالية في الوقت نفسه يعكس ازدواجية، يحاول ديبون أن يدفعها بالتفريق بين ثلاثة مفاهيم أساسية ليؤسس مفهوم القطيعة هي:

- الانزلاق الموضوعاتي Glissement thématique
- التحويل الموضوعاتي Déplacement thématique
- القطيعة Rupture

ويستند هذا التفريق إلى مجموعة من المعطيات تسمح بالتمييز بين هذه المفاهيم يمكن تلخيصها فيما يلي:

- سمات تستمد من المنظور الوظيفي في تحديد الموضوع والمحمول وأنواع التدرج.
- سمات دلالية كالتغطيات الدلالية(les recouvrements sémantiques) من حيث الأخذ الكلي أو الجزئي للمعني.
- سمات نحوية(شكلية) كالعناصر العائدة.

2.4.2- الانزلاق الموضوعاتي:

إذا تم الانتقال من جملة إلى جملة أخرى ووجدنا مفهوما أو جزء من مفهوم ذكر في الجملة السابقة، ولو كان ذلك بصفة تلميحية، وكان ذكر هذا المفهوم بواسطة ضمير أو صفة نكون حينئذ أمام انزلاق موضوعاتي:

" لم أكن أسعل، بل كنت أتفل بكثرة، وكان لدي إحساس غريب./لقد امتلأ منديلي" .

فالذي نلاحظه في هذا المثال أن الضمير "أنا" بقي مستمرا حتى وإن تغير الموضوع في الجملة الأخيرة، ولا بد أن نشير هنا إلى أن سلسلة الجمل:

" لم أكن.....غريب"، تتميز بوحدة الموضوع، والموضوع فيها هو"أنا"

ويمكن تمثيلها بالشكل الآتي:

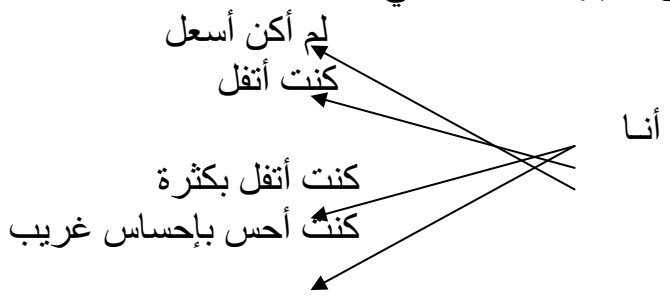

أما الجملة الأخيرة فيمكن تمثيلها كالآتي:

منديلي ← لقد امتلأ

ونلاحظ أن الموضوع في السلسلة الجملية الأولى يختلف عن الموضوع في الجملة الأخيرة ولكن هناك انزلاق يتم من السلسلة الأولى، إذ ينتقل موضوعها عبر مفهوم الملكية المجسد عن طريق الإضافة في مثالنا والمعبر عنه بالفرنسية بالبنية(Possessif + Nom).

كما نجد إعلانا عن فكرة المنديل عبر فكرة التفل الموجودة في الأشكال اللغوية "كنت أتفل"، و "كنت أتفل بكثرة ".

3.4.2- التحويل الموضوعاتي:

يختلف التحويل الموضوعاتي عن الانزلاق من حيث إنه لا يعتمد على سند نحوي، وبعبارة أخرى فإن انتقال فكرة ما من جملة إلى جملة لا يسندها معطى نحوي كما هو الحال في الانزلاق، ويكتفي في هذه الحالة بالعلاقة الدلالية.

يمثل ديبون لهذا النوع بالمثال الآتي:

ولأني كنت أومن بتفوق القوي المعنوية، لم أفكر أبدا، حتى في أصعب اللحظات، أن ألمانيا الهتلرية تربح الحرب./
(فقد كان) **الأمل** يرى خللا في درع الأشياء. وهذا الخلل كان هذا الخزي الأصيل الموجود في الاشتراكية الوطنية/ (و) لكن كم كان الوقت طويلا.[83].

يتكون المثال السابق من ثلاثة مواضيع، يمثل الموضوع الأول السلسلة:
" ولأني كنت..... الحرب". ويمثل الموضوع الثاني السلسلة:
" فقد كان الأمل..... الأشياء". ويمثل الموضوع الثالث الجملة الأخيرة:
" (و) لكن كم كان الوقت طويلا"، ويختلف كل موضوع عن الموضوع الآخر.

ففي الأول "**أنا**"، وفي الثاني "**الأمل**"، وفي الثالث "**الوقت**".

وإذا كان المثال المتعلق بالانزلاق الموضوعاتي يبين لنا كيفية التعالق استنادا إلى العلاقات الدلالية التي تسندها عوامل شكلية كما هو الحال في **منديل + ي**، فإن الذي يبقى في مثالنا هذا هو فقط العلاقات الدلالية التي تنتقل من سلسلة جملية إلى أخرى، فنلاحظ أن:

- فكرة الأمل معلن عنها بعبارة " لم أفكر أبدا في أن ألمانيا الهتلرية ستربح الحرب".

---

(83)- المثال بالفرنسة هو: « Parceque je crois à la superiorité des forces morales, je n'ai jamais pensé, même aux heures les plus noires, que l'Allemagne hitlerienne gagnerait la guerre// L'espoir voit un défaut dans la cuirasse des choses. Ce défaut c'était l'ignominie intrinsèque du national socialism // Mais que le temps était long » P43.

- مفهوم الزمن في الامتداد الذي تجسده الجملة الأخيرة موجود في كلمة "أبدا" الموجودة في السلسلة الأولى. غير أن العلاقات لا تسندها عوامل شكلية، وحينئذ نتكلم عن انتقال موضوعاتي.

4.4.2- القطيعة التامـة:

إذا فقدت العلاقة الدلالية أو العلاقة الدلالية التي يسندها العامل الشكلي نكون حينئذ أمام قطيعة حقيقية. يشير ديبون إلى أننا نادرا ما نجد مثل هذه النماذج للقطيعة التامة، وإن وجدت فإنها مؤقتة في السلسلة الجملية.

فقد يحدث أن لا يوجد شيء يربط جملتين متتابعتين في سلسة جملية، ولكن تتحقق العلاقة فيما بعد مع الجملة الثالثة بهذا الشكل:

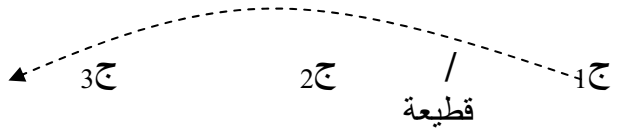

يمكن الآن تمثيل هذه العلاقات كلها في الجدول التالي :

	العلاقة الدلالية	العلاقة الشكلية
الانزلاق الموضوعاتي	x	x
الانتقال الموضوعاتي	x	o
القطيعة التامة	o	o

تمثل الأنواع الثلاثة صورة للقطيعة بصفة عامة، ويحدد وجود القطيعة بأشكالها المختلفة إلى رغبة المتكلم في تغيير الموضوع، ويتمظهر في أشكال مختلفة من ذلك:

- ♦ التضاد: حيث يتقابل موضوع الجملة الأولى مثلا تقابل تضاد مع موضوع الجملة التي تليها مثل:

(**الذين يومنون** بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يومنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون/ **إن الذين كفروا** سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يومنون...) (البقرة/3-6).

- ♦ التعميم: ويتم الانتقال فيه عادة من التفاصيل إلى التجريد.
- ♦ التخصيص: وهو عكس التعميم من حيث إنه يصل إلى الملموس.

(بلغ من الكبر عتيا). لا أذن تسمع ولا عين ترى، ولا رجل تتحرك.

- ♦ الربط بين الأفكار اعتمادا على ما يسمى بمعرفة العالم أو القواسم الثقافية المشتركة.

" صاح الديك • إنه الفجر".

♦ الانتقال من السبب إلى النتيجة.
(ذلكم قولكم، أرداكم فأصبحتم خاسرين).
♦ الانتقال من مشكل إلى حله.
الأرض مجدبة جدا. وضع نظام فعال للري ضروري.

5.4.2- القطيعة ومفهوم البنية الكبرى:

حين يعالج كومبيت[84] مسألة المعايير التي بواسطتها يتم تحديد الموضوع والمحمول ويصل إلى دور السياق في تحديد غزارة المعلومات التي تحملها العناصر في خط الجملة، يستند إلى هذه الملاحظة البديهية التي مفادها أن النص لا يمثل كله معلومات جديدة، ولكن من الضروري خلق توازن بين ما هو جديد من المعلومات وما هو معروف (قديم).

وهذا المنطلق يسمح بتحديد العناصر من حيث ما تحمله من معلومات، ووضع السلم الذي تتدرج فيه هذه العناصر تصاعديا[85]. ولكن يمكن أن نجد أنفسنا أمام حالات يكون

---

[84] -B. COMBETTES : Pour une grammaire textuelle. P 25- et SQ

[85]- التدرج التصاعدي يرتبط أساسا بالبنية الخطية للجملة وبترتيب العناصر في هذا الخط. فكلما اتجهنا نحو اليسار(في العربية) كلما كنا أمام **تزايد** في المعلومات. وإذا افترضنا أننا أمام جملة تتكون من العناصر أ ب جـ د مرتبة هكذا، فإن السلم التصاعدي يكون كما يلي :

●د

●جـ

● ب

● أ

ويصبح **د** العنصر الأكثر غزارة .

ولا بد أن نشير هنا إلى أننا أمام نموذج تمثيلي وليس واقعيا، أي أننا في نهاية المطاف لا يمكن أبدا أن نتصور جملة معزولة عن السياق بمفهومه الخارجي والداخلي. وعلى افتراض وجود هذا النوع من الجمل، فإن الترتيب في هذه الحالة يكون عاملا مهما، ولكن معظم الدراسات التي اهتمت

النص فيها متكونا من جمل مستقلة وبذلك يفقد السياق فاعليته في تحديد ما هو قديم وما هو جديد. يدخل كومبيت لمعالجة مثل هذه الحالات ما يسميه عامل **الإطار** الذي يسمح لهذه الجمل التي تبدو مستقلة عن بعضها أن تشكل نصا، والواقع أن هذا التعدد الذي يصنع وحدة المعنى في المقطع المتكون من هذه الجمل ينقلنا إلى مفهوم الموضوع العام (l'hper thème) الذي تكلمنا عنه في مثلث نسبلو.

لننظر إلى الى هذا المثال الذي أورده تفسيرا لهذه المسألة :

مثال: « كان ربيع الجنوب يصعد من الغابات ومن المياه... (ف) الأسماك تنط، (و) ثعلب ينادي بصوت ضعيف ناحب، (و) تراغل رمادية تطير في عكس الشمس، وأطراف أجنتها تلمع، (و) قرالي تجري في الماء، (و) كراكي منطلقة نحو الشمال كسهام تمر وهي تصيح، (و) أسراب من البط تحطم القصب، (و) حفش ظهره كظهر الخنزير يسبح في الماء» [86].

لقد وضعنا حرف العطف بين قوسين لنشير إلى أن المقطع لا توجد بين جمله هذه الحروف العاطفة وبالتالي لا ترتبط هذه الجمل فيما بينها ارتباطا شكليا في الحدود بين الجمل كما هو الحال في العربية.

وبغياب هذا الرابط الشكلي بين حدود الجمل، تصبح كل جملة مستقلة عن الأخرى وتتضاعف هذه الاستقلالية باختلاف موضوع كل جملة عن الأخرى، ويمكن تمثيل هذا الانفصال بالشكل الآتي:

ربيع الجنوب ← محمول

≠

الأسماك ← محمول

≠

ثعلب ← محمول

≠

التراغل ← محمول

≠

القرالي ← محمول

≠

الكراكي ← محمول

≠

بالديناميكية التواصلية تشير إلى أن الترتيب يلعب دورا هاما في تحديد السلم التصاعدي. وهناك حالات تدخل فيها عوامل أخرى لتحديد أهمية العناصر من حيث ما تحمله من معلومات.

(86)- المثال بالفرنسية هو:

Le printemps du sud montait des eaux et des forêts…Les poissons sautaient. Un renard mâle appelait d'une petite voie plaintive. Des tourterelles grises volaient contre le soleil , et le bont de leurs ailes s'allumait. Les martin-pêcheurs couraient sur l'eaux. Des grues lancées vers le nord comme des flèches en criant. Des nuages de canards écrasaient les roseaux. Un esturgeon à dos de cochon nageait sur l'eau " P 26

أسراب البط ← محمول

≠

حفش ← محمول

رغم هذه القطيعة الظاهرة، يمكن للقارئ أن يصنع انسجاما بإدراج هذه المواضيع الجزيئية ضمن موضوع عام(un hyper thème) ويسميه كومبيت في هذا المقطع " **سلوك الحيوانات**" .

يستعمل ديبون بدل مصطلح (hyper thème) مصطلح البنية الكبرى (Macro-structure) التي استعملها ميشال آدم[87]، ليشير إلى كيفية التعامل مع الانقطاعات التي يواجهها القارئ في البنية الخطية، ويرى أن هذه البنية الكبرى هي التي تبرز وجود القطيعة.

(87) -ADAM : Eléments de linguistique textuelle , P 90 et SQ , P 131 et SQ .

الفصل الثاني:
نحو نظرة موسعة للانسجام:
من بنية الجملة إلى بنية النص

مدخـل:

أنجزت ليتا لاندكيست(Lita LUNDQUIST) عملا هاما تحت عنوان:
« La cohérence textuelle: syntaxe, sémantique, pragmatique »
ويمثل محاولة لدراسة مسألة الانسجام من خلال المستويات الثلاثة التي كثيرا ما تتناول حينما يتعلق الأمر بدراسة اللغة من حيث هي أداة تواصل، وهذه المستويات هي:

- المستوى التركيبي
- المستوى الدلالي
- المستوى التداولي

ولتؤسس لهذه النظرة انطلقت من مجموعة محددة من التعريفات التي تعطي للنص لتبني منها تعريفا يخدم تحليلها لمجموعة من المدونات: ويحسن بنا في هذا السياق أن نعرض هذه التعريفات لنرى كيفية توظيفها لها فيما بعد.

1- مفهوم "النص" عند لاندكيست:

1.1 – النص باعتباره دليلا عاما:

تستغل في هذه النظرة منظور سوسير للدليل اللغوي باعتباره متكونا من دال ومدلول، ولكنها تتجاوزه لتدخل معه بعدا ثالثا هو المرجع أو المحيل عليه، وتستمد هذا البعد من المثلث السيميائي لأوجدن وريتشارد (ogden et Richard)[88]، وهكذا يمكن وضع مقابلة توضيحية بين الدليل كما نظر إليه سوسير وبين الدليل كما تنظر إليه لاندكيست هكذا:

الدليل = دال + مدلول ← نظرة ثنائية

الدليل = دال + مدلول + محيل عليه(référent) ← نظرة ثلاثية

يعود تنبيهنا لهذه النظرة ثلاثية الأبعاد للنص إلى أن إدراج البعد الثالث الذي هو المرجع أو المحيل عليه يخدم كثيرا مسألة الانسجام المستند أساسا على مسألة الإحالة. والإحالة كما سنرى لاحقا هي الأساس للكلام عن الاشتراك الإحالي (coréférence)، أما بالنسبة للمكون الثاني الذي هو المدلول فإنه يمثل الجانب الذي يستند عليه الانسجام الدلالي الذي هو عبارة عن ربط عناصر النص التي يوجد بينها ترابط (une contiguïté) أو تآلف دلالي (compatibilité sémantique) .

2.1- النص باعتباره وجودا فعليا:

(88)- يمثل مثلث أوجدن وريتشارد مساهمة هامة من حيث إدراجه المحيل عليه أو الشيء المسمى. وهو ما أعطاه تسمية المثلث فيكون هكذا:

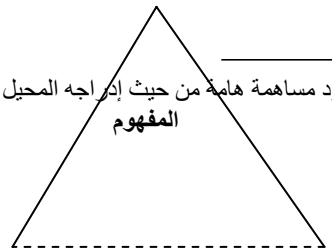

ويعلق بيار قيرو على المثلث قائلا «يدرج المثلث المحيل عليه أو الشيء المسمى ولكن نلاحظ عدم وجود علاقة مباشرة بين المحيل عليه والرمز، وهكذا نعود إلى العلاقة الثنائية ذات الطبيعة السيكولوجية التي قدمها سوسير ولا وجود لتناقض بين الاثنين، غير أن الأول يركز على الطابع السيكولوجي لكل ظاهرة لسانية بينما يركز الثاني على استقلالية الكلمة والشيء: فالكلمة ليست هي الشيء»

تستند في هذه النظرة إلى تعريف آدم جولدنشتاين (Goldenstein) الذي يعتبر "النص هو ما يحقق لسلسلة من العناصر اللغوية وجودا فعليا ماديا"[89].

وإذا كانت هذه النظرة تنقلنا إلى مقابلة سوسير الشهيرة بين اللغة والكلام من حيث إن اللغة تمثل الجانب المجرد والكلام هو التجسيد الفعلي لهذا الجانب فإنها تضعنا أيضا أمام مسألة أخرى هامة هي أن النص منتوج مادي لمقام تلفظ ما، وهو بهذا يتحقق به التواصل وبالتالي فهو فعل كلامي ومن هذه الزاوية يمكن إدراجه ضمن نظام العلامات الكبرى التي هي نظام الأفعال التي تتم بين البشر لغوية كانت أم غير لغوية.[90]

3.1- النص باعتباره تتابعا منسجما من الجمل:

في مقابل النظرتين السابقتين اللتين تنظران إلى النص عامة من الخارج إما باعتباره دليلا عاما أو تجسيدا فعليا، فهناك نظرة تحليلية تنظر إلى النص من الداخل وترى فيه وحدة من نظام اللغة فتتكون بدورها من وحدات بهذا الشكل:

الجمل ← الجملة ← المركبات ← الكلمات ← المورفيمات

وتستند في هذه النظرة على تعريف Werlich للنص:

«النص هو بنية موسعة من الوحدات التركيبية... وهي موسومة بالانسجام بين عناصرها». [91]

ويعكس هذا التعريف قدرة المتكلم اللغوية على إنتاج نصوص منسجمة وعلى إصدار أحكام على انسجام أو عدم انسجام سلسة من الجمل، وبهذا يصبح الانسجام مكونا أساسيا للنصية (textualité).

وقد أشار مانغنو وهو يقابل الجملة بالنص إلى هذه المسألة:

« ألا يمكن أن نعتبر الانسجام مفهوما معادلا لمفهوم النحوية(grammaticalité) بالنسبة للجمل ؟» [92].

وهكذا تتجاوز مسألة التجاور بين الجمل في السلسلة إلى مسألة التعالق، وهذا ما يفسر النظرة إلى النص على أنه **<u>تتابع منسجم للجمل</u>**، وتتضمن كلمة منسجم مفهوم العلاقة مما يسمح لنا بتمثيل هذا التتابع المنسجم بهذا الشكل:

النص = ج(+ س+ ج$_2$ + س + ج$_3$ + س + ...ج$_ن$).

يرمز **<u>س</u>** في هذه المعادلة إلى توفر الانسجام الذي يتحقق بواسطة ربط الجمل ببعضها أو ما تسميه لاندكيست"العنصر الاتساقي(élément cohésif).

---

[89] -LUNDQUIST : La cohérence textuelle - P8

[90]- نفسه ص 9 .

[91]- نفسه ص 9 .

وكذلك : E – WERLICH : a text grammar of English – Het delberg , 1976 , P 23 .

[92] -MAINGUENEAU : Initiation aux néthodes de l'analyse du discours , Paris .1976 , P 158 .

يمكن أن نمثل تبني لاندكيست لهذه النظرات الثلاث للنص كما يلي:

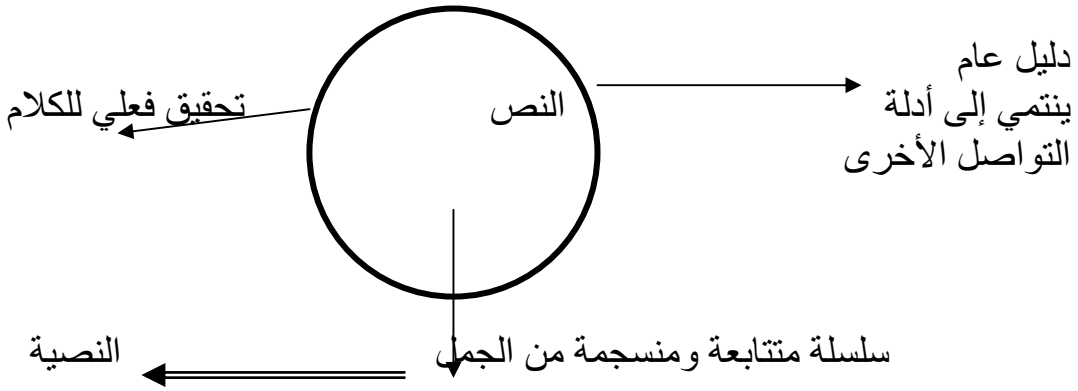

2 - صورة النص:

تتجه لاندكيست بعد عرض التعريفات السابقة إلى سيرل من خلال تناوله لأفعال الكلام وتعرف النص على أنه فعل كلامي[93]:

"نعتبر النص... فعلا كلاميا يحتوي مثل أي فعل تلفظي الأفعال الثلاثة الأساسية:

- فعل الإحالة.
- فعل الإسناد.
- فعل الإنجاز.

وإذا كانت هذه الخصائص ترتبط عند سيرل بالجملة، فإن لاندكيست ترى إمكانية توسيعها إلى النص وبذلك تتبلور صورة النص من حيث هو فعل كلامي من مجموعة من الجمل هكذا:

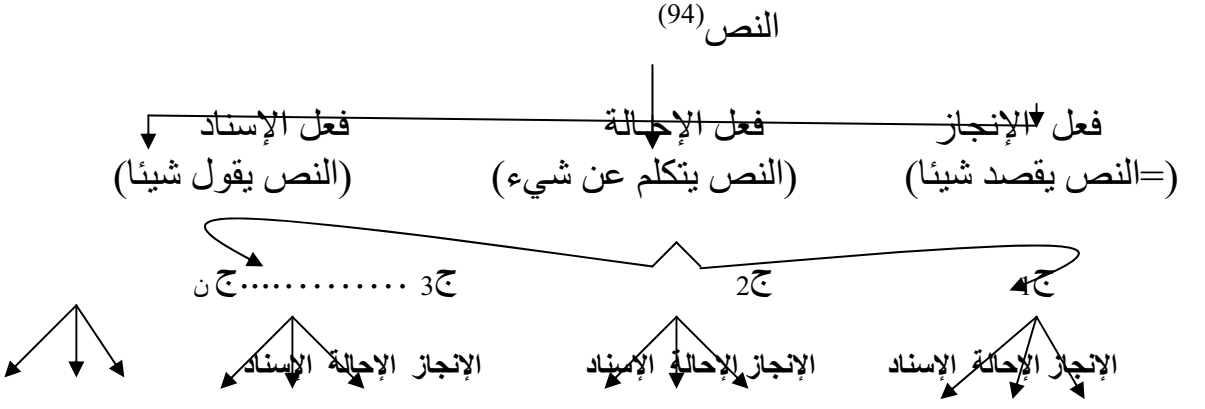

---

[93]- يقول سيرل في هذا السياق:«حينما يتلفظ المتكلم بأي جملة فهو يحقق فعليا على الأقل ثلاثة أنواع من الأفعال (أ) – التلفظ بكلمات – (ب) – يحيل ويسند – (جـ) – يؤكد – يسأل – يأجر - يعد – الخ ... » ص 61.
ولمزيد من البسط في مفهوم كل فعل من هذه الأفعال وشروط تحققه ننظر :
-J . SEARLE : les actes de langage , HERMANN - Paris , 1972 .

[94] -LANDQUIST : La cohérence textuelle , P 14 .

ويصبح النص بذلك صورة كبرى للجملة من حيث مسألة المستويات، ولكنه يختلف عنها من حيث إن الجملة تعتمد في علاقاتها على النظام. فالعلاقات فيها بنوية (structurales)، بينما تكون العلاقات بين الجمل في النص مستندة إلى عنصر رابط نسميه العنصر الاتساقي(élément cohésif)، وهو الذي يحقق الترابط في البعد الخطي للنص(أي بين جملة سابقة وجملة لاحقة)، وبالتالي نحصل على صورة للنص من حيث خاصية الترابط بين الجمل، هكذا:

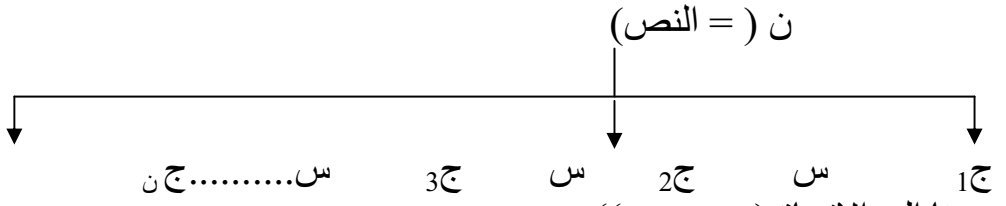

(يرمز س هنا إلى الاتساق(cohésion)).

إن الانتقال من الجملة إلى النص، وإعطاء هذا الأخير من حيث هو فعل المستويات الثلاث للجملة من حيث هي فعل، يسوغ الكلام عن بنى نصية (structures textuelles)، تتماثل مع مستويات الجملة باعتبارها فعلا وهذه البنى هي:

- البنية الموضوعاتية structure thématique.
- البنية الدلالية structure sémantique.
- البنية التداولية structure pragmatique.

وتجسد هذه البنى المعالم الكبرى للتحليل الذي تسعى إلى القيام به. وتتعلق البنية الموضوعاتية بتحليل النص وفق المنظور الوظيفي للجملة الذي رأيناه سابقا وتستغل فيه مفهومي الإحالة(référence) والإحالة المشتركة(coréférence)، أما البنية الدلالية فتمس العلاقات التي تحقق بين الجمل وتستند إلى الجانب الدلالي بين مختلف الوحدات المعجمية، أما البنية التداولية فتمثل النظرة إلى النص على أنه فعل يمكن تجسيده في شكل لغوي لا يختلف عن الشكل اللغوي للفعل الكلامي في الجملـة.

3- مفهوم الانسجام:

رأينا في العرض السابق أن لاندكيست حاولت أن تبني مفهوما للنص نستطيع أن نصفه بأنه حوصلة مستمدة (synthèse)، من مجموعة التعريفات، هدفها الأساسي تأسيس مسار للتحليل الذي ستقوم به فيما بعد كما سنرى.

وإذا كان النص يأخذ صورة الجملة من حيث المستويات الثلاثة، فإن مقارنته بالجملة يعكس مسألة هامة جدا ترتبط بمفهوم المحايثة/الملازمة(l'immanence) عند دي سوسير، وإذا كان مفهوم الجملة يحمل في ثناياه مفهوم البناء والتماسك، فإن النص باعتباره صورة مكبّرة للجملة يحمل أيضا مفهوم **الانسجام**.

ويعتبر مفهوم الانسجام لصيقا(inhérent) بمفهوم النص ومكونا له، بل إن الانسجام يعادل مفهوم النص ومفهوم النصية.[95]

إن النص باعتبار ارتباطه بمفهوم الانسجام من جهة، وبمفهوم الجملة من حيث المستويات من جهة أخرى، يضعنا أمام السؤال التالي: هل يمكن أن نطبّق هذا التقسيم ثلاثي الأبعاد في الجملة على النص؟.

من الأمور الواضحة أن الجملة درست انطلاقا من هذه التقسيمات الثلاثية، ولكن «مثل هذا التقسيم إلى ثلاثة أقسام مختلفة والذي– ربما- قد مكن من التعامل به من منظور جملي غير ملائم – في نظرنا- حينما يتعلق الأمر بمقاربة نصية، فمن غير الممكن معالجة ظواهر نصية ذات طابع **تركيبي** بصفة معزولة».[96]

وتستند في الجزم على ثلاث محاولات ترى أنها تمثل درجات متفاوتة من الجانب التركيبي إلى الجانب الدلالي إلى الجانب التداولي.

1.3- محاولة إيزنبرج: (ISENBERG)

ينطلق إيزنبرج من فرضية مفادها أن ميدان النحو يجب أن يكون النص وليس الجملة لأن هناك ظواهر لغوية لا يمكن تفسيرها في إطار نحو الجملة وهذه الظواهر:

- العناصر العائدة (les anaphores).
- الانتقال من التنكير إلى التعريف (définitivation).
- الإضمار والروابط المنطقية(pronominalisation et connecteurs).
- التتابع الزمني (succession temporelle)

وتمثل دراسته للإحالة أي العناصر التي تحقق علاقة عائدية (relation anaphorique) أهم ما تناوله في مؤلفه، ويفرق بين إحالتين، إحالة صريحة وإحالة ضمنية. فالإحالة الصريحة تعادل مصطلح الإحالة المشتركة(coréférence)، أما الإحالة الضمنية فتعادل مصطلح الترابط الدلالي(la contiguité sémantique)، وتمثل الإحالة المشتركة عند لاندكيست، "إحالة مجموعة من العناصر على الشيء نفسه في العالم الخارجي"[97]، ويمكن تمثيلها كالآتي:

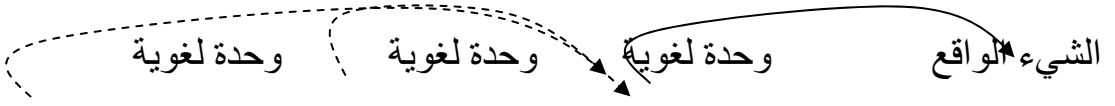

[95] -LUNDQUIST : La cohérence textuelle , P 17

[96]- نفسه - ص17 .

[97]- نفسه . ص 20 .

أما الترابط الدلالي فيتعلق بوجود "سمات دلالية بين المركبات الاسمية للنص تسمح لنا بربط هذه السمات فيما بينها وصنع سلاسل متشاكلة (isotopes)[98].

2.3- محاولة هاروغ: (Harweg)

يدرس هاروغ مسألة الانسجام من نفس منظور ايزنبرغ، ولا يختلف عن هذا الأخير إلا من حيث إنه يستعمل مصطلح الاستبدال (substitition) بدل مصطلح الإحالة.
وهذا الاستبدال يأخذ مفهوما موسعا إذ أنه يتحقق بواسطة العناصر التي غالبا ما تصنف ضمن الإضمار كما يتحقق بواسطة وحدات معجمية وهو بهذا يغطي المجال النحوي والمجال الدلالي.

3.3- محاولة إيرينا بيلار: (Irena BELLERT)

إذا كانت محاولة إيزنبرج تمس الجوانب النحوية، ومحاولة هاروغ تمس الجوانب النحوية وتلامس الجوانب الدلالية من حيث المفهوم الموسع للاستبدال، فإن محاولة بيلار ترتكز على الجانب الدلالي، وتمثل نظرة يمكن أن نصفها بالادراجية، فالجملة ينظر إليها في محيطها الذي تندرج فيه، وتحديد انسجامها مرتبط بجانبها الدلالي الذي هو مجموع اقتضاءتها من منطلق وجودها في سياق لغوي، وبالتالي ففهم جملة ما في نص يرتبط بالجملة التي تسبقها.[99]

وتقسم الاقتضاء الدلالي إلى قسمين:
اقتضاء مرتبط بمعرفة اللغة ومثاله :

يقتضي

فخرج منها خائفا يترقب ⟸ كان فيها

اقتضاء مرتبط بمعرفة العالم والمعرفة الموسوعية:

---

[98]- نفسه . ص 43 .
[99]- نفسه . ص 21.

غادر بيكاسو باريس
التحق الرسام بزوجته في الساحل الذهبي.[100]

ففي المثال الأول يستنتج المتلقي أن موسى كان في المدينة اعتمادا على الفعل **خرج**، وبحكم معرفته اللغوية فإنه يقابل بين **خرج من** و**دخل إلى** ليصل إلى ترتيب الوقائع استنادا إلى هذه المعطيات اللغوية بهذا الشكل.
كان **في المدينة**، ثم **خرج منها**.

أما في المثال الثاني فلا تكفي المعرفة اللغوية لربط الجملتين ببعضهما. وإذا كان المتلقي لا يملك معرفة موسوعية تتعلق ببيكاسو كرسام، فإنه لا يستطيع أن يجعل من الجملتين مقطعا منسجما بل إن المسألة عنده في غياب هذه المعرفة لا تعدو أن تكون تراصف جملتين لا علاقة بينهما هكذا:

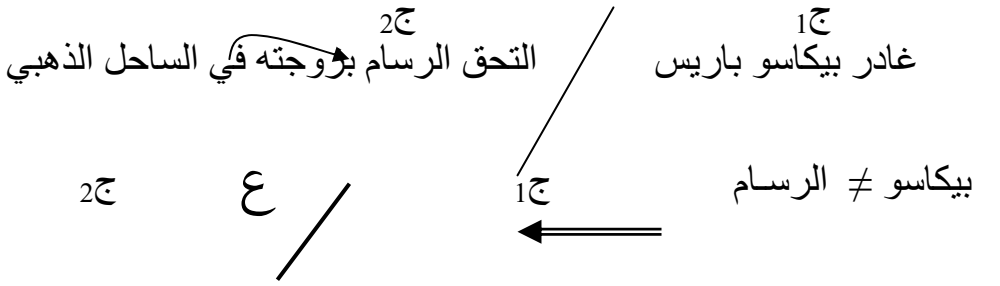

تصنف Lundquist هذه المقاربات الثلاثة والتي عادة ما تسمى بالمقاربات النصية للانسجام ضمن النحو المحقق للعلاقات بين الجمل أو نحو بيجملي (Grammaire interphrastique)، ولا يمكن إدراجها ضمن نحو النص (grammaire de texte) لأن "موضوع دراستها في معظم الحالات جملتان متتابعتان وليس نصا كاملا"[101].

4- المقاربة النصية الفعلية للانسجام:

إذا كانت المقاربات السابقة حاولت أن تجد تفسيرا لمسألة الانسجام من خلال معطيات لغوية ومعطيات غير لغوية مع تميزها بخاصية الانحصار في سياق تتابع جملتين فقط فإن هناك محاولة لـ ايغن ورليش(EGON WERLICH) تمثل المقاربة النصية الفعلية للانسجام. فنظرة Werlich للنص تعكس تجاوز التعامل مع سياقات لا تتعدى الجملتين. فهو حين يتكلم عن الانسجام يعتبره مكونا للنص، ويعرفه هذا الأخير كما يلي:

« يتحقق الانسجام في التواصل اللغوي حين يستعمل المتكلم بعض الوحدات اللغوية... كوحدة قاعدية للنص (a text base unit) وبواسطة الموضوع (thème) والتوسيعات(the expands) يبدأ في عملية التدرج الخطي في ترتيب متفق للنص ويتمم مقاطع الوحدات» [102].

---

[100]- نفسه - ص 22 .
[101]- نفسه - ص 29 .

تشير لاندكيست إلى أن أهم ما في هذا التعريف الخاص بالانسجام هو إشارته إلى مسألة الموضوع (thème) الذي يتكون من قاعدة موضوعاتية (text base unit) وتوسيع(expans) ويلعب التوسيع دورا هاما في تكوين النص. ذلك أنه عملية لسانية يصنع بواسطتها المتكلم الانسجام ويتمم المقاطع. ولو أردنا أن نجرد شيئا ما هذه الإشارة للانسجام لنصنع منها مفهوما للنص لحصلنا على ما يلي:

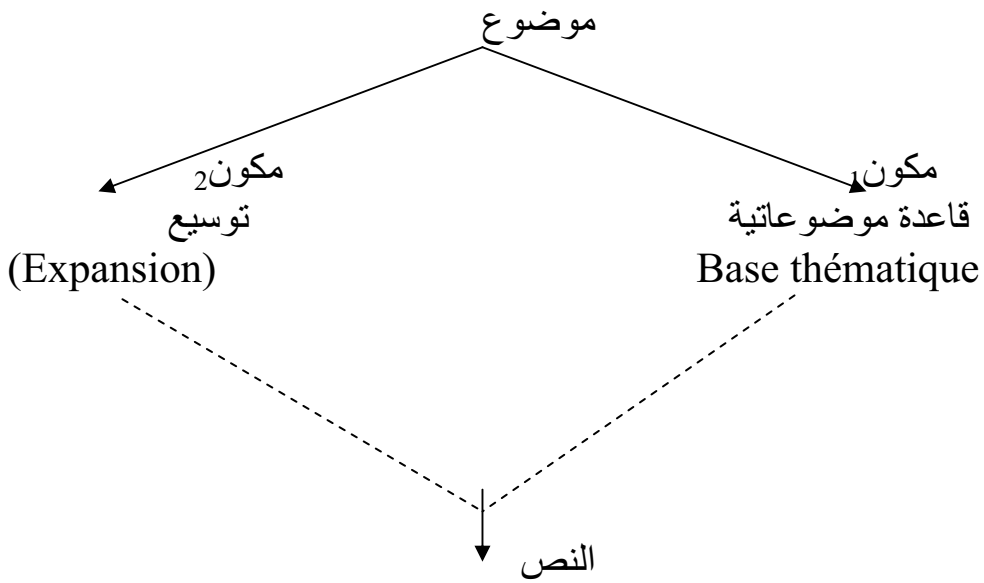

والذي يظهر في هذه النظرة غياب التقسيمات التقليدية إلى تراكيب ودلالة وتداولية وغياب مفهوم الجملة الذي رأيناه أساسا للبحث عن العلاقات حينما يتعدى عددها الواحد.

فالمتكلم ينطلق من قاعدة النص ليوسعها، وفي توسيعه هذا يكون نوعين من المقاطع، المقاطع الوظيفية والمقاطع الرئيسية(topical sequences). ففي المقاطع الوظيفية يعتمد المنتج على المورفيمات المقيدة ومورفيم العدد ومورفيم الزمن والوحدات الوظيفية(روابط، ضمائر، أدوات التعريف والتنكير) لتحقيق الانسجام. أما في المقاطع الرئيسية فإنه يعتمد على مدلول الوحدات (الأسماء، الأفعال، الصفات والظروف).

وهكذا فإن الانسجام يتحقق بالشكل الآتي:

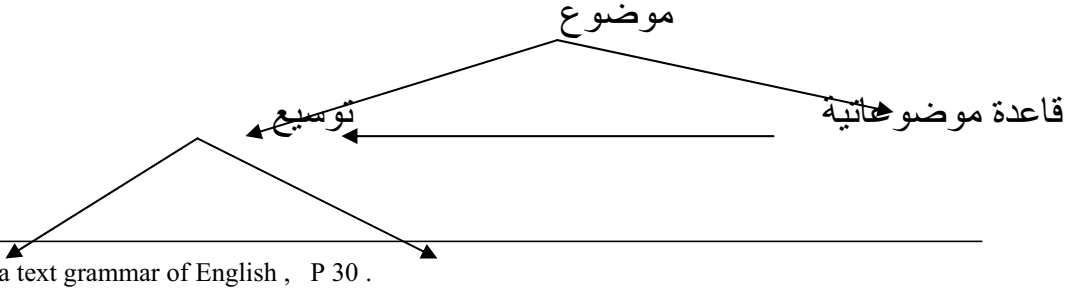

(102) - WERLICH : a text grammar of English , P 30 .

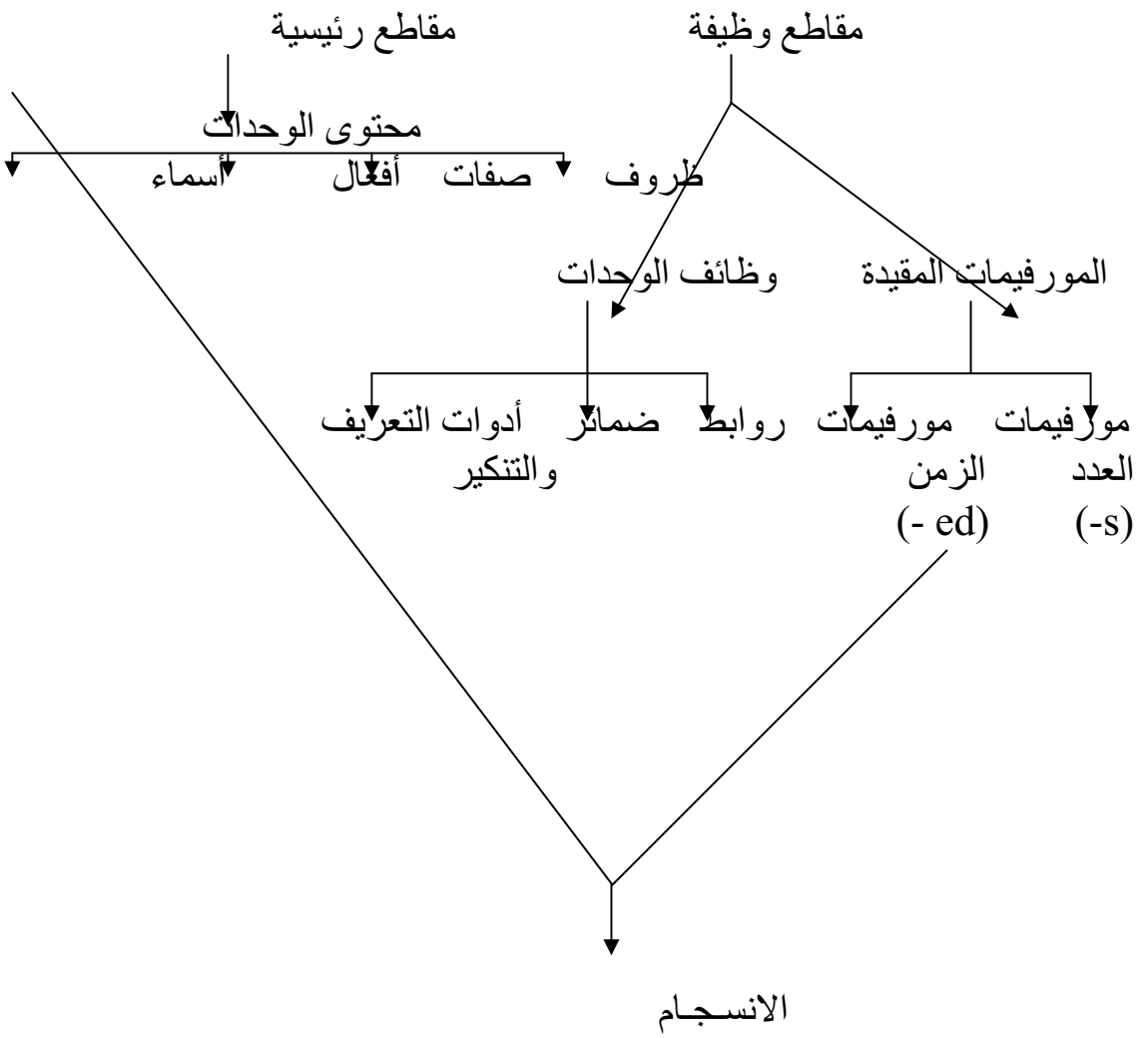

1.4- المفاهيم الأساسية في الانسجام النصي:

إذا كان العرض السابق بيّن لنا مجموعة من المحاولات التي سعت لتفسير مسألة الانسجام في النص، وتميّزت الثلاث الأولى منها بأنها تندرج ضمن ما تسميه لاندكيست النحو البيجملي (grammaire interphrastique)، بينما تعتبر محاولة ورليش بالنسبة إليها منتمية فعلا إلى نحو آخر غير النحو البيجملي، هو نحو النص لأنه يتناول مسألة الانسجام خارج دائرة العلاقة بين جملتين وخارج دائرة الاعتماد على مفهوم الجملة، فما هي المفاهيم الأساسية التي يستند عليها تكوين الانسجام النصي؟.

ترى لاندكيست أن هناك ثلاث مفاهيم أساسية يستند عليها الانسجام النصي هي:

- الإحالة المشتركة (La coréférence).

- الترابط الدلالي (La contiguïté sémantique).
- الروابط المنطقية (Les connecteurs).

1.1.4- الإحالة المشتركة:[103]

1.1.1.4- بين الإحالة والإحالة المشتركة:

في سلسلة كلامية تتكون من عدد من الجمل، يتحقق نوعان من العلاقات: علاقات تركيبية تمس خاصة بناء الجمل، وعلاقات إحالية تتدرج من الخارج إلى الداخل.

لو افترضنا أن السلسلة تكون هكذا:

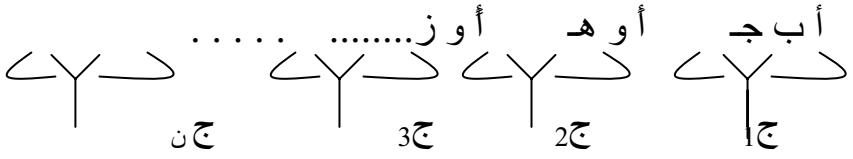

فإن أ يمثل وحدة لغوية تحيل إحالة خارجية، ثم تأتي أ لتحيل على أ.
في الحالة الأولى أي إحالة أ نكون أمام الإحالة (référence)، أما في الحالة الثانية فنكون أمام الإحالة المشتركة (coréférence) .
تمثيل:

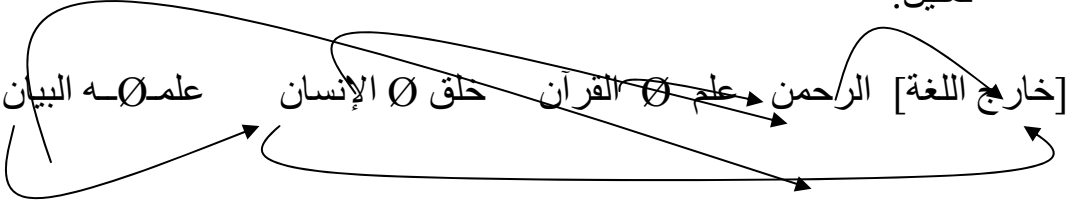

[103]- هناك كثير من الدراسات التي تناولت مسألة الإحالة بأنواعها، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر البعض منها ليتسنى للقارئ أخذ صورة أو الرجوع إلى هذه الدراسات لأهميتها:

- G . FAUCONNIER : La coréférence : syntaxe ou sémantique . Paris . seuil . 1974
- FASSI FEHRI : Complémentation et anaphore en Arabe moderne . thèse d'état . Paris 3 . 1981.
- J . LYONS : Sémantique linguistique . Paris 3 .Larousse . 1970 .
- M . VUILLAUME : La deixis en Allemand . thèse d'état . Paris 4. 1980 .

« فالإحالة المشتركة هي كون مجموعة من الوحدات اللغوية تحيل على الشيء نفسه في العالم الخارجي»[104]، وتعتبر الإحالة هي القاعدة الأساسية التي تتحقق بها الإحالة المشتركة وهي تحقق (أي الإحالة) العلاقة بين اللغة والواقع الخارجي، في حين تحقق الإحالة المشتركة العلاقة بين اللغة واللغة.

ويكون بذلك الانتقال من الإحالة إلى الإحالة المشتركة انتقالا من الخارج إلى الداخل وعادة ما تسمى هذه الإحالة الخارجية بالإحالة المقامية(référence situationnelle) وتسمى الإحالة المشتركة بالإحالة السياقية (contextuelle) أو النصية.

تقسم الإحالة السياقية بدورها إلى إحالة ورائية (référence anaphorique)، وإحالة أمامية (référence cataphorique) فينتج لدينا من مسألة الإحالة الترسيمة التالية:

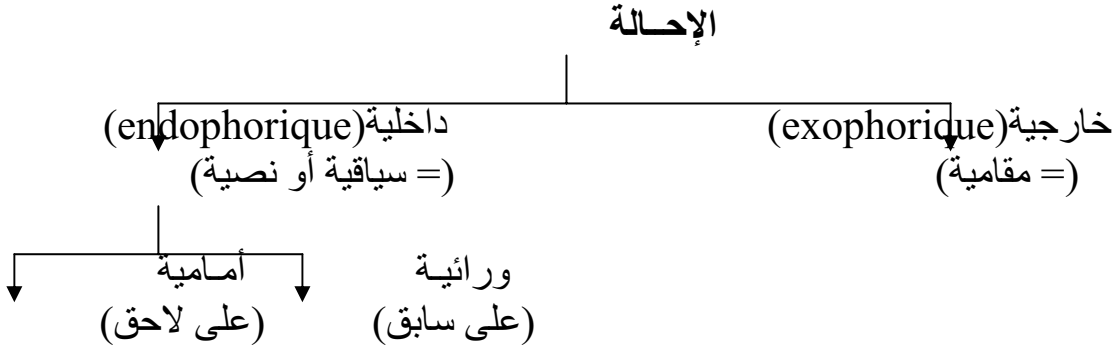

وتتحقق الإحالة الخارجية (référence exophorique) بواسطة مجموعة من العناصر.

ومن بين هذه العناصر التي توفرها اللغة وتحيل على الخارج ما يلي:

2.1.1.4- الأوصاف المحددة :(les descriptions définies)

وهي العبارات اللغوية التي تتشكل من:

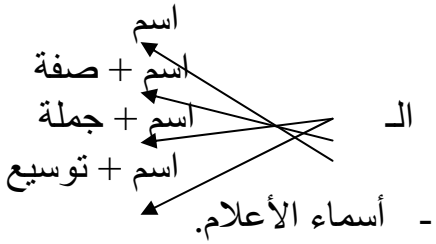

---

(104) -La cohérence textuelle . P 29 .

- أسماء الإشارة.
- الإشاريات(les deictiques)[105].

وفي مقابل الإحالة التي هي علاقة بين اللغة والخارج هناك الإحالة المشتركة التي تحقق فيها العلاقة بين اللغة واللغة مثلما أسلفنا، وتتم بواسطة عدد من العمليات:

- الإضمار(pronominalisation): الضمائر وأسماء الإشارة.
- التعريف(définitivation): ويتعلق بتكرار وحدات معجمية وتنويعها مع تعريفها بواسطة أداة التعريف.
- الحذف: ويتعلق بحذف عنصر من السياق.

تستعمل لانكيست مصطلح **الانسجام بالإحالة المشتركة** (cohérence coréférentielle) للتعبير عما تحققه العمليات السابقة التي تمس الإحالة المشتركة، وسنرى لاحقا حين نعرض نظرية هاليداي، أن هذه الإجراءات أو العمليات تحقق الاتساق وليس الانسجام.

3.1.1.4- دور الافتراض وعدم كفاية تحقق الإحالة المشتركة:

إذا كانت الإحالة المشتركة تسمح عن طريق الإضمار أو التعريف أو الحذف بخلق انسجام بواسطة الإحالة المشتركة[106]، فإن هذا لا يكفي، وذلك أن الانسجام النصي يرتبط ارتباطا قويا بالاستعمال، وبهذا يكون له جانبه التداولي الذي لا يمكن تركه والذي يسمح بإدراج مقام الكلام والعلاقات بين منتج النص ومتلقيه.

إن المتكلم حين يتكلم يفترض أن المتلقي له القدرة على فك الخطاب بكيفية ملائمة أي أنه يستطيع أن يستقبله كلا منسجما[107]، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن مفهوم الافتراض هنا يختلف عن مفهومه في مجال المنطق حين يتعلق الأمر بالصدق والكذب، ومثل هذا التوجه نحو فهم الافتراض فهما منطقيا تلمسه لاندكيست عند **فان دايك** حينما يعتبر أننا:

" نقول أن الجملة ج تفترض جملة جَ إذا وفقط إذا كانت ج صادقة أو كاذبة حين تكون جَ كاذبة" [108]

---

[105]- ترجمنا مصطلح (deictique) بالإشاريات من باب أنها عناصر تحيل مباشرة على المقام وهذه العناصر تتجاوز أسماء الإشارة. ومعروف في الأدبيات اللسانية اليوم أن أول من تكلم عن الإشارات هو ياكسبون ثم جاء بعده بنفينيست وأشار إلى هذه العناصر التي تحيل على الخارج. وشكل هذا مدخلا له للرد على دي سوسير في مسألة الاهتمام باللغة باعتبارها تمثل النظام وترك الكلام جانبا. للتوسيع أكثر ينظر .

- JACKOBSON : Essais de linguistique générale . Paris 1963.
-BENVENISTE : Problèmes de linguistique générale .

[106]- تدرج لاندكيست هذه الإحالات بأشكالها المختلفة ضمن العناصر المحققة **للانسجام بواسطة الإحالة المشتركة** (cohérence coréférentielle) وهي تندرج ضمن الإجراءات أو العمليات التركيبية. ولا ننسى أنها تنطلق من هذه النظرة للنص على أنه يتكون من ثلاث أبعاد: بعد تركيبي، ليس بمفهوم التركيب الذي يتعلق بالجملة ولكن التركيب الذي يندرج ضمن نحو النص كما هو عند ورليش(a text grammar of English). وبعد دلالي وبعد تداولي.

[107]- انظر مثلا مسألة صنع الانسجام عند مانغنو حينما يربطها بالمتلقي وكيف أن الكلام عن الانسجام هو في الحقيقة كلام عن انسجامات تعدد المتلقي. يقول :

" إن الانسجام ليس ثاويا في النص، بل إن المتلفظ المشارك هو الذي يتولى بناءه:(إن الحاجة للانسجام هي نوع من الشكلي القبلي à priori للتلقي الخطابي)... والحال، إن الحكم الذي يقتضي بأن النص منسجم او غير منسجم قد يتغير وفق الأفراد ووفق معرفتهم بالسياق والحجة التي يخولونها للمتلفظ "

دومينيك مونـڤانو . المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب - تر: د. محمد يحياتن - منشورات الاختلاف - 2005 .

كما يختلف عن المفهوم المعطى له في الدلالة عند **ديكرو** حين يقترح للتمكن من تحديد القيمة الدلالية(valeur sémantique) لافتراض ما الإثبات الآتي:

" اقتضاءات قول ما تثبت بواسطة نفي هذا السؤال أو بتحويله إلى سؤال" [109].

وعلى هذا الأساس فالافتراض عند هذه الباحثة يمثل مفهوما واسعا يغطي كل مقام التخاطب، إنه ما يقدم على أنه:

" بديهية، أو إطار لا نقاش فيه، حيث تندرج المحادثة كعنصر من فضاء الخطاب" [110].

وتعرفه في سياق آخر على أنه:

" عملية طرح مسبق لعنصر نصي على أنه **معروف**... عن طريق عوامل خارج نصية، وتحتوي العوامل المقامية العناصر القريبة أي تلك التي ترتبط بمقام الكلام (الإشاريات مثلا) والمعارف الثقافية الموسوعية" [111].

وهكذا يقع نوع من التضافر بين المعطيات المقامية والمعطيات السياقية لخلق تجربة مشتركة بين المتكلم والسامع. وتستدل لاندكيست على هذا التضافر بمثال مأخوذ من جريدة "لوموند" الأسبوعية بتاريخ 23 أوت 1977 هو:

باريس : 1. خلال فترة ما بعد الزوال التي قضاها رئيس الجمهورية في الحديقة العامة، ألقى في فالويز(الألب العليا) خطابا يتعلق بسياسة الريف وحماية البيئة.

2. أعلن(Ø) أن الحكومة ستتخذ مجموعة من التدابير القانونية والاجتماعية والاقتصادية والجبائية التي تهدف إلى إحياء الريف وحمايته من المشاريع الكبيرة غير الواقعية والهادمة للمحيط.

3. أعلن السيد جيسكار ديستان عن إنشاء مجلس إعلامي للصناعة النووية.

إن العلاقة بين **رئيس الجمهورية** في الجملة الأولى و(Ø) (هو) في الجملة الثانية يدركها المتلقي دون صعوبة لأنها تندرج في سياق البناء الخطي المتتابع المحقق لعلاقة الإحالة الداخلية فيتم الانتقال من الخارج إلى الداخل بهذا الشكل:

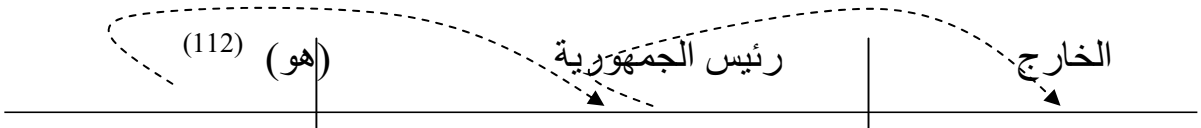

[108] -VAN . DIJK : Some aspects of text grammars . P 98 .

[109] -O . DUCROT : Présupposés et sous- entendus . L.F. N : 4 . Paris 1969 . P 34 .

[110] - La cohérence textuelle . P 38 .

[111]- نفسه . ص 88 .

[112]- إن الانتقال من الاسم إلى الضمير في العلاقة الإحالة الداخلية التي يحققها العائد، تستند إلى معطيات شكلية ومعطيات سياقية، فالمعطيات الشكلية هي ما يتم من علاقة بين العنصر اللغوي السابق والعنصر اللغوي اللاحق(العائد)، فالضمير مثلا يقيم علاقة شكلية إما على مستوى الجنس أو العدد كما هو الحال في المثال :

رئيس الجمهورية هو

مفرد مذكر مفرد مذكر

ولكن السياق يطرح هنا بعض الإشكاليات حينما تتتابع مجموعة من العناصر اللغوية التي تشترك في بعض الخصائص النحوية، وفي هذه الحالة تدخل عوامل سياقية أخرى لتحديد العنصر العائد، ففي المثال نجد: **رئيس الجمهورية** خطابا – الريف(= مذكر- مفرد).

ومن هذا المنظور فإن Ø (هو) قابل من الناحية الشكلية أن يعود على أي عنصر من هذه العناصر الثلاثة، ولكن السياق يفصل في المسألة:

إحالة إحالة داخلية

وحتى تتم السلسلة الإحالية الداخلية أو سلسلة الإحالة المشتركة(la chaine coréférentielle) بين **رئيس الجمهورية** في ج1، والسيد **جيسكار ديستان** في ج2، أي لكي تكون الجمة 3 منسجمة مع السياق يجب على المتلقي أن يعرف أنه أثناء فترة إنتاج هذا النص كان جيسكار ديستان رئيسا للجمهورية.

ويتبين لنا من خلال هذا المثال أن العلاقة العائدية إذا كانت تتحقق بسهولة ووضوح مع الضمير، فإن ذلك لا يكون بهذه السهولة مع الوحدات المعجمية، فهي تتطلب معارف لغوية ذات طابع موسوعي، وفي مثال من النوع الذي أردناه سابقا يفترض المتكلم أن المتلقي قادر على ربط علاقة بين الوحدتين **رئيس الجمهورية** والسيد **جيسكار ديستان**، وينشئ في هذه العلاقة الإسنادية التالية:

رئيس الجمهورية في أوت 1977 هو جيسكار ديستان .

وهكذا " يصبح الانسجام النصي النتيجة غير المستقرة لتعديل مستمر لمتكلم وسامع عبر ثقافة متغيرة" [113].

4.1.1.4- الإحالة المشتركة وبلورة موضوع النص:

رأينا في الإحالة أنها تكون داخلية حينما يرتبط عنصر لغوي بعنصر لغوي آخر، ورأينا أيضا أن هذه العلاقة الإحالية الداخلية تكون استمرارا لعلاقة أخرى سابقة يرتبط فيها العنصر اللغوي بالخارج.

حينما نكون في مستوى النص باعتباره سلسلة من الجمل المتتابعة، فإن المتكلم ينطلق من إحالة خارجية ليصنع منها موضوعا(thème) لنصه ثم يخلق إحالات داخلية لهذا الموضوع في السلسلة الجملية، وبهذا يخلق ما تسميه لاندكيست انسجاما موضوعاتيا (cohérence thématique)[114]. ويتحقق لنا الشكل الآتي:

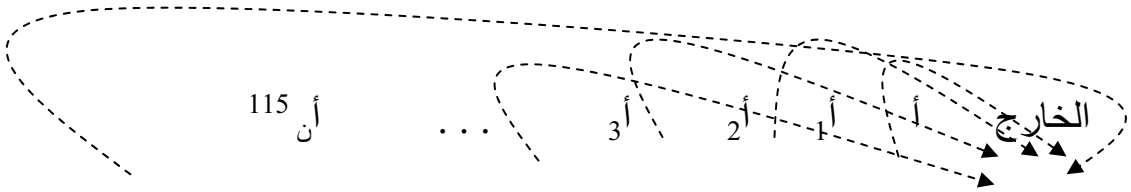

والمثال الآتي يوضح هذه المسألة:

ألقى رئيس الجمهورية – **أعلن** .
وهذا التآلف لا يتحقق مع **خطابا** - الريف

[113] -MAINGUENEAU : Initiation aux méthodes de l'analyse du discours . P 160 .

[114]- ترجمنا مصطلح(cohérence thématique) **بانسجام موضوعاتي** تفاديا لكلمة **موضوعي**. لأنها تتقابل مع **ذاتي** ويقع بذلك نوع من اللبس.

[115]- يمثل هذا **صورة واحدة** للبنية الموضوعاتية في النصوص مثلما رأينا سابقا ونحن نتكلم عن الديناميكية التواصلية عند أصحاب مدرسة براغ وما ترتب عنها من دراسات في هذا الاتجاه . ونذكر هنا أن البنى الموضوعاتية تتعدد. ولا تمثل البنية التي تكلمت عنها لاندكيست هنا سوى ما يعرف بالبنية أحادية الموضوع (التدرج بموضوع واحد) وهناك بنى أخرى كما أشرنا إلى ذلك (البنية ذات المواضيع المتعددة- والبنية الخطية، والبنية التي تتعدد فيها البنى)

(أتى أمر **الله** فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى Ø عمّا يشركون، ينزل Ø الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده، أن أنذروا أنّه لا أله إلا أنا فاتّقون، خلق Ø السماوات والأرض بالحق تعالىØ عمّا يشركون، خلق Ø الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين، والأنعام خلقØ ها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون...) (النحل1-5).

ويستمر السياق هكذا ليأخذ أكثر من 16 آية تلعب فيها الإحالة المشتركة دورا هاما في المحافظة على وحدة الموضوع، بحيث يتحقق الشكل الآتي:

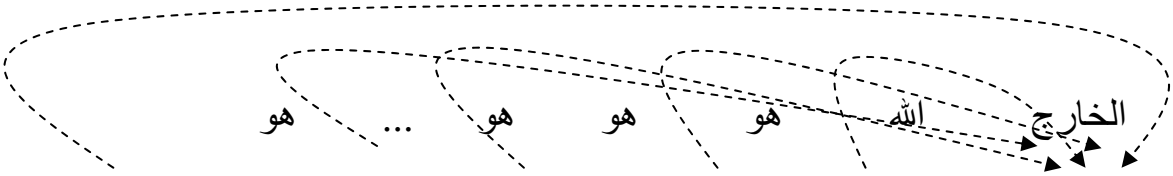

وهكذا نكوِّن عن طريق الإحالة الخارجية **موضوع النص** ثم بلورته في بنية موضوعاتية(structure thématique) عن طريق الإحالة الداخلية.

2.4- الترابط الدلالي : (contiguïté sémantique)

إذا كانت الإحالة في جانبها السياقي أي ما سميناه بالاشتراك الإحالي(coréférence) تلعب دورا هاما في الانسجام النصي وتتمظهر في أشكال مختلفة كالانتقال من النكرة إلى المعرفة في بنية من نوع:

اسم نكرة ← الـ + اسم

رجل/ ن ← الـ/رجل

أو اسم نكرة ← اسم إشارة(+ ال + اسم)

رجل/ ن ← هذا الـ / رجل

أو اسم ← ضمير[116]

فإن الترابط الدلالي لا يقل أهمية عن الترابط الإحالي، وتعرف لاندكيست هذا النوع من الترابط كما يلي :

«وجود سمات دلالية بين المركبات الاسمية في النص تسمح لنا بربطها فيما بينها، وتكوين سلاسل متشاكلة(isotopes)» [117].

ويتحقق هذا الترابط الدلالي بواسطة عمليات ذات أساس منطقي مثل:

---

[116]- سنرى حين نعالج مسألة الاتساق هذه الانتقالات بشيء من التفصيل في العربية من خلال مدونة "القرآن".

[117] -LUNDQUIST : La cohérence textuelle . P 43 .

- **الاحتواء:** وهو علاقة بين وحدتين احداهما هي فرد الجنس (un hyponyme) والأخرى اسم الجنس (hyperonyme)[118]، ويمكن تمثيلها بهذا الشكل:

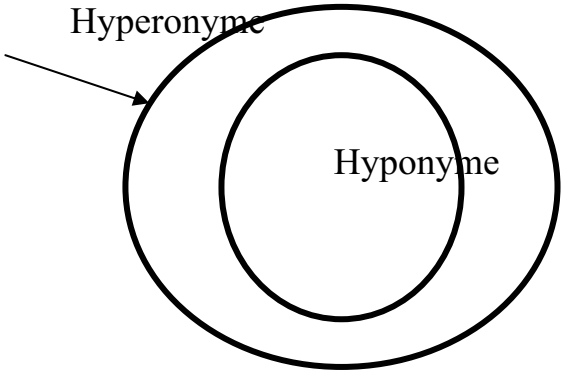

- **التقاطع:** ويكون بتقاطع مجموعة من الوحدات في بعض السمات الدلالية أو حضور سمة جامعة(un archisème) وهذا يعطي إما مترادفات أو متضادات [119].

إن هذه العلاقات الدلالية التي توجد بين الوحدات المعجمية تسمح في إطار النظر إلى النص على أنه **مبلور لموضوع** أن تتحد من خلالها نوع التدرج الذي يتبعه النص، وقد سمح تحليل بعض النصوص التي اعتمدتها لاندكيست مدونة أن تحدد نوعين من التدرج:

- ♦ تدرج تحليلي (progression analytique) حينما يكون الموضوع-المنطلق اسم الجنس (un hyperonyme)
- ♦ تدرج تركيبي (progression synthétique) .

وتمثل لهذين النوعين من التدرج بمثالين من قاموس Robert :

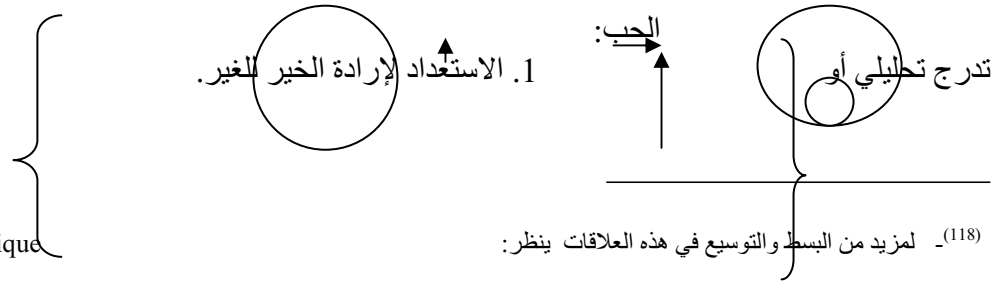

Lyons: La sémantique

[118]- لمزيد من البسط والتوسيع في هذه العلاقات ينظر:

[119]- تمثل لاندكيست للظاهرتين بالمثالين التاليين :

علاقة احتواء :.. كانت إقامة **هذه العائلة** من الفنانين في بيت من الورق فالزوج رسام والزوجة كاتبة .

hyperonyme	س
هذه العائلة	الزوج
س	زوجته
hyponyme	

علاقة التقاطع : كانت **المرتفعات** ترسم من خلال الطائرة خطوط ظلها في ذَهَبِ المساء. و **المنبسطات** أصبحت مضيئة

يحكم هاتين الوحدتين وحدة أكبر archisème هي **منظر** (paysage) ولكنهما تفترقان من حيث دلالة الارتفاع وعدمه منها هذه الزاوية تتقابلان(antonymes) **+ / - ارتفاع** .

تحليل أ.hyperonyme 2. عاطفة بين أفراد الأسرة . hyponymes
اسم الجنس 3 . ميل إلى شخص من الجنس الآخر أفراد الجنس

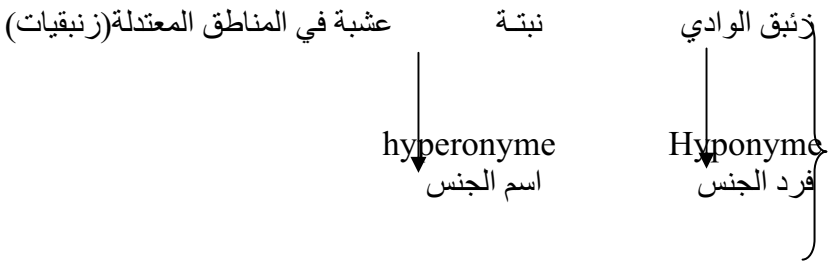

تركيب

3.4- الربط بواسطة الروابط :

إذا كان الانسجام يتحقق بواسطة الاشتراك الإحالي الذي يحقق علاقات إحالة بين وحدات معجمية ووحدات أخرى كالضمائر وأسماء الإشارة، وإذا كانت العلاقات الدلالية تتم بواسطة وحدات معجمية ترتبط فيما بينها إما بواسطة علاقة احتواء أو علاقة التقاطع، فإن هناك نوعا آخر من العلاقات يحقق الانسجام ويتم بواسطة الروابط الشكلية التي تربط بين الجمل.

ولابد من التفريق من منظور لاندكيست بين أنواع الربط في الإحالة وفي العلاقات الدلالية وبين الربط بواسطة الروابط (connecteurs). إن الربط في الإحالة وفي العلاقات الدلالية يتم بين الجمل وليس بين عناصر من الجمل[120]. ويمكننا تمثيل هذا الفرق الذي نضعه كالآتي:

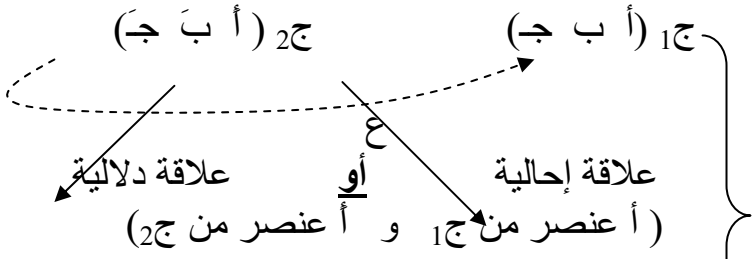

الربط بواسطة الإحالة
أو العلاقات الدلالية

[120]- حينما يتعلق الأمر بالإحالة الداخلية مثلا. فإن العنصر اللاحق أي الذي يحيل يرتبط بعنصر سابق، وارتباطه بهذا العنصر السابق الموجود في جملة سابقة يجعل رفع اللبس عن الجملة اللاحقة التي ينتمي إليها العنصر المحيل خاضعا للجملة السابقة. ومن هنا يأتي الربط بين الجملتين.

أما حين يكون الربط في الحدود بين الجمل فإن التمثيل الدلالي لكل الجملة اللاحقة يرتبط بالتمثيل الدلالي لكل الجملة السابقة. مثلا:

ج1	و	ج2	ثم	ج1		ج2
ت د 1	(+)	ت د 2		(بعده)	ت د 1	ت د 2

وهكذا الأمر بالنسبة لكل العلاقات التي تتم في الحدود.

سنرى هذه المسألة بشكل من التفصيل حين نتعرض لتحليل بعض النماذج من سورة البقرة.

الربط بواسطة الروابط [ج1 (أ ب جـ) ع ج2 (أ بَ جـَ)]

وهناك فروق أخرى يمكن حوصلتها في الجدول الآتي:

الإحالة	العلاقات الدلالية	الربط بواسطة الروابط
علاقة بين عنصرين في جملتين متتابعتين.	علاقة بين عنصرين **في** جملتين.	علاقة بين جملتين
العناصر التي تحقق الإحالة تكون فارغة[121]	علاقة لاحق بسابق.	العناصر التي تحقق العلاقة تكون ممتلئة
لا يكون العنصر أداة تركيبية.		يكون أداة تركيبية(outil syntaxique)
يكون العنصر فيها محيلا إلى الوراء.		تحيل على ما سبق وعلى ما يلي.
		تتميز الروابط بعدم الكفاية والتكرارية[122]

ونشير هنا إلى أن كون الروابط عناصر ممتلئة من حيث إن لها دلالة لا يعني تطابقها مع الوحدات المعجمية، بل إن الاختلاف بينهما حاصل من حيث الانحصار الكمي، فعدد الروابط محدود، وإن كثر، بينما الوحدات المعجمية تتميز بخاصية الانفتاح. وقد تناولت بعض الدراسات موضوع الروابط من جانب ما تحققه من علاقات وما تلعبه من دور في بلورة الخطاب ومن جانب دورها والعلاقات التي تتحقق فيما بينها.[123]

1.3.4- الروابط: محاولة جرد:

---

[121]- يفرَّق في الدراسات اللسانية الحديثة بين الوحدات الفارغة والوحدات الممتلئة. وتعتبر إشارات ياكبسون فيما يتعلق بالإشاريات و بنفنيست حينما يتكلم عن الضمائر من الإشارات الهامة في هذا السياق. ومن الإنصاف أن نذكر هنا أن سيبويه حينما تكلم عن أسماء الإشارة يسميها **الأسماء المبهمة** ولا يعني بالإبهام هنا اللبس ولكن فقط أنها وحدات **مرتبطة بالاستعمال** . لنتأمل:

" والأسماء المبهمة هذا وهذان وهذه وهاتان وهؤلاء وذلك وذانك وتلك وتانك وتيك وأولئك وهو وهي وهما وهم وهن وما أشبه هذه الأسماء" جـ2 . ص 77- 78 .

وفي سياق آخر :" وقد يكون هذا وصواحبه **بمنزلة هو** يعرف به تقول :هذا عبد الله فاعرفه . إلا أن هذا ليس علامة للمضمر ولكنك أردت أن تعرف شيئا بحضرتك " جـ2 . ص 80.

[122]- عدم الكفاية هنا بمعنى أن الروابط يمكن ألا توجد، ومع ذلك تتحقق العلاقة التي تحقق الانسجام بين الجمل . مثال:

1 2

المطر غزير / لا أستطيع الخروج

المطر غزير . **لذلك** لا أستطيع الخروج

فالعلاقة بين 1 و 2 هي نفسها بينهما . وقد تحققت رغم غياب الرابط **لذلك** في المثال الأول. أما التكرارية فيعني أنها عناصر لا تأتي بجديد في معظم السياق . ينظر إلى المثال السابق حيث لم يضف الرابط **لذلك** أكثر من العلاقة التي تحققت في المثال الأول.

[123]- ينظر على سبيل المثال لا الحصر:

-MOJCA Schlamberger : Le rôle syntaxique et pragmatique des connecteurs dans le discours argumantatif français. LINGUISTICA XL II , LJUBLIANA . 2002 .

-MARIA Marta , Garcia Nagroni : Reinter- prétation et connecteurs : le cas des connecteurs enréchissants et connecteurs reformulatifs .Pragmatics. 1998.

-MARION CAREL : Argumentation interne aux énoncés . R S P . №11 ,2002 .

-Francis CORBLIN : Sur le notion de connexion .

-DUCROT O, et al : les mots du discours , Paris , minuit , 1980 .

-BROCKWAY D : Connecteurs pragmatiques et principe de pertinence, langages 67 . 1982 .

ينحصر تصور القارئ العربي للروابط في ما ورد في كتب النحاة في تناولهم لمختلف الأدوات وهي لا تعدو مفاهيم العطف بأدواته المختلفة والاستدراك، ولئن كان العطف علاقة تركيبية تحددها مجموعة من الحروف فإن هذه الحروف تحقق علاقات دلالية مختلفة كالإضافة في **الواو** والترتيب في **الفاء**، و**ثم** والإضراب في **بل**. غير أننا نلاحظ عبر مدونة النحاة أن مفهوم الروابط محدود قياسا بما يعرفه الدرس اللساني اليوم وخاصة في الجوانب التي تهتم بمسألتي الانسجام والاتساق. وقد رأينا أن نقوم بعملية جرد للروابط في لغات غير العربية وخاصة الفرنسية، لفتا لانتباه القارئ العربي أن العناصر التي تحقق الوصل بين الجمل تتجاوز ما عهده في منظومة النحاة.

يمكن تقديم هذه الروابط في شكل جدول يحدد قيمها والعناصر المحققة لهذه القيم:

الروابط والقيم

قيمة الربط	الروابط المحققة لهذه القيمة
الإضافة(+)	و ـ من جديد ـ أيضا ـ كذلك ـ إضافة إلى ذلك ـ غير أن ـ حتى .
المقدار	بادئ ذي بدء ـ ثم ـ أخيرا ـ في النهاية ـ ابتداء ـ أولا ـ ثانيا ـ .. ـ أ ، ب ، ج .
التعدي	زد على ذلك ـ من جهة أخرى ـ مع ذلك ـ علاوة على ذلك.
التفسير	لأن ـ ذلك أن ـ أي ـ بعبارة أخرى ـ يعني .
التمثيل	مثلا ـ من بين ـ خاصة ـ بصفة خاصة .
المقارنة	هكذا ـ كذلك ـ أكثر من ـ أقل من ـ بدل من ـ أو (بالأحرى) .
التقابل	غير أن ـ لكن ـ في المقابل ـ على العكس من ذلك ـ وخلافا لذلك ـ من جهة ـ من جهة أخرى.
الاستدراك	إلا أن ـ بيد أن ـ في حين أن .
السببية	لذلك ـ إذن ـ هكذا ـ في الواقع .
التحصيل	باختصار ـ إجمالا ـ أخيرا.
الزمنية	أولا ـ بعد ذلك ـ ثم ـ في الوقت نفسه ـ فيما بعد ـ آنذاك.
ميتا نصي	أنظر ص ـ مثلما أشير إلى ذلك سابقا ـ ....

4.4- من العناصر الرابطة إلى البنى النصية:

إذا كانت الإحالة والترابط الدلالي والربط (connexion) تلعب دورا هاما في مسألة الانسجام، فإنها مع ذلك لا تكفي في تحليل ووصف الانسجام النصي، وتستند لاندكيست في وصف هذه العناصر بعدم الكفاية على مصادرة مفادها أن «النص يملك أو يحتوي على بنى تتدرج ضمنها العناصر الاتساقية»[124]. وهذه البنى هي:

- البنية الموضوعاتية (structure thématique).
- البنية الدلالية (structure sémantique).
- البنية التداولية (structure pragmatique).

ويستحسن في هذا السياق عرض كل بنية من هذه البنى بشيء من الاختصار.

1.4.4- البنية الموضوعاتية: (structure thématique)

(124) - LUNDQUIST : La cohérence textuelle. P 54 .

ترتبط البنية الموضوعاتية عند لاندكيست بفعل الإحالة، وتتأسس على مبدأين هما التدرج النصي والتتابع الخطي، فالنص يحتوي على نواة تبدأ في التوسع تدريجيا وتسمى هذه النواة **البنيـة الموضوعاتيـة القاعديـة**(structure thématique de base)، أو الموضوع(thème) [125].

يتكون الموضوع من **محدث عنه** (Sujet)، ومن **حديث** (prédicat) [126]، وانطلاقا من هذا الموضوع الذي يتكون من تركيبيا من عنصرين هما المسند والمسند إليه. أو من منظور أفعال الكلام من فعل الإحالة(acte de référence) وفعل الإسناد (acte de prédication)، يتولد النص عن طريق توسع الموضوع للوصول إلى بينة موضوعاتية.

كيف تتحقق هذه البنية الموضوعاتية؟

إذا كان المنطلق هو المصادرة التي ترى أن النص له بنية موضوعاتية، وأن هذه البنية الموضوعاتية تستند إلى مبدأين هما الاستمرار والتوسّع، فإننا نستطيع أن نتصور أن النص يبدأ من نقطة انطلاق هي الموضوع بمفهومه عند لاندكيست، أي المكونان التركيبيان اللذان هما المسند والمسند إليه، ثم يبدأ هذا الموضوع يتوسع في بنية خطية.

« إن كل جملة في النص يفترض أن تحتوي على عناصر متكررة ويفترض أن تكون معروفة، وهذه العناصر المعروفة هي التي تحقق الانسجام وعناصر موضوعة جديدة تضمن للنص توسعه وديناميكيته» [127].

---

[125]- إن منطلق مدرسة براغ في تحليل الديناميكية التواصلية فيما يعرف بالبعد الوظيفي للجملة هو الجملة. وهذا البعد الوظيفي هو الذي ولد مصطلح الموضوع(thème) والمحمول (rhème) وتتعلق المسألة بترتيب العناصر في الجملة كما أشرنا إلى ذلك في سياقات سابقة.
ويعتبر **الموضوع** هو **نقطة الانطلاق** في الجملة و **المحمول** هو ما نقدمه من معلومات عن هذا الموضوع .
ويقابل هذين المصطلحين استعمال آخر بمصطلحين آخرين هما: Topic و Commentaire . وتحاول لاندكيست التوفيق بينهما فتستعمل المقابلة **Thème / rhème** للتمييز بين المعطى/ الجديد(Donné / Nouveau) على مستوى النص. بينما تستعمل Topic/commentaire للتمييز بين نقطة الانطلاق في الجملة وبين ما يقال عن نقطة الانطلاق هذه أي (Commentaire).

[126]- استحسنا هنا استعمال ابن السراج لمصطلحي المحدث عنه، والحديث وهو يتكلم عن مسألة المبتدأ و الخبر. لنتأمل هذا السياق:
« والمبتدأ يبتدأ فيه بالاسم **المحدث عنه** قبل **الحديث** وكذلك حكم كل مخبر. والفرق بينه وبين الفاعل أن الفاعل مبتدأ بالحديث قبله، ألا ترى أنك إذا قلت: زد منطلق فإنما بدأت "بزيد" وهو الذي حدثت عنه بالانطلاق والحديث عنه بعده.
وإذا قلت ينطلق زيد فقد بدأ بالحديث وهو انطلاقه ثم ذكرت زيدا المحدث عنه بالانطلاق بعد أن ذكرت الحديث. فالفاعل مضارع المبتدأ من أجل أنهما جميعا محدث » - ص 63 .
وهكذا يمكن تمثيل الجملتين الاسمية والفعلية بالشكل الآتي:
ج إ : محدث عنه – حديث - ج ف : حديث - محدث عنه .

[127]- Lundquist : La cohérence textuelle . P 55 .
وإذا كان النص يحتوي على بنية موضوعاتية وينطلق من موضوع ليتوسع بعد ذلك مشكلا بذلك **التدرج الموضوعاتي** فإن هذا **التدرج الموضوعاتي** يأخذ أشكالا متعددة لا نرى بأسا في عرضها هنا على سبيل التذكير وإن كنا قد عرضنا بعضها ونحن نعالج مسألة الانسجام عند ناسبلو.
التدرج الخطي : يصبح العنصر الجديد عنصرا قديما ويحتل مكان الموضوع(الذي كان محمولا يصبح موضوعا)

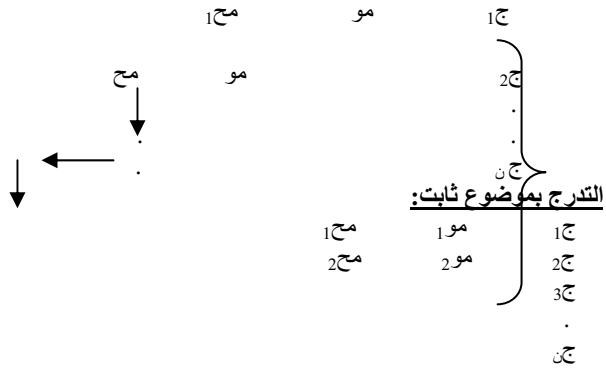

إذا افترضنا أننا أمام نص يتكون من عدد من الجمل، فإننا نستطيع أن نمثل بيانيا تصور لاندكيست للتدرج الموضوعاتي هكذا:

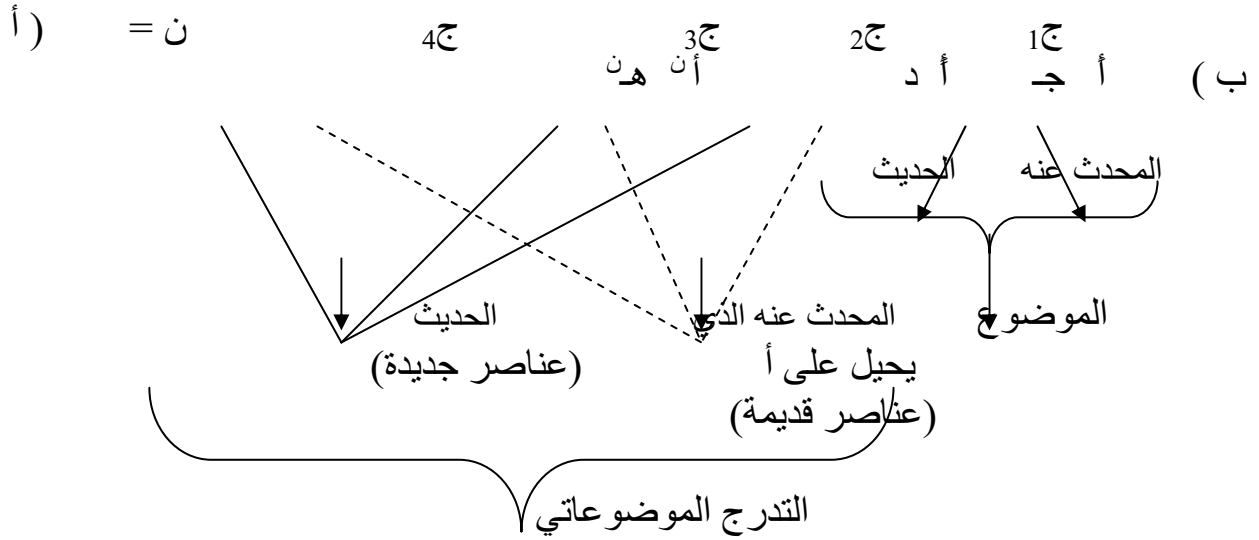

2.4.4- البنية الدلالية:

من الملاحظ أن النماذج المتعلقة بالبنية الموضوعاتية تتقاطع في خاصية الترابط، فكل جملة ترتبط بالتي تسبقها عن طريق الإحالة وتشكل بذلك سلسلة، وحتى في الحالات التي يقع فيها انقطاع في السلسلة، فهو لا يعدو أن يكون انقطاعا يشبه ذلك الذي يحدثه الاعتراض في التركيب، إذ سرعان ما تعود السلسلة لتترابط من جديد هكذا:

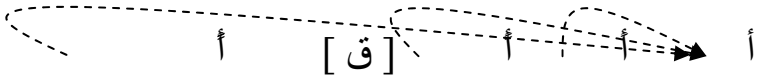

وبهذا الشكل نتجاوز المنظور الديناميكي الذي انطلقت منه مدرسة براغ، إذ إنه بقي محصورا في الجملة، إلى مجال أوسع تصبح فيه هذه الديناميكية متجاوزة حدود الجملة لتمس عددا من الجمل. ومن هذا المنطلق يصبح الكلام عن نحو للنص ذا مصداقية. غير أن تحقق هذه البنية الموضوعاتية تحتاج إلى بنية أخرى تسايرها ليتم بذلك الكلام عن

التدرج بمواضيع مشتقة من موضوع أكبر hyperthème :

مو

مو1 – مح　　مو2 – مح　　مو3 – مح

وهناك إمكانيات أخرى للتدرج

انظر على سبيل التوسع:

- COMBETTES : Pour une grammaire textuelle,
- SLAKTA : L'ordre du texte .
- ADAM : Ordre du texte , ordre du discours .

الانسجام، هذه البنية هي البنية الدلالية أو كما تسميها لاندكيست في بعض السياقات البنية النصية الدلالية (structure textuelle sémantique).

وإذا كانت البنية الموضوعاتية تتأسس على الإحالة كما رأينا سابقا، فإن البنية النصية الدلالية تطرح إشكالا، فالدلالة عموما تضعنا أمام العلاقة بالخارج أي علاقة الدليل بما يدل عليه (ce qu'il designe)، و حين ننظر إلى هذا الدليل من منظور نصي فإننا نجد أنه يغطي مجالات متعددة فقد يكون **الكلمة** أو **الجملة** أو **النص**.

وقد عولجت مسألة البنية النصية الدلالية من منظورين أحدهما درس العلاقة الدلالية بين الجمل و الآخر درس العلاقات الدلالية التي يمكن أن تتحقق على مستوى النص وقد عرضت لاندكيست محاولة لآيزنبرج[128]، فيما يتعلق بالعلاقات الدلالية بين الجمل من المستحسن إيرادها هنا لأنها تمثل أرضية هامة تسمح لنا فيما بعد بالكلام من العلاقات الدلالية بين الجمل عند العرب.

ـ جرد العلاقات الدلالية بين الجمل عند إيزنبرج: [129]

1. تحويل المحمول إلى موضوع: (thématisation d'objet)

كان في المرآب سيارة. (هذه) السيارة دهنت من جديد.

2. السببية:

انطفأ القنديل. الخيط انقطع.

3. العلة:

ذهب جان إلى القبو. (هو) يبحث عن الفحم.

4. النتيجة:

اشتد الجليد، (ف) تصدعت قنوات التدفئة.

5. التخصيص:

وقع حادث بالأمس. حدث لبيار كسور.

6. حوصلة ميتالغوية:

اشترى أخي بذلة (و) سقط بيار في السلّم (و) تكسّرت يد عمتي، **كل هذا** عرفته بالأمس.

7. الربط الزمني:

غادر بيار البيت في حوالي الساعة الثالثة. **حينئذ** دقّ الجرس و دخل رجل.

8. العلاقة الافتراضية:

هذا الشاب ذهب إلى السينما. (فقد) أعطاه أحد الدراهم.

9. التقابل:

بيار شخص طيب. أما أخوه فهو كذاب.

---

(128)- كل الأمثلة التي انطلق منها تتكون من جملتين على الأكثر .وهذا أحد المداخل النقدية التي تستغلها لاندكيست حينما تتكلم عن هذه المحاولات .فهي لا تشكل بالنسبة إليها نحوا للنص بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة ذلك أن نحوا للنص يجب أن يتجاوز مستوى الجملتين ليتكلم عن بنية نصية تتمظهر في أشكال مختلفة .قد تكون بنية نصية موضوعاتية كما رأينا أو بنية نصية دلالية كما سنرى أو بنية نصية تداولية .ولمزيد من التوسع في المداخل النقدية لمحاولات تأسيس نحو للنص أو الكلام عن الانسجام انطلاقا من ثنائيات جملية انظر:

E.lang :Quand«une grammaire de texte» est-elle plus adéquate qu'«une grammaire de phrase»langage-26-1972

A.Reboul .J.Moeschler : pragmatique du discours. Armand colin .1998

(129) -Landquist .le cohérence textuelle.p60

10. العلاقة بين السؤال و الجواب:
ماذا فعلت البارحة مساءً؟، ذهبت إلى السينما.
11. المقارنة:
لبيار معطف طويل، (و) لأخيه (معطف) أطول.
12. الإضراب:
(لقد) رأى جان ماري. لا (بل) بيار هو الذي رآها.

والذي يلاحظ من خلال هذه الأمثلة أنها لا تتعدى الجملتين، و لذلك سمح هذا للاندكيست بأن تعتبر هذه العلاقات محدودة و غير كافية لتوضيح البنية الدلالية الكبرى للنص.

3.4.4- العلاقات الدلالية في النص:

في مقابل هذه المعالجة للعلاقات الدلالية التي لا تتجاوز في معظمها العلاقة بين الجملتين، هناك معالجة حاولت أن تنظر إلى هذه العلاقات في مستوى أكبر هو النص.
تذهب هذه المحاولة في التاريخ من الشكلانيين الروس مع بروب (PROPP) في تحديده للوظائف على مستوى النص السردي لتصل إلى قريماس (GREIMAS) مع إعادة بنائه لنموذج بروب انطلاقا من العلاقات بين الوظائف ليعطي النموذج الوظيفي (modèle fonctionnel)، والعلاقات بين الشخصيات ليعطي النموذج العاملي (modèle actantiel)، وكلود بريمون وتودوروف. سنتناول هذه المحطات الثلاث بشيء من الاختصار لنتبين من خلال هذه النظرة التي تتجاوز العلاقة بين جملتين كما هو الحال عند إيزنبرج لتصل إلى النص باعتباره كلا له بينة دلالية هي التي تسميها لاندكيست البنية الدلالية النصية.

1.3.4.4- الشكلانيون الروس:

يتمحور عمل الشكلانيين الروس حول عرض أعمالهم (محاولة تطبيق) على ما توصلت إليه اللسانيات في ذلك الوقت والتخلص من القيود النقدية الأدبية التي كانت سائدة آنذاك[130]، وكانت تعاليم دي سوسير خير سند لهم. فقد أصبحت اللسانيات لدى هذا الأخير تعرف اللغة على أنها نظام من التأليف المستقل، وهذا تناغم مع منطلقات الشكلانيين من حيث سعيهم لتناول النص **باعتباره شكلا مستقلا**، ولا تتعلق المسألة عندهم بالمضمون

(130) ـ لقد غلب على النقد آنذاك السؤال **لماذا** ؟ وقد استبدله الشكلانيون بسؤال آخر ينصب على الشكل وهو **كيف** ؟ وهذا يعكس تحولا نحو الاهتمام بالقوانين التي تحكم تنظيم النص .ويصبح النص إذن كلا متكونا من عدة عناصر.

ولكن بكيفية العرض (mode de présentation)، وعلى هذا الأساس عرفوا الشكل بأنه نظام من التعالقات الداخلية
(système de corrélations internes)، ويستند التحليل الشكلاني الروسي على المبادئ الآتية: [131]

- الملازمة /المحايثة (immanence): ينظر الشكلانيون إلى النص انطلاقا من السؤال **كيف؟** أي البحث عن القوانين والعلاقات التي تحكمه من الداخل، فالنظرة إذن تنحصر في النص باعتباره كلا متكونا من عناصر.
- وصف عناصر النص على مستوى ما يربطها من علاقات، و تتجاوز المسألة حدود الجرد إلى البحث عن علاقات بين العناصر المستخرجة و يتم ذلك بـ:
  - تقسيم النص وتحديد العناصر المكونة له.
  - إيجاد علاقات بين العناصر المستخرجة.

ويمكن أن نمثل هذين المبدأين وما يترتب عنهما في الشكل الآتي:

[131]- J.P.Laurent,.A.Fossion :pour comprendre les lectures nouvelles.DE BOECK-DUCULOT .1981 p 16-18

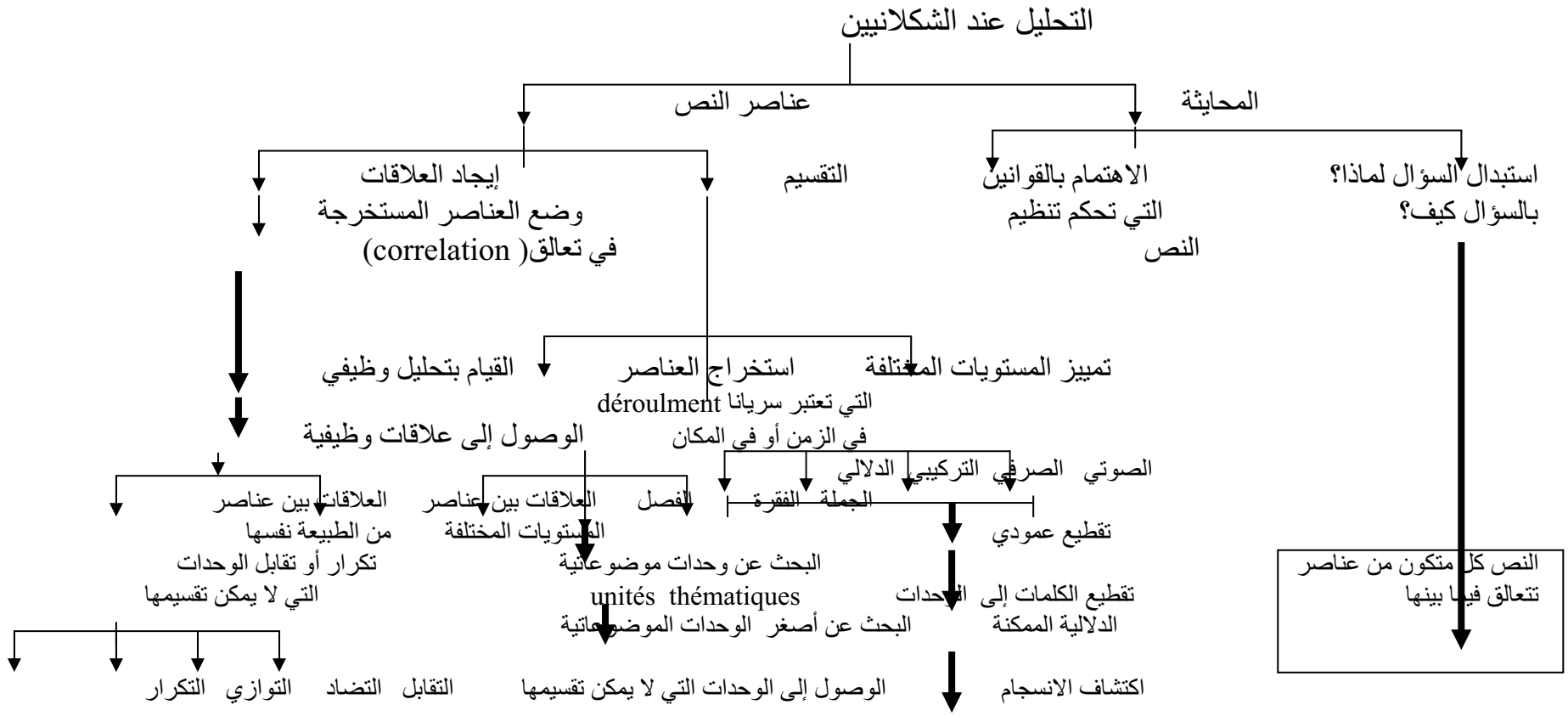
التحليل عند الشكلانيين
عناصر النص
المحايثة
إيجاد العلاقات
وضع العناصر المستخرجة
في تعالق(correlation)
التقسيم
الاهتمام بالقوانين
التي تحكم تنظيم
النص
استبدال السؤال لماذا؟
بالسؤال كيف؟
القيام بتحليل وظيفي
استخراج العناصر
التي تعتبر سريانا déroulment
في الزمن أو في المكان
تمييز المستويات المختلفة
الوصول إلى علاقات وظيفية
الصوتي الصرفي التركيبي الدلالي
العلاقات بين عناصر
من الطبيعة نفسها
تكرار أو تقابل الوحدات
التي لا يمكن تقسيمها
العلاقات بين عناصر
المستويات المختلفة
الفصل
الجملة الفقرة
تقطيع عمودي
البحث عن وحدات موضوعاتية
unités thématiques
تقطيع الكلمات إلى الوحدات
الدلالية الممكنة
البحث عن أصغر الوحدات الموضوعاتية
النص كل متكون من عناصر
تتعالق فيما بينها
التوازي التكرار
التضاد التقابل
الوصول إلى الوحدات التي لا يمكن تقسيمها
اكتشاف الانسجام

2.3.4.4- بروب و مسألة الوظائف:

لقد كان توجه بروب نحو دراسة الحكايات الشعبية هو الدافع له إلى الكلام عن الوظائف، فقد لاحظ بصفة لافتة للنظر الخاصية المزدوجة للحكاية الخرافية، فهي من جانب متنوعة تنوعا كثيرا ومن جهة أخرى تتسم بالرتابة، وهذا الثابت في المتحول هو الذي دفعه إلى مقارنة هذه الحكايات ليصل من خلال تنوعها الظاهر والكبير إلى ما تتقاطع فيه أو لنقل إلى ما يوحدها.

وتمثل الأفعال التي تقوم بها الشخصيات الأجزاء الرئيسية في الحكاية، وهي التي يسميها بروب الوظائف[132]، ولذلك فإن الاهتمام بها يجب أن يكون من زاويتين، زاوية تحديدها وفصلها عن الشخصيات بحيث يصبح الاهتمام منصبّا عليها وعوض أن نقول مثلا خرج (= إدراج الفاعل)، نقول الخروج (= عزل الفاعل)، وزاوية النظر إلى موقعها في مسار الحكاية، فتحديد دلالة فعل ما يتم بالنظر إلى مسار الحبكة (déroulement de l'intrigue).

إن هذه الوظائف التي يتم تحديدها لا يكون لها معنى إلاّ إذا كانت موجودة أيضا في حكايات أخرى، وهذا ما يعكس توجه بروب إلى السعي لتأسيس **نحو الحكايات**[133] (une grammaire des contes)، وهكذا تمكن من تحديد 31 وظيفة [134]، وهذه الوظائف تمثل كل ما يمكن أن نجده في الحكايات المختلفة، و لكن لابد من الإشارة إلى "أن جميع الحكايات لا تحتوي على كل الوظائف، ولكن هذا لا يغير شيئا من خاصية تتابعها، فغياب بعض الوظائف لا يغير من موقع الوظائف الأخرى في الترتيب فحين نحدد الوظائف نستطيع أن نجمع الحكايات التي تحتوي على نفس الوظائف و يمكن اعتبارها حكايات من نفس النوع" [135].

و هكذا يمكن أن نتمثل طريقة بروب للوصول إلى نحو الحكاية بالشكل التالي:

1 - ح$_1$ ∩ ح$_2$ ∩ ح$_3$ ∩ ..... ح$_ن$ = 31 وظيفة

2 - ح = 31 وظيفة = حكاية مثالية (لا توجد).

3 - ح$_1$ ∩ ح$_2$ ∩ ح$_3$ = ن وظيفة = حكايات من نفس النوع.

4 - ح$_1$ ∩ ح$_2$ ∩ ح$_3$ ∩ .... ح$_ن$ = ترتيب ثابت في الوظائف بغض النظر عن عددها

من حكاية إلى أخرى و هذا ما يعكس مفهوم **نحو الحكاية**.

الخاصية الأولى : تختلف الوظائف من حكاية إلى أخرى داخل العدد الإجمالي.
الخاصية الثانية : رغم اختلاف الوظائف كمّا" فإنها تثبت على مستوى الترتيب، فبنيتها الخطية ثابتة.

---

(132)- يعرف بروب الوظيفة هكذا« نعني بالوظيفة الفعل الذي تقوم به شخصية معينة من منظور دلالتها في مسار الحكاية »
V.Propp :morphologie du conte .Paris 1970-p3

(133) - J.P.Laurent .A.Fossion –pour comprendre les lecture nouvelles p20

(134) - V.Propp .morphologie du conte p32

(135)- نفسه ص 32

و بهذا اقترح بروب مصفوفة (matrice) يمكن استعمالها لتقسيم و تحليل الحكايات.

3.3.4.4- قريماس والنموذج العاملي:

لقد توصل قريماس من خلال تحليل حكايات مختلفة إلى أن كل حكاية تعكس نفس التمثيل للشخصيات النمطية، وهذه الشخصيات النمطية يسميها الفواعل (actants) وتحدد هذه الفواعل من خلال علاقتها والوظائف التي تقوم بها في الحكاية و يقترح قريماس نموذجا من ستة فواعل[136].

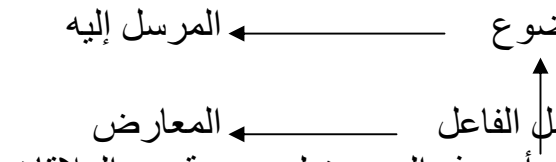

ما يهمنا في هذا السياق، هو أن هذه الصورة لمجموعة من العلاقات التي نجدها في الحكاية هي وليدة المقارنة بين عدد من الحكايات أوصلت إلى هذا النموذج.
و كما أن بروب توصل إلى وظائف (31 وظيفة) من خلال مسح للحكايات الشعبية التي كانت سائدة في وقته كذلك وصل قريماس إلى هذا النموذج الفاعلي من خلال القيام بعملية المقارنة[137].

---

[136] - المرسل destinataire هو الذي يحرك الحكاية وهو الذي يحدد موضوع البحث ويستدعي بطلا قادرا على الإتيان بالموضوع
- الموضوع هو ما يبحث عنه
- البطل هو الذي استجاب لنداء المرسل فيعقد معه اتفاقا ويلتزم بالقيام بالمهمة والإتيان بالموضوع
- المعارض هو الذي يعترض طريق البحث
- المساعد هو الذي يسهل عملية البحث ويساعد البطل على أداء مهمته
- المرسل إليه destinataire هو من يحصل على الموضوع في النهاية

[137] - حينما ننظر إلى المقابلة لغة/كلام عند دي سوسير من حيث إن الكلام يتميز بخاصية الحركة واللغة تتميز بالثبات ،ولا يمكن أن نحصل على اللغة إلا من خلال الكلام الذي هو إنجاز فعلي ، فإن الكلام في هذه الحالة يصبح هو المدونة التي ننطلق منها لنصل إلى المشترك أي إلى الانتظامات يقول في هذا السياق« فاللغة (la langue) ضرورية حتى يكون الكلام (la parole) مفهوما ويحدث كل تأثيراته .ولكن هذا الأخير ضروري أيضا حتى تتكون اللغة».ص38

ولسنا في هذا السياق بعيدين عن المبدأ الأساسي للسانيات السويسرية من حيث إنه لا يوجد في اللغة إلاّ الفروق، بل ما نجده عند بروب وعند قريماس ما هو في الحقيقة إلاّ توسيع لهذا المبدأ إلى مستوى النص، وبالتحديد النص السردي[138]،
وهكذا ينظر إلى " الملفوظ السردي (أو الحكاية) على أنه نظام من الفوارق (un système de differences) ونسيج من التناظرات الدالة (corrélation signifiantes)[139]، وبذلك يشكل النص كيانا حيث تكوّن العناصر فيما بينها علاقات وظيفية"[140].
ويمكن أن نتمثل هذا المسار الموصل إلى البنية المجردة كالتالي:

I. مرحلة البحث عن نموذج { ح1 ∩ ح2 ∩ ح3 ∩ ... ح‌ن } ← { العناصر المشتركة أو الثوابت }

↓

نحو الحكاية : البنية السردية المجردة

للوصول إلى هذا النموذج يتم القيام بـ:

- تحليل منتظم و مقارنة لحكايات متعددة.
- لا ينظر في النموذج إلى خاصية حكاية من الحكايات.

II - مرحلة التطبيق وفيها يتم النظر إلى كيفية وجود النموذج في حكاية من الحكايات.

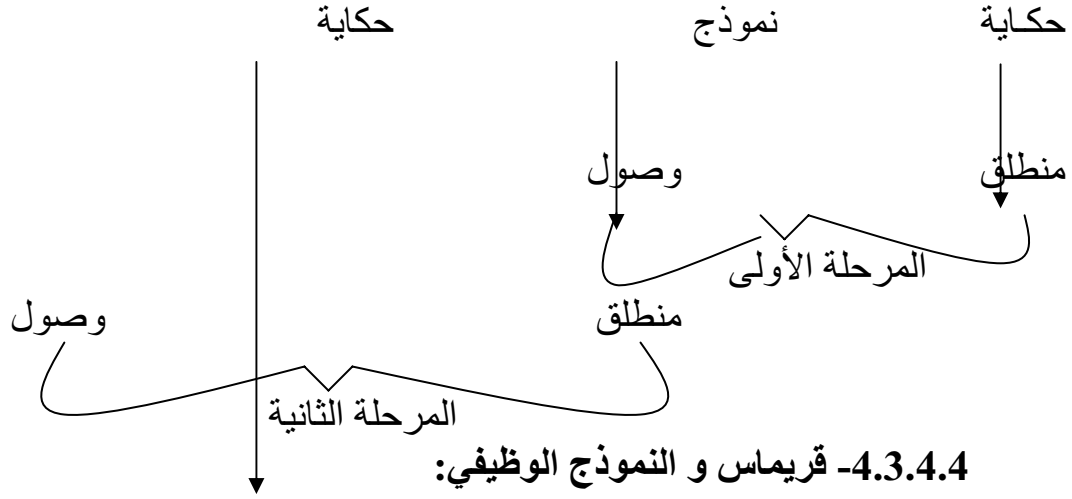

4.3.4.4- قريماس و النموذج الوظيفي:

تمثل مجموعة الحكايات بالنسبة لبروب المدونة التي انطلق منها حتى وصل إلى ما هو ثابت في هذه الحكايات (31 وظيفة)

(138) ـ هناك محاولات توسيع بالخروج إلى نص غير سردي بطرح أسس تحليل سيميائي له، ينظر:
A.J.Greimas et autres:Introduction à l'analyse du discours en science sociales .Hachette.1979
« إن التطور السريع نسبيا لأدواتها (=السيميائية) النظرية والمنهجية سمح لها بمضاعفة امتدادها إلى مجالات خارجية عن الحقل الأسطوري والفلكلوري الذي شكل ميدانها الأصلي .ورغم أن هذا التوسيع تم أولا في اتجاه الميدان الأدبي والشعري ،فإن البحوث سرعان ما توسعت ..إلى خطابات عديدة غير أدبية سواء أتعلق الأمر بنصوص دينية أم فلسفية أم قانونية أم اجتماعية أم سياسية. وبتوسيع مجالها إلى وقائع نصية وثقافية غير متجانسة فإن السيميائية تطالب بمنزلة (statut) لنظرية في حدود مبادئها الحصيفة للتشكيلة الواسعة لأشكال الإنتاج الاجتماعي للمعنى» ص5

(139) ـ اعتمدنا في ترجمة مصطلح corrélation على المعجم الموحد لمصطلح اللسانيات. تونس 1989.

(140) - J.P.Laurent.A.Fossion: Pour comprendre les lectures nouvelles p 38
ينظر كذلك لكيفية بلورة النموذج :
A.J.Greimas:sémantique structurale.Paris .Larousse 66
V.Propp.morphologie du conte

رأينا أن بروب توصل من خلال مقارنة الحكايات الشعبية إلى تحديد 31 وظيفة، اعتبرها الثابت الذي يميز كل هذه الحكايات خاصة فيما يتعلق بتتابعها. انطلق قريماس من هذه الوظائف وحاول أن يجمعها في شكل أزواج وإدراجها في صياغة عامة للحكاية (formule générale du récit).

تمر الحكاية عند قريماس من مرحلة ابتدائية (situation initiale) إلى مرحلة نهائية (situation finale) عبر تحوّل (transformation)، وتنقسم عملية التحول هذه إلى ثلاث اختبارات (épreuves)، بهذا الشكل:

الصيغة العامة للحكاية

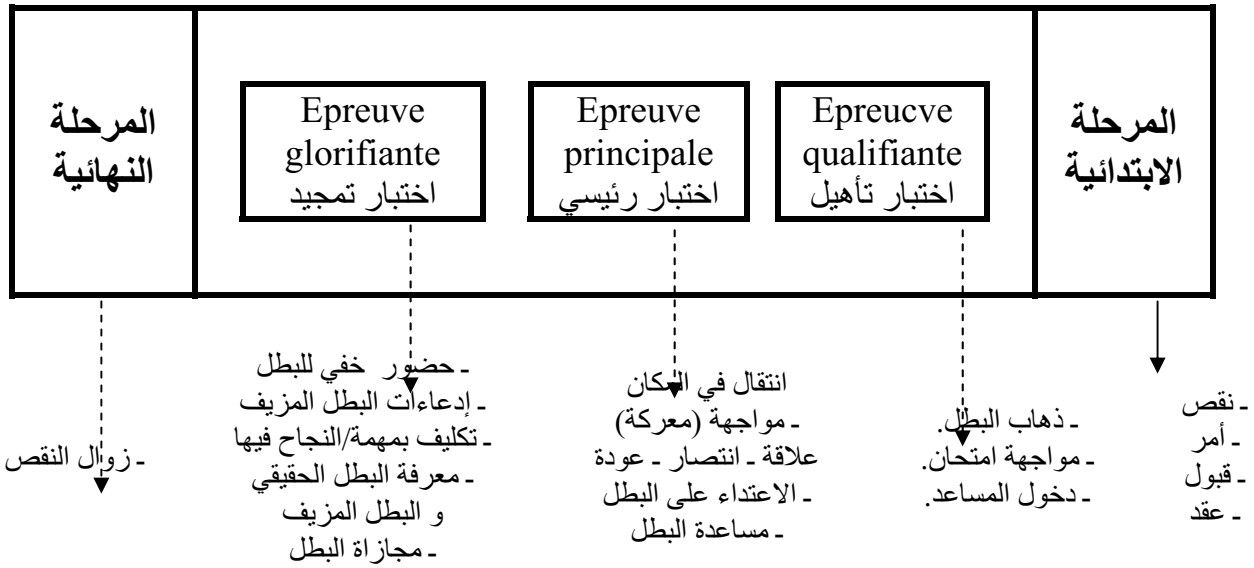

لابد من الإشارة هنا إلى أن النموذج الوظيفي الذي تحدد فيه مختلف الوظائف ويعبر عنها بواسطة المصادر مثل: ذهاب - عودة - انتقال... الخ، يكون في تناظرات تبادلية (corrélations réciproques)، مع النموذج العاملي لأن العلاقات بين الفواعل تحدد عن طريق الوظائف التي تقوم بها هذه الفواعل ويمكن تمثيل العلاقة بين النموذجين هكذا:

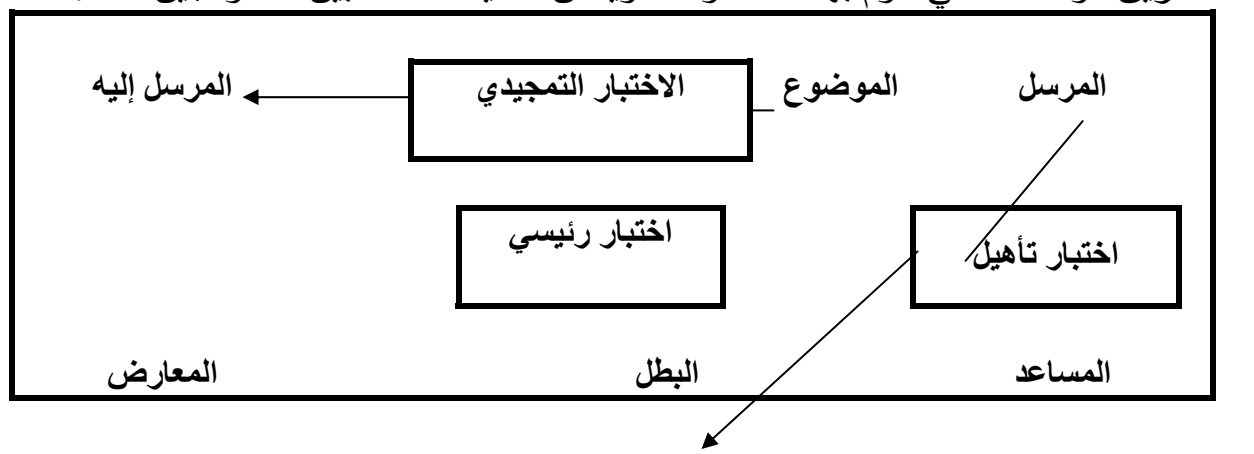

إن هذه المحطات الثلاث (الشكلانيين و بروب و قريماس) تعتبر محطات هامة من حيث إن منطلقاتها كانت نصوصا[141] وأهدافها كانت البحث عن بنى مجردة تصبح ميزة لهذه النصوص ولكنها تشترك أيضا في كونها نظرت إلى هذه النصوص من الداخل واعتمدت التحليل والمقارنة سبيلا للوصول إلى القواسم المشتركة بين هذه النصوص، وهي بهذا جسدت بشكل كبير هذا الحرص الذي أبداه دي سوسير لمسألة الاهتمام باللغة والبحث عنها في الكلام دون أخذ المتكلم في الاعتبار ومن هذا المنظور فإنها تتصادى مع مبادئ دي سوسير بشكل واضح بهذا الشكل:

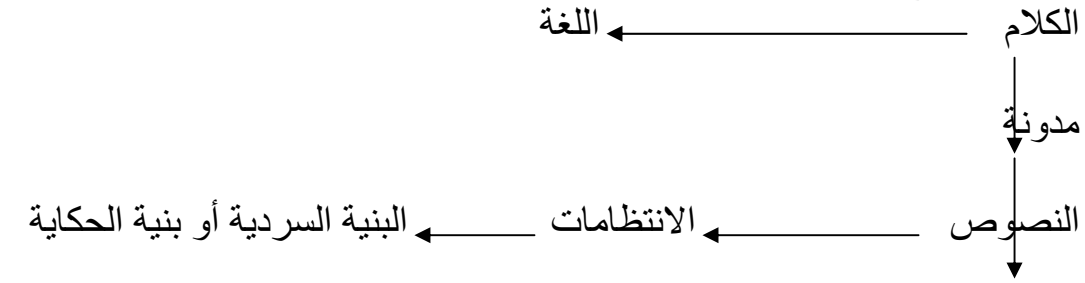

فكما أن الكلام يشكل مدونة نستخرج منها اللغة فكذلك النصوص (= الحكايات) المختلفة نستخرج منها ما يمثل قاسما مشتركا بينها وهو بنية الحكاية.

5.4- النص و علاقته بالخارج:

إذا كانت المنطلقات السابقة تهتم بالنص من الداخل بحثا عن انتظاماته المختلفة التي تشكل الجانب الثابت فيه، فإن هذا النص لا يمكن أن نتوقف به عند هذا الحد ويتأسس عدم التوقف هذا عند لاندكيست على مصادرة مفادها وجود بنية دلالية عميقة في كل نص تعكس العلاقة التي ينشئها هذا النص مع الواقع وتعكس هذه البنية الدلالية في الوقت نفسه الظواهر التي بُلورت في النص بواسطة الإحالة وأنواع العلاقات التي ينشئها النص بين هذه الظواهر بواسطة الإسناد[142].

إن الأساس لهذه المصادرة المتعلقة بوجود بنية دلالية عميقة أو نواة دلالية كما تسميها لاندكيست في سياق آخر تتأسس على فرضية مفادها أن "الجمل المتتابعة لنص ما تكشف في بنيتها التركيبة الدلالية العميقة انسجاما"[143]. حين نتتبع هذا التصور من خلال هذين السياقين اللذين اقتطعناهما نجد أنفسنا أمام تصور للنص يمهد لتحليل من نوع خاص، إنه تحليل يعتمد على نحو الحالات (Grammaire des cas) لفليمور. إننا نستطيع أن نستنتج مجموعة من العلاقات من خلال مجموعة من المصطلحات التي وردت عند لاندكيست هكذا:

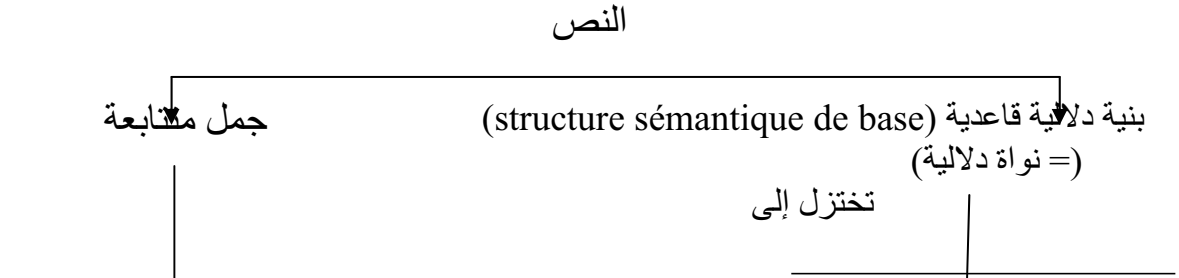

(141) - إن هذه النصوص تنتمي إلى أنماط معينة .فالشكلانيون الروس وهم يبحثون عن الأدبية (littérarité) اهتموا بالنص الأدبي في إطار مقابلة ضمنية بين نص أدبي ونص غير أدبي .أما الذين اهتموا بالتحليل انطلاقا من الوظائف أو النموذج العاملي(modèle actantiel) فإن تحليلهم انصب على الحكاية.غير أننا نشير في هذا السياق إلى محاولة توسيع مجال التحليل إلى غير الحكاية (انظر الهامش 138) .

(142) - Lundquist . la cohérence textuelle .p65

(143) - نفسه ص65

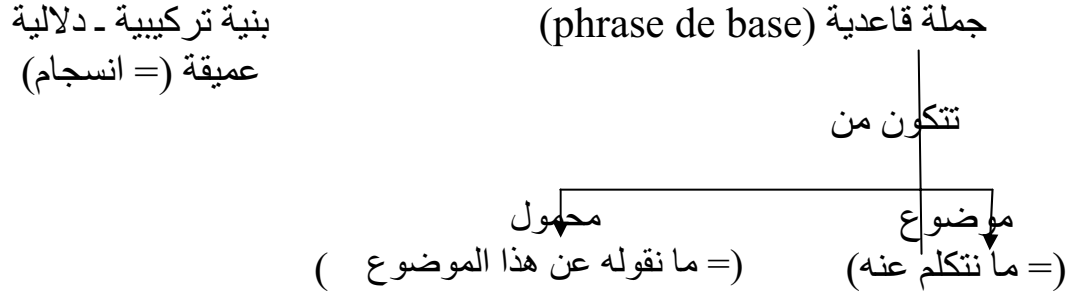

للوصول إلى هذه البنية الدلالية للنص، ترسم لاندكيست مسارا يتمثل في:

- اختزال جمل النص في تتابعها إلى بنيتها التركيبية الدلالية العميقة، وهذا الاختزال يتم عن طريق تفكيك (décomposition) الجمل إلى أدوار حالية (rôles casuels) حسب مبادئ نحو الحالات[144].
- إذا وجد انسجام في توزيع الحالات للجمل في خطيتها النصية يمكن في هذه الحالة أن نفترض أن هذا الانسجام للبنية التركيبية الدلالية الجملية يعادل انسجام البنية الدلالية النصية[145].

1.5.4- البينة النصية التداولية:

إن الكلام عن البنية النصية التداولية هو في الحقيقة كلام عن ربط النص بالخارج ويتأسس هذا الربط على منظور للتداولية نفسها باعتبارها **علاقة بين الأدلة اللغوية ومستعمليها**[146]، و من ثم يصبح للنص ثلاث بنى:

- بنية موضوعاتية: تتحقق عن طريق الإحالة كما بيناه سابقا.
- بنية دلالية.
- بنية تداولية.

وإذا كانت التداولية هي النظر إلى العلاقة بين الأدلة اللغوية و مستعمليها فإن النص باعتباره دليلا يصبح في علاقة مع المرسل و المستقبل بهذا الشكل[147].

ويسمح هذا للاندكيست بأن تدرج توجهات متعددة تحت تسمية التداولية فهي تعتبر الكلام عن وظائف اللغة[148]، كما ورد عند بوهلر (BUHLER)، وياكبسون فيما بعد وأفعال الكلام كما هي عند أوستين وسيرل والصياغات التواصلية

---

(144) ـ يرى أصحاب "نحو الحالات" أن الجملة هي :« مسرحية تلعب فيها الوحدات الاسمية الأدوار المحددة بواسطة الفعل الذي يخرج هذه المسرحية أو يحركها» Lundquist .la cohérence textuelle p 65

(145) ـ سنعود إلى هذه الكيفية في التحليل بحثا عن الانسجام من خلال عرض نماذج تطبيقية قامت بها لاندكيست لنرى من خلال ذلك كيف ترتبط بين مستوى الجملة ومستوى النص وهي مسألة تشكل محور اهتمامنا لأن عملها مبني بالأساس على نقد النظرة الجزئية التي حصرت نفسها في الجملة ولم تتمكن من خلق هذه الجسور بينها وبين النص

(146) ـ إن النظر إلى التداولية من هذا المنظور يندرج ضمن التقسيم الثلاثي أو المستويات الثلاثة : المستوى التركيبي والمستوى الدلالي والمستوى التداولي.فإذا كان المستوى التركيبي يتناول العلاقة فيما بين الأدلة والمستوى الدلالي يتناول الأدلة في علاقتها بالخارج (الإحالة) فإن المستوى التداولي ينظر إلى الأدلة في علاقتها بمستعمليها .

(147) - Landquist .la cohérence textuelle .p67

(les formulations communicatives) عند بوتييه (POTIER) [149] وعلامات التلفظ (les indices de l'énonciation) عند بنفينيست[150].

لكن الذي يهمها هو نظرية التلفظ عند بنفينيست لأنها لا تهدف إلى تكوين قواعد (règles) للعلاقة بين القول والمعطيات الخارجية بل ينصب اهتمامها الأكبر على العلامات اللغوية للانسجام الناتج عن ربط النص بالخارج.

إن الكلام عن هذا الانسجام اعتمادا على أطروحات بنفينيست هو كلام عن التلفظ (l'énonciation) وتستند على تعريف بنفينيست التالي:

" توظيف اللغة بواسطة فعل استعمال فردي"[151].

إن توظيف اللغة عن طريق هذا الفعل الفردي يعني أن كل تلفظ (قول) يحمل علامات صاحبه المتلفظ به، وفي حقيقة الأمر فإن اللغة (التي تقابل هنا الكلام) تملك عناصر تحول هذه اللغة إلى خطاب[152]، وهي عناصر لا تحمل دلالة إلا إذا أدرجت في مقام معين. إن دورها "أن توفر أداة تحويل، يمكن أن نسميها تحويل اللغة إلى خطاب، فعن طريق تحديد المتكلم لنفسه على أنه فرد متميز يطرح **أنا** نفسه على أنه "فاعل" (sujet)، فالاستعمال إذن مشروط بمقام الخطاب"[153].

لقد تكلم ياكبسون[154] عن هذه العناصر وسماها (shifters) ويعتبرها عناصر من الوضع(code) تربط الخطاب بالمقام فهي عناصر متجددة الدلالة من حيث إنها لا تحمل دلالة في ذاتها وإنما تحملها من المقام الذي تستعمل فيه، وكأن اللغة "خلقت مجموعة من

---

[148] - يحدد (Buhler) في مثلثه ثلاث وظائف هي :الوظيفة الانفعالية (fonction émotive) والوظيفة التكليفية(fonction conative) والوظيفة الإحالية(fonction référentielle) ويضيف ياكبسون ثلاث وظائف أخرى هي: الوظيفة الشعرية(fonction poétique) والوظيفة التوصيلية (fonction phatique) والوظيفة الميتا – لغوية (fonction métalinguistique) فيصبح النموذج هكذا :

الوظائف الست عند ياكبسون

	الإحالية	
الانفعالية	الشعرية	التكليفية
	التوصيلية	
	الميتا اللغوية	

jackobson : essais de linguistique générale . p216-221 Paris 1963

[149] - يرى بوتيه أن كل خطاب (message) هو تشكيل (formulation) علاقات بين formulation de relation entre désignations وهناك صنفان كبيران من التشكيلات هما: التشكيلات الواصفة (formulations descriptives) النوعية والمادية (qualitative et quantitive) والتشكيلات التواصلية (formulation communicatives) التعبيرية والحكمية (modale et locutive) وهذا التقسيم إلى تشكيلين يتماشى مع التقسيم الذي تبنته لاندكيست للجملة على أنها تتكون من محتويين قضوي ومحتوى حكمي(modal) »

B.Pottier : linguistique générale .Paris 1974 .p 157

[150] - لا يخفى ما أحدثت نظرية التلفظ من صدى وتأثير على الدراسات التي تهتم بالخطاب .إن سياق الرد الذي تبناه بنفينيست على مسألة انغلاق اللغة على نفسها وعدم ارتباطها بالخارج كما رُوِّج لذلك كثيرا انطلاقا من المقابلة لغة/كلام وما ترتب عنها من اهتمام بالبحث عن النظام من خلال الكلام دون ربطه بالمتكلم ،جعلته يعيد النظر في هذه المسألة ويجد في اللغة هذه العناصر التي لا تتحقق فيها هذه العلاقة التي تكلم عنها دي سوسير في الدليل اللغوي .بل هي عناصر ترتبط بالخارج مباشرة انظر:

Benveniste : Problèmes de linguistique générale .l'homme dans la langue p225-285 et l'appareil formel de l'énonciation p79-90

[151] - Benveniste :langage 17 .1970 . p12

[152] - إذا كان دي سوسير قد أقام مقابلة بين اللغة والكلام واعتبر اللغة هي الجانب المجرد الذي يمثل القاسم المشترك بين متكلمي مجموعة ما. فإن هذه المقابلة تصبح عند بنفينيست لغة/خطاب (langue/discour)

[153] - Benveniste : problèmes p254

[154] - R.Jackobson : Essais de linguistique générale p178

العناصر الفارغة غير الإحالية بالنسبة للوجود العيني، تكون حاضرة دائما تحت تصرف المستعمل، وبمجرد استعمالها من طرف متكلم ما، في مقام ما فإنها تمتلئ"[155].

يتعلق الأمر في هذا القسم المتعلق بالعناصر التي ترتبط بالمقام مباشرة بـ:

ـ ضمائر الشخص الأوّل والشخص الثاني والوحدات الدالة على الزمان والوحدات الدالة على المكان وأسماء الإشارة[156].

فـ "أنا" هو الفرد المتلفّظ والشكل اللغوي **أنا** لا يمكن تحديده إلاّ في المقام الذي استعمل فيه و **أنت** لا يمكن تحديده إلاّ بمقابلته بـ "أنا"، و"هذا" يحدد مشارا إليه موجودا في المقام، و"هنا"، "الآن"، البارحة، **اليوم**، تحدد المكان والزمان انطلاقا من مقام الكلام.

ونستطيع أن نتمثل هذه العلاقة بين هذه العناصر وبين المقام من جهة وبينها وبين العناصر اللغوية الأخرى التي تتحقق فيها الإحالة بهذا الشكل.

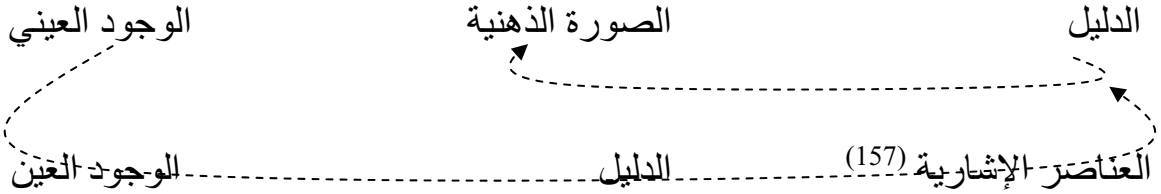

يمكن في هذه الحالة الدليل اللغوي غير الإشاري أن نقف عند حدود الصورة الذهنية ولا نكون بحاجة إلى حضور الموجودات في الأعيان، ولكن العناصر الإشارية لا يتحقق وجودها أي لا تمتلئ إلاّ إذا ارتبطت بمقام معين ولذلك فالعلاقة بينها وبين المقام مباشرة.

1.1.5.4 - علامات المتكلم: من الكلام إلى النص:

انطلاقا من مسألة أن كل كلام يحمل علامات المتكلم تقوم لاندكيست بعملية تحويل إلى النص. ويصبح بذلك لكل نص علامات صاحبه (les marques de son sujet) ، وتسمي هذه العلامات أحكام التلفظ (Les modalités de l'énonciation).

إن هذه الأحكام ليست فقط التعبير عن الذاتية (subjectivité)، ولكنها أيضا التعبير عن علاقة بين الأشخاص (relation interpersonnelle)، بل إنها علاقة اجتماعية، ومن

---

[155] - Benveniste : problèmes p254

[156] ـ انظر الهامش121

[157] ـ إن الوظيفة الأساسية لاسم الإشارة كما حددها النحاة هي الإشارة إلى شيء محسوس .والإشارة إلى ما هو غير محسوس (الإشارة العقلية) تعتبر مجازا عندهم.ويقف الرضي الاسترابادي من هذه المسألة موقفا واضحا يقول: « اسم الإشارة لما كان موضوعا للمشار إليه إشارة حسية فاستعماله فيما لا تدركه الإشارة كالشخص البعيد والمعاني مجاز وذلك بجعل الإشارة العقلية كالحسية مجازا لما بينهما من المناسبة» شرح كافية ابن الحاجب ص31 .والواقع أن الذي خول للنحاة الكلام عن إشارة حسية وإشارة عقلية واعتبار الإشارة العقلية ثانوية (مجازا) والحسية أصلية هو التصور الذي انطلقوا منه في تعريف اسم الإشارة وهو ربطه بالإشارة الحسية وهو تصور يفترض توفر أربعة شروط :

- أن يكون المشار إليه موجودا
- أن يكون موجودا في محيط المتخاطبين
- ان يمكن أن يشار إليه حسيا
- أن يكون اسم الإشارة كالإشارة محددا اتجاهيا

ولما لم تتوفر هذه الشروط دائما أدى ذلك إلى تقسيم الإشارة إلى حسية وعقلية وأصلية وفرعية .ولمزيد من التفصيل في هذه النقطة ينظر كذلك :
G.Kleiber :les démonstratifs (dé)monyrent-ils ?Le Français moderne №51, 1983

هذا المنظور نقترب من نظرة سيرل في نظرته للأفعال الكلامية حيث يكون كل تلفظ هو سلوك مقصود[158].

إن حدث التلفظ (le procès d'énonciation) يضع المتكلم (le locuteur) في مواجهة قوله و من يتكلم إليه، والموضوع الذي يتكلم عنه (référent) وتحليل اللغة إلى خطاب (كلام) يضع المتكلّم في موقف تعبير (une attitude de locution) تتجلى من خلاله مواقف مقصودة أو غير مقصودة (إرادية أو غير إرادية)، ذلك أن المتكلم حين يتكلم يموضع دائما مخاطبه ويتحمل إلى حد ما الموضوع الذي يتكلم عنه فتكون العلاقة بهذا الشكل:

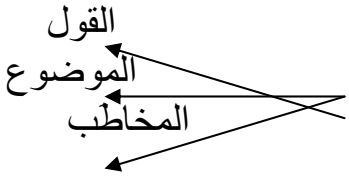

إن أهم ما يمكن الإشارة إليه هنا، هو أن هذه العلاقة ثلاثية الأبعاد توجد في القول نفسه، و يمكن رصدها أو تحديدها عن طريق تحليل عدد من العناصر اللغوية، ذلك أن فعل التلفظ (acte d'énonciation) يرسي علاقة خاصة بين متكلميْن أو أكثر وهو إرساء لمسافة بين هؤلاء المتكلمين، وتشكل هذه المسافة أحد الشروط الأساسية للتبادل وعلى هذا الأساس يوجد في الخطاب عدد من العناصر تحدد درجة حضور المتكلم وموضعته للمخاطب.

إن هذا التموضع إما من جهة المتكلم وإما من جهة المتلقي يمثل أحد الأهداف الأساسية لتحليل الخطاب، إذ أنه يسعى "لرصد العلامات اللغوية (les indices linguistiques) للمتكلم و المخاطب لتحديد ما أمكن التبادل الناتج بينهما عن طريق الخطاب"[159]، ويحدد أ. فوسيون، ولوران خمسة مستويات للخطاب تحمل علامات هذه العلاقة بين المتكلمين هي:

- علامات الأشخاص (الضمائر- محددات شخصية (determinants personnels) - النداء).
- الإجراءات التلميحية (المعلومات الضمنية المتعلقة بالمتكلم أو المخاطب).
- مستوى الخطاب (مستوى اللغة و خاصة أنواع المجاز).
- تدقيقات ميتالغوية (المعلومات المعطاة حول الوضع (code) الذي يستعمله المتكلم).
- الوظائف النحوية (أزمنة الأفعال).

---

(158) - يقول سيرل « حينما اعتبر أن كتابة ما على ورقة تضل مثالا للتواصل اللغوي يجب أن أقبل أن هذه الكتابة أنجزت من طرف شخص ما لقصد معين ». انظر لعرض أكثر تفصيلا: SEARLLE : Les actes de la languague . P 52 .

(159) - j.p.Laurent .A.Fossion: lectures nouvelles p7-8

ويسير هذا التصور في نسق ما جاء به بنفينيست :«لا يمكن أن يحدد التلفظ بالنسبة للغة كحدث استملاك (procès d'appropriation).فالمتكلم يتملك الجهاز الشكلي للغة ويعلن موقفه كمتكلم بعلامات خاصة .ولكن بمجرد أن يعلن عن نفسه أنه متكلم فإنه يثبت الآخر في قبالته مهما كانت درجة الحضور التي يعطيها لهذا الذي يقابله . فكل متلفظ هو خطاب وبالتالي فهو يتطلب مخاطبا » problèmes p 82 .

2.1.5.4- علامات الأشخاص:

يحتل الضمير مكانة هامة في فعل التلفظ. وهذه المكانة تتمثل في "كونه في الوقت نفسه دالا مرتبطا بشيء خاص عن طريق قاعدة اتفاقية، وكونه في علاقة وجودية مع الشيء المقدم"[160]، فالضمير أنا باعتباره وحدة لغوية لا يمثل موضوعه إلاّ بحضوره، فهو في علاقة وجودية مع موضوعه، يقول ياكبسون في هذا الصدد " إن كلمة أنا التي تدل على المتكلم هي في علاقة وجود مع المتكلم"[161]، وهكذا فإن الضمير أنا هوعنصر لغوي أساسي يسمح للمتكلم بالاندراج في كلامه[162]، ويتمظهر المتكلم في العربية بشكلين لغويين هما "أنا" و"نحن"، وتتحدد القيم المختلفة لهذين الضميرين عن طريق تحليل متأن للسياق.

ويحدد المتكلم في إطار التلفظ الطرف الآخر أي المخاطب بواسطة وحدات لغوية تختلف قيمها باختلاف السياقات التي ترد فيها، وفي الإجمال فإن هذا المخاطب يتحدد لغويا بخمسة ضمائر تتقابل جنسا وعددا بالشكل الآتي:

أنتَ	أنتما	أنتم
أنتِ	أنتما	أنتن

ولابد من ملاحظة أن هذا النظام المتعدد يختلف مثلا عن الفرنسية التي تعرف فقط وحدتين هما (tu) و(vous) [163].

3.1.5.4- الإجراءات التلميحية:

لا تتحدد العلاقة بين المتكلم والمخاطب بطريقة مباشرة فقط، بل تتم كذلك بطرق غير مباشرة، ففي مقام المباشرة يمكن للمتكلم أن يتكلم عن نفسه (يحيل على نفسه)، كما يمكنه أن يتكلم عن المخاطب بحيث يحصل على هذا الشكل المستوحى من ياكبسون.

---

(160) - J.P.Laurent .A.Fossion :lectures nouvelles p 87

(161) - R.Jackobson : essai de linguistique générale .Paris, p 176

(162) ـ من المستحسن أن نورد هنا هذا المقطع لبنفينيست فهو يجسد فعلا هذه الأهمية للضمير " أنا " :
« لا نصل أبدا إلى الإنسان منفصلا عن اللغة ،ولا نراه أبدا وهو يخلقها ...إن الذي نجده في العالم هو إنسان متكلم ،إنسان يتكلم إلى إنسان آخر ، واللغة تعلمنا تعريف الإنسان نفسه (....) ففي اللغة وبها يتكون /يتشكل الإنسان كموضوع لأن اللغة هي وحدها التي تؤسس في واقعها الذي هو واقع الكائن مفهوم "**الأنا**" والذاتية التي نعالجها هنا هي قدرة المتكلم على أن يطرح نفسه ك"**فاعل**" ولا تتحدد بواسطة العواطف التي يبديها أي فرد للدلالة على نفسه ولكن بأنها الوحدة النفسية التي تخترق/تتجاوز مجمل التجارب المعيشة والتي تتضمن ديمومة الوعي . ...إن الوعي بالذات لا يكون ممكنا إلا إذا تحقق بواسطة التباين .لا أستعمل "أنا" إلا وأنا أتوجه إلى شخص يكون في خطابي"أنت" وهذا الشرط الحواري هو المكون للشخصية لأنه يقتضي بالتبادل أن "أنا" يصبح" أنت" في خطاب الذي يصبح بدوره"أنا" problèmes p 260

(163) ـ يفسر لوران وفوسيون هذه المحدودية بقولهما :« إن الاختيار القليل جدا لضمائر الشخص الثاني تستعاض بتقسيم أكبر في الخطاب وبرهافة كبيرة في الاستعمال» lectures nouvelles.p 90

و لكن يمكن أن يحيل المتكلم على نفسه وعلى المخاطب ليس بالتحديد المباشر باستعمال أنا وأنت ولكن باستعمال عبارات معينة وهذه العبارات ترسم لنا صورة لهذا المتكلم أو لهذا المخاطب، يقول غريتي(Gritti) في هذا السياق:

« من بين صور التواصل، فإن تلك المتعلقة بالتلميح والإنكار تلعب دورا هاما جدا من تلك المتعلقة بالتكرار، فبواسطتها يخلق المتكلم بحذق أو بغير وعي صورة عن نفسه و صورة عن المخاطب، ولا يوجد تواصل دون هذه الصورة المضاعفة... فنظام التلميح يدخل بعمق في الثقافة وفي ترتيبات الفرد»[164].

4.1.5.4- مستوى الخطاب:

من العناصر التي توضح أكثر العلاقة بين المرسل والمستقبل تنوع الحقول المعجمية المختارة من المتكلم، فهي تعكس ثقافة معينة تكشف هذا المتكلم وتموضعه بالنسبة للمخاطب وتموضع المخاطب أيضا بالنسبة لهذا المتكلم، فهذه الشبكات المعجمية تحمل صورة عن المتكلم وعن المخاطب.

5.1.5.4- التدقيقات الميتالغوية:

من الإشارات الهامة عند ياكبسون أن "المرسل/ أو المرسل إليه يحكمان بأنه من الضروري التحقق من استعمال الوضع نفسه (le même code) بصفة جيدة، وبهذا ينصب الخطاب على الوضع وبذلك تتحقق الوظيفة الميتالغوية"[165].

إن وجود هذه العبارات الميتالغوية يمثل علامة هامة تسمح لنا بالتعرف على أقطاب التواصل وعن المقام الذي يتم فيه هذا التواصل. فلو فرضنا مثلا أن المتكلم في مقام ما، كان كلما أورد كلمة أعطى لها تعريفا فإن هذا يقتضي أن الطرف الآخر يجهل هذه التعريفات، وهذا في حد ذاته يسمح برسم صورة عنه من خلال الخطاب نفسه. والأمر ينعكس حين تغيب التعريفات فهذا يسمح برسم صورة معاكسة تجعلنا نرسم لهذا المتلقي صورة تجعله أكبر من المرسل من حيث المعرفة.

يشير فوسيون إلى أن هناك بعض الدراسات التي أجريت على الصحف الفرنسية في كيفية تقديم التوراة في هذه الصحف، وتبين أن قراء صحيفة (France-Dimanche) من حيث هم فئة **تجهل** معظم شخصيات العهد القديم يجعل هذه الصحيفة تعرف لهم آدم وحواء، وإبراهيم، ...الخ، ولكن هذه الصحيفة كانت في المقابل تفترض أن قراءها يعرفون شخصيات أخرى مثل بيرون وميسالين ساموت ودليلة وهي شخصيات ميلودرامية فلا تجد حاجة إلى تعريفهم (فقارئ الصحيفة يعرف شخصيات هذه العصور القديمة من خلال الأفلام والمسلسلات).

6.1.5.4- الوظائف التركيبية:

---

(164) - J.Gritti: contribution des études linguistiques .au renouvellement du langage de la foi . **humanités Grétiennes**.Avril 1976 . p 347

(165) - Jackobson : Essais de linguistique générale p 217

يشكل استعمال الوظائف التركيبية كذلك علامة (une trace) للتلفظ، فالاستفهام والتوكيد والأمر كلها تسمح بتصور العلاقة بين المتكلم والمخاطب ويعطينا فوسيون مثالا جيدا لما يمكن أن يتركه المتكلم من أثر في السامع، ففي لقاء صحفي مع أحد الوزراء ترك هذا الأخير انطباعا لدى المتفرجين على رزانته و معرفته الجيدة، وحينما تتبع فوسيون الاستعمالات اللغوية التي وظفها الوزير وجد مجموعة من الاستعمالات التركيبية الخاصة (tournures syntaxiques) استعملها في إجابته مما أعطى للسامع هذا الإحساس بأنه أمام شخص متيقن من ملفاته وعارف بها، ولا بأس أن نورد هنا بدايات هذه الإجابات: [166]

- أولا، هناك نقطة أولى يجب أن تفهمومها.
- حول هذه النقطة، أستطيع أن أقول.
- يجب أن تعرفوا...
- أرى أنه يجب ...
- أنظروا، أنظر
- يجب أن ندرك أن ...

- أزمنة الفعل:

قام واينريش[167] بدراسة حول الزمن في الخطابات المختلفة، وقد سمحت له هذه الدراسة بأن يحدد كيفيتين للكلام:

« التكلم بنوع من الشدة (tension)، أو بالعكس التكلم بكيفية هادئة (détendue)، وجعل السامع يحس هذا بواسطة استعمال وحدات متكررة ليؤقلم سماعه». يقول في هذا السياق: «أليس في هذا تجربة قام بها كل واحد منا في مقامات تواصل مختلفة؟ لا تتشابه إحدى الكيفيتين مع الأخرى، لكل كيفية ميزاتها الخاصة»[168].

هاتان الكيفيتان تبدوان كقطبين متعاكسين، فهناك موقف يدرج **شدة** يقابل موقفا يولد **هدوء** بهذا الشكل:

نحو الهدوء	نحو الشدة
(détente)	(tension)

فالخطاب الشديد يتبدى وهو يلفت انتباه المتلقي، إنه الخطاب الذي يشد (السامع) أما الخطاب الهادئ فهو الخطاب الذي لا يفعل شيئا للفت الانتباه[169].

حينما "يكون للمتكلم موقف شديد فإن عباراته تكون حادة (aiguisé) لأن ما يتكلم عنه يمسه من قريب وعليه أيضا أن يمس هذا الذي يوجه إليه الكلام، فالاثنان يعنيهما الأمر، فهما يؤثران ويتأثران"[170].

لقد سمحت هذه النظرة عند واينريش بتقسيم الخطاب إلى قسمين كبيرين:

---

(166) - J.P.Laurent .A.Fossion : lectures nouvelles p 93

(167) - H.Weinrich : le temps .Paris 1973

(168) - نفسه ص 30

(169) - J.P.Laurent .A.Fossion ; lectures nouvelles p 94-95

(170) - Weinrich : le temps p33

- قسم التعليقات (commentaires)، وقسم السرد (les récits)، ولكن ما هي العلامات اللغوية التي تسمح بإدراج خطاب ما في أحد هذين القسمين ؟.

يعيد واينريش مسألة التقسيم هذه إلى أزمنة الأفعال، فالاستعمال الكثير للحاضر (présent) والماضي المركب (passé composé) والمستقبل (futur) بالإضافة إلى عوامل أخرى لغوية وغير لغوية يسمح للمتكلم أن يوجد نفسه في مقام الشدة (tension) مع ما يريد أن يقول ليلفت انتباه السامعين.

أما استعمال الماضي البسيط (passé simple) والماضي غير التام (l'imparfait) والماضي المركب الثاني (plusque parfait) والشرط (conditionnel)، والماضي السابق (passé antérieur)، فتميز السرد وتغيب فيه علاقة الشدة بين المتكلم والكلام.

ولابـــد من الإشـارة هنا إلى أن كيـفية توزيـع الأزمنـة بين التعليـق والسرد شكل محور اهتمام كبير عند واينريش، وسمح له بتوليد مصطلح هام هو الإظهار (la mise en relief) فقد لاحظ أن هناك لا تناظر (dissymétrie) في توزيع أزمنة الماضي بين التعليق و السرد و وجد الآتي:

التعليق	السرد
الماضي المركب (passé composé) الماضي غير التام (l'imparfait) أحيانا	الماضي المنقضي (passé simple) الماضي غير التام الماضي السابق (passé antérieur) الماضي المركب الثاني (plus que parfait)

وقد فسر هذا التوزيع استنادا إلى المقام بأنه موقف تعبيري (attitude de locution)، ففي التعليق يملك المتكلم مجموعة من العناصر الخارجية (مثل الإشارة) وأخرى من العناصر اللغوية مثل (الإشاريات déictiques) تسمح بوضع بعض البروز في التلفظ.

يقول معلقا على هذه المسألة:

« في العالم المعلق عليه نحن عند أنفسنا (nous sommes chez nous)، ولنا مع هذا العالم ألفة يومية، وحينما نكون في مقام التعليق، نستطيع بطبيعة الحال تحريك (استغلال) عناصر عديدة في المقام نفسه، وتسمح هذه العناصر بتوجيه الفهم وبصفة خاصة يكون من اللائق معرفة ما إذا كان موضوع الخطاب يتلاءم مع المقام الذي يوجد فيه السامعون وتسمح الإشارات (gestes) والعناصر الإشارية في اللغة بإبراز ذلك»[171].

---

[171] - Weinrich : le temps p 151-116

وإذا كان التعليق يحتاج أكثر إلى العناصر الخارجية لتحقيق إبراز العلاقة بالمقام، فإن السرد يحتاج أساسا إلى أزمنة الفعل.

«في العالم المحكي، لا يتدخل المقام الخارجي بالكيفية نفسها، والمتكلم لا يستطيع أن يخلق علاقة عن طريق الإحالة المباشرة إلى المقام، وبالتالي فالسرد يلتفت إلى ما هو لغوي»[172].

5- تحليل الانسجام: من الفعل الكلامي إلى البنى النصية:

إذا كان تكلم لغة كما يقول سيرل هو« تحقيق أفعال كلامية: أفعال مثل التأكيد وإعطاء الأوامر وطرح الأسئلة وإعطاء الوعود»[173]، فإن هذه الأفعال عولجت عند سيرل من منظور الانطلاق من الجملة والانحصار فيها. وبعبارة أخرى فإن هذه الأفعال التي يسميها إنجازية والتي يصاحب كل فعل منها فعلان آخران هما فعل الإسناد (acte de prédication) وفعل الإحالة (acte de référer) تتحقق في الجملة الواحدة.

غير أن هذا البناء للفعل الكلامي داخل الجملة تسعى لاندكيست إلى توسيعه إلى ما هو أكبر من الجملة أي إلى النص وتؤسس هذا التوسيع على أن وظيفة اللغة تتأسس على ثلاثة أبعاد: الإحالة، الإسناد والتأثير، تقول في هذا السياق:

«... بهذه الطريقة، ننسجم مع منطلقنا المتمثل في تطبيق الإجراء نفسه على مستويي التحليل: الجملة والنص، وهذا الإجراء له أساس معرفي، الوظيفة الثلاثية للغة: الإحالة والإسناد والتأثير»[174].

والأساس الذي تستند إليه في هذا التوسيع هو انطلاقها كما رأينا سابقا، من تصور للنص على أنه يتكون من ثلاث بنى مختلفة: البنية الموضوعاتية، البنية الدلالية والبنية التداولية، ولكل بنية من هذه البنى الثلاث مقابل من أحد الأفعال الثلاثة التي هي فعل الإحالة وفعل الإسناد وفعل الإنجاز.

1.5- كيف يتم التحليل في مستوى الجملة و العبور منه إلى مستوى النص؟

---

(172) - J.P.Laurent ,A.Fossion : lectures nouvelles , p 97

(173) - Searle : les actes de langage. p 52

(174) - Lundquist : la cohérence textuelle , p 68-69

لنتذكر أن منطلق سيرل في تحديد أفعال الكلام كان النظر إلى الجملة من حيث إنها تتكون من ثلاث أفعال هكذا:

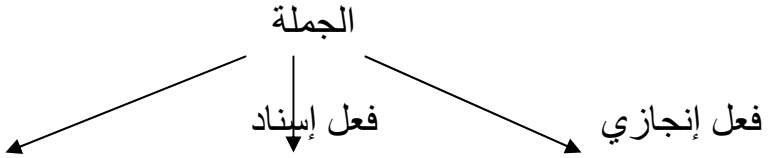

غير أن التعامل مع نظرة سيرل لمكونات الفعل الكلامي لا تسمح بإيجاد العلاقات بين الجمل المتتابعة، فنحن نستطيع مثلا أن نحدد لكل جملة مكوناتها من حيث الأفعال فنحدد ما نتكلم عنه (فعل الإحالة) ونحدد العلاقات الإسنادية بين عناصرها (فعل الإسناد) ونحدد ما يريد المتكلم الوصول إليه (فعل الإنجاز) لكننا نبقي في حدود هذه النظرة التي لا تكشف العلاقات بين تتابع الجمل. وإذا كان الهدف عند لاندكيست هو توسيع النظرة إلى ما هو أكبر من الجملة استنادا إلى نظرتها للنص على أنه يتكون من ثلاث بنى وتقابلها الأفعال الثلاثة بهذا الشكل:

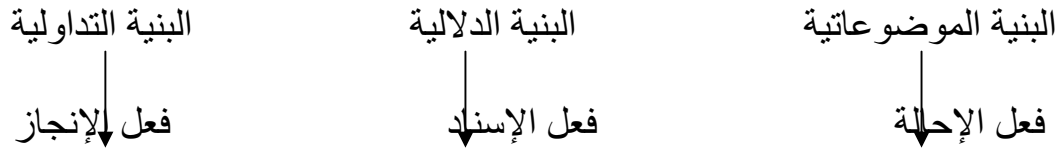

فإنها تجد نفسها مدفوعة إلى اللجوء إلى نحو الحالات (grammaire des cas) من حيث إنه نحو أكثر بلورة يسمح باكتشاف مختلف العلاقات بين عناصر الجملة الواحدة، كما يسمح باكتشاف مختلف العلاقات التي تنسج في تتابع للجمل مكون للنص.

2.5- حدود استغلال "نحو الحالات":

تقف لاندكيست عند المبادئ العامة للتحليل في نحو الحالات، وهذه المبادئ يمكن حصرها في:

- ترك مفاهيم **الفاعل** (sujet) والمفعول (objet) في السطح من حيث هي مفاهيم نحوية وتقييد المفاهيم العلائقية دلاليا في البنية العميقة والتي تسم العلاقات التي يكونها المشاركون في المقام.
- يتحدد مفهوم الحالة من حيث إنه:

- تحديد علاقات تركيبية – دلالية مقدرة (sous-jacent)
- مفهوم الحالة يعمل بالعلاقات التي تكون للاسم مع بنية الجملة التي يوجد فيها
- تحدد الحالات أو الأدوار التي تقوم بها الوحدات في الإسناد

- لتحديد العلاقات الحالية (relations casuelles) التي تنشأ بين المركبات الاسمية يتم الانطلاق من الفعل باعتباره المكون الأساسي، فهو بهذا محور التحليل لأن مختلف الأدوار تحدد بواسطته.
- انطلاقا من الحالات المحددة تتم صياغة قواعد تأليف (règles de combinaison) معجمية ودلالية وتركيبية.
- حين يصل التحليل إلى مرحلة تصنيف الوحدات المعجمية وتحليل بناءات الأفعال والصفات تتوقف لاندكيست ولا تدخل في التفاصيل التي يدخل فيها **نحو الحالات** وتكتفي باستخراج مختلف الحالات وتحديد قائمتها.

1.2.5- نظرة فيلمور للجملة:

تحتوي الجملة عند فيلمورعلى قضية (proposition) وحكم (modalité) ويمكن تقديمها بهذا الشكل:

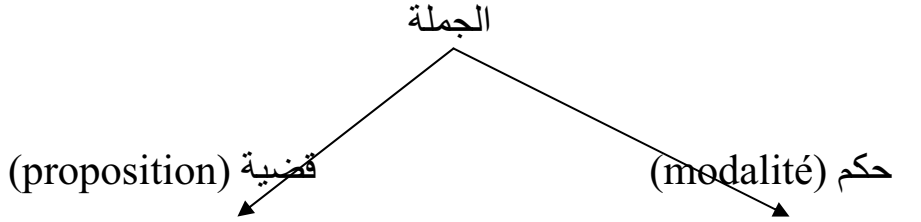

وانطلاقا من أن الفعل هو المحور الذي تدور حوله بقية عناصر الجملة وهو الذي يحدد مختلف الأدوار للمركبات الاسمية التي تحيط به، فإنه يمكن تفصيل الشكل السابق كما يلي:

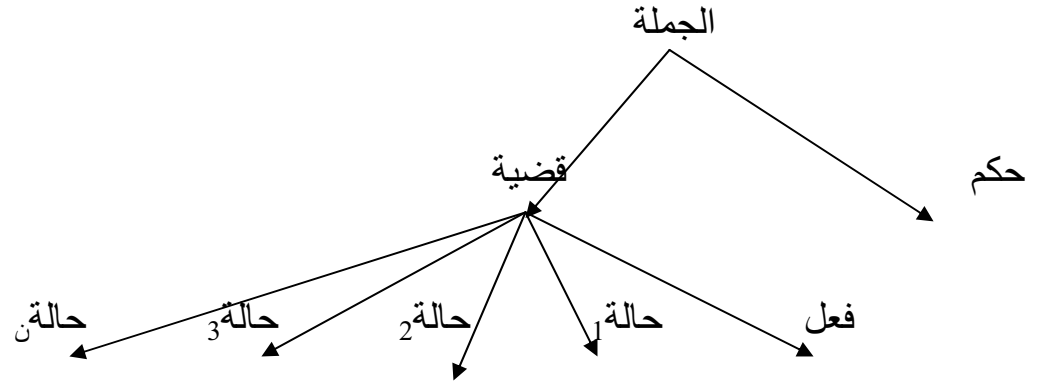

2.2.5- كيف يتم التحليل استنادا إلى نحو الحالات:

إن مكونات التحليل الحالي (analyse casuelle) المتمثلة في الحالة (cas)، والفعل والحكم (modalité) تتلاءم في نظر لاندكيست مع الأفعال الثلاثة: فعل الإحالة، فعل الإسناد وفعل التأثير على مستوى الجملة ومع المستويات الثلاثة للنص التي هي المستوى الموضوعاتي والمستوى الدلالي والمستوى التداولي.

إن أوّل ما يقوم به المحلل هو تحديد المحتوى القضوي (contenu propositionnel) والنظر إلى مختلف العلاقات التي ينشئها الفعل مع المركبات الاسمية حتى يتسنى له تحديد قائمة الحالات، غير أن ما يطرحه تحديد هذه القائمة من مشاكل على مستوى التحليل جعل فيلمور يلجأ إلى اقتراح قائمة مسبقة: [175]

المنفذ (Agentive)	المصدر (Source)
المجرب (Experiencer)	الهدف (Goal)
الأداة (Instrument)	المكان (Location)
الموضوع (objective)	الزمان (Time)
المعية (Comitative)	المستفيد (Benefactive)

تعتمد لاندكيست في توظيف هذه القائمة على ما قامت به فرقة بجامعة كوبنهاغن، وقد عملت هذه الفرقة على التحليل الحالي الآلي (analyse casuelle automatique)، واستنادا إلى نتائجها من جهة وعملا بمبدأي التحليل: الوحدة (unicité)، الشمول (universalité). تحدد لاندكيست قائمة بسبع حالات تنقسم هي بدورها إلى خمس عشرة حالة ثانوية يمكن تقديمها في الشكل التالي:

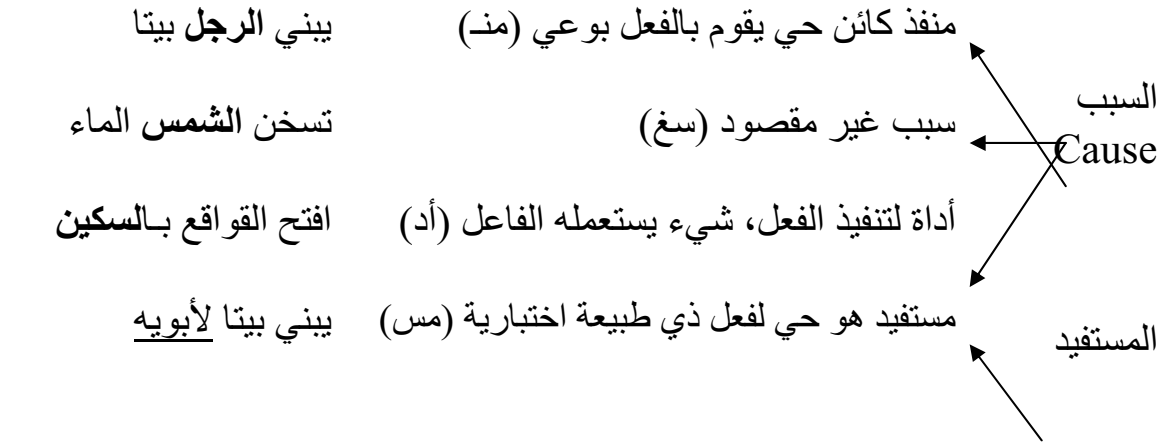

(175) ـ نفسه ص 73- 74

مجرب يحس بحدث نفسي أو عقلي (مج) يأمل (هو) في النجاح

الموضوع:
- موضوع محسوس (مو محـ) اغل ثلاث لترات من الماء
- موضوع مجرد (مو مجـ) يأمل أن ينجح

المصدر:
- مصدر محسوس يشكل شرطا للفعل (مص محـ) بلل بالكريمة المغلية وعصير الليمون
- مصدر مجرد تشكل شرطا للفعل (مص مجـ) يعلن القاضي الحكم إن وقع الاقتناع عنده بـ ...

الهدف:
- الهدف من الفعل (هد) قلل من النار حتى يبقى غليان قليل
- نتيجة الفعل (نت) عين وزيرا أولا

الزمان:
- ظرف زمان تحديد زماني للفعل (ظر ز) عندما يبدأ الغليان مرة أخرى قللوا من النار
- المدة، الامتداد الزمني للفعل (مد) اتركها تنضج أربعين دقيقة

المكان:
- تحديد مكاني للفعل (تحـ مكـ) حك الأرز في الماء العذب
- وجهة مكانية للفعل (وجـ) ضع الأرز في الإناء

إذا كانت الحالات السابقة هي حالات تعكس علاقات ديناميكية مردها أساسا إلى الفعل باعتباره المحور، فإن الجملة الفرنسية كما تلفت الانتباه لاندكيست تضع المحلل أمام أحد تمظهراتها التي يكون فيها الفعل الدال على الحال (est) هو المحور ويربط بين مركبين اسميين. وفي هذا السياق مقترح حلا يتمثل في اعتبار المركب الاسمي الأوّل موضوعا مجردا (objet abstrait) أو موضوعا محسوسا (objet) حسب دلالة الاسم إما على شيء مجرد أو شيء محسوس أما الاسم الثاني فإنه يرمز إليه بالرمز θ فنحصل على:

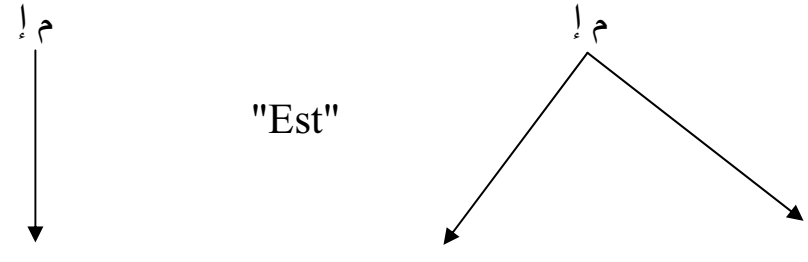

مو ـ مجـ مو ـ محـ θ

بعدما يتم تحديد المحتوى القضوي (contenu propositionnel) وتحدد مختلف الأدوار الحالية يتم الانتقال إلى الشق الثاني من التحليل وهو ما تسميه لاندكيست المحتوى الحكمي (contenu modal)، وتستند في هذه المرحلة من التحليل على علامات التلفظ (indices de l''énonciation) عند بنفينيست، وقد سبق أن أشرنا إليها ونحن نتكلم عن العلاقات المختلفة التي تتم بين أقطاب التواصل.

من خلال تحديد الأدوار الحالية اعتمادا على الفعل باعتباره المحور الذي تنطلق منه كل عملية تحديد، ومن خلال تحديد مختلف الأحكام (les modalités) اعتمادا أساسا على نظرية التلفظ لبنفينيست، فإنه يمكن رسم معالم الطريقة التي تحلل بها النصوص لكشف انسجامها.

فالجملة هي ثلاث محطات هكذا:

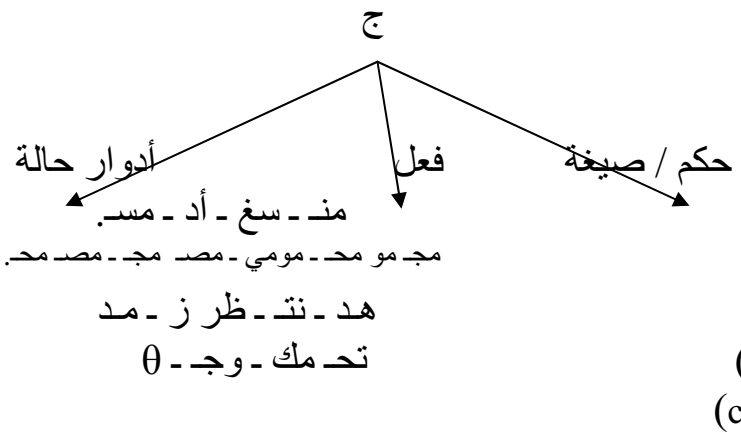

3.5- الجانب الإجرائي عند لاندكيست:

إن ما يكتسبه تحليل لاندكيست من أهمية من حيث قدرته على تمكين المحلل من تلمس مظاهر الانسجام في مستويات مختلفة من جهة، ومن حيث إمكانية ما يقدمه للنواحي التعليمية (وتوجهات المنظـومة التعليمـية ينحو نحو المقاربة النصية) من جهة أخرى يدفعـنا إلى عـرض خطواتهـا الإجرائيـة التي حللت بها مجموعة من النصوص واستطاعت بهذا التحليل أن تضع أيدينا أما تجليات الانسجام في هذه النصوص.

1.3.5- خطوات التحليل:

ـ تحديد جمل النص المراد تحليله وترقيمها.
ـ تحديد مختلف الأدوار الحالية (rôles casuels).
ـ تحديد مختلف علامات الأحكام (indices modaux).
ـ وضع الأدوار التي تم تحديدها في صنافة (grille).
ـ وضع علامات التلفظ في صنافة.

ـ دراسة الانسجام من خلال هاتين الصنافتين.

يتم في الصنافة الأولى دراسة الانسجام الموضوعاتي (cohérence thématique) انطلاقا من توزيع الوحدات الإحالية (entités référentielles)، ويدرس الانسجام الدلالي في مرحلتين:

- انطلاقا من الصنافة الأولى يتم النظر إلى العلاقات التركيبية ـ الدلالية أي العلاقات التي تنشئها الأفعال بين مختلف الوحدات الاسمية ويمثل هذا **النظرة الأفقية**.
- النظر إلى كل متتالية حالية (suite casuelle)، لتحديد أهم الروابط الدلالية بين الوحدات المعجمية المرتبة في الفئة نفسها.

أما في الصنافة الثانية فيتم دراسة الانسجام التداولي.

وقد رأينا أن ننقل هنا نصا حللته اعتمادا على نحو الحالات من جهة وعلى تصورها البنى الثلاث في النص كما عرضناها سابقا.

موت الماريشال فاسيلفسكي
الوزير السابق للقوات المسلحة

1. توفي (ف) الماريشال (مو مح) (الكسندر فاسيلفسكي الذي كان وزيرا للقوات المسلحة من مارس 1949 إلى مارس 1953 تاريخ وفاة ستالين) يوم الإثنين 5 ديسمبر (ظر ز) في موسكو (تحـ . مك)
2. كان له اثنين و ثمانين سنة. Ø
3. حارب (ف) الكسندر فاسيلفسكي (منـ) المولود في 1895 في عائلة راهب أوثوذوكسي (θ)، ابتداء من 1915(ظر ز) في صفوف الجيش اليساري (تحـ. مكـ).
4. بعد الثورة (ظر ز) شارك (فـ) في المقاومة (مو مجـ) ضد البيض على رأس فيلق مشاة الجيش الأحمر. (تحـ .مك)
5. دخل (ف)+(منـ) إلى هيئة الأركان(وجـ) في 1937 (ظرز).
6. منذ بداية الحرب (ظر ز) كلف (ف)(مسـ) بمراقبة العمليات العسكرية (مو مجـ).

6أ. في 1942 (ظر.ز) أصبح (ف) قائد هيئة الأركان والنائب الأول لوزير الدفاع.(نت)

8. ساهم (ف) حينئذ (ظر.ز) في إعداد خطط عدة معارك منها معركة موسكو ومعركة ستالينغراد و معركة كوراك (مو.مجـ).
9. خلال خريف 1944 (ظر.ز) كلفه (ف)،(مس) ستالين(منـ) بالعمليات في الشرق الأقصى (مو.مجـ).

10. حينما (دخل الاتحاد السوفياتي في حرب ضد اليابان)(ظر ز) كان الماريشال فاسيلفسكي(منـ) يقود(ف) القوات السوفياتية(مو محـ) في منشوريا وفي كوريا (وجـ).
11. في 1949، (ظر ز) عين(ف) θ(مو محـ) وزيرا للدفاع(نت) و(11) احتفظ (ف)θ(منـ) بهذا المنصب(مو مجـ) حتى وفاة ستالين.(ظر ز)
13. أصبح(فـ) بعد ذلك(ظر ز) نائب وزير الدفاع.(نت)
14. غادر(ف)(منـ) العمل(مو مجـ) في 1957.(ظر ز)

15. أشادت(ف) مذكراته(أد) المنشورة في 1973 بخصال ستالين(مسـ) العسكرية.
15أ. و لكنها(أد) اتهمت(ف) الديكتاتور القديم(مسـ) بقسوته(مو مجـ) مع الضباط الذين فشلوا.

الجملة	الفعل	سبب غير مقصود	المنفذ	الأداة	المستفيد	المجرب	موضوع محسوس	موضوع مجرد	مصدر محسوس	مصدر مجرد	Ø	الهدف	النتيجة	الزمن	المدة	تحديد مكاني	وجهة
العنوان	موت					م.ف											
1	توفي					م.ف											
2	كان					هو			82سنة			الاثنين 5ديسمبر		في موسكو			
3	حارب	أ.ن										ابتداء من1915		في صفوف الجيش			
4	شارك	هو					في المقاومة							على رأس جيش			
5	دخل	هو										في 1937		إلى هينة			
6	كلف		هو			بمراقبة العمليات						منذ بداية الحرب					
6أ	أصبح					هو						قائد ونائب في 1942					
8	ساهم	هو					في إعداد خطط					حينئذ					
9	كلف	ستالين		هو			بالعمليات في الشرق										
10	كان يقود	م.ف					قوات سوفيتية					حينما دخل		في منشوريا وكوريا			
11	عين				هو	هذا المنصب						وزيرا للدفاع في1949					
11أ	احتفظ	هو										حتى وفاة ستالين					
13	أصبح				هو							نائب الدفاع بعد ذلك					
14	غادر	هو				العمل						في1957					
15	أشادت			مذكراته بخصال ستالين													
15أ	اتهمت			هي الدكتاتورية		بقسوته											

2.3.5- دراسة الانسجام:

بعدما يتم تحديد مختلف الأدوار في هذا النص الذي أخذناه نموذجا، يتم وضع كل حالة في خانتها، ثم يدرس الانسجام انطلاقا من التصور الذي انطلقت منه لاندكيست فيما يتعلـق بالمسـتويات الثلاثة (المستوى الموضوعاتي والمستوى الدلالي والمستوى التداولي).

1.2.3.5- على المستوى الموضوعاتي:

يتحقق الانسجام في هذا النص من خلال مجموعة من الوحدات اللغوية التي تتقاسم الاشتراك الإحالي (coréférence) على الموجود العيني نفسه، فالنص يبدأ بعنوان ذكر فيه اسم الماريشال فاليسفسكي وبهذا الذكر تتحقق الإحالة الأولى من المعطى اللغوي إلى المعطى العيني بهذا الشكل:

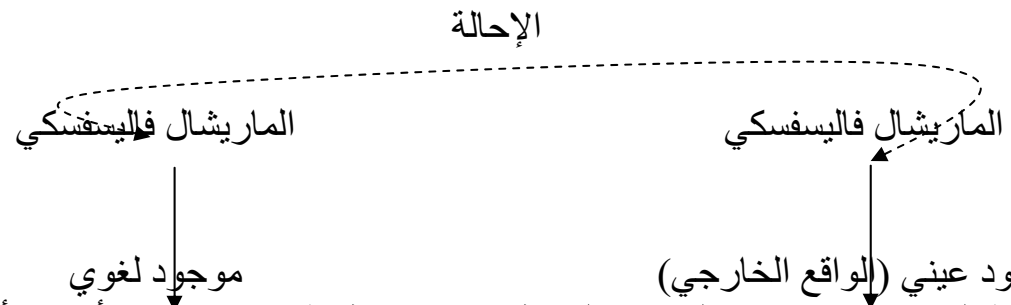

ثم يأخذ النص مسارا متتابعا لوحدات لغوية إما تكرارية بذكر الاسم مرة أخرى أو إحالية داخلية [176]، بهذا الشكل:

العنوان	الماريشال فاليسفسكي
ج1	الماريشال فاليسفسكي
ج2	هو
ج3	الكسندر فاليسفسكي
ج4	هو
ج5	هو
ج6	هو
ج6أ	هو
ج8	هو
ج9	هو
ج10	الماريشال فاليسفسكي

[176] - فرقنا بين الإحالة الداخلية والخارجية من حيث كون الأولى تتحقق فيها العلاقة : واقع لغة لغة

أما الثانية فتتحقق فيها العلاقة واقع لغة فقط

ج11 هو
ج11أ هو
ج13 هو
ج14 هو

وبهذا يتبين لنا أن النص ينطلق من قاعدة موضوعاتية (base thématique)، ليطورها في مسار النص من خلال تدرج بموضوع واحد.

2.2.3.5- على المستوى الدلالي:

لدراسة الانسجـام على المستوى الدلالي تقوم لاندكيست بقراءتين، إحداهما أفقية تستخرج من خلالها انسجاما ممكنا في التنظيم التركيبي الدلالي للنص (organisation syntaxico-sémantique)، والأخرى عمودية تحدد من خلالها العلاقات الدلالية بين الوحدات المعجمية.

فبالنسبة للقراءة الأولى، يسمح النظر إلى الصنافة الأولى بملاحظة الأدوار الحالية التي يلعبها المحـيل عليه الرئيـسي (référent principal)، الذي شكل موضوع النص والدور الحالي (ظر.ز) والدور الحالي (مو مجـ)، والدور الحالي (مو. مجـ).

فالمحيل عليه الرئيسي تتوزع أدواره الحالية بين (منـ) (مو محـ)، وحين يكون (منـ)، فإنه يكون مصحوبا بعدد من (مو مجـ) (ينظر الصنافة) وحين يكون (مومحـ) فإنه يحتل حيزا يعكس التغيير الذي يطرأ على هذا المحيل عليه الرئيسي.

و يلاحظ أن الدور الحالي (ظر.ز) يهيمن، فهو يتوزع عبر جميع الجمل باستثناء (ج1 وج13) وهذا التكرار لهذه الأدوار الحالية لـ (ظر.ز) تعطي للنص طابعه السردي، وتساهم في صنع انسجامه.

حينما ننظر إلى هذه الأدوار من خلال الصنافة فإنه يمكن ترتيبها كالتالي :

- ظر. ز.
- منفذ.
- موضوع محسوس.
- موضوع مجرد.

إن هيمنة ظرف الزمان والمنفذ ينسجم تماما مع الترجمـة (Necrologie)، وهي في الأساس ترجمـة تحدد الفـترات الأساسـية (ظر. ز) والنشاطات (منـ) التي يقوم بها شخص ما"[177].

أما بالنسبة للقراءة الثانية فيتعلق الأمر فيها بقراءة عمودية تسمح بتحديد بعض الوحدات التي يتحقق فيها الترابط الدلالي، وتساهم في البنية الدلالية للنص وتلعب دورا في انسجامه.

---

[177] - Lundquist : La cohérence textuelle, p 102

فالناظر للنص السابق يجد أن الوحدات الدالة على الزمن تتتابع زمنيا وهذه الوحدات تنقسم إلى ثلاثة أقسام فهي إما وحدات دالة على الزمن مطلقا أو عبارات دالة على الزمن أو ظروف، ويمكن تمثيلها في الجدول الآتي:

الجملة	الدلالة الزمنية المطلقة	العبارات الدالة على الزمن	ظروف دالة على الزمن
1	الاثنين 5 ديسمبر 1977		
3	في 1895/ ابتداء من 1915		
4		بعد الثورة	
5	في 1937		
6		منذ بداية الحرب	
6أ	في 1942		
8			حينئذ
9	خلال خريف 1944		
10		حينما دخل الاتحاد السوفياتي في حرب ضد اليابان	
11	في 1949		
11أ		حتى وفاة ستالين	
13			بعد ذلك
14	في 1957		
15	في 1973		

إن هذه الدلالات الزمنية سواء تمظهرت في دلالات زمنية محددة كما هي الحال في الخانة الأولى من الجدول أو في عبارات زمنية (الخانة الثانية) أو ظروف (الخانة الثالثة) فإن هذه التمظهرات المختلفة تشترك في خاصية واحدة هي التتابع الزمني الذي يندرج في سياق حياة الماريشال فاليسفسكي التي تحدها بداية هي 1895، ونهاية هي 1977 بهذا الشكل:

حياة الماريشال فاليسفسكي

1895
ابتداء من 1915
بعد الثورة
في 1937
منذ بداية الحرب
حينئذ

خلال خريف 1944
حينما دخل الاتحاد السوفياتي في حرب ضد اليابان
في 1949
حتى وفاة ستالين
بعد ذلك
في 1957
في 1973
1977

وبالإضافة إلى هذا التتابع الزمني الذي يتتبع فيه النص حياة الماريشال، هناك علاقات دلالية ضمنية مختلفة تساهم في صنع انسجام النص. فيمكن مثلا استنتاج العلاقة الدلالية لأفراد الجنس (d'hyponymie)، حيث تكون حياة الماريشال فاليسفسكي التي يحدها التاريخان (1895-1977) اسم الجنس (un hyperonome).
كما يمكن ملاحظة وجود علاقات مختلفة تقوي انسجام النص منها التنويعات الدلالية التي تعكس التغيرات المختلفة التي طرأت على حياة الماريشال ففي خانة النتيجة نجد مثلا:

قائد هيئة الأركان و النائب الأوّل لوزير الدفاع (ج6).
وزيرا للدفاع (ج11)
نائب وزير الدفاع (ج13)

هناك أيضا علاقة التضاد:

حارب في صفوف الجيش اليساري (ج3)
شارك في المقاومة ضد البيض (ج4)

فالنظام القيصري = البيض
و منه: حارب في صفوف الجيش اليساري = المقاومة ضد البيض.
كما يمكن ملاحظة علاقة التكافؤ بين:
المقاومة ضد البيض = المشاركة في الجيش الأحمر.

وهكذا يتبين لنا من خلال الصنافة الأولى أن النص منسجم موضوعاتيا من حيث إنه يحيل على المحيل عليه نفسه (le même référent).
ومنسجم دلاليا من حيث إنه يتكلم عن بعض الفترات من حياة هذا المحيل عليه.
ومن منطلق أن النص تتجاذبه ثلاث بنى هي البنية الموضوعاتية، والبنية الدلالية، وقد رأينا خلال الصنافة الأولى كيف يتحقق الانسجام في المستويين الموضوعاتي والدلالي، والبنية التداولية فإن دراسة هذه الأخيرة يتم من خلال الاعتماد على نظرية التلفظ لبنفينيست كما أشرنا إلى ذلك سابقا، ويكون ذلك بالاعتماد على الصنافة الثانية.

الجملة	Personne(الشخص)	Temps(الزمن)	Mode(الصيغة)	Voix(البناء)	Connecteurs(الروابط)
العنوان	هو				
1		P.Composé (ماض مركب)	Indicatif الإخبار		
2		imparfait ماض غير تام	active (للمعلوم)		
3		passé S (ماض منقض)			
4		"			
5		"			
6		présent (المضارع/الحاضر)		passive (للمجهول)	
6أ		"	active (للمعلوم)		
8		"	"		حينئذ(alors)
9		P.S	"		
10		IMP (ماض غير تام)	"		
11		P.S	للمجهول		
11أ		P.S	للمعلوم		
13		"	"		بعد ذلك(ensuit)
14		"	"		
15	هـــي	ماض غير تام	"		
15أ	هـــي	" "	"		

فعلى مستوى الزمن هنالك وحدتان تدرجان هذا النص في الخطاب (discours) بمفهوم بنفينيست وهما الوحدتان الزمنيتان الدالتان على الماضي المركب (passé composé).
وتساهمان في إدراج هذا السرد الصحافي (récit journalistique) المتعلق بالوفاة التي حدثت في حاضر القراء. تأتي بعد ذلك بقية الأفعال دالة على الماضي المنقضي، أو الماضي غير التام، وتتم من خلال تتبع مختلف مراحل الماريشال من حيث هي أحداث في الماضي.
أما على مستوى الصيغة (mode) فالملاحظ أن صيغة الإخبار(mode indicatif) هي الوحيدة المستعملة وهي صيغة محايدة وموضوعية، وأفعال النص كلها مبنية للمعلوم باستثناء (6 و11)، وهي تتماشى مع ارتباط النص بالكلام عن نشاطات شخص معين.

وخلاصة القول في هذا المستوى (أي المستوى التداولي) أن الانسجام الحكمي (la cohérence modale) موضوعي من حيث غياب ضميري المتكلم والمخاطب، وهي قصة مؤطرة في خطاب و تغيب فيها الوحدات الدالة على التحقير مثل الظروف والصفات التحقيرية أو المدحية ، ويعطي هذا للنص وظيفة إنجازية تتمثل في الإخبار والإعلان الإعلام.
ويمكن تمثيل هذا بجملة، هكذا:

الصحافي (مرسل)
يعلم (فعل إنجازي)
قارئ (مستقبل)
جريدة لوموند (القناة)

أن الماريشال ف (النص)

↓

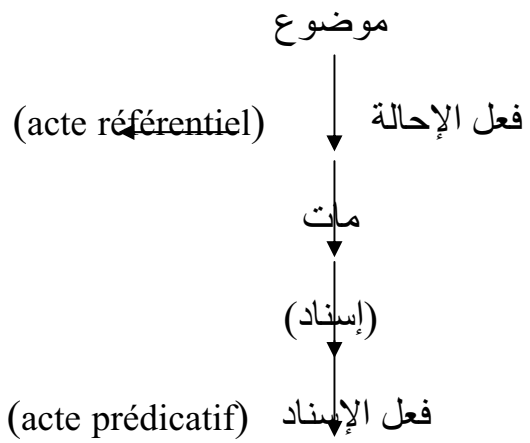

6- خلاصة:

لقد انطلقت لاندكيست من تصور للنص على أنه ينتظم حول ثلاثة أفعال مختلفة مثله، مثل الجملة وهي:

- فعل الإحالة.
- فعل الإسناد.
- الفعل الإنجازي.

ويمكن تصور الانسجام النصي على أنه تفرع لهذه الأفعال الثلاثة حيث يحتوي كل فعل منها تمظهرات لغوية مختلفة، ويمكن تمثيل هذه التعالقات كما يلي:

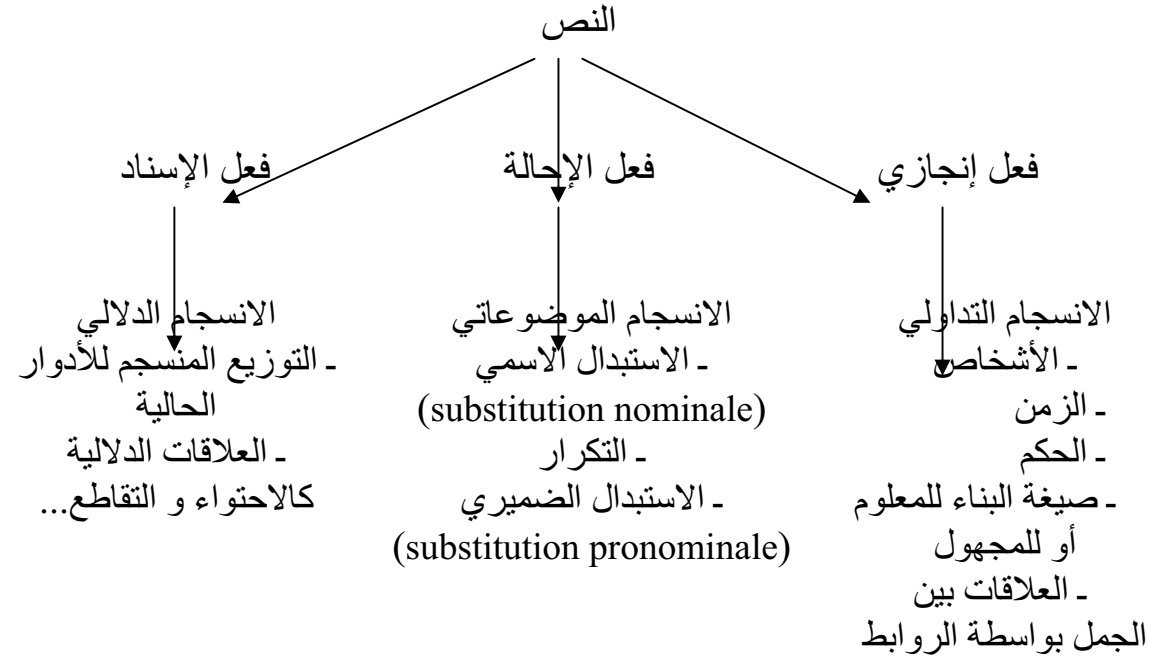

الفصل الثــالث:
الانسجـام ومسألــة التلقي:
مدخل إلى نظرية الحصافة

تمثل نظرية الحصافة (théorie de pertinence) ثمرة عمل استمر خمس عشرة سنة بين الأنثروبولوجـي الفرنسي دان سبيربر (Dan SPERBER) وعالم اللسان البريطاني دايردر ويلسن (Deirdre WILSON) وقد ولدت هـذه النظريـة نقـاشـات واسعـة وكانت مصدر تحفيز لكثير من الدارسين في مجالات مختلفة وقد أدرجها صاحبا (Dictionnaire Encyclopédique de pragmatique) ضمن النظريات التداولية.

ترتبط هذه النظرية أساسا بتفعيل السياق في عملية التلقي أو بعبارة أخرى بالتركيز على دور السياق في عملية التلقي و حكم المتلقي على ما يتلقى. و هذا الحكم قد يكون بالحصافة أو بعدمها، غير أن هذا الحكم لا يتأتى له إلاّ بتوظيف مجموعة من المعطيات يكون قد خزنها في الذاكرة.

1 - منطلق النظرية:

ينطلق صاحبا النظرية من الملاحظة الآتية المتعلقة بالتعامل اللغوي:
هناك مخاطب ينتج خطابا. وبجريان الخطاب فإن المخاطب (المتلقي) يتذكر أو يبني مجموعة من الفرضيات تساهم في معالجة المعلومات، وتمثل هذه الفرضيات خلفية تطرأ عليها تغييرات تدريجية بواسطتها تتم معالجة المعلومة الجديدة. وتأويل قول ما لا يقف عند حدود معرفة الفرضية التي يعبر عنها بوضوح، ولكن معرفة الآثار التي تحدثها هذه الفرضية الجديدة في الفرضيات التي تمت معالجتها سابقا وهكذا «يجب أن تدرك الآثار السياقية للفرضية الجديدة في سياق هو على الأقل محدد جزئيا بواسطة أفعال فهم سابقة»[178].

إن نظرة الانطلاق هذه تجعلنا نمثل العلاقة في مرحلتين إحداهما هي البداية أي حينما يبدأ المتكلم في الكلام و يكون السامع خالي الذهن لا بمفهوم أنه لا يملك شيئا في ذهنه ولكن بمفهوم أنه لا يعرف ما سيقول المتكلم، وشروع المتكلم في الكلام يصاحبه المتلقي في بناء الفرضيات.
وكلما تقدم المتكلم سمح ذلك للمتلقي بأن يمحص الفرضيات على ضوء بعضها البعض، فكل فرضية جديدة ينظر إليها من زاوية الفرضيات التي تمت بلورتها. وفي المقابل ينظر إلى مدى ما تحدثه هذه الفرضية الجديدة من أثر في الفرضيات القديمة.
« كل فرضية جديدة تعالج في سياق يتكون من فرضيات هي نفسها تمت معالجتها حديثا»[179].
فحينما يتحقق تأثير قول ما أو فرضية ما في ما بلوره المتلقي من فرضيات سابقة نقول حينئذ أن هناك **حصافة**.
وإذا تأملنا هذا المنظور فإننا نستطيع أن نستنتج أنه يتأسس على مسألة الأثر السياقي (l'effet contextuel).

2 - مفهوم الأثر السياقي:

يلعب مفهوم الأثر السياقي دورا هاما في وصف سيرورة الفهم اللغوي (le processus de compréhension verbale)، كما يسمح بوصف خاصيتين أساسيتين

---

(178) - SERBER (D) , WILSON (D): La pertinence: Communication et cognition. Les éditions de MINUIT. Paris , 1989. P181

(179) - نفسه .ص 182 .

لفهم الأقوال. فالفهم يضع في الحسبان معالجة مجموعة من الفرضيات معا وداخل هذه المجموعة تشكل بعض الفرضيات معلومة جديدة تعالج في سياق يتكون من معلومات هي نفسها سبقت معالجتها. وحينما نكتشف أن هذه الفرضيات أحدثت أثرا فإننا نتكلم هنا عن **أثر سياقي**، وهكذا كلما أحدثت المعلومة أثرا سياقيا دل ذلك على أنها حصيفة.

لو انطلقنا الآن مما قلناه في الفقرة السابقة واعتبرناها سياقا مثلا ورمزنا لذلك بالرمز **س** ثم أضفنا إليها السياق الآتي المرموز له بالرمز **ص**.

1. ص$_1$: ستمطر السماء غدا حسب معلومات الأحوال الجوية.

فإنه من المستبعد أن تحدث الفرضية ص **أثرا سياقيا** في **س**، وبالتالي فهي ليست حصيفة، ويعود سبب ذلك إلى أن السياق **س** لا يحتوي فرضيات يمكن أن تتفاعل مع **ص**، وعليه فـ 1:

- لا يحدث اقتضاءات سياقية.
- لا يغير قوة الفرضيات الموجودة في السياق **س**.

و منه نستخلص أن هذا السياق لا علاقة له مطلقا بالسياق **س**.

إذا افترضنا الآن أن القارئ في سياق ما بلوره من فرضيات في الفقرة التي أشرنا إليها سابقا قلنا له:

2. أنت تقرأ بحثا[180].

فإن الفرضية التي يعبر عنها هذا القول يستبعد أن تحدث أثرا في الفرضيات س التي بلورها القارئ، وبالتالي فهي فرضية لا تحدث أثرا سياقيا لأن القارئ واع تماما بأنه يقرأ بحثا وعليه لا يضيف إليه المثال جديدا.

لو فرضنا الآن أن القارئ الذي بلور مجموعة الفرضيات س وهو يقرأ قلنا له:

3. أنت نائم نوما عميقا.

فإن هذه الفرضية المعبر عنها بواسطة 3 تتناقض تماما مع مجموعة الفرضيات التي بلورها هذا القارئ من حيث هو **قائم بعملية القراءة**، و لا يتصور أن يقرأ وينام في الوقت نفسه، وبالتالي فإن إضافة المثال 3 إلى السياق الذي يوجد فيه هذا القارئ يؤدي إلى إلغاء هذا المثال، ولنقل أن هذا المثال لا يحدث أثرا سياقيا.

يخرج سبيربر وويلسون إلى خلاصة مفادها أن هناك ثلاث حالات لا يكون فيها لفرضية من الفرضيات أي أثر سياقي يجسد الحالة الأولى المثال1، فالمثال يأتي بمعلومات

---

(180) ـ هناك إشارات طريفة عند ابن السراج وهو بصدد الكلام عن المبتدأ والخبر، تعكس مفهوم الفائدة وعلاقتها بالمتكلم والمخاطب. يقول في هذا السياق:

« ... وإنما يراعي في هذا الباب وغيره الفائدة فمتى ظفرت بها في المبتدأ وخبره فالكلام جائز وما لم يفد فلا معنى له في كلام غيرهم. وقد يجوز أن تقول: **رجل قائم** إذا سألك سائل فقال: أرجل قائم أم امرأة؟ فتجيبه فتقول رجل قائم. وجملة هذا أنه إنما ينظر إلى ما فيه فائدة. فمتى كانت فائدة بوجه من الوجوه فهو جائز وإلا فلا. (الكلام هنا عن الابتداء بالنكرة) ... فإذا اجتمع اسمان معرفة ونكرة فحق المعرفة أن تكون هي المبتدأ وأن تكون النكرة الخبر لأنك إذا ابتدأت فإنما قصدك تنبيه السامع بذكر الاسم الذي تحدثه عنه ليتوقع الخبر بعده. فالخبر هو الذي ينكره ولا يعرفه ويستفيده » ص 64 .

وفي سياق آخر:

« فإن قال قائل: فأنت تقول: الله ربنا ومحمد نبينا و **هذا معلوم معروف** قيل له: هذا إنما هو معروف عندنا وعند المؤمنين وإنما نقوله **ردا على الكفار** وعلى من لا يقول به. ولو لم يكن لنا مخالف على هذا القول لما قيل إلا في التعظيم والتحميد» ص 72 .

ثم يجرد المسألة بعد التمثيل فيصل إلى هذه القاعدة:

« وأصل الكلام موضوع للفائدة وإن اتسعت المذاهب فيه، ولكن لو قال قائل **النار حارة** و **الثلج بارد** لكان هذا كلاما لا فائدة فيه وإن كان الخبر فيه نكرة » ص 73 .

جديدة ولكن لا توجد أية علاقة بين هذه المعلومات والمعلومة الموجودة في الفقرة التي بلورت فيها الفرضيات **س**، ويجسد الحالة الثانية المثال2، فالمعلومة التي يقدمها توجد في السياق الذي يوجد فيه القارئ وهو سياق القراءة وبالتالي فإنها لا تملك القوة التي تحدث بها تأثيرا، ومن هنا فهي معلومة غير مفيدة أما الحالة الثالثة فيجسدها المثال3، وهي تتناقض مع السياق الذي يوجد فيه القارئ وبالتالي لا تستطيع أن تحدث أثرا سياقيا. وتسمح لنا هذه المعطيات بتمثيل الحالات السابقة كالآتي:

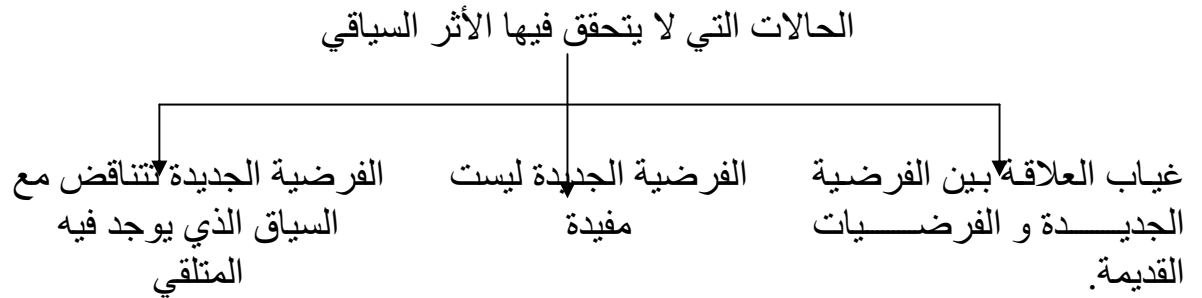

وهكذا يتبين لنا أن الأمثلة الثلاثة السابقة من منطلق أنها لم تحدث أثرا سياقيا فإنها **ليست حصيفة**.

ولكن هل التعارض بين سياق لاحق (أو قول لاحق)، وبين سياقات سابقة استطاع من خلالها المتلقي أن يبلور مجموعة من الفرضيات يعني دائما عدم الحصافة؟، يضعنا سبيربر وويلسون أمام حالة اختراق إن صح التعبير فقد يحدث أن تكون الفرضية التي يحملها القول لا تؤثر سياقيا في الفرضيات السابقة وليست حصيفة من منظور هذه الفرضيات، ولكن يمكن أن تكون بعدم الحصافة هذه أكثر حصافة.

في مقام كلامي، قد يلجأ المتكلم إلى أقوال تتعارض تماما مع السياق والفرضيات التي بلورها المتلقي ليعبر عن رغبه في تغيير وجهة الكلام، ومن هنا فإن التعبير عنها يعتبر هو في حد ذاته حصيفا. يقول سبيربر وويلسون في هذا السياق:

« يمكن أن نكون حصيفين حينما نعبر عن فرضيات غير حصيفة بشرط أن يكون فعل التعبير عنها هو نفسه حصيفا»[181].

و يسمح هذا بالخروج إلى القاعدة الأولى:

قاعدة 1 :

حين لا يكون لفرضية ما آثار سياقية في سياق معين، فإنها لا تكون حصيفة في هذا السياق = حدوث أثر سياقي في سياق معين هو شرط ضروري لتكون الفرضية حصيفة.

ولكن هل تحقق الأثر السياقي هو شرط ضروري وكاف للحصافة؟، يجيب سبيربر وويلسون بالإثبات ويضعاننا أمام مثال واقعي في مقطع حواري قصير بين جامع للتبرعات

---

[181] - La pertinence . P 185

في طرق لندن وبين أحد المارة، ونورده هنا حتى يتبين للقارئ كيف يحدث الأثر السياقي أثناء عملية التبادل الكلامية.
المثال [182]:
ـ جامع للتبرعات في طرق لندن: هل تريد أن تشتري شعار المؤسسة الملكية للإنقاذ في البحر.
1. أحد المارة : لا، شكرا، أنا أقضي دائما عطلي عند أختي في بيرمنغهام.
حتى يتمكن المتلقي من إدراك حصافة الجواب لابد له من أن يكون على دراية ببعض المقدمات مثل:
2. أ ـ أن بيرمنغهام بعيدة عن البحر.
ب ـ أن المؤسسة الملكية للإنقاذ في البحر هي مؤسسة خيرية.
ج ـ أن إحدى الطرق التي تتم بها مساعدة مؤسسة خيرية هي شراء أحد شعاراتها.
د ـ أن شخصا ما لا يريد أن يقضي عطلته على شاطئ البحر ليس في حاجة إلى خدمات المؤسسة الملكية للإنقاذ في البحر.
هـ ـ أن شخصا ما ليس في حاجة إلى خدمات مؤسسة خيرية لا مسوغ له لمساعدتها.
3. هذا المار لا حاجة تدعوه ولا مسوغ لأن يساعد المؤسسة الملكية للإنقاذ في البحر.

هناك علاقة متينة بين1 و3 ويعتبر3 اقتضاء سياقيا (implication contextuelle) لـ 1، ولكن هذا الاقتضاء الذي يجعلنا نحكم على أن جواب هذا المار حصيف لا يتأتى إلاّ إذا توفر 2 بمجموعة المعطيات التي يحملها وبعبارة أخرى فإن المتلقي الذي لا يملك 2 لا يستطيع أن يصل إلى الاقتضاء 3، أي أنه لا يستطيع أن يدرك حصافة الجواب الذي أعطاه المار، وعلى العكس من ذلك فالذي يملك 2 يحكم على الجواب بأنه حصيف في سياقه.
لو أردنا أن نجرد المسألة بعض الشيء ورمزنا للأمثلة 1 و2 و3، بالرموز س$_1$ وس$_2$ و س$_3$، حيث س تعني هنا السياق فإننا نخرج إلى الخلاصات الأولى التالية:

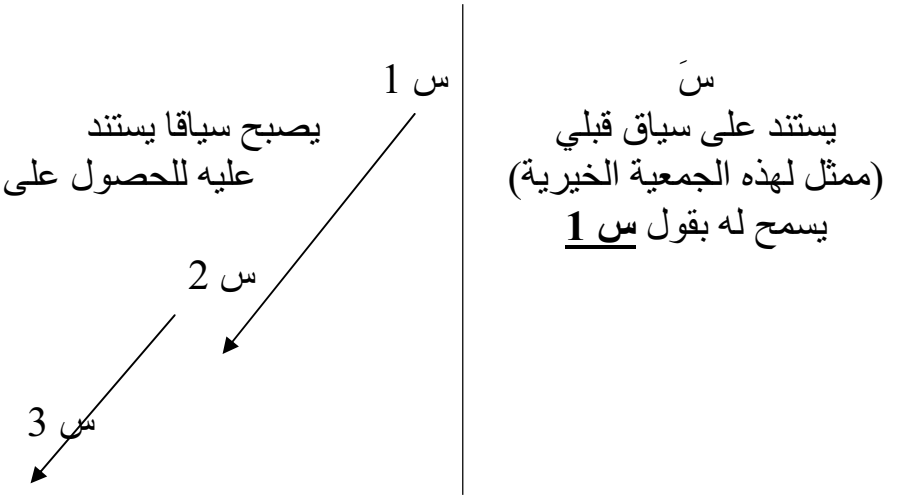

[182] ـ نفسه ص 186 .

س$_1$ حصيف بدلالة س وس$_2$ حصيف بدلالة س$_1$، لأن كونه جوابا يعني أن س$_1$ أحدث أثرا وس $_2$ حصيف بدلالة س$_3$.

3- مفهوم السياق:

رأينا من خلال الأمثلة التي عرضناها أن فرضية جديدة ما تعالج دائما في سياق فرضيات سابقة (ينظر إلى المثال السابق)، وهذه الفرضية تتآلف مع هذه الفرضيات لتحدث مختلف الآثار السياقية، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو التالي:
إذا كانت الفرضيات هي مجموع ما تعطيه السياقات فكيف يتأتى للفرد أن يختار من مجموع ما يملكه من فرضيات الفرضيات الملائمة؟ إن الجواب عن هذا السؤال يرجعنا إلى مفهوم السياق عند سبيربر وويلسون.

يندرج مفهوم السياق عند الباحثين في إطار علم النفس المعرفي ومن المعروف عند أصحاب هذا المجال أن هناك تصورا لوجود معرفة مشتركة (savoir mutuel) يتقاسمها الذين يقومون بعملية التبادل (Echange). غير أن هذه المعرفة المشتركة لا تأخذ طابعا مطلقا عند هما بحيث تنطمس كل معالم الخصوصية الفردية:

« من دون شك أن الآدميين، وهم يبلورون تمثلهم للعالم. محدودون بقدرات عقلية خاصة بالنوع البشري. ومن دون شك أن كل أفراد مجموعة ثقافية يتقاسمون عددا من التجارب والمعارف والمواقف. ولكن خارج الإطار المشترك ينحو كل فرد نحو تطوير معرفة خاصة به»[183].

وإذا كان التركيز هنا ينصب على الجانب الفردي[184]، فإن هذا يخدم مسألة تصور المقام من طرف الباحثين على أنه مجموع المقدمات (prémisses) المستعملة لتأويل (interprétation) قول ما. فالسياق هنا هو بناء سيكولوجي (une construction psychologique) هو مجموعة من الفرضيات التي يملكها المتلقي حول العالم.

---

[183] ـ نفسه ص 31 – 32 .

[184] ـ هناك نظرات أخرى ردت في سياق كلامها عن التواصل مثل جاك ميرمون(Jacques MIERMONT) في مقال له منشور في الانترنت تحت عنوان : contexttualisation , communication et cognition
ويرى أن التواصل لا يختزل في الاستعدادات الذهنية(aptitudes mentales) الفردية. يقول في هذا الصدد:« لا يمكن أن نختزل التواصل في الاستعدادات الذهنية الفردية لكل من أطراف التواصل، إذا اعتبرنا أن الذهن يعمل(procède) بتأثير عدد من الأنظمة المشتركة بين الأفراد حيث تكون للأدوات والمنتوجات التقنية والتنظيمات الاصطناعية آثار سياقية واضحة في تكوين التواصل. وعلاقة التبادل وتأثيرات المساهمين غير المعروفة والجمهور الحاضر أو الموجود خلف الكواليس وأنظمة الانتماء والأفق الابستيمي المرتبط بـ النسل(phylogenèse) والتطور الثقافي هي أيضا جزء من سياق السياقات(contexte des contextes) » .

« وبطبيعة الحال، فإن هذه الفرضيات، وليست الحالة الواقعية للعالم، هي التي تؤثر في تأويل القول»[185].

ولكن ما المقصود بمصطلح الفرضية؟، يجيبنا الباحثان بأنها فكرة (une pensée)، أي «تمثيل مفهومي معالج من فرد كتمثيل للعالم » [186].

وعلى هذا الأساس فإن السياق بهذا المفهوم لا ينحصر دوره في فرز التأويلات غير الملائمة، ولكنه يشكل المقدمات التي تسمح بالوصول إلى الضمنيات (les implicitations).

« لا ينحصر دور السياق في فرز التأويلات غير الملائمة، بل يصنع المقدمات التي بدونها لا يمكن استنتاج الضمنيات»[187].

إن ربط السياق بمنظور ما يملكه المتلقي في ذهنه من جهة وبمفهوم الضمنيات هو الذي يجعل الفهم الاستنتاجي (compréhension inférntielle) يتعلق بسيرورة عامة توظف مجموعة المعلومات المفهوماتية (informations conceptuelles) التي يملكها المتلقي عبر ذاكرته المفهوماتية، ويلعب الاستنتاج هنا مجموعة من الأدوار فهو:

- يكشف وجود تناقضات أو عدم وجودها بين فرضية ونتائجها.
- يكشف وجود تناقضات أو عدم وجودها بين فرضية وفرضيات أخرى.
- يسمح باقتصاد الفرضيات غير المتينة.

ويتعلق الاستنتاج بضم معلومات جديدة إلى معلومات قديمة. وحين تضم هذه المعلومات الجديدة إلى القيمة فإن ذلك يسمح ببلورة مفاهيم جديدة تسمح بتغيير أو بتحسين السياق ويتمظهر هذا التغيير أو هذا التحسين في:

- إثبات الفرضيات القديمة (التي سبق أن بلورها المتلقي) من منطلق أن الفرضيات الجديدة لها مناسبة أو ملاءمة مع هذه الفرضيات.
- إضعاف الفرضيات القديمة ويصل هذا الإضعاف إلى حد الإلغاء حينما تكون الفرضيات الجديدة في تناقض مع الفرضيات القديمة.
- ملاحظة أن التناقض بين الفرضيات القديمة والفرضيات الجديدة لا يمكن إزالته لأن الفرضيات تتساوى في القوة مما يؤدي إما إلى البحث عن فرضيات إضافية وتحذف بذلك الفرضيات غير الصحيحة أو إلغاء اللجوء إلى كل الفرضيات الجديدة وفي هذه الحالة لا يتحقق الأثر السياقي.

1.3- مبدأ الانتقاء في السياق:

---

[185] - La pertinence , P 31 .

[186] - نفسه ص 12 .

[187] - نفسه ص 62 .

إذا كان السياق الذي تعالج فيه فرضية جديدة هو مجموع الفرضيات السابقة، فكيف يتم انتقاء مجموعة الفرضيات هذه من مجموع الفرضيات التي يملكها المتلقي في ذاكرته؟، للجواب عن هذا السؤال يعود سبيربر وويلسون إلى نظرة كثير من الأعمال التداولية إلى السياق ويريان أن هذه الأعمال تفترض ضمنا أو صراحة أن السياق الذي يفهم فيه قول ما ليس هو موضوع اختيار، ففي كل تبادل كلامي يكون السياق معطى ومحددا، بل إن السياق يكون محددا قبل أن تبدأ عملية الفهم وهكذا:

« تتفاعل الفرضية المعبر عنها بوضوح بواسطة قول مع سياق حاضر في ذهن المتلقي في الوقت الذي يبدأ فيه فعل التلفظ»[188].

أن هذا التحديد المسبق سواء أكان **قبل** بداية عملية الفهم أو أن تشكله يكون **مع** بداية عملية الفهم فإنه يؤدي إلى أمور غير معقولة كما يرى الباحثان، ولكن ما سبب هذه الأمور غير المعقولة؟.

يضعنا الباحثان أمام مجموعة من الأمثلة يتدرجان بها تدرجا يوضحان من خلاله بكيفية غير مباشرة ما يطلبه مبدأ الحصافة من قلة للمجهود وتناقضه من هذه الزاوية مع منظور التحديد المسبق للسياق. ونستحسن أن نعرض هذه الأمثلة بشيء من الاختصار حتى يتسنى للقارئ أن يمثل مبدأ الحصافة وعلاقته بالسياق.

الأمثلة:

الحالة 1

المقطع الأول

أ : أنا متعب

ب : إذا كنت متعبا فأنا أحضر الوجبة

المقطع الثاني

أ : أنا متعب

ب : سأحضر الوجبة

ملاحظة : لا فرق بين الجوابين فكلاهما حصيف.

يتكون سياق الفهم هنا من الفرضية المعبر عنها بوضوح من طرف **أ** ولكن هذا لا يكفي لأن بناء ما قاله **ب** على ما قاله **أ** فقط يجعلنا نخرج إلى خلاصة أن **ب** لا يوجد له اثر سياقي في هذا السياق، وبالتالي فهو ليس حصيفا وغياب صفة الحصافة يتأتى من كون ما يوظفه المتلقي ليس فقط هو ما يعطيه المتكلم.

الحالة 2: تتأسس أمثلة المجموعة الثانية على تصور أن سياق الفهم يكون من كل الفرضيات المعبر عنها بوضوح بواسطة الأقوال السابقة وكل الضمنيات، لهذه الأقوال، مثلا يمكن تصور أن ما قاله **أ** كان حصيفا إذا سمح بتضمين فرضية مثل:

3. يتمنى **أ** أن تحضر **ب** الغداء.

إذا أدرجنا 3 ضمن السياق الذي يستقبل فيه **ب** ما يقوله **أ** فإن إجابات 1 و2 يقتضيان سياقيا السياق4:

---

[188] ـ نفسه ص 202 .

4 ـ تقوم **ب** بما يرجوه أ
الحالة 3: أ ـ أنا متعب.
ب ـ التحلية جاهزة، أنا أعد الأكلة الأساسية.
لا يفسر السياق السابق ولا الفرضيات التي تترتب عنه ما قالته 4 في هذه الحالة واختفاء صفة الحصافة على ب3 يتطلب مقدمة مثل 5.
5 ـ تحتوي الوجبة على الأقل على أكلة أساسية وتحلية.
وبإضافة5 إلى السياق يمكن أن نصل إلى الاقتضاء السياقي 6 انطلاقا من ب 3.
6 ـ ستحضر4 الوجبة.

خلاصات أولى:
ـ يمكن أن نشتق من6 و 3 الاقتصاء السياقي 4، ويمكن أن نشتق هذا الاقتضاء 4 من سياق محدود انطلاقا من 1 و2.
ـ لا يمكن لـ أ أن يفهم 3 إلاّ إذا وضع في الحسبان مقدمة مثل 5.
و بالتالي فـ:
ـ سياق الفهم لا ينحصر فقط في مجموع الفرضيات الصريحة أو الضمنية الموجودة في الأقوال السابقة، فـ أ حينما قال مثلا أنا متعب لم يقل لا صراحة و لا ضمنا أن الوجبة تتكون من.....، فالفرضية5 تستنتج من المدخل الموسوعي لمفهوم الوجبة.

و منه فـ:

س (السياق) = فرضيات الأقوال السابقة الضمنية أو الصريحة + المداخل الموسوعية.

يورد بعد ذلك سلسلة أخرى من الأمثلة ليدقق من خلالها مفهوم الحصافة في علاقته بالسياق. وهذه الأمثلة تدرج في كل مرة عنصرا جديدا.

الحالة 1: أ ـ أنا متعب.
ب ـ التحلية جاهزة، أنا أحضر أوسو ـ بيكو.
الحالة 2: أ ـ أنا متعب.
ب ـ التحلية جاهزة، أنا أحضر الأكلة التي يختص بها مطعم كابري.

إذا كانت الأمثلة السابقة خاصة منها الثالث من حيث إدراجه لمفهوم الوجبة وما يتطلبه من مجهود فإن المثالين في الحالتين4 و5 يقتضيان العودة إلى كثير من المعارف الموسوعية، فـ (أوسو ـ بيكو) هو مدخل جديد لم يرد فيما قال أ وهو مدخل يرجعنا إلى مدخل آخر هو **الوجبة** حتى نحكم عليه بأنه وجبة أساسية و**الكابري** مدخل معجمي جديد يعيدنا إلى الأوسو– بيكو... وهذا الأخير يعيدنا إلى مفهوم الوجبة.

إن هذا التوسيع للسياق يضاعف من مجهود المعالجة. وهذه الكيفية التي يتشكل بها السياق تؤدي إلى ضياع عام للحصافة (perte globale de pertinence) لأنها تعدد المداخل المتوالدة من بعضها، ويصبح السياق الذي يتم فيه فهم الأقوال محتويا على كل المعرفة الموسوعية للمتلقي، وهذا السياق الموسع يؤدي إلى بذل مجهود يتناسب عكسا مع مفهوم الحصافة.

2.3- كيف يتم اختيار السياقات ؟:

ينطلق سبيربر وويلسون من تقسيم الفرضيات التي توجد في بداية عملية الاستنتاج في ذاكرة الجهاز الاستنتاجي (la mémoire du dispositif déductif) إلى مجموعتين منفصلتين. وعالج كل مجموعة في سياق المجموعة الأخرى. ويسمح هذا التقسيم ببلورة تمييز هام على المستوى النفسي بين المعلومات التي يتجه إليها انتباهنا (وهي عموما معلومات جديدة)، والمعلومات التي تبقى في الخلف وتلعب دورا مساعدا (وهي عموما معلومات قديمة).

فبالنسبة للمعلومة الجديدة يتم ربطها بمجموعة مناسبة من الفرضيات المساعدة الموضوعة في ذاكرة الجهاز الاستنتاجي، وهذه المجموعة تشكل السياق المنتقى وتأتي الفرضيات من مصادر مختلفة:

- من الذاكرة قصيرة المدى.
- من الذاكرة طويلة المدى.
- من الإدارك.

في بداية كل عملية استنتاج تحتوي ذاكرة الجهاز الاستنتاجي مجموعة أولى من الفرضيات أو بعبارة أخرى مجموعة من المقدمات (premisses) تحسب كل الاقتضاءات غير المبتذلة لهذه المجموعة من المقدمات وتقوّي كل الفرضيات التي يمكن أن تقوى وفي نهاية هذا الإجراء إذا لم يوجد أي تناقض فإن ذاكرة الجهاز الاستنتاجي تكون محتوية على كل مقدمات المنطلق (وقد يكون البعض منها ازداد قوة) وكل النتائج التي استخلصت مجددا.

يشير الباحثان على سبيل الافتراض أن: «كل الاقتضاءات المركبة (implications synthétiques) المتحصل عليها حديثا وكل المقدمات التي طبقت لها قاعدة تركيب (synthétique)، وكل المقدمات التي تمت تقويتها تبقى في ذاكرة الجهاز الاستنتاجي»[189].

---

[189] - نفسه ص 211 .

أما بقية الفرضيات التي تلعب دورا وبقيت في ذاكرة الجهاز الاستنتاجي أي المقدمات التي لم تستغل أو لم تتغير قوتها فإنها تمحي من الجهاز الاستنتاجي ومحوها لا يعني زوالها نهائيا، بل إنها تبقى مدة في ذاكرة قصيرة المدى يسميانها الذاكرة المفهوماتية (mémoire conceptuelle) [190]، تشكل الفرضيات التي لم تمح من ذاكرة الجهاز الاستنتاجي في نهاية الاستنتاج سياقا تعالج فيه المعلومات الجديدة التي يستقبلها المتلقي.

1.2.3- ماذا يتم في ذهن المتلقي ؟:

حينما يستقبل المتلقي قولا ما فإنه يشرع في تأويله على ضوء ما يملك من معطيات ويصبح ما توصل إليه من فرضيات سياقا يستقبل فيه القول اللاحق و تتحول مجموعة من الفرضيات الموجودة في ذاكرة الجهاز الاستنتاجي و التي لم تلعب دورا في تأويل القول السابق إلى ذاكرة عامة قصيرة المدى[191].

تمثل الفرضيات التي تبقى في ذاكرة الجهاز الاستنتاجي أي تأويل القول السابق السياق المباشر (immédiat) الذي يعالج فيه القول الجديد. وهذا السياق المباشر قابل للتوسيع بكيفيات مختلفة.

يمكن مثلا أن يوسع بالرجوع إلى الوراء و إضافة فرضيات تم التوصل إليها سابقا أو بإضافة مداخل موسوعية (entrées encyclopédiques) لبعض المفاهيم الموجودة إما في السياق أو في الفرضية التي يكون المتلقي بصدد معالجتها[192]، كما يمكن أو يوسع السياق بإضافة معلومات عن المحيط المباشر المشاهد وهكذا فحينما يتعلق الأمر بفهم ما هو لغوي:

---

[190] ـ هناك ذاكرتان قصيرتا المدى إحداهما يسميانها ذاكرة الجهاز الاستنتاجي(mémoire du despositif déductif) والأخرى يسميانها الذاكرة المفهوماتية(mémoire conceptuelle) ويستدل الباحثان على وجود هاتين الذاكرتين بقدرة الإنسان أن يوزع انتباهه بين مهمتين. وعلى أية حال فإن الذاكرة المفهوماتية يخزن فيها السياق الذي لم يوظف وبالتالي فإن الفرضية الراجحة عند الباحثين هي أن الفرضيات التي محيت من ذاكرة الجهاز الاستنتاجي يحتفظ بها مدة في هذه الذاكرة المفهوماتية.

[191] ـ يمكن أن نمثل لتقسيم الذاكرة عند ويلسون سبيربر بالشكل الآتي:

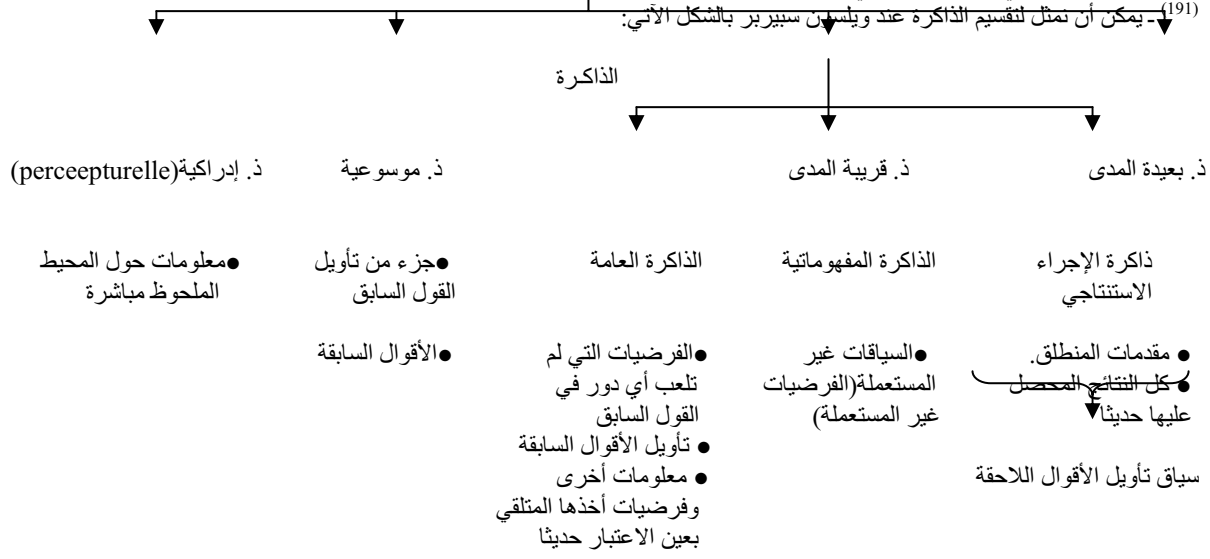

[192] ـ ولكن هذه التوسيعات ليست ثابتة دائما. وإنما يتم توسيع السياق كلما اقتضت الضرورة ذلك التوسيع فقط. وهذه تعكس تصور الباحثين للسياق على أنه نتيجة اختيار وهو جزء من عملية التأويل نفسها. وهذا يلغي النظرة الأخرى التي تنظر إلى السياق على أنه ثابت ومحدد مسبقا، إذ النظر إليه هكذا يعد ضربا من العبث .

«يكون اختيار سياق محددا جزئيا بمحتويات ذاكرة الجهاز الاستنتاجي والذاكرة العامة قصيرة المدى والذاكرة الموسوعية من جهة ومن جهة أخرى بالمعلومة التي تم إدراكها مباشرة في المحيط الفيزيائي»[193].

2.2.3- ترتيب الأحداث في عملية الفهم:

من العادة، أن تفترض الأعمال التداولية ترتيبا للأحداث المتعلقة بالفهم، وتنطلق في هذا الترتيب من تصور أن السياق ثابت تأتي بعد ذلك إجراءات التأويل ليتم بعد ذلك تقدير الحصافة، وهكذا تصبح الحصافة متغيرا تحدد قيمته على ضوء السياق الثابت بهذا الشكل:

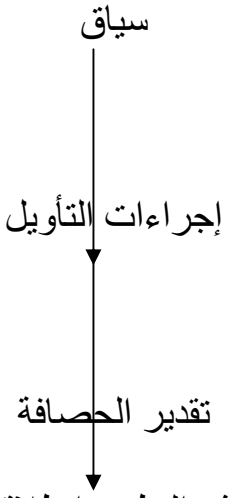

يرد سبيربر وويلسون على هذه النظرة انطلاقا من وجهة نظر نفسية، فالبشر لا يهدفون إلى تقدير حصافة المعلومات الجديدة الواردة إليهم ولكن إلى معالجة هذه المعلومات بكيفيات أكثر فعالية كلما أمكن ذلك، ويسعون بذلك إلى الوصول بالأثر السياقي إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه بأقل مجهود ممكن.

فـ «ليس لعملية الفهم غاية هي تقييم الحصافة، فهذه الأخيرة ما هي إلاّ وسيلة من أجل غاية أخرى تتمثل في جعل المعلومة المعالجة أكثر حصافة» [194].

وعلى هذا الأساس فإن ترتيب الأحداث يكون معكوسا في نظرية الحصافة فلا يبدأ بتحديد السياق مسبقا ثم تأتي بعد ذلك إجراءات التأويل/ فتقدير الحصافة ولكن تكون العملية هكذا:

---

[193] - La pertinence . P 214 .

[194] - نفسه ص 215 .

فرضية في إطار المعالجة + رغبة في كونها حصيفة.

اختيار سياق يبرر هذه الرغبة.

وصول إلى جعل الحصافة أكبر.

يمكن رسم هذا الاختلاف بين النظريتين في الجدول الآتي:

	التحليل التداولي	التحليل من منظور نظرية الحصافة
السياق	معطى	متغير
الحصافة	متغير	معطى

4 - بين نظرية الحصافة ومنظور قرايس (Grice):

رأينا في ما تكلمنا عنه سابقا الفرق بين أن سبيربر وويلسون في نظريتهما وبين النظرات المختلفة في التحليل التداولي من حيث إن نظرتهما تنطلق من تصور للتواصل اللغوي يعتمد الحصافة ثابتا، بينما تنطلق التحاليل التداولية المختلفة من تصور مغاير يكون السياق ثابتا، وهذا ما جعلهما يقارنان بين نظرتهما ونظرة قرايس.

ونرى من المستحسن في هذا السياق قبل أن نعرض المقارنة بينهما، أن نعرض نظرة قرايس بشيء من الاختصار.

1.4- نظرة قرايس:

ينطلق قرايس من تصور أن التبادل اللغوي يتبع منطقا مؤسسا على مبدأ التعاون (principe de coopération)، فالمشاركون في عملية التواصل يحددون هدفا أو عدة أهداف مشتركة في اتجاه متفق عليه من الجميع، وهذا يصوغه في شكل مبادئ موجهة إلى المتعاملين.

وتتعارض هذه النظرة مع نظرة قديمة للغة في علاقتها بالاستعمال. فهذه النظرة القديمة كانت ترى أن مجموع المعطيات التداولية (coordonnées pragmatiques) المكانية والزمانية والشخصية الخاصة، ومجموعة من المعارف المشتركة بين المتكلمين هي التي تحدد قيمة الاستعمال لقول ما في السياق.

فالنظرة الكلاسيكية كما يقول موشلر: « تفترض أن معنى قول ما في الاستعمال (منظور إليه على أنه متغير) مرتبط بالسياق (منظور إليه على أنه ثابت) الذي يرد فيه»[195]، غير أن نظرة قرايس كانت تتمثل في أن مساهمة المتكلمين يحكمها أثناء التبادل مبدأ يمثل قاسما مشتركا متفقا عليه ضمنيا، ويسميه مبدأ التعاون.

فالتعاون بالنسبة لقرايس يتمثل بالنسبة للمساهم في عملية تواصل في تحقيق ما هو مطلوب منه على ضوء جريان المحادثة والوجهة التي تأخذها، ويعبر قرايس عن هذا المبدأ بقوله:

«لتكن مساهمتك في المحادثة، في وقت وقوعها، متماشية مع ما يتطلبه الهدف أو الوجهة المقبولة للتبادل اللغوي الذي شرعت فيه»[196].

ويعبر قرايس عن هذا المبدأ العام بواسطة صياغة أربع قواعد فرعية يشكل اتحادها هذا المبدأ العام و هذه القواعد هي: [197]

- مبدأ النوعية
  - ♦ لتكن مساهمتك صادقة
  - ♦ لا تؤكد ما تعتقد أنه خاطئ
  - ♦ لا تؤكد ما لا تملك عليه دليلا
- مبدأ الكمية
  - ♦ لتكن مساهمتك محتوية على ما هو مطلوب من معلومات
  - ♦ لتكن مساهمتك غير محتوية على أكثر مما هو مطلوب من معلومات

---

[195] - Anne REBOUL و J . MOESCULER : Dictionnaire encyclopédique de pragmatique . P 201 .

[196] - نفسه ص 204 .

[197] - المرجع السابق ، ص 204 وما بعدها .

نظرية الحصافة	منظور قرايس

مبدأ العلاقة
- تكلم عن ... (كن حصيفا)
- كن واضحا
- تجنب الكلام بغموض
- تجنب أن تكون مبهما

وتتجلى قيمة هذه المبادئ في تمكين المتلقي من أن يخرج إلى بعض النتائج. وتمثل هذه النتائج محورا هاما عند قرايس إذ يعالجها تحت تسمية الاقتضاءات (implicatures)[198]، ويسعى قرايس باستعماله هذا المصطلح إلى تمييز بعض ما يمكن أن يستنتج من القول عن الاقتضاءات المنطقية الحقيقية (implicateures logiques véridiques) فالاقتضاءات مؤسسة على استعمال اللغة من جهة وتأخذ بعين الاعتبار الذي لم يقل والضمنيات (les implicites) والحذف من جهة أخرى. ومفهوم الاقتضاء هو الذي سمح بتفسير الفرق بين دلالة الجملة (la signification de la phrase) ومعنى القول (sens de l'énoncé).

2.4- فيم تختلف نظرية الحصافة عن نظرة قرايس؟:

يورد سبيربر و ويلسون مجموعة من الفروق بين نظرتهما ونظرة قرايس نوردها في الجدول اللاحق حتى يتسنى للقارئ المقارنة والخروج بصورة عامة عن كلتا النظريتين:

---

(198) ـ يفرق موشلر في Dictionnaire encyclopedique de pragmatique بين نوعين من الاقتضاءات(implicatures) هما: الاقتضاءات الاتفاقية(implicatures conventionneles) والاقتضاءات المحادثاتية(implicatures conversationnelles). ويستند في هذا التفريق على ملاحظة قرايس حول مسألة أن بعض الأقوال تدل على أكثر مما تدل عليه الوحدات المكونة لها مجتمعة . فهناك إذن قصد من المتكلم أن يعطي أكثر من المعنى الحرفي للجملة(sens littéral).
حين تكون الاقتضاءات متولدة عن طريق عبارة لغوية تسمى حينئذ **اقتضاءات اتفاقية** وحين تكون الاقتضاءات متولدة عن مبادئ عامة لها علاقة بالتواصل وبـ**العقلانية**(rationalité) تسمى **اقتضاءات محادثاتية** .
تمثيل للاقتضاء الاتفاقي من المعجم الموسوعي:
جون انجليزي فهو **إذن** شجاع.

إن المتكلم حين يقول هذا الكلام فهو يقول من جهة أن **جون انجليزي**، وأنه **شجاع** ولكنه لم يقل حرفيا أن شجاعته هي وليدة كونه انجليزيا ولكنه **يضمن** هذا المعنى عباراته. ووجود كلمة **إذن** يضعنا أمام اقتضاء اتفاقي.

تمثيل للاقتضاء المحادثاتي :
يسأل أ : كيف هو العمل الجديد لـ جـ في البنك ؟
يجيب ب : أوه، أظنه ليس سيئا، فهو متفاهم مع زملائه، ولم يوضع بعد في السجن
الاقتضاء : جـ ليس وفيا في عمله.
إن هذا الاقتضاء ليس وليد وجود عبارة مثل **إذن** في المثال السابق. ولكن يتولد من معطيات غير لغوية، يفترض المتكلم أن السامع على علم بها. فالفرق بين الاقتضاءين هو الفرق بين الاعتماد على معطى لغوي فقط والاعتماد على معطى غير لغوي.

لتفصيل أكثر ينظر :

Dictionnaire Encyclopédique de Pragmatique . P 201. 204 .

وينظر كذلك :

Jean –Pol – ROCQUET : Lecture et impicite , NOU- 2002 .

1- مبدأ الحصافة أكثر وضوحا من مبدأ التعاون ومبادئ قرايس. 2- الهدف المشترك الضروري الذي يتقاسمه المتكلم مع من يقبل أن يكون متلقيا هو التواصل نفسه. 3- من السهل أن نكون أكثر حصافة على أن نحترم مبادئ قرايس. يمكن أن نكون أكثر حصافة دون أن نعطي القدر المطلوب من المعلومات الذي تتطلبه مبادئ قرايس (مبدأ الكمية مثلا). 4- مبدأ الحصافة هو تعميم على التواصل الظاهر والضمني، فالمتخاطبون ليسو بحاجة إلى معرفة مبدأ الحصافة حتى يتواصلوا تماما مثلما أنهم ليسوا بحاجة إلى معرفة مبادئ الوراثة ليتكاثروا. 5- مبدأ الحصافة لا يمكن خرقه ولو أراد المتكلم ذلك. 6- يسعى مبدأ الحصافة إلى تفسير التواصل سواء أكان صريحا أم ضمنيا.	1- درجة التعاون الضرورية للتواصل أكبر. 2- ليس التواصل هو الهدف وإنما هناك هدف أو أهداف مشتركة من التواصل. 3- مبدأ التعاون و مبادئ قرايس هي معايير يجب أن يعرفها المتكلمون حتى يتواصلوا بفعالية. يحترم المتكلم هذه المبادئ ويمكن أن يخترقها لإحداث آثار خاصة ويستعين المتلقي بهذه المعايير لتفسير ما يقوله المتكلم. 4- النظر إلى التواصل ينطلق من التمييز بين ما يقال بوضوح وبين ما هو متضمن. 5- لا يقول قرايس شيئا عما يقال بوضوح فكأنه ينظر إليه من زاوية نموذج الوضع (modèle du code)[199] ، مع النظر إلى الوضع على أنه مجموعة من الاتفاقات. 6- تفسير المتضمنات باعتبارها فرضيات يبينها المتلقي للاحتفاظ بفكرة احترام المتكلم لمبادئ قرايس ومبدأ التعاون.

[199] - يفرق اليوم بين نموذجين من التواصل، يطلق على الأول نموذج الوضع(modèle du code) ومن خصائصه أنه أحادي الاتجاه وعادة ما يوصف بأنه النموذج التلغرافي(modèle télégraphique) أو نموذج الأنبوب(modèle du tuyau). ويعكس هذا الوصف ميزة هذا النموذج. فهو يجري التواصل في خط من المتكلم إلى السامع ويركز على نوعية القناة وعمليات التركيب(encodage) والفك(décodage)، التي تضمن الإرسال الجيد للرسالة. وهو بهذا يعتبر نموذجا خطيا(linéaire). ويطلق على الثاني النموذج التعاوني – الاستنتاجي (modèle coopératif inférentiel)

وفي هذا النموذج لا يكون الأنا الفردي هو نقطة الانطلاق ولكن التفاعل في حد ذاته. والفرد ينتج عبر التفاعل. وفي هذه النظرة التفاعلية، فإن العلاقة الاجتماعية لا ينظر إليها بالضرورة على أنها تأثير فرد على آخر أو أقناع له. وبالتالي تصبح علاقة التعاون واردة.

وترفض نظرية الحصافة(Théorie de pertinence) نموذج الوضع لأنه نموذج تبسيطي. فالأفكار ليست مركبة(codées) من أ ومنقولة ثم مفككة من ب. ومن ثم يصبح التواصل في هذه النظرية هو تبادل علاقات توجه أو تعيد توجيه الإجراءات الاستنتاجية للمتخاطبين.

لمزيد من البسط والتفصيل ينظر:

Fondements de la pragmatique.

Communication , interaction , dialogue.

J.P MEUNIER : deux modèle de la communication des savoirs.

Maria na TUTESCU : L'argumen tation .

J.P MEUNIER : où va la pragmatique ? .

Jean CAELEN : communication de dialogue .

يتبين لنا من خلال الجدول السابق أن التواصل عند أصحاب نظرية الحصافة هو تبادل لعلامات توجه أو تعيد توجيه الإجراء الاستنتاجي (le processus inferentiel) للمتخاطبين، يقول سبيربر وويلسون في هذا الصدد:

« إن متكلما ما حينما يتكلم فإنه يبحث عن تحقيق قصدين: أولهما القصد الإعلامي (intention informative) بجعل قصده الإعلامي هذا ظاهرا لكليهما (أي المتكلم والمتلقي)»[200] من خلال جعل مجموعة من الفرضيات ظاهرة لدى المتلقي الذي يتلقى الكلام وأما الآخر فهو القصد التبليغي (intention communicative).

هناك إذن قصدان: القصد الإعلامي حيث يجعل المتكلم للمتلقي مجموعة من العلامات أو الفرضيات والقصد التواصلي ويتمثل في أن المتكلم يظهر للمتلقي أن له قصدا تواصليا، وهذا يقتضي أن تكون العلامات المتبادلة حصيفة حتى تسمح بالوصول إلى قصد المتكلم وعليه فإن الدلالة على هي جعل شيء دالا عند شخص والدلالة على هي إرادة القول أي وصول المتكلم إلى تبليغ مقاصده للحصول على نجاح في فهم الآخر مقاصده[201].

يعكس هذا التصور في حقيقة الأمر رفض سبيربر وويلسون لنموذج الوضع (modèle du code) فهو في نظرهما بسيط واختزالي، فالأفكار ليست موضوعة (codées) من طرف المتكلم و منقولة إلى المتلقي ليفكها.

3.4- كيف يظهر رفض سبيربر وويلسون لنموذج الوضع ؟:

رأينا في جدول المقارنة بين نظرية الحصافة و منظور قرايس أن صاحبي نظرية الحصافة يريان أن قرايس يعود إلى نموذج الوضع من خلال عدم كلامه عما يقال بوضوح

---

[200]- La pertinence P 245 .

[201]- يمكن التمثيل لهذين القصدين كما يلي :

أ- يريد أن يقول لـ ب .يتحقق هذا إذا:
1- أنتج ب جوابا ج لأن:
2- ب تعرف على قصد أ الموجود في س وتكتب : قصد (أ) س)
الجواب ج ينتج جزئيا من 2 .

وهذه العملية تكسر نموذج الوضع إذ أن أ حينما يقول لـ ب فهذا يقتضي أن ب يتعرف على قصد أ الموجود في س وهذا يقتضي أن ب يجيب بـ ج ويحتوي ج على قصد ب . ويمكن

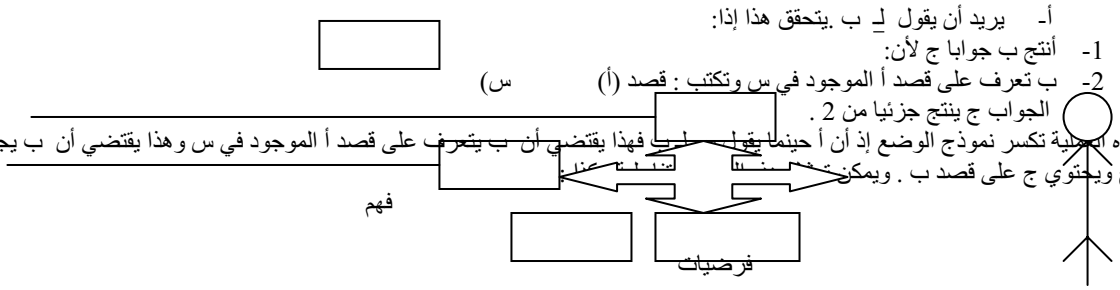

- يتعلق الاختيار الحصيف بأخذ المحيط بعين الاعتبار(العالم، المحيط المعرفي للمتلقي ومحيط المتكلم) لاختيار الوقائع البارزة لجعل المتلقي يركز عليها .
- الوقائع هي عناصر بارزة(مدركة في المقام) أو عناصر مستنتجة(الفرضيات).
- عملية التواصل يتم فيها تبادل علامات (indices) حصيفة بين المتخاطبين بتقديم وقائع مرتبطة مباشرة بمقاصد إعلامية وتواصلية.
- فعل الاظهار: تقديم وقائع بارزة أو جعل وقائع بارزة.

لمزيد من التفصيل في مسألة المقاصد وعلاقتها بنماذج التواصل ينظر :
Jean CAELEN : Communication et dialogue . P 11 et S.

و لا يفسر المتضامنات (implicitations)، إلاّ على أنها فرضيات يكونها المتلقي للاحتفاظ بفكرة أن المتكلم احترم المبادئ.

وإذا كانت نظرية الحصافة تنظر إلى التواصل ككل سواء أكان ظاهرا أم ضمنيا فإن العلاقة التي تنشأ بين المتخاطبين تأخذ تنويعات مختلفة ويضعنا صاحبا النظرية أمام الكيفيات التي يتعامل بها المتلقي مع المتكلم. وتعكس هذه الكيفيات اختلافا عن التصور البسيط لنموذج الوضع من حيث هو فكرة في ذهن المتكلم المتمثل في:

إذا كان المتكلم حين يتكلم وينتج منبها ظاهرا (un stimulus cotensif) يسعى إلى تحقيق قصدين كما رأينا فكيف يجعل إنتاج منبه القصد الإعلامي للمتكلم ظاهرا ويؤدي بذلك إلى تحقيق القصد التواصلي ؟[202]

يرى سبيربر وويلسون أن القصد التواصلي لا يتحقق إلاّ إذا تحقق القصد الإعلامي. وحتى يصل المتلقي إلى هذا القصد يكون عدد من المراحل الاستنتاجية (étapes inférentielles) ضروريا:

- على المنبه أن يظهر في المحيط المعرفي (environnement cognitive) للمتكلم وللمتلقي فرضيات أخرى يمكن أن يستخلص انطلاقا منها القصد الإعلامي وهذا يعني أن المتكلم عليه أن ينتج منبها يجلب الانتباه. وبإنتاج هذا المنبه يتوصل المتلقي إلى أن المتكلم يقصد أن يبرز له مجموعة من الفرضيات. إذا عرف المتلقي هذه الفرضيات يكون قد وصل إلى تحديد القصد الإعلامي.
- ينطلق المتلقي من افتراض أساسه أن المتكلم يتكلم بعقلانية (communique rationnellement) ، وهذا الافتراض ضروري لتحديد المقاصد الإعلامية بل ولتحديد المقاصد بصفة عامة. يقول سبيربر وويلسون في هذا السياق.
- تحدد مقاصد شخص ما بافتراض أن هذا الشخص عقلاني وبمحاولة إيجاد تأويل عقلاني لأفعاله (ses actions)" [203].

---

[202]- يتناول جاك ميارمون(Jacques MIERMONT) مسألة القصد انطلاقا من دراسة السياق عند ج . باتيسون(G . BATESON) ويلاحظ أن مفهوم السياق ضروري في كل تواصل، بل يشكل أحد المكونات لمسلمة نظرية التواصل. وحتى في حالة اللاتواصل يتعلق الأمر بخلق سياق نقول فيه أننا لا نتواصل . وإذا كان السياق بهذه الأهمية فإن تحديد القصد يصبح مسألة فيها شيء من الصعوبة. ذلك أن المتكلم حينما يدخل في محادثة مع شخص ما يسعى إلى تبليغ بعض الأحداث وبعض الانفعالات ولكن مزاوجة مع ذلك يبلغ كما من المعلومات الغائية(Téléologiques) غير المقصودة على مستوى إرادي وواع. وتعكسها بعض العبارات التي يستعملها المتكلم من نوع "لم يكن هذا قصدي" ، "هذا أكبر مني". وبالتالي فإننا لا نعرف حقيقة ما هي المقاصد الإرادية للآخرين. ومن ثم نحن مجبرون أن نطرح فرضيات معقولة حولها.

وهكذا فإن « تقدير مقاصد الآخرين يستند في جانب كبير منه إلى ما نسميه السجايا (سجايا شخص) أو الشخصية (شخصية الفرد)» (ص 15).

لتفصيل أكثر في المسألة ينظر:

Contextualisation , Communication et cognition .

[203] - La pertinence . P 248 .

5- خلاصة:

- إن أهم ما يمكن أن نقف عنده في هذه الخلاصة أن السياق يحدد عند سبيربر وويلسون على أنه مجموعة المقدمات المستعملة لتأويل الأقوال. فالسياق هو بناء سيكولوجي (construction psychologique). إنه مجموعة جزئية من الفرضيات للمتلقي عن العالم، وهذه المجموعة من الفرضيات وليس الوضع الواقعي للعالم هي التي تلعب دورا في هذا التأويل.

وبهذا فإن دور السياق «ليس فقط فرز التأويلات غير الملائمة بل إنه يصنع المقدمات التي بدونها لا يمكن أن نصل إلى الاستنتاجات»[204].

- والملاحظة الثانية هي أنه حتى تكون معلومة ما حصيفة لابد أن تحقق أثرا سياقيا.

والأثر السياقي كما رأينا يتعلق بالفهم بواسطة بلورة فرضيات ومقارنتها. وهذا الفهم الاستنتاجي يربط بإجراء عام يأخذ بعين الاعتبار مجموعة المعلومات المفهوماتية التي يملكها المتلقي عبر ذاكرته المفهوماتية وهكذا تكون وظيفة الاستنتاج هي:

- أن يحدد وجود تناقضات بين فرضية ونتائجها أو بين مجموعة من الفرضيات أو عدم وجوده.
- أن يسمح بالتخلص من الفرضيات غير القوية.
- أن يتعلق بالجمع بين معلومات جديدة ومعلومات قديمة ويتطلب الاقتضاء السياقي (implication contextuelle) تفاعل بين المعلومات الجديدة والمعلومات القديمة حسب إجراء ليس تحليليا فقط ولكن تركيبي (synthétique) أيضا.
- ينحو نحو تقوية أو إضعاف فرضية ما أو إعطاء فرضية ما قوة تعادل قوة فرضية أخرى.

ويؤدي الاقتضاء التركيبي للمعلومات الجديدة و القديمة إلى:

- التمسك بالفرضيات القديمة نظرا لتلاؤمها مع الفرضيات الجديدة.
- إضعاف الفرضيات القديمة وإلغائها إذا كانت الفرضيات الجديدة متناقضة مع القديمة ويقترح إطارا مرجعيا ضروريا وكافيا لتحديد المعلومات المدركة والمتصورة.

---

[204]- نفسه ص 62 .

ـ ملاحظة أن التناقض بين الفرضيات الجديدة و الفرضيات القديمة لا يمكن إزالته نظرا لتساوي قوة المجموعتين مما يؤدي إلى البحث عن فرضيات إضافية بإلغاء الفرضيات غير الصحيحة أو التخلي عن اللجوء إلى الفرضيات الجديدة وفي هذه الحالة لا ينتج أثر سياقي.

- إن وصول المتلقي إلى تأويل قول ما يمر عبر مراحل:

ـ التحليل اللساني الذي يمدنا به النظام الجانبي (système périphérique).

ـ النظام المركزي غير المتخصص يتمم الإجراء لتأويلي ويعطي التأويل الكامل للقول[205].

---

[205]ـ حين نتكلم عن النظام الخارجي(système périphérique) والنظام المركزي(système central) لا بد أن نعود إلى منطلقات نظرية الحصافة. تستمد هذه النظرية من نظرية المعرفة(Théorie de la cognition) لفودور(FODOR) الذي يميز بين نوعين من الأنظمة التي تعالج بها المعلومة، والأنظمة الخارجية المتخصصة وترابتي modulaire والنظام المركزي للتفكير الذي هو غير متخصص غير ترابتي non modulaire وهو محل الاستنتاجات(inférences). وتكون عمليات المعالجة التداولية غير متخصصة وغير مرتبطة بطبيعة النظام الخارجي، الذي يغذي النظام المركزي.

يقابل صاحبا(Dictionnaire encyclopédique de pragmatique) هذا بنظريتين أخريين يسميان إحداهما النظرية الخطية(Théories linéaire) وهي تنظر إلى أي نظام من الأدلة على أنه يتكون من المكونات الآتية:

- التركيب وموضوعه العلاقات بين وحدات اللغة ووظيفته إنتاج قواعد حسن البناء / حسن التركيب(bonne formation syntaxique) .
- الدلالة وموضوعها العلاقة بين الكلمات والمركبات والجمل والأشياء الموجودة في الواقع(الموجودات في الأعيان) .
- التداولية: وتهتم بالعلاقات بين الأدلة ومستعمليها .

ويترتب عن هذا مسار لتناول هذه المجالات يخضع لترتيب معين تكون فيه المعالجة التركيبية أولا ثم الدلالية ثانيا ثم التداولية. وهكذا يصبح مخرج التراكيب هو مدخل الدلالة ومخرج الدلالة هو مدخل التداولية. ويصبح مخرج التداولية هو وصف قيمة فعل القول(valeur d'action de l'énoncé) ويمثل هكذا :

القول ق

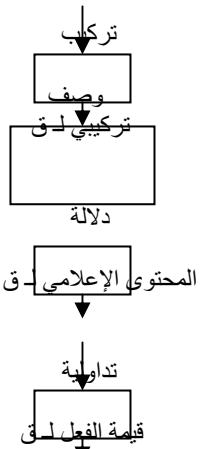

ويسميان الأخرى النظرية ذات الشكل y ، وهي مؤسسة على نقد النظريات الخطية التي يتم فيها الانتقال الخطي من التراكيب إلى الدلالة إلى التداولية. فهناك ربط(conjoncyion) لمعلومات لغوية(تنتمي إلى المكون اللغوي) ومعلومات غير لغوية (تنتمي إلى المكون البلاغي) ومزاوجة **دلالة الجملة** الناتجة من المعالجة اللغوية بالمعطيات غير اللغوية ينتج **معنى القول** وتمثل هذه النظرية بالشكل الآتي:

قول (ق) المقام (م)

مكون لغوي

دلالة ق

مكون بلاغي

ويتكون النظام المركزي (le système central) من ثلاث ذاكرات:
ـ ذاكرة عملية أو ذاكرة قريبة المدى تعادل السياق.
ـ ذاكرة متوسطة المدى يخزن فيها تأويل الأقوال التي تم إنتاجها حديثا.
ـ ذاكرة بعيدة المدى تجد فيها المعلومات المفهوماتية.

ويمثل الشكل الآتي العمليات السابقة:

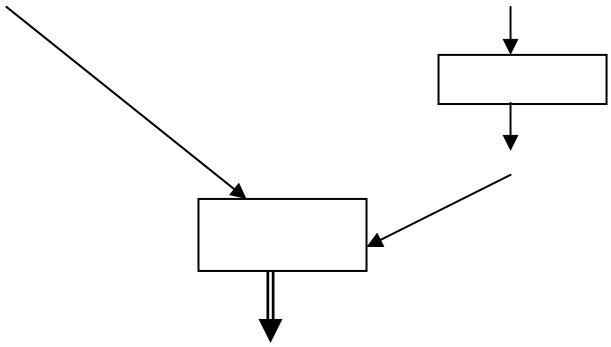

[يعكس الشكل حرف y ومن
هنا جاءت التسمية] معنى ق

هناك إذن مرحلتان الأولى ذات طبيعة لغوية محضة وتعطي الدلالة ثم توظف المعطيات الخارجية(المقام) لنصل إلى معنى القول. وتختلف نظرية ويلسون وسبيربر عن النظريتين من حيث إنها معرفية(cogniti viste). وبالتالي فالتداولية لا تنتمي إلى مجال اللسانيات من حيث إن هذه الأخيرة تقف عند حدود الفونولوجيا والتركيب والدلالة.
ويتعلق الفرق الثاني بمسألة العلاقة بين النظام الخارجي(système périphérique) والنظام المركزي. فالمعالجة التي تتم في المستوى اللساني تمثل بصيغة منطقية ولكنها تمثل تفسيرا جزئيا وناقصا للقول. ولا يكون التأويل تاما إلا حينما تتمكن التداولية من أن :

- تعطي محيلا عليه للمتغيرات .
- تعطي قوة انجازية للقول.
- ترفع اللبس عن القول .
- تغني الصيغة المنطقية إن على مستوى اقتضاءاتها وإن على مستوى توضيحها.

لمزيد من البسط والتفصيل ينظر المقدمة والعروض المفصلة المخصصة للنظريات التداولية المختلفة في :
Anne REBOUL- Jacques MOESCHLER : Dictionnaire Encyclopédique de Pragmatique .

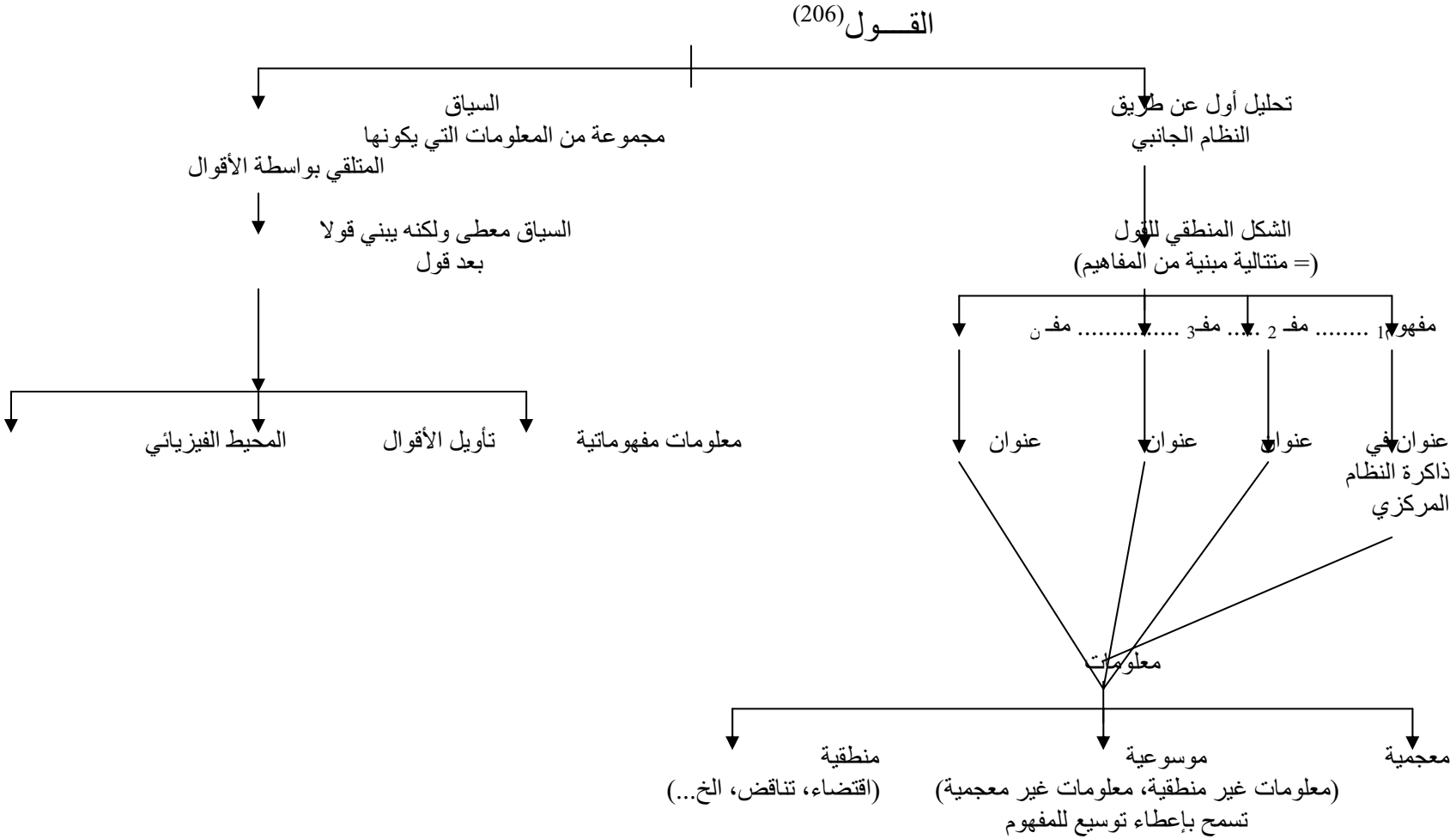
القـــول(206)
تحليل أول عن طريق
النظام الجانبي
الشكل المنطقي للقول
(= متتالية مبنية من المفاهيم)
مفهوم1 ..... مف 2 ..... مف3 ..... مف ن
عنوان في
ذاكرة النظام
المركزي
عنوان
عنوان
عنوان
معلومات
معجمية
موسوعية
(معلومات غير منطقية، معلومات غير معجمية)
تسمح بإعطاء توسيع للمفهوم
منطقية
(اقتضاء، تناقض، الخ...)
السياق
مجموعة من المعلومات التي يكونها
المتلقي بواسطة الأقوال
السياق معطى ولكنه يبني قولا
بعد قول
معلومات مفهوماتية
تأويل الأقوال
المحيط الفيزيائي

(206)- يلخص صاحبا Dictionnaire Encyclopédique de Pragmatique هذه المسألة بقولهما :
« يعادل السياق الذي يؤول القول بالنسبة إليه محتوى الذاكرة قريبة المدى أو الذاكرة العملية(mémoire de travail) أثناء تأويل القول... وهو(=السياق) يتكون من ثلاثة أنواع من المعلومات: معلومات مستمدة من الذاكرة بعيدة المدى ومعلومات مستمدة من الذاكرة متوسطة المدى ومعلومات من المحيط الفيزيائي أي معطيات مدركة مستمدة من المقام الذي تم فيه التواصل. وهذه الأنواع الثلاثة من المعطيات تشكل المحيط المعرفي (Environnement cognitif) للمتلقي ».

Dictionnaire Encyclopédique de Pragmatique. P

الباب الثاني:

الاتـــســـاق

مدخل إلى نظرية هاليداي و رقية حسن

ـ مدخل:

لقد عرف منتصف السبعينات وخاصة سنتي 1975 و1976 أعمالا هامة حول مسألة الاتساق[207]، ولكن أهم عمل عالج هذه المسألة بصفة شاملة هو عمل الباحثين هاليداي ورقية حسن من خلال مؤلفهما (cohesion in English).

ويهدف عمل الباحثين إلى تحديد ما يميز النص باعتباره وحدة دلالية تداولية منسجمة، من مجرد متتالية من الجمل لا علاقة بينها، وبذلك فهو يشكل إسهاما كبيرا في مجال لسانيات النص.

وقد رأينا أن نعرض أهم الجوانب التي تناولها هذا المؤلف فيما يتعلق بمسألة الاتساق ليقيننا أن العربي عامة والجزائري خاصة بحاجة إليها[208]. وعلى هذا الأساس فإننا سنتناول أولا مفهوم النص عند هذين الباحثين لما لهذا المفهوم من أهمية ولأنه أيضا يؤسس لكل التفاصيل التي تأتي بعده ثم نتناول وسائل الاتساق النصي.

---

[207] ـ انظر الهامش ص 36 ففيه إشارة إلى مجموعة من الأعمال التي اهتمت بالاتساق بين سنتي 75 و 77 .

[208]ـ يتبنى الإصلاح اليوم المقاربة النصية، وهي مقاربة لا يمكن اعتمادها إلا إذا أدركنا أهمية عمل هاليداي لأنه تجاوز التنظير إلى البحث عن مظاهر الاتساق والأدوات التي يتحقق بها. وقد أدرك الأستاذ الحواس مسعودي أهمية المسألة فأدرج كتاب(Cohésion in English) ضمن مشروع ترجمة يقوم بها طلبته في الماجستير. وقد نوقش جزء من هذا الكتاب في إطار مذكرة ماجستير تحت إشرافه وبمساعدة مفتاح بن عروس: شريفة بلحوت: الإحالة: دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب cohesion in English، لـ م.أ.ك هاليداي ورقية حسن. مذكرة لنيل شهادة الماجيستير. جامعة الجزائر – 2005- 2006.

الفصل الأول:
مفهوم النص عند هاليداي

ينطلق هاليداي من تصور للنص على أنه وحدة لغوية في الاستعمال، والمتكلم حين يسمع أو يقرأ مقطعا لغويا ما، ويكون مثلا أكبر من الجملة فإنه يستطيع أن يميز بدون صعوبة إن كان هذا المقطع يشكل كلا أو هو مجرد رصف لجمل لا رابط بينها.

ومن هذا المنطلق فإن نظرة هاليداي و رقية حسن للنص تختلف عن النظرة التي ترى في النص وحدة ذات طبيعة واحدة مع الجملة، و لكنها قسم أعلى أو هو جملة كبرى، " فالنص ليس شيئا يشبه الجملة غير أنه أكبر، بل هو شيء يختلف عنها من حيث النوع"[209]، وهو ليس وحدة نحوية مثل الجملة، ولا يمكن تحديده من حيث الطول ولذلك فإن التفريق بين النص والجملة لا يمكن اختزاله في مجرد الطول، إن الذي يحكم الجملة هو البنية بينما الذي يحكم النص هو النسيج (texture).

وبالإضافة إلى ذلك فالنص هو وحدة معنوية (semantic unit) وباعتباره وحدة معنوية ووظيفية فهو لا يتكون من جمل و لكن يتحقق بها[210].

وينتج عن ذلك أن لا حد أدنى ولا أقصى للنص؛ فيمكن أن تكون كلمة واحدة مثل صه نصا كما يمكن أن تكون قصة أو رواية أو أي نص يشرح كيفية استعمال شيء ما (mode d'emploi) أو محادثة نصا.

إن كل متكلم قادر في الحقيقة على أن ينتج نصوصا و يتعرف عليها[211]، وبهذا المعنى فإن مفهوم النص يشكل جزءا مندرجا في مهاراتنا اللغوية. ومن منطلق أنه جانب من قدراتنا اللغوية فإنه يشكل موضوعا هاما للدراسة اللسانية من جهة ويعكس وجود عوامل موضوعية ومعالم معينة تعتبر سمة في النصوص.

يمكننا تمثيل النص من خلال ما سبق بالشكل الآتي:

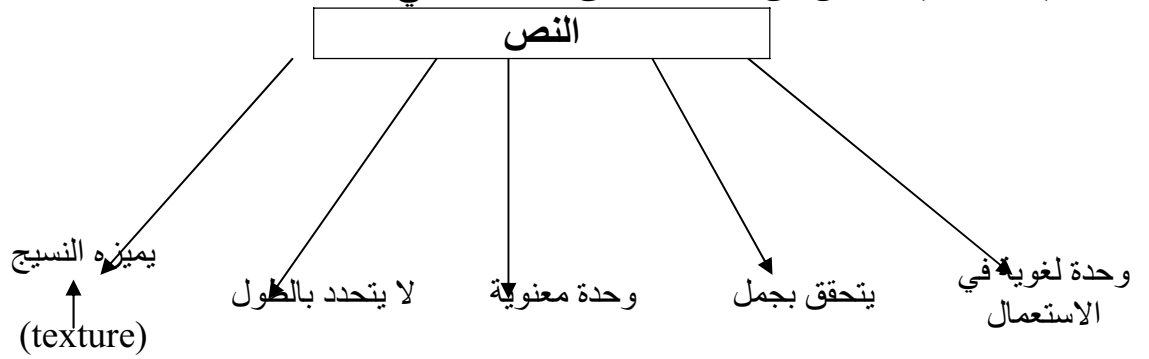

---

[209] - M.A.K HALLIDAY and Ruqaiya HASSAN : Cohésion in English . Longman group Ltd . 1983 . P 2 .

[210] - نفسه ص 2 .

[211] - ينظر مسألة **الملكة النصية**(compétence textuelle) كما أشرنا إليها عند شارول. وهي مستمدة أساسا من نظرية تشومسكي. وينظر أيضا الفصل الذي خصصه فان دايك للدفاع عن نحو النص في مؤلفه:
Some aspects of text grammars وMouton , the hague , 1972 .

وإذا كان ما يميز النص هو الوحدة و النسيج فما هي العوامل التي تحدد هاتين الميزتين؟ تتلخص هذه العوامل بالنسبة لهاليداي ورقية حسن في نظامين من العلاقات يتعلق أولهما بإدراج النص في السياق المقامي (contexte situationnel)، ويتعلق الثاني بالعلاقات الدلالية التي تنشئها بعض عناصر النص مع عناصر أخرى من النص نفسه.

1- العلاقة نص ـ مقام:

مما لاشك فيه أن أي نص مكتوبا كان أم منطوقا ينشأ في سياق مقامي معين. ومن هذا المنطلق فإن مجموعة العناصر المقامية يكون لها دور هام في محتوى النص الذي يكتب. ويشير هاليداي ورقية حسن إلى أن مفهوم المقام لا تكون له قيمة عملية ولا يأخذ دلالته من الوجهة اللسانية إلاّ إذا حصرناه فيما له علاقة بالنص[212]، وبعبارة أخرى أن نربطه بالعوامل التي من شأنها أن توجه الاختيارات التي يقوم بها المتكلم أو الكاتب حين يكون بصدد صياغة النص.

ومن هذا المنظور فإن المقام لا يسبق النص (لا يوجد قبل النص)، و بالتالي فهو بالنسبة لهاليداي ورقية حسن مكون لمحتوى النص نفسه، ولذلك يقتضي الأمر من الناحية النظرية أن يزود الباحث بأدوات مفاهيمية، تسمح له بتحليل العلاقة **نص ـ مقام**، ولذلك يقترح هاليداي ورقية حسن أن يميزا في كل مقام ثلاثة أبعاد يسميانها: المجال(field)، والشكل(mode) والطريقة(tenor).

فالمجال يتعلق بالنشاط الذي يكون إنتاج النص مكونا له، ويحتوي هذا البعد على محتوى النشاط أو موضوع الحديث وكذلك الحدث (l'évènement) الذي تتدخل اللغة في إطاره.

أما الشكل فإنه يتعلق بعمل النص، و يدرج طبيعة القناة (مكتوب أو منطوق) وكذلك نمط النص (تعليمي، سردي، حجاجي، تواصلي،...الخ).

وأما الإطار[213] فإنه يدل على الأدوار المؤسسة بين المتكلم والسامع وطبيعة العلاقة الاجتماعية (مثلا معلم ـ تلميذ ، طبيب ـ مريض ، بائع ـ مشتر)، وهذا العامل له أثر على اختيار مستوى اللغة (niveau de langue).

---

[212]ـ إن مسألة الحصر ضرورية لأن الوصف التام لمقام ما هو عمل غير محدود ، بل إنه لا يعتبر ضروريا في الجزء الأكبر منه بالنسبة للسانيات.
انظر في هذا الصدد:

Denis APORTHELOZ : Rôle et fonction nement de l'anaphore dans la dynamique textuelle. Librairie DROZ , GENEVE – Paris , 1995 , P 101 .

[213] ـ مفهوم **إطار النص** مفهوم موظف كثيرا في تحليل المحادثة، وهو يتعلق أساسا بطبيعة العلاقة التي تحكم أقطاب التواصل. وهذه العلاقة هي ذات طابع اجتماعي وتنعكس أساسا في اللغة. وقد ولد هذا المفهوم مفاهيم أخرى من مثل مفهوم المسافة(notion de distance) ومفهوم الشدة (tension) ومفهوم الواجهة(la face) لمزيد من البسط والتفصيل ينظر النقاط الآتية:

La relation interperssonelle , La politesse : aspects théoriques, les manifestations linguistiques de la politesse, les variations culturelles.

وتشكل مجموع الوقائع اللسانية المدرجة بواسطة تمثيل متجانس (une configuration homogène) من السمات المقامية أي بقيم خاصة من المجال والشكل والإطار تشكل مستوى التعبير في النص (le registre du texte).

وفي هذه الحالة تكون أمام أول عامل يضمن للإنتاج اللغوي صفة النص فيه، وتعتبر الخصائص السابقة بنية سيمائية للمقام حينما تتوفر فإنها تحقق مستوى التعبير.

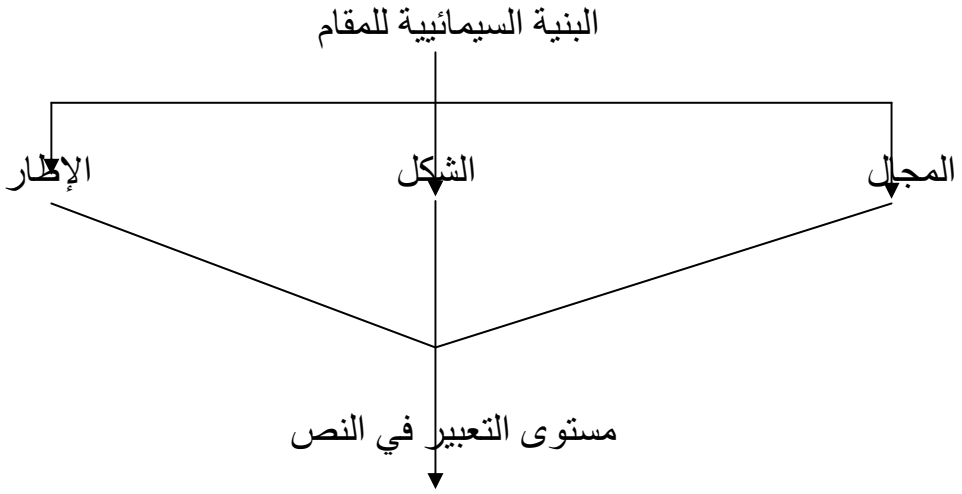

2- العلاقة نص ـ نص:

رأينا في النقطة السابقة أن النص يرتبط بالخارج ليحقق بذلك ما يسميه هاليداي ورقية حسن **مستوى التعبير**، وفي مقابل هذه العلاقة هناك علاقة أخرى تتم داخل النص، ولا يمكن لمجموعة من الجمل أن تشكل نصا إلاّ إذا كانت مجموعة من العناصر الدلالية والإحالية مستمرة من جملة إلى أخرى محققة بذلك لمجموع هذه الجمل حدا أدنى من الاستمرارية أو بعبارة أخرى تحقق الاتساق.

ويمثل الاتساق عند هاليداي ورقية حسن مفهوما دلاليا. وهو يتعلق بالعلاقات الدلالية التي توجد داخل النص، ويصبح عنصر ما في النص مرتبطا في تأويله بعنصر آخر:

« يتعلق الاتساق بارتباط تأويل عنصر ما بعنصر آخر»[214].

ويمثلان لهذه العلاقة بين العناصر فيما بين الجمل بهذا المثال:

Wash and core **six cooking apples**. Put **them** into a fire proof dish .

" إغسل وانزع نوى ست تفاحات. ضعها في صحن يقاوم النار".

من مؤلف:

Cathrine Kerbrat – ORECCHIONI : La conversation , Seuil , 1996 .

وانظر كذلك :

دومينيك مانـقو : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب . تر : د. محمد يحياتن - منشورات الاختلاف - 2005 .

خاصة في النقاط الآتية :

الحقل الخطابي (champ discursif) والعقد (contrat) والصورة (ethos) ، الوجه (face) .

[214] - Cohesion in English , P5 .

يرتبط العنصر اللاحق **them** في الجملة الثانية بالعنصر السابق في الجملة الأولى وهو **six cooking apples** وهذا الارتباط هو الذي يحقق الاتساق بين الجملتين ومما يسمح بالنظر إليهما على أنهما كل وبالتالي فهما يشكلان نصا.

1.2- مفهوم النسيج والاتساق والعلاقة:

إذا انطلقنا من المثال السابق، فإن المتلقي يستقبله ككل، وهذا الاستقبال هو وليد ما توفر فيه من:

- استمرارية.
- اتساق.
- علاقة.

فالمثال يمثل نصا متكونا من جملتين، وهما منفصلتان تركيبيا إذ لا يوجد في الحدود بينهما ما يجمعهما، لكن مع ذلك هما متصلتان دلاليا من حيث إن تحديد قيمة العنصر اللاحق them لا يتم إلاّ بالعودة إلى العنصر السابق، ومن هنا نقول إن النسيج (texture) تحقق في هذا المثال و بالتالي فهو نص، وهذا النسيج تحقق بواسطة العلاقة الاتساقية التي تمت بواسطة العنصر العائد (élément anaphorique)، حين ارتبط إحاليا بالعنصر السابق.

وإذا كان النسيج قد تحقق بواسطة العلاقة الإحالية بين **them** و**six cooking appels**، فإن هذا لا يعني أن هذه الخاصية التي تميز النص عن اللانص تتم دائما بواسطة الإحالة فقط، بل إن هناك نوعا آخر من العلاقات تتم بين الجمل في السلسلة، فيمكن أن نجد وحدة معجمية لاحقة ترتبط بوحدة معجمية سابقة كالانتقال مثلا من النكرة إلى المعرفة كما هي الحال في:

(الله نور السماوات و الأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . المصباح في زجاجة. الزجاجة كأنها كوكب درِّيّ ...) (النور/35).

بل إن العنصر اللاحق في السلسلة الجملية يمكن أن يكون صفرا بواسطة الحذف ففي بنية السؤال والجواب مثلا نجد **Ø** يرتبط بالسياق القبلي مثال:

- هل طلعت الشمس؟
- نعم Ø.

ومن المهم الإشارة هنا إلى أن تعدد الكيفيات التي يتم بها الربط يكون على مستوى النوع من حيث اختلاف العناصر كما أشرنا إليه في السياق الذي كنا فيه ويكون على مستوى الكم من حيث إن العلاقات بين جمل النص تتعدى العلاقة الأحادية إذ يمكن أن نجد أكثر من علاقة بين الجملة والجملة.

ففي مثال التفاحات يوجد رابط واحد تحقق بواسطة الإحالة ولكن يمكن أن تتعدد الروابط، لننظر:

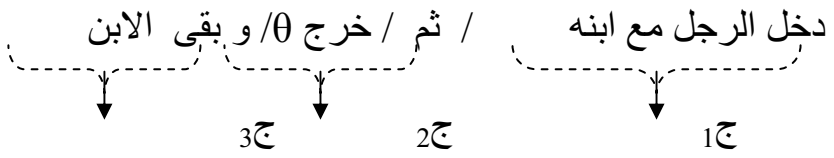

فهناك علاقة مزدوجة بين ج1 وج2 من حيث إن θ (الضمير المستتر) يحيل على الرجل كما تترابط الجملتان بواسطة ثم الذي يحقق التتابع هكذا:

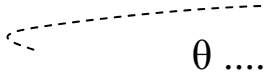

ونجد علاقة بين ج1 وج2 بواسطة و، كما نجد علاقة بين ج3 وج1 من حيث ارتباط كلمة الابن في ج3 بـ ابنه في ج1، وبالتالي يمكننا أن نرسم هذه الشبكة من العلاقات بالشكل التالي:

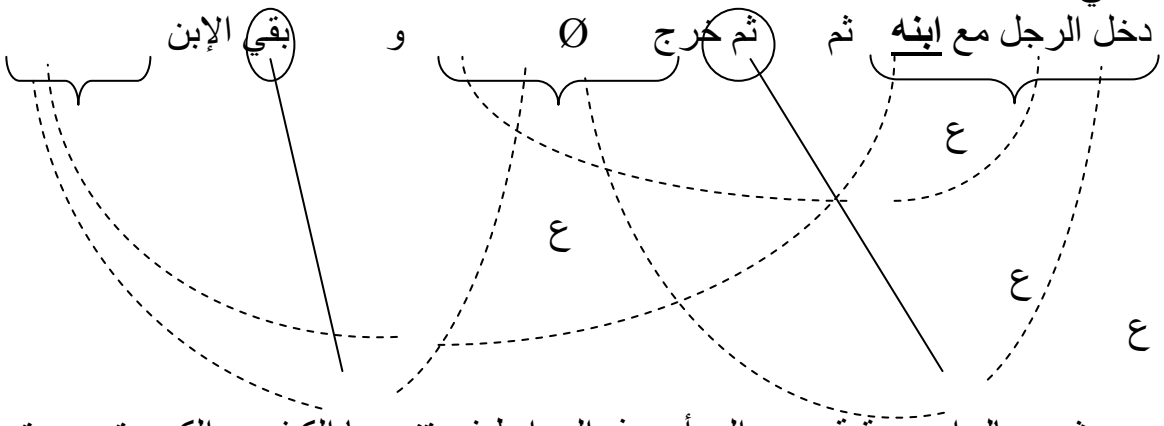

يشير هاليداي ورقية حسن إلى أن هذه الروابط في تنوعها الكيفي و الكمي تسمح بتحليل النص من حيث خصائصه الاتساقية. وقد خصصا الفصل الثامن كله لتحليل نصوص تنتمي إلى أصناف مختلفة مركزين على الكيفيات التي يتم بها الاتساق في هذه النصوص.

إن الكلام عن النص هو كلام عن النسيج، والكلام عن النسيج هو كلام عن الاتساق، والكلام عن الاتساق هو كلام عن العلاقات كما يوضحه الشكل التالي:

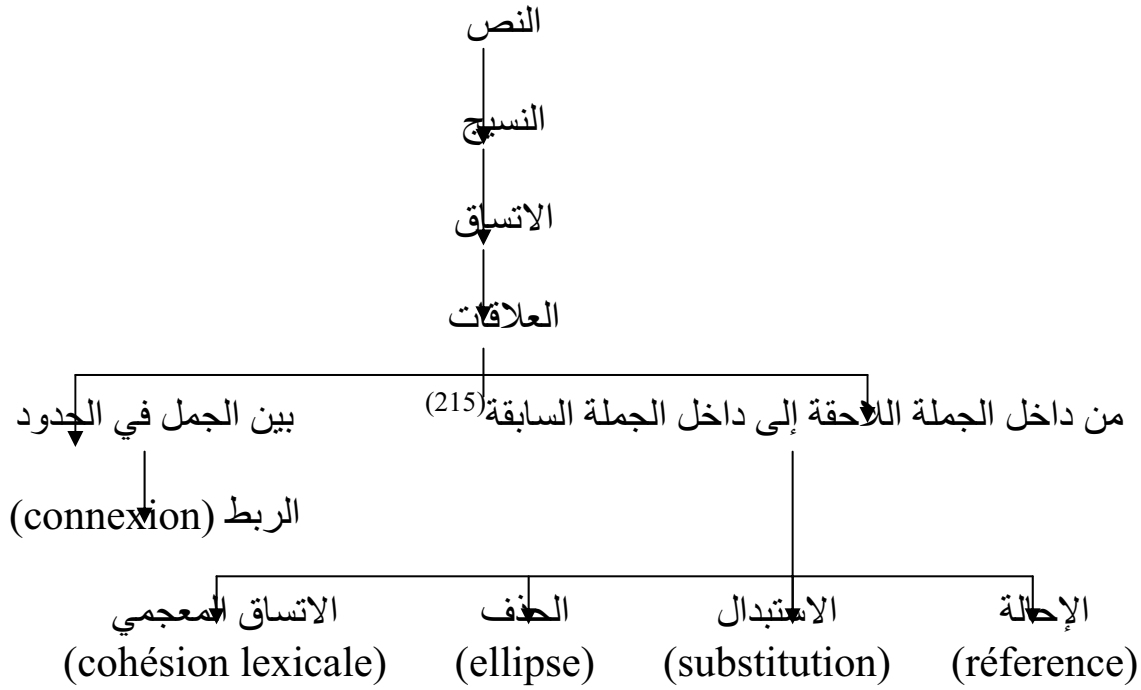

2.2- بين النسيج و البنية:

رأينا في ما سبق أن ما يميز النص عن اللانص هو النسيج، وهذا النسيج يتأتى للنص من مجموعة من العلاقات الاتساقية التي تحققها عناصر اللغة إما عن طريق الإحالة أو الحذف أو التكرار أو غيرها من العناصر التي أشرنا إليها.

وإذا كان النص ليس وحدة بنوية كما يشير إلى ذلك هاليداي ورقية حسن، فالاتساق أيضا ليس علاقة بنوية. ولئن كانت البنية هي علاقة وحدة تسمح بترابط العناصر داخل الجملة لتشكل وحدة بنوية، فإن وجود عناصر تحقق الإحالة داخل الجملة ليس له دور كبير في الاتساق لأن مكونات الجملة تترابط بنويا، يقول هاليداي وحسن في هذا السياق:

« البنية هي علاقة موحدة بالطبع، حيث «تتسق» أجزاء الجملة أو العبارة فيما بينها بوضوح وتظهر النسيج... ولا يمكن لأحد أن يغيّر النص عند منتصف الجملة ... إذا قام أحد بذلك فسيحدث كسر في البنية نظرا لإقحام شيء لا يمثل من الناحية البنوية جزءا من الجملة ذاتها»[216].

ويضعنا الباحثان أمام حالة نص يتكون من جملة واحدة ليبينا أنه يكتفي ببنيته لتفسير اتساقه، ولكن النصوص في الغالب تتكون من أكثر من جملة وبذلك فالنص «يتجاوز سلسلة العلاقات البنوية لأنها مدركة بصفة طبيعية»[217].

---

[215]- لا يعني استعمال كلمة **اللاحقة** هنا التي تلي مباشرة، بل تعني **التي توجد بعد** دون أن تكون هي التي تلي مباشرة، وبالنظر إلى المثال الذي ضربناه نجد أن $ج_3$ تربط بـ $ج_1$ رغم أنها لا تأتي بعدها مباشرة. ويمكن أن نجد عنصرا في جملة يحيل على عنصر في جملة سابقة تبعدها بعدد من الجمل .

[216] - Cohesion in English , P6 .

[217] - نفسه ص 6 .

ويعتمد الاتساق داخل النص على شيء آخر غير البنية يسميانه العلاقات غير البنوية المكونة للنص، وهي علاقات دلالية كما رأينا سابقا.

إن النظر إلى الاتساق على أنه علاقة دلالية تتحقق بوسائل مختلفة يمكن أن يوجد داخل الجملة أو بين الجمل لا يغير من طبيعته، ولكن قوته تقل حين يتعلق الأمر بداخل الجملة إذ أن «الجملة لا تحتاج للاتساق (المؤسس على العلاقات الدلالية) كي تكون متماسكة مسبقا»[218].

فالاتساق من هذا المنظور يتجاوز اعتبارات البنية، ولا ينظر إليه داخل الجملة على أنه ظاهرة مميزة، إنه «علاقة أو مجموعة علاقات عامة مكونة للنص، يتعرض بعضها لقيود حين يندمج في بنية الجملة [219]، لأن الشرط النحوي لوجود الجملة يضمن بلا شك انسجام أجزاء النص لتكون نصا، لكن العلاقات الاتساقية هي ذاتها سواء أكانت عناصرها في الجملة واحدة أم لا». [220]

وإذا كانت البنية تتميز بالثبات فإن الاتساق يتميز بالتغير، ونعتبر هذه من الإشارات الهامة عند هاليداي ورقية حسن لأنهما يؤسسان عليها مسألة التفريق بين النصوص. ولو أردنا أن نمثل لهذه القضية بافتراض كوننا أمام مجموعة من النصوص يتكون كل نص منها من عدد من الجمل نرمز له بالرمز **ن**، فإننا نحصل على الآتي:

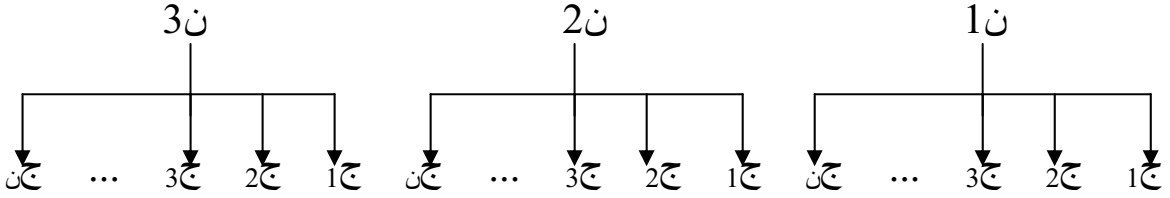

تتقاطع ج1 مع ج2 وج3 إلى جن في النصوص الثلاثة في البنية، وتتقاطع الجمل من نص إلى نص أيضا في البنية، فهناك إذن ثابت هو البنية يخترق النصوص الثلاثة:

ن1: ج1 ∩ ج2 ∩ ج3 ∩ جن

ن2: ج1 ∩ ج2 ∩ ج3 ∩ جن = البنيـة

ن3: ج1 ∩ ج2 ∩ ج3 ∩ جن

ولو أردنا أن ندرس نصا ما من حيث بنية جمله فإننا سنصل من المتعدد إلى الواحد أي أن عدد الجمل مهما كثر يحكمه نظام واحد، لكن هذه الجمل تترابط فيما بينها بواسطة

---

[218] ـ نفسه ص 8 .

[219] ـ نفسه ص 8 .

[220] ـ نفسه ص 9 .

علاقات اتساقية متعددة و متمايزة، فيمكن أن يكون لنص خاصية التوجه نحو العلاقات الإحالية بواسطة الضمائر بينما ينحو نص آخر نحو العلاقات التي تتحقق في الحدود بين الجمل.

«عند وصف نص ما، تظهر أهمية الاتساق ما بين الجمل لأن ذلك يمثل الجانب المتغير للاتساق الذي يميز نصا عن آخر»[221].

3- النص بين العلاقات الداخلية والعلاقات الخارجية:

يلعب المقام دورا هاما في الكلام عن مفهوم النص، ويرى هاليداي ورقية حسن أن مقطعا ما إذا شكل نصا فهو يحتوي على مستوى تعبير متماسكا، ونحن نعرف أن مستوى التعبير (register) تشكله كما رأينا ثلاثة عناصر تمثل البنية السيميائية للمقام وهي: **المجال** و**الشكل** و**الإطار** ، وحين يتحقق مستوى التعبير فإن هذا يعني أن النص قد حقق الخاصية الأولى من خصائصه المحددة وهي علاقته بالمقام، وتأتي الخاصية الثانية وتتم على مستوى العلاقات الداخلية وهي التي سمياها العلاقات الدلالية التي تتم بواسطة العلاقات الاتساقية لتعطي للنص خاصية النسيج وهكذا:

« يمكن تكملة **مفهوم الاتساق** بطريقة مفيدة بمفهوم **مستوى التعبير** لأنهما يحددان معا مفهوم النص ... ولا يكفي توفر شرط دون الآخر»[222].

ويوضح هاليداي ورقية حسن في سياق آخر مفهوم النص بقولهما:

« ينتج النسيج باشتراك نوعين من التمثيلات الدلالية: الأشكال الخاصة بمستوى التعبير والأشكال الخاصة بالاتساق، ومستوى التعبير هو مجموع الأشكال الدلالية التي ترتبط بصفة نمطية بصنف معين من سياقات المقام التي تحدد مادة النص أي ماذا يعني بالمعنى الأوسع.... أما الاتساق فهو مجموع العلاقات الدلالية، وهي عامة في جميع النصوص، وهو يميز عن اللانص... لا يتعلق الاتساق بما يعنيه النص، بل بكيفية بنائه بناء دلاليا»[223].

وفي سياق آخر:

« إننا حين ندرس الاتساق فإننا نبحث عن الوسائل اللغوية التي يستطيع النص بواسطتها أن يعمل كوحدة معنوية»[224].

نستطيع من خلال ما سبق أن نتبين بوضوح أن **الاتساق** و**مستوى التعبير** خاصيتان متكاملتان في كل نص، وكل إنتاج لغوي لا يمكن وصفه بأنه نص إلاّ إذا **كان مستواه ملائما وصياغته متسقة**.

ويمكن اختصار مفهوم النص من خلال الخاصيتين السابقتين في الصيغة الآتية:

النص

---

[221]- نفسه ص 9 .

[222]- نفسه ص 23 .

[223]- نفسه ص 26 .

[224]- نفسه ص 28 .

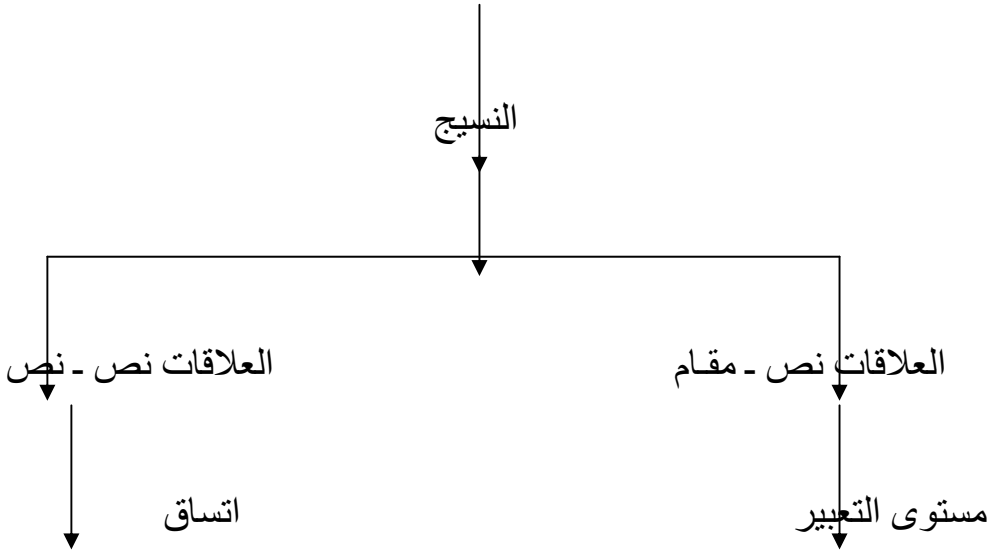
النسيج
العلاقات نص ـ مقـام
العلاقات نص ـ نص
مستوى التعبير
اتساق

الفصل الثاني:
وسائل الاتساق النصي

أشرنا في البداية بأننا سنعالج مفهوم النص عند هاليداي ورقية حسن أولا ثم نثني بالكلام عن الأدوات التي بواسطتها يتحقق الاتساق. وقد عرضنا بشيء من التمثيل مفهوم النص من خلال الكلام عن النسيج وما يتطلبه من شروط ورأينا أن الاتساق يمثل جانبا يتكامل مع مستوى التعبير، ونريد الآن أن نتعرّف على الأدوات التي يتحقق بها الاتساق.

يقدم هاليداي ورقية حسن في مؤلفهما خمسة أقسام يريان أنه بإمكانها أن تحقق الاتساق بالمفهوم الذي عرضاه في المقدمة، وهذه الأقسام هي:

- الإحالة.
- الاستبدال.
- الحذف.
- الوصل.
- الاتساق المعجمي.

ونحسب أن القارئ العربي في حاجة ماسة إلى معرفة هذه الأدوات وكيفية معالجتها من وجهة نظر تتجاوز التناول النحوي الذي اعتاد عليه، ولذلك نحاول أن نعرضها فيما يلي بمصاحبة أمثلتها الموضحة عسى أن تعم الفائدة ويحسن الاستغلال.

1- الإحالــة:

ينطلق هاليداي ورقية حسن من التفريق بين إحالتين، إحالة خارجية وإحالة داخلية. ففي الحالة الأولى يرتبط العنصر اللغوي بما هو غير لغوي، أما في الحالة الثانية فيرتبط العنصر اللغوي بما هو لغوي، أو إن شئنا ترتبط اللغة باللغة بواسطة علاقة إحالية وفي هذه الحالة يفقد العنصر اللغوي الذي يحيل استقلاليتَه ويرتبط في تأويله بعنصر آخر.

وقد رأينا في السياقات السابقة أن الاتساق هو ربط عنصر بعنصر آخر في مدرج الكلام مع شرط تجاوز حدود الجملة الواحدة. ومن هذا المنطلق فإن الإحالة الخارجية لا تلعب دورا في الاتساق. وتبقى الإحالة الداخلية وحدها هي التي تلعب هذا الدور.

يميز هاليداي وحسن بعد ذلك بين ثلاثة أنواع من الإحالة:

- إحالة الضمائر (Personal reference)
- إحالة أسماء الإشارة (Demonstrative reference)
- إحالة المقارنة (Comparative reference)

تمس إحالة الضمائر ثلاثة أنواع من الوحدات هي: ضمائر الشخص، ومحددات الملكية (les determinants possessifs) وضمائر الملكية (les pronoms possessifs).

ويقيم الباحثان في البداية مقابلــة على مستوى ضمائر الشخص بين الضمائر التي تقيم علاقة بالخارج وتحقق بذلك إحالة خارجية (reference exophorique) والضمائر التي تقيم علاقة بعناصر لغوية وتحقق إحالة داخلية (référence endophorique) وتلعب حينئذ دورا في الاتساق.

فالضميران: الدال على المتكلم (I (**أنا**))، والدال على المخاطب (you (**أنت**)) يحيلان مباشرة على الخارج. أما الضمير He (**هو**) فيحيل على الداخل وبهذا تتحقق أول مقابلة في هذا القسم من الوحدات اللغوية يمكن تمثيلها كالآتي:

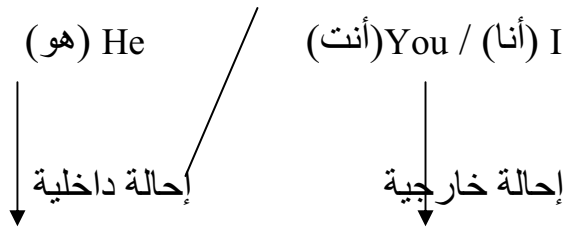

غير أن الباحثين يلفتان الانتباه، وهذه مسألة هامة[225]، إلى أن الضميرين I (أنا) وyou (أنت) يمكن أن تكون إحالتهما داخلية حينما يظهران في الخطاب المباشر كما هو الحال في المثال الآتي:

There was a brief note from **Suzan**. She just.
Said « **I** am not coming home this weekend ». [2-14]
«وكانت كلمة مختصرة من سوزان، فقد قالت " أنا لا آتي إلى البيت هذا الأسبوع"».

فالضمير I (أنا) في هذا المثال يحقق إحالة داخلية لأنه يرتبط بعنصر لغوي في السياق السابق له. وهذا العنصر هو كلمة (Suzan).
والحقيقة أن هذه الظاهرة نراها كثيرا حينما يتقاطع السرد مع الحوار فنكون أمام الخطابات المباشرة. ومن أمثلته في القرآن :

- (وجاء **رجل** من أقصى المدينة يسعى قال يا **قومي** اتبعوا المرسلين...)
(..قال **فرعون** وما رب العالمين قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقفين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال لئن اتخذت إلها **غيري** لتكونن من المسجونين).

حينما ننظر إلى الضمائر من زاوية الإحالة فإننا نصل إلى عدد من المعادلات والتقابلات. فأحيانا تتقابل هذه الضمائر فيحيل قسم منها إحالة خارجية ويحيل قسم آخر إحالة داخلية. فيمكن مثلا أن يحيل I (**أنا**) وYou (**أنت**) إحالة خارجية بينما يحيل He (**هو**) إحالة داخلية وتكون المقابلة هكذا:

I (أنا) – You(أنت) / He (هو)

إحالة خارجية / إحالة داخلية

ويمكن أن تتحقق المساواة بين هذه الضمائر في الإحالة فتصبح:
I (أنا) = You (أنت) = He (هو) = **إحالة خارجية**
أو
I (أنا) = You (أنت) = He (هو) = **إحالة داخلية**

[225] - سنرى بشيء من التفصيل العلاقات الإحالية المختلفة التي تتحقق بواسطة ضميري المتكلم والمخاطب . حينما نعالج مسألة الضمائر وإحالاتها المختلفة في المدونة (سورة البقرة).

والقسم الثاني من العناصر التي تحقق الإحالة وتنتمي إلى قسم الضمائر هي ضمائر الملكية(possessive pronouns) وهي (mine,yours,his,has,its,theirs) ويشير هاليداي ورقية حسن إلى أنها تختلف عن الأشكال الأخرى للإحالة في قسم الضمائر من حيث إنها لا تتطلب في تأويلها عنصرا واحدا بل عنصرين. ويعطي مثالا يوضح هذه المسألة:

[2.25c] Can you hand **Mary** a **program**? **Hers** has gat lost .

«هل بإمكانك أن تعطي **برنامجا** لـ**ماري** ؟ (ف) برنامجها ضاع».

فضمير الملكية **Hers** يتطلب في تأويله تحديد المالك وهو في مثالنا **Mary** والشيء المملوك **a program** (البرنامج) ولكنه يرتبط إحاليا فقط بالعنصر الأول أي **Mary** [226]. ولكن هناك علاقة أخرى تتحقق بواسطة الحذف. فيمكن مثلا أن نجد: Mary's has gat lost

وبذلك تكون ضمائر الملكية في الإنجليزية محققة لعلاقة مزدوجة علاقة **الإحالة** بالنسبة للمالك وعلاقة **الحذف** بالنسبة للشيء الملوك وبالتالي فهي محققة **لعلاقة اتساقية مضاعفة**.

1.1- ضمائر الشخص بين الإحالة الموسعة والإحالة المحدودة:

من المسائل الهامة التي يشير إليها هاليداي ورقية حسن هي إحالة الضمير **It**؛ فحين يقارنان بين العناصر التي تحيل عليها الضمائر الأخرى وبين ما يحيل عليه الضمير **It** يجدان أن هذا الأخير يتميز بقدرته على الإحالة على أجزاء مهمة من النص تتجاوز حدود ما يمكن وسمه شكلا. ننظر إلى المثال الآتي:

The queen said : « curtsey while you're thinking what to say. **It** saves time»
Alice wondered a little at this, but she was too much in awe of the queen to disbelieve.

«قالت الملكة: إنحن قليلا حينما تكون تفكرفيما ستقول. (ف)هذا يوفر عليك الوقت. لقد استغربت **أليس** بعض الشيء أن تسمع مثل هذا الكلام ولكنها كانت منبهرة بالملكة لدرجة أنها لا تؤمن بما قالت».

فما يحيل عليه الضمير **It** في **It saves time** هو كل السياق:

«Curtsey while you're thinking what to say .»

وما يحيل عليه **It** الثاني في نهاية المثال يمكن صياغته كالآتي:

«(that curtsey (ing) while you're thinking what to say save time)»

وإذا كان اتجاه الإحالة في ما رأينا من أمثلة ورائيا أي أنها تحيل على ما سبق فإنه يمكن أن تحيل الوحدات التي تنتمي إلى هذا القسم على ما يلحق ويلاحظ هاليداي ورقية

---

[226] ـ سنرى بشيء من التوسع مسألة ارتباط الضمير بعنصر فقط حينما يتعلق الأمر بمركب اسمي من نوع **اسم + اسم** ومسوغات هذا الارتباط الشكلية.

حسن أن هذه العناصر التي ترتبط بعناصر لاحقة في السياق كثيرا ما تكون داخل حدود الجملة وبالتالي يغيب دورها في الاتساق ومثال ذلك:

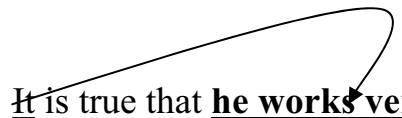

~~It~~ is true that **he works very hard .** [p 56]

«صحيح أنه يعمل بمشقة»

فـ **It** هنا يحيل على السياق اللاحق والمحيل **It** والمحيل عليه **he works very hard** ينتميان إلى الجملة نفسها. ولكن يمكن أن توجد عناصر تنتمي إلى قسم الضمائر، وترتبط إحاليا بسياقات لاحقة وتحقق في الوقت نفسه علاقة اتساقية:

[2,27] I would never have believed **it** . They ´ve accepted the whole scheme.

«لا أستطيع أن أصدق ذلك، أن تقبل جُلَّ المخطط».

فالضمير **it** في الجملة الأولى يحيل على الجملة اللاحقة:

«**they ´ve accepted the whole scheme** ».

2.1- الإحالة في أسماء الإشارة:

تعتبر إحالة أسماء الإشارة من حيث المبدأ إحالة خارجية فهي ترتبط بتحديد الأشياء في الفضاء. وتظهر الإشارة في شكل ظروف.

(here, there, now, then) أو أسماء (this, these, that, those, the) .

وكما أن الإحالة في الضمائر قد تكون خارجية وقد تكون داخلية، فكذلك الحال في أسماء الإشارة. وحينما تحقق الإحالة الداخلية، فبإمكانها أن تحيل على أجزاء كبيرة من النص.

وتكون بذلك إحالتها موسعة وتتقاطع في هذه الحالة مع **It**. كما يمكن أن يكون اتجاه الإحالة أماميا فترتبط في هذه الحالة بالسياقات اللاحقة.

ومن بعض أمثلتها:

[2-57] These were the verses the white rabbit read.

كانت هذه هي الأبيات التي قرأها الأرنب الأبيض.

ثم تأتي بعد ذلك الأبيات التي يتكلم عنها:

That you have wronged me doth appear in this: يبدو واضحا من هذا أنك قد جعلتني أخطئ
You have condemn'd and noted Luciuc Pella. لقد اتهمت لوسيوس بيلا.
For taking bribes here of the Sardians; بأنه أخذ الرشاوى من سكان ساردس؛
Wherein my letters, praying on his side, بينما رسالاتي التي كنت أدافع عنها،

Because I knew the man, were slighted off. لأنني أعرف الرجل، لم تأخذ بعين الاعتبار.

ومن العلاقات الشكلية الدالة على هذه الإحالة التي ترتبط بالسياقات اللاحقة النقطتان على مستوى المكتوب.

وما يلفت الانتباه في هذا القسم من العناصر المحيلة وجود أداة التعريف **The**. ويشير هاليداي ورقية حسن أن العبارة الاسمية التي يحددها **The** تحيل على شيء مفرد يمكن تحديده. ولكن يختلف **The** عن غيره من العناصر المحددة مثل محدد الملكية أو المحدد الإشاري من حيث إن هذه المحددات تحتوي على معلومة كالمالك بالنسبة لمحددات الملكية والقرب أو عدمه بالنسبة للمحددات الإشارية لكن المحدد **The** خال من كل محتوى فـ:

محدد الملكيـة	المحدد الإشـاري	المحـدد The
المالك	المسافة	θ

حينما يدرج **The** في بنية من نوع (The + N) (ال + اسم) فإن إحالته تكون إما خارجية وبالتالي يكون الشيء المحيل عليه موجودا في المقام أو منفصلا عنه ويكون بذلك هذا الشيء عاما من حيث إن الجميع يتفق عليه (محيل عليه موحد) أو اسم الجنس (générique). ومن أمثلة المحيل عليه المحدد في المقام:

المحيل عليه موجود في المقام

Mind the step — عقل **الخطوة**

the snow's too deep — **الثلج** جد عميق

where is the baby darling — أين **الطفل** المدلل

محيل عليه لا يرتبط بالمقام (موحد)

The sun — الشمس

اسم الجنس

The snail is considered a great Delicacy in This region

يعتبر الحلزون شديد الرهافة في هذه المنطقة.

وإما داخلية، ونكون حينئذ أمام حالتين، إما أن يحيل على ما سبق أو على ما يلحق.
ومن أمثلة الإحالة على ما يلحق. الصعود إلى قمة إفريست
[2,61]**The ascent of Mount Everest.**
الحزب في قوة. The party in power.
الطريق الأقصى للوصول إلى الاستقرار The best way to achieve stability.

فالسياق اللاحق of Mount Everest يمثل انتظار لـ **The** أو بعبارة أخرى فإن **The**يلعب دور الإشارة المحددة ويشير إلى أن السياق اللاحق هو الذي يحدد بأيّ قمة يتعلق الأمر ولكن وجوده داخل الجملة الواحدة يلغي دوره الاتساقي.
ومن أمثلة الإحالة على ما سبق:
She found herself in a long, low hall which was lit up by a row of lamps hanging from the roof. There were **doors** all round **the hall** but they were all locked.
«(هي) أقامت في قاعة طويلة منخفضة ومضاءة بمصباح معلق في السقف. كانت الأبواب محيطة بالقاعة لكنها كانت كلها موصدة».

تلعب الإحالة هنا دورا اتساقيا. وتتمظهر العلاقة بين المحيل والمحيل **عليه** في انتقالات مختلفة، فتكون من النكرة إلى المعرفة. ففي السياق السابق يكون الاسم **منكرا** وفي السياق اللاحق يصبح **معرفا**.
إن البنية The + N (ال + س) يشير فيها المحدد The إلى أن الاسم الذي يحدده له محيل عليه يمكن تحديده وأن كل المعلومات المتعلقة بتحديده متوفرة ولكنه لا يشير إلى المكان الذي يمكن أن نجد فيه هذه المعلومات .

3.1- المقارنـــة:

تختلف المقارنة [comparaison] في خاصية الإحالة الضميرية والإحالة الإشارية من حيث إنها لا تعمل انطلاقا من تحديد العنصر المحيل والعنصر الذي يحيل عليه ولكن انطلاقا من مقارنة صريحة مع العنصر المحيل عليه. ويميز هاليداي بين مقارنتين مقارنة عامة ومقارنة خاصة.
فبالنسبة للمقارنة العامة، فهي تعبر عن التشابه أو عدم التشابه وتعكس علاقة التشابه التطابق/عدم التطابق (l'identité / non identité) وبذلك يكونان إما متماثلين أو غير متماثلين. وهاتان العلاقتان إحاليتان لأن شيئا ما لا يمكن أن يكون مشابها أو مماثلا إلا لشئ آخر. وعلى هذا الأساس فالمقارنة تنتمي إلى مجال الإحالة.
وكما أن الضمائر وأسماء الإشارة يمكن أن تكون إحالتها خارجية أو داخلية وتكون في حالة الإحالة الداخلية متجهة إما إلى الوراء (إلى ما سبق) أو إلى الأمام (إلى ما يلحق)، فإن المقارنة يمكن أن تكون كذلك. بل إنها في إحالتها الداخلية قد تحيل على مقاطع هامة من النص. ويعبر عن المقارنة العامة في الإنجليزية بأدوات. فبالنسبة لـ:

- التطابق(identity) نجد : same (مثل) – equal (معادل) – identical (مطابق)

- التماثل(similarité) نجد: such، similar، so، similarly، likwise.
- التطابق والتماثل: other- different -else - differently - Otherwise

ومن الأمثلة التي يقدمها لتوضيح هذه الظاهرة:

[2.76 b] They 've given us special **places** in the front row.
Would you prefer the **other** seats
«خصصوا لنا أماكن خاصة في الصف الأمامي. هل تفضل المقاعد الأخرى؟»

.[2.74] The blow would have knocked anyone **else** cold
The champ just leaned to one side, then straightened again.
«كان من الممكن للريح أن تصيب أي أحد بالبرد. البطل فقط انحنى من جهة، ثم استقام ثانية.»

[2.77] Gerard Middleton was a man **of mildly but persistently depressive temperament**. Such men are not at their best at breakfast.
«كان جيرار ميدلتون رجلا ذا مزاج اكتئابي خفيف ولكن مستمر. مثل هؤلاء الرجال ليسوا في أحسن أحوالهم في فطور الصباح.»

يحيل **other** في المثال الأول على **places** ويحيل **such** في المثال الثالث على **of mildly but persistently depressive temperament** وفي الحالتين نحن أمام إحالة على ما سبق، أما في المثال الثاني فإن **else** يحيل على سياق لاحق هو **the champ**.

إن الأمثلة السابقة المتعلقة بالمقارنة تعلب دورا اتساقيا لأنها تنشىء علاقات بين الجمل. ولكن يمكن أن يوجد العنصر الذي تتم به المقارنة داخل الجملة الواحدة وفي هذه الحالة لا يكون له أي دور اتساقي. كما هو الحال بالنسبة لهذا المثال:

[2.79] All parties showed an **identical** relation to the news.
«أبدت جميع الأطراف رد فعل مماثل تجاه الأخبار.»

أما فيما يتعلق بالمقارنة الخاصة فإنها تعبر عن التشابه بالنسبة لخاصية محددة تكون بصفة عامة إما كمية أو كيفية. فالمقارنات المتعلقة بالكم تتم بواسطة عناصر مثل: (additional, further, fewer, more) ويطلق عليها اسم المكممات المقاربة (comparative quantifiers) .

كما تتم بواسطة ظروف المقارنة التي تسبق المكممات مثل as many و so many. ويعبر عن المقارنة الكيفية بواسطة ظروف المقارنة مثل **so** في:

So difficult a task «مهمة صعبة جدا»

و **as** في: She sang **as** sweetly «غنت بعذوبة مماثلة»

ومن أمثلة المقارنة الخاصة:

[2.88 a]Cassius : ye gods, ye gods, must I endure all this ?
Brutus : All this ? Ay, **more** !
كاسيوس: أيتها الآلهة، أيتها الآلهة، هل علي أن أتحمل كل هذا؟
بروتوس: كل هذا ؟ بل أكثر !

[2.88 a] When 8000 is a minor matter, it must be really large-scale crime that is in question ?
« **Bigger** rackets go on ».

عندما تكون8000 مسألة بسيطة، فتكون القضية حينئذ خطيرة.
« صواريخ أكبر تنطلق» .

ويمكن في نهاية هذا القسم المتعلق بالإحالة أن نقدم شكلا بيانيا لمختلف العناصر التي تحقق هذا الإجراء المحقق بدوره للاتساق.

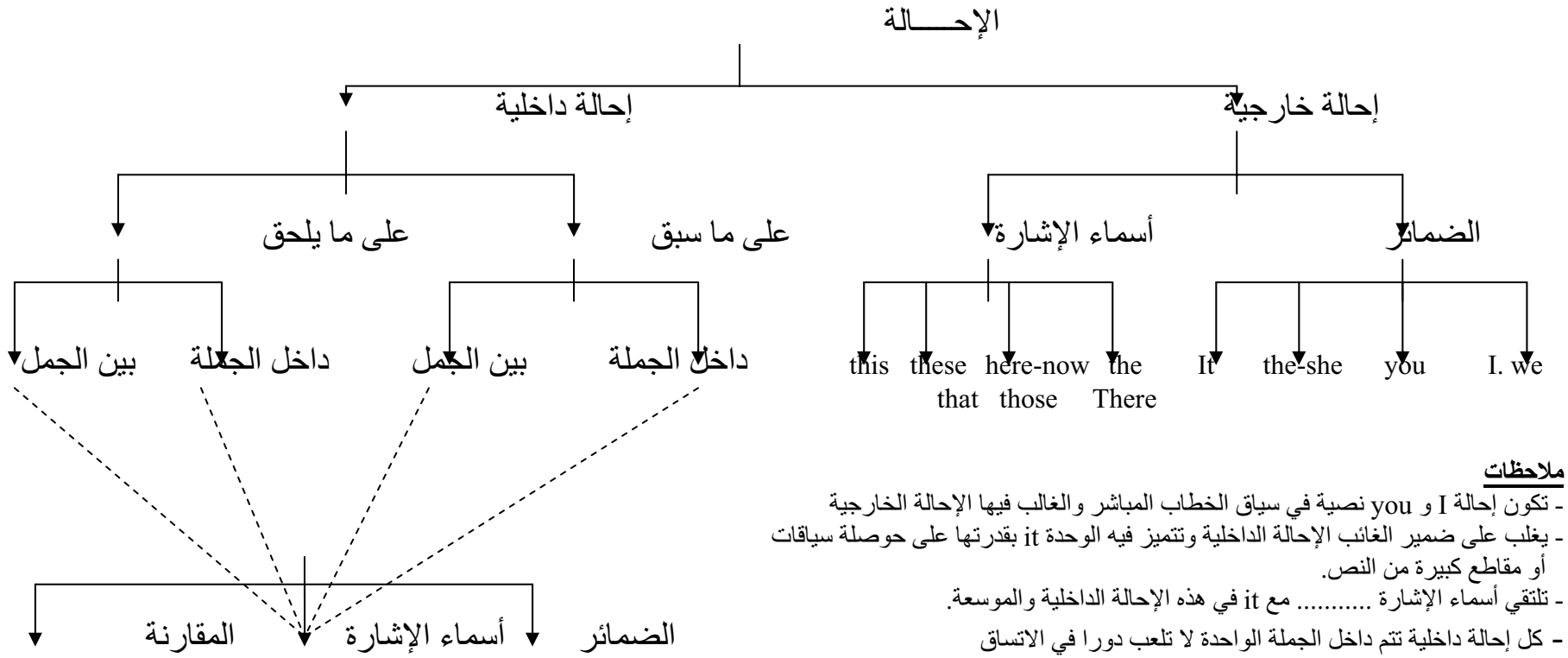

ملاحظات

- تكون إحالة I و you نصية في سياق الخطاب المباشر والغالب فيها الإحالة الخارجية
- يغلب على ضمير الغائب الإحالة الداخلية وتتميز فيه الوحدة it بقدرتها على حوصلة سياقات أو مقاطع كبيرة من النص.
- تلتقي أسماء الإشارة ..... مع it في هذه الإحالة الداخلية والموسعة.
- كل إحالة داخلية تتم داخل الجملة الواحدة لا تلعب دورا في الاتساق

2- الاستبدال:

يعتبر هاليداي ورقية حسن الاستبدال (substitution) عملية معجمية نحوية وهي تختلف عن الإحالة من حيث إن هذه الأخيرة هي عملية اتساق دلالية وينتمي مبدأ إجراء الاستبدال إلى البنى النحوية. وبعبارة أخرى إلى الجانب الشكلي للجمل.

وإذا كانت الإحالة تتعلق بتحديد محيل عليه إما في السياق من حيث هو لغة وإما في المقام، فإن الاستبدال يتعلق بالاحتفاظ بوحدة لغوية. وبذلك فهو عملية تتم دائما داخل النص. ونورد هنا مجموعة من السياقات التي أوردها هاليداي ورقية حسن ليميزا بين الإحالة والاستبدال.

«... فالإحالة العائدية مثلما رأينا: هي فقط حالة خاصة من الإحالة بصفة عامة. والنص هو فقط حالة خاصة من المحيط (environment). والإحالة يمكن أن تكون خارجية إذا كان المحيط هو المقام (situation). والإحالتان العائدية/الداخلية والخارجية كلاهما مشتقة من المفهوم العام لربط المعنى بالمحيط. أما الاستبدال فإنه علاقة داخل النص، ويستعمل عوض تكرار بعض الوحدات الخاصة.»[227]

1.2- أنواع الاستبدال:

يحدد هاليداي وحسن ثلاثة أنواع من الاستبدال:

1.1.2- الاستبدال الاسمي:

ويتحقق في الانجليزية بواسطة one/ ones وsame. يشكل ones/one المكون الرأسي للمركب الاسمي ويعوض اسما يكون هو أيضا مكونا رأسيا ويكون هذا الاسم مما يمكن عده (comptable) ولا يكون اسم جمع (nom massif).

فمثال ما لا يمكن أن يكون فيه ones معوضا لأنه لا يمكن عده.

[3.7 a] This biscruits are stale . Get **some fresh ones** .

«هذا البسكويت ليس كله جيدا. خذ بعض الجيد منه.»

وفي الحالات التي يتحقق فيها الاستبدال، فإن العبارة المستبدَلة تتميز عن العبارة المستبدِلة. ويمكن أن تكون الأولى مجموعة جزئية من هذه الأخيرة كما هو الحال في:

[3.8 c] Which kind of engines do you want ? **ones** with whistles.

Or **ones** without ?

أي نوع من القاطرات تريد؟ التي بالصفارات أو التي بدونها.

كما يمكن أن يكون مجرد إعادة تعريف كما يبينه المثال:

Do you remember that thunderstorm we had the last time .

We were here ? that was a terrifying **one**.

«أتذكر تلك العاصفة التي ضربتنا في الماضي؟ لقد كانت واحدة مرعبة.»

---

(227) - Cohesion in English . P 89 – 90

إن خاصية تفارق السياقات في الاستبدال بين المبدَل به والمبدل تميز ظاهرة الاستبدال الاسمي عن ظاهرة الإحالة. ففي حين أن الإحالة تشترط المحافظة على وحدة الإحالة (l'identité referentielle) بين الضمير أو اسم الإشارة والعبارة المفترضة التي يحيل عليها، فإن الاستبدال الاسمي يقع فيه دائما إعادة تعريف (redéfinition) أو إعادة تحديد (redétermination) للمحيل عليه وهذا ما يبرر غياب الاستبدال في الأعلام.

غير أن **one** له استعمالات أخرى، فقد يكون:

- ضميرا وفي هذه الحالة تكون إحالته دائما خارجية وبالتالي لا يلعب دورا في الاتساق

مثال ذلك:

[3.19] **One** never knows what might happen.

« لا أحد يعرف أبدا ما يمكن أن يقع.»

- الأصلي العددي (numéral cardinal) وهو لا يتبادل مع **ones** ويبقى دائما في المفرد:

[3.20 b] Ten set out, but only one came back .

«عشرة رحلوا ولم يعد إلا واحد.»

- determinant défini

يمكن أن يكون **one** بديلا لـ **one** المحدد، و**one** المحدد هو بديل صرفي في الإنجليزية و يظهر حينما يكون المحدد هو المكون الرأسي للمجموعة الاسمية المحذوفة كما في:

- Are there lions in those hills? هل أولئك أسود في تلك الروابي.

[3.26 a] a- yes, we saw one on the way over. نعم(نحن) رأينا واحدا في أعلى الطريق.

b- yes, we saw a lion on the way over. نعم،(نحن)رأينا أسدا في أعلى الطريق.

c- no, we didn't saw any on the way over. لا، لم نر أي واحد في أعلى الطريق.

d- yes, we saw some on the way over. نعم،(نحن) رأينا عددا(منها) في أعلى الطريق.

يمثل الجواب الثاني للسؤال المعادل غير المحذوف للجواب الأوّل، ويظهر الفرق بين **one** المحدد و**one** الاستبدالي من حيث إن المحدد استبدل بـ **any** في الجمل المتبقية كما في الجواب الثالث و كذلك في كون صورة الجمع فيه هي **some** كما في الجواب الرابع و ليس **ones**.

ويحدد هاليداي وحسن الفرق بين هذه الوحدات الثلاث **one** و**ones** و**same** كما يلي:

« العنصر الاستبدالي **one** هو عنصر نحوي لا يحتوي على نبر: وهو يعطى دائما في المعنى. يوظف كوتد/كركيزة لربط المعلومة الجديدة. ومن هذا المنظور فهو يشبه **do** [...] و **so** [...]. وأما العنصر الاستبدالي **the same** فإنه يعمل كوحدة معجمية: فهو يحمل المعلومة الرئيسية وهو يقوم بهذا بصفة نموذجية حينما يحتل الموقع الأخير.

والمعنى الذي يستخلص منه هو" المعلومة التي يحتلها هذا العنصر في هذا السياق جديدة، ولكن العنصر نفسه يعمل قبل» [228]

2.1.2- الاستبدال الفعلي:

إلى جانب الاستبدال الذي تقوم به مجموعة من الوحدات اللغوية في الانجليزية يقدم هاليداي نوعا آخر من الاستبدال هو الاستبدال الفعلي (substitution verbale).

ويشير في بداية معالجته لهذا الموضوع أن الفعل الذي يقوم بهذا الدور هو الفعل **Do** ويعطي مثالا لذلك:

A - … The words did not **come** the same as they used to **do.**
B - I don't **know the meaning of half those long words**, and what's more , I don't believe you do either !.

أ- ... الكلمات لا تأتي مثلما يستعملونها.
ب- أنا لا أعرف معنى نصف هذه الكلمات الطويلة، وما أكثرها. أنا لا أصدقك مهما فعلت

ففي المثال الأول يرتبط الفعل **Do** بالفعل **come** وفي المثال الثاني يرتبط **do** بالفعل ومتعلقاته know the meaning of half those long words.

غير أن **do** في المثالين لا يلعب دورا في الاتساق لأنه يندرج ضمن الجملة وهو بذلك لا يحقق علاقة بين جملة وجملة. ولكن يغلب على الاستبدال الفعلي تجاوز حدود الجملة الواحدة ليحقق بذلك العلاقات الاتساقية كما هو الحال في:

He never really **succeded in his ambitions**. He might have **done**, one felt, had it not been for the restlessness of his nature.

واقعيا هو لم ينجح قط في طموحاته. وبإمكانه أن ينجح .
إحساس واحد، لم يجد مكان راحته في طبيعته.

فالفعل **do** هنا يرتبط استبداليا بـ succeeded in his ambitions وبذلك فهو يربط الجملتين ويحقق علاقة اتساقية ومن ثم يشبه الاستبدال الاسمي الذي تقوم به الوحدة **one**.

وإذا كان **one** يرتبط استبداليا دائما باسم، فإن **do** يرتبط بفعل أو بفعل وما يتعلق به من عناصر كما تبينه الأمثلة التي أوردناها.

ولئن كان اتجاه العلاقة في الأمثلة التي رأيناها ورائيا، فإن **do** يمكن أن تتجه علاقته إلى الأمام فيرتبط بما هو لاحق كما يلي:

[3.93]Since I have **done** , will you **join too**? منذ أن بدأت عملي. هل تلتحق أنت أيضا ؟

[228] - Cohesion in English , P 110 .

ولكنه لا يلعب دورا اتساقيا لأنه يوجد داخل الجملة نفسها. ويشير هاليداي ورقية حسن إلى أن ارتباط **do** بما يلحق يكون عرضيا في الإنجليزية.

كما يمكن أن يرتبط **do** بالخارج بشروط معينة. ويعطينا مثالا لذلك يقدم له بعرض الشروط التي تكلم عنها. مثلا إنذار البعض ممن أمسكوا وهم يقومون بأعمال ممنوعة.

«لو كنتُ أنتَ لم أفعل.» . I shouldn't do, if I was you [3.94]

حيث يرتبط الفعل **do** بالخارج. ولكن هل يلعب الفعل **do** دائما دورا استبداليا فيعرض فعلا أو فعلا ومتعلقاته؟ يشير هاليداي إلى أن الفعل **do** يلعب أدوارا أخرى غير الاستبدال:

«يلعب الفعل **do** في الانجليزية الحديثة دور الفعل المعجمي والفعل العام (general verb) وبديل الفعل (Pro- verb) والفعل الأداة»[229]

ويعرض كل واحد من هذه الأفعال ويناقش السياقات المختلفة التي يرد فيها.

ولا يسعنا هنا أن نعرض كل التفاصيل، ولكن نقدم لكل استعمال من استعمالات **do** غير الاستبدالية مثال ونضع الكل في الجدول الآتي:

---

[229] - نفسه ص 124.

الفعل do غير الاستبدالي al verb		خصائصه	المثال
الفعل المعجمي **do**	-Lexicd **do**.	-فعل ممتلئ. - يكون متعديا. - يمكن استبداله كأي فعل في الانجليزية بـ **do.**	He ought to be doing his homework He is doing. [3.80] • يجب أن ينجز واجباته المنزلية إنه يفعل
الفعل العام **do**.	- General verb **do**.	- قسم من الأفعال يشبه الأسماء العامة(general nouns) - له معنى عام	He ought to be doing his homework He **DOING** it. • يجب أن ينجز واجباته المنزلية إنه يفعل ذلك.
بديل الفعل **do** .	- Pro-verb **do**	- تستعمل هذا الاستعمال في حالة الأفعال غير المحددة - يصحبها دائما عنصر إحالي مثل That(ذلك) أو It (هو) . - يمكن اعتبار **do it** أو **do that** أفعال إحالية مركبة (compound reference verbs). - يظهر بكثرة في صيغ المبني للمجهول.	A little kidness- and putting her hair in papers –would **do** wonders with her • الطفلة الصغيرة – وقد وضعت شعرها في الورق – صنعت شيئا عجيبا به I told someone to feed that cat. • Has **it** been **done** ?[3.86] • طلبت من أحدهم أن يطعم القط . هل فعل ذلك
الفعل الأداة**do**	- Verbal operator **do**.	- الفعل الأداة **do** المستعمل في الجمل الاستفهامية المنفية وفي الأشكال الموسومة للجمل الخبرية. - لا يملك قيمة اتساقية. - يرتبط عادة بحذف عنصر من المجموعة الفعلية.	Does she sing ? – she doesn't sing.[3.89] • هل هي تغني؟ لا هي لا تغني. Does'she sing ? – yes she does.[3.91 a] • هل هي تغني؟ نعم، هي تفعل. Does'she sing ? – No,but Mary does.[3.91 b] • هل هي تغني؟ لا، ولكن ماري تفعل

3.1.2- الاستبدال الجملي: (clausal substitution)

رأينا فيما سبق أن الفعل **do** يمكن أن يعوض فعلا أو فعلا وتوابعه، ولكن لا يمكن أبدا أن يكون الفاعل ضمن هذا الجزء المبدَل ولذلك يسميه هاليداي بالاستبدال الفعلي (verbal substitution). وهو وجه خلاف بينه وبين ما يسميه الاستبدال الجملي (clausal substitution). فهذا الأخير يأتي على كل الجملة أي كل عناصر الجملة بما في ذلك الفاعل. يقول هاليداي وحسن في هذا السياق:

« يوجد نوع آخر من الاستبدال حيث لا يكون المفترض من العناصر هو عنصر من الجملة ولكن الجملة كلها»[(258)] .

ويحدد العنصرين اللذين يحققان عملية الاستبدال هذه وهما: **so** و **not** وهما يشبهان الوحدتين **yes** (نعم) و**no** (لا). ومن أمثلته:

[3.96 c] Is there going to be an earthquake ? It says so .

«هل تتجه إلى أن تكون هزة أرضية ؟ قالت هذا.»

فـ **so** هنا يكون عوضا للجملة **There is going to be earthquake** ويوجد في جملة ثانية مما يجعله يلعب دورا اتساقيا ويحقق بذلك النسيج.

ويلفت هاليداي وحسن الانتباه إلى أن هذا النوع من الاستبدال يتم في ثلاث أنواع من الجمل:

الخطاب المنقول.
الجمل الشرطية.
الجمل الموجهة.

وهذا تمثيل لكل حالة من الحالات الثلاث:

- الخطاب المنقول:

« The trial cannot prorceed » said the king in a very grave voice.
« Until all the jurymen are back in their proper places- all ».
he repeated with great emphasis, looking hard at Alice as he said so

« قال الملك بصوت منخفض: «التجربة لن تتم» ثم أعاد بصوت قوي وهو ينظر إلى (أليس): «حتى أعضاء لجنة التحكيم رجعوا كلهم إلى أماكنهم».

[3.102] Ought we to declare our winnings ?

---

(258) - نفسه ص 130 .

- it says **not** .

يجب أن تعلن انتصاراتنا.
لم تقل شيئا.

- الجملة الشرطية:

[3.104 a] - everyone seems to think **he's guilty**. if **so**, no dobt he'll offer to resign.

كل واحد يفكر في أنه مذنب. إن كان ذلك فلا شك أنه سيقدم استقالته.

[3.104 b] we should recognize the place when we come to it .
- yes, but supposing **not** : then what do we do?

يجب أن نعيد ترتيب المكان الذي نأتي إليه.
- نعم، ولكن افرض العكس: ماذا سنفعل ؟

- الجمل الموجهة:

would you like cats if you were me?
" Well, perhaps not" , said Alice in a shooting tone.

أتحب القطط لو كنتَ أنـا ؟
« حسنا، من الممكن أن لا أحبها» قال أليس(ذلك) في صوت رخيم .

ويعبر عنها بواسطة: أشكال الفعل(modal forms of the verb) مثل: will (سـ)، would(يستطيع)،may (يقدر)، ought to(بمعنى)، is to(هذا الذي)، should(يحب)، must(يحب)، might(عزم).

أو بواسطة الظروف الموجهة (modal adverb) مثل:

Perhaps (ربما)، surly (أكيد)، certainly (بالتأكيد)، propably (محتمل)، possibly (ممكن).

3- الحـذف:

كما أن الاستبدال عملية يتم بواسطتها الاتساق فكذلك الحذف. وهما من هذه الناحية متشابهان، إلا أن الحذف يختلف من حيث إن العنصر المبدل به هو الصفر ويسميه هاليداي ورقية حسن (Substitution by zero). وعليه يمكن تمثيل الظاهرين هكذا:

	المبدل به	المبدَل
الاستبدال	عنصر لغوي	عنصر أو مجموعة عناصر
الحذف	θ	عنصر أو مجموعة عناصر

فالحذف هو **خلو موقع من البنية** ويتم ملؤه بالسياقات القبلية. وكما أن الاستبدال اسمي وفعلي وجملي فكذلك الحذف هو اسمي وفعلي وجملي. ويعرض هاليداي وحسن كل نوع من أنواع الحذف هذه مع توضيحه بالشواهد. ونرى من المفيد أن نعرض هذه الأنواع كما عرضنا أمثلة الاستبدال سابقا حتى يتسنى للقارئ أن يرسم صورة عن هذه الظاهرة التي تلعب دورا في الاتساق، خاصة أن باب الحذف يشغل حيزا هاما في مجال البلاغة العربية.[259]

1.3- الحـذف الاسمي:

---

[259] - لا بد من الإشارة هنا إلى نظرة الجرجاني إلى الحذف أوسع من أن تحصر في مقابلة الصفر بموجود لغوي. فهو مرتبط بمسألة الإفادة ومقصدية المتكلم ومن ثم فهو كما يقول صاحب **الدلائل**: « باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر **أفصح** من الذكر والصمت عن الإفادة **أزيد** للإفادة. وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن » ص 112 .
ولا يكتفي الجرجاني بهذا بل لفت انتباهنا إلى مسألة هامة تميزه عن هاليداي. فهذا الأخير يرى عملية الحذف هي عملية استبدال موقع الحذف بالصفر. ومن ثم فإن الاستدلال على الحذف يستند إلى المعطى البنائي. بينما يستدل على الحذف عند الجرجاني إما بما **سبق من الكلام** أو **بدليل الحال**. لنتأمل هذا السياق الذي يعالج فيه مسألة حذف المفعول:
« وهذا نوع آخر منه وهو أن يكون معك مفعول معلوم مقصود قصده. قد علم أنه ليس للفعل الذي ذكرت مفعول سواه. **بدليل الحال** أو **ما سبق من الكلام** إلا أنك تطرحه وتتناساه وتدعه يلزم ضمير النفس لغرض غير الذي مضى وذلك الغرض أن تتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل وتخلص له وتنصرف بجملتها وكما هي إليه » ص 121 .
لمزيد من التفصيل أنظر:
عبد القادر الجرجاني : دلائل الإعجاز - دار المعرفة – بيروت 1978 .
وخاصة باب **الحذف** : ص 112 – 131 .

Cohésion in English . P 40 .

يتطلب الكلام عن الحذف الاسمي في الانجليزية عرض ما يسميه هاليداي ورقية حسن بنية المجموعة الاسمية(The structure of the nominal group). يرى هاليداي ورقية حسن أن المجموعة الاسمية يجب أن تحلل وفق بعدين، بعد منطقي (logical dimension) وبعد تجريبي (عملي) (experiential dimension) من حيث إن كل مكون يعكس نوعا خاصا من التجربة.

فمن ناحية البعد المنطقي تحتوي المجموعة الاسمية على مكونين: مكون رأسي (head) ومكون معدل (modifier). يمكن أن يحتوي المعدل على عناصر تسبق وعناصر تلحق المكون الرأسي وفي هذه الحالة نتكلم عن معدل سابق ومعدل لاحق.

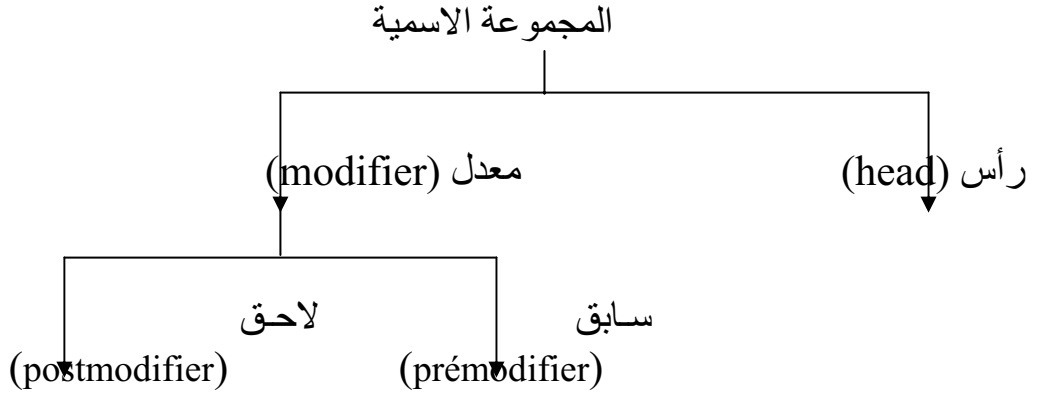

ففي المثال:

[2 :5] The two high stone **walls** along the roadside.

الجدران الحجريان العاليان على طول جانبي الطريق.

يعتبر **walls** المكون الرأسي و **The two high stone** هو المعدل السابق و**along the roadside** هو المعدل اللاحق .

أما من ناحية البعد التجريبي(العملي) فإن هاليداي ورقية حسن يحللان البنية التجريبية للمجموعة الاسمية إلى ست عناصر أو ظائف وهي:

deictic (الإشاري)، numératif (عددي)، epithet (خصيصة)، classifier (مصنف) Cotifieateur(مبوب)، thieng (الشيء)

ويمكن تحليل المثال السابق وفق البنية التجريبية كما يلي :

deictic إشاري	Enumerative عددي	Epithet خصيصة	Classifier مصنف	Thing شيء	Qualifier مبوب	البنية التجريبية
	معدل سابق Prémodifier			المكون الرأسي	معدل لاحق (Postmodifier)	البنية المنطقية
determiner	Numeral	adjective	Noun	Noun	Prepositional	الأقسام

	group المجموعة الحرفية [شبه جملة]	اسم	اسم	نعت	عدد	محدد

حينما نكون أمام عبارة لا يوجد فيها حذف فإن المكون الرأسي للبنية المنطقية يكون عادة اسما عاما أو علما أو ضميرا ويعكس وظيفة الشيء على مستوى البنية التجريبية. وفي هذا الأخير يمكن أن يحذف ويحقق موقع المكون الرأسي حينئذ أحد عناصر المعدلات القبلية الإشارى أو الخصيصة وقليلا ما يكون المصنف. نكون حينئذ أمام حذف اسمي. ففي المثال الآتي:

[4-11]Here are my two white silk scarves. I can lend you one if you like.

توجد ربطتا العنق الحريريتين البيضاوين هنا. أستطيع أن أعيرك إحداهما إن رغبت (في ذلك).

يتحول **one** إلى مكون رأسي، ويمكن بناء العبارة الأصلية هكذا :

One white silk scarve

حيث يكون **one** هو العنصر الإشاري للمكون الذي يلعب دور المعدل القبلي و **white** هو الخصيصة و**silk** هو مصنف و **scarve** هو الشيء فيكون هذا الشكل:

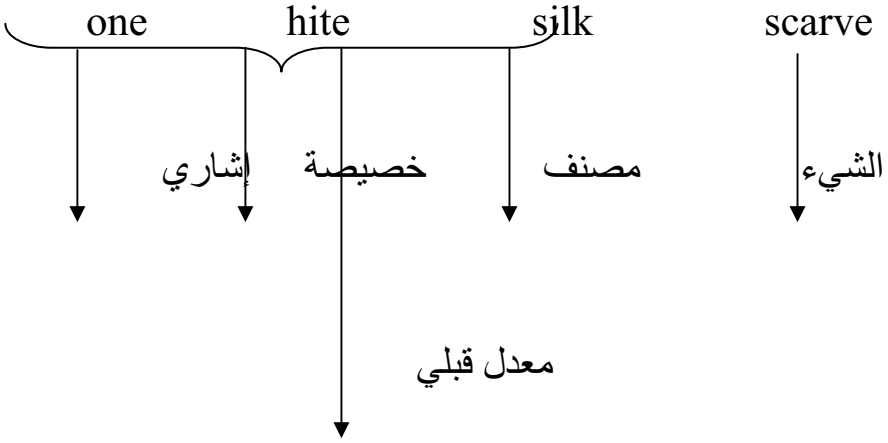

وفي الحذف الاسمي يكون الشيء (thing) دائما هو المفترض، ولكن يمكن أيضا لكل عنصر يوجد على يمين العنصر الذي يحتل موقع المكون الرأسي للعبارة التي يوجد فيها الحذف أن يفترض. ففي المثال السابق يمكن لـ: White وsilk أن يكونا مؤشرين على الحذف.

إن هذا التفسير لآليات الحذف الاسمي هو الذي يوضح جيدا أهمية النظر إلى المجموعة الاسمية باعتبارها منظمة حسب بنية مزدوجة، بنية منطقية وبنية تجريبية.

2.3- الحذف الفعلي:

يحلل هاليداي ورقية حسن المجموعة الفعلية كما حلل المجموعة الاسمية إلى بنية منطقية وبنية تجريبية. وتتكون بنية المجموعة الفعلية في بعدها المنطقي من رأس ومكون معدل وتتكون البنية التجريبية من شيء (يتم التعبير عنه بواسطة الفعل المعجمي) ومجموعة من الأنظمة (الزمان، بناء الجملة للمعلوم أو المجهول، الشخص، الصيغة (mode). ويمكن تمثيل هاتين البنيتين هكذا:

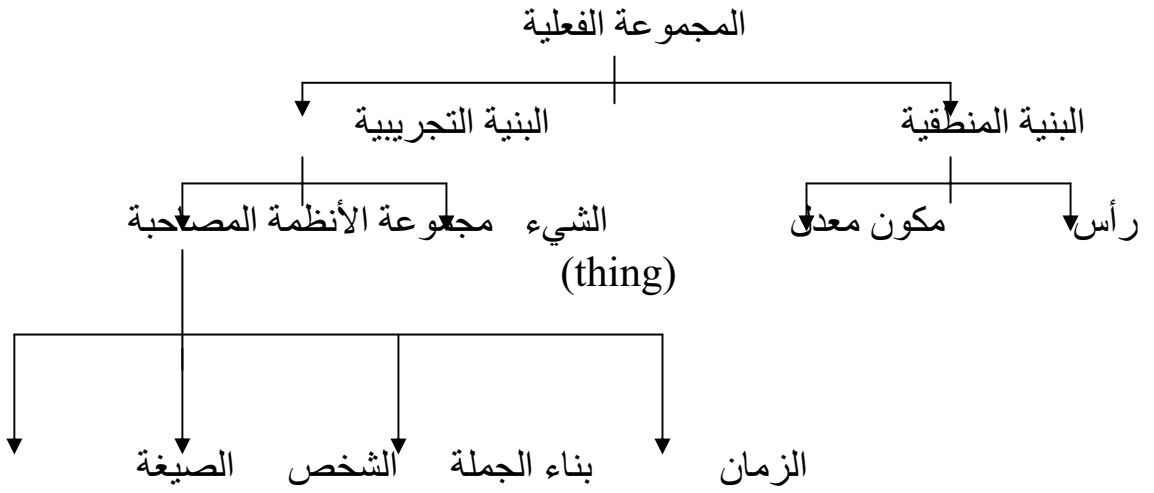

ومن هذا المنطلق فإن الحذف يمكن أن يقع على الفعل المعجمي كما يمكن أن يقع على الأداة الفعلية. ففي الحالة الأولى يكون هذا الحذف من اليمين وتكون بهذا كل مجموعة فعلية لا تحتوي على الفعل المعجمي دالة على حذف. مثال ذلك:

[4.58]- Is John going to **come** ? «هل سيأتي جون؟»

- He might . He **was to**, but he **may not**. «هو يقدر. يمكن أن يأتي ولكنه لا يقدر»

- He **should** , if he wants his name to be considered. «يجب، إذا أراد أن يؤخذ اسمه بعين الاعتبار»

فـ **might** و **was to** و **may not** و **should** هي مجموعات فعلية دالة على الحذف لأنها تتكون من أداة موجهة(modal operator) ويمكن إكمالها بالفعل **come**. وهذا يعني أن الحذف يقع من اليمين لأن أصل البناء هكذا:

يمكن أن يأتي - He **was to** come.

لا يقدر أن يأتي - He **may not** come.

يجب أن يأتي He **should** come.

وقد يحذف أحيانا الفعل المعجمي وبعض مكونات المجموعة الفعلية كما يبينه المثال الآتي:

john should have been coming every day . ?

هل يجب أن يأتي (جون) كل يوم. ؟

يمكن أن نحصل على ثلاث حالات:

لا أتصور أنه يأتي	I don't think he has been coming.
لا أتصور	I don't think he has been θ.
لا أتصور	I don't think he has θ .

ففي الحالة الأولى لم يقع الحذف ووجد الفعل المعجمي مع العناصر التي تصاحبه وفي الحالة الثانية حذف الفعل المعجمي وفي الحالة الثالثة حذف الفعل المعجمي مع الأداة.

كما يمكن أن يحذف الفعل المعجمي وبعض العناصر التي لا تنتمي إلى المجموعة الفعلية ولكنها تقع على يمين الفعل كما هو الحال في:

هذا القط لا يمسك الفئران في الشتاء	- This cat won't catch mise in winter
لا يمسك به؟	- won't it ?

The cat	Won't	Catch mice	in winter
Modal موجه		Propositional جملي	
Subject مسند إليه	Predicator مسند	Complement فصلة	Adjunct ملحق
Nominal Group مجموعة اسمية	Verbal Group مجموعة فعلية	Nominal Group مجموعة اسمية	Prepositional Group مجموعة حرفية[شبه جملة]
It	Won't	0	

وفي مقابل هذا الحذف الذي يقع من اليمين ابتداء من الفعل المعجمي إلى ما يأتي معه من عناصر تكون منتمية أو غير منتمية إلى المجموعة الفعلية، هناك حذف من اليسار ويتعلق بحذف ما يأتي قبل الفعل المعجمي بما في ذلك الفاعل أي أن الأمر يتعلق هنا بـ الأداة الفعلية (l'opérateur verbal) وهو يحمل الموجهات (modalités) ويظهر حذف الأداة الفعلية بشكل واضح في تتابعات الأسئلة والأجوبة. لننظر:

[4.80 b] - what will they be doing now. Do you think ?

- finishing their essays, probably.

- ماذا سيفعلون الآن ؟ هل تفكر ؟
- محتمل (أنهم) ينهون مقالاتهم.

وأصل الجواب أن يكون :

They will be finishing.

3.3- الحذف الجملي: (clausal ellipsis)

رأينا في النقاط السابقة حذف الفعل المعجمي وما يتبعه مما هو تابع إلى المجموعة الفعلية أو غير تابع. وإلى جانب هذا النوع من الحذف، هناك الحذف الجملي (clausal ellipsis). ولفهم هذا النوع من الحذف جيدا لابد أن نعرض نظرة هاليداي وحسن لما يسميانه أقسام الجملة؛ فالجملة في الإنجليزية منظور إليها من ناحية التعبير عن أنواع الوظائف التبليغية المختلفة، إذ يمكن أن تكون سؤالا أو جوابا أو غير ذلك. وهي بهذا تنقسم إلى جزأين هما: العنصر الموجه (Modal element) والعنصر الجملي (propositional element). وهذا مثال توضيحي لهذا التقسيم:

[4.96]The duck was going to plant a row of poplars. البطة كانت ذاهبة لغرس بذور شجر الحوّر
العنصر الموجه العنصر الجملي

يتكون العنصر الموجه كما يبين المثال من الفاعل وجزء من المجموعة الفعلية وهذا الجزء أي العنصر الموجه هو الذي يحدد نوعية الجملة (إخبارية، استفهامية...) وتمثل بقية الجملة ما يسمى بالعنصر الجملي.

يرى هاليداي ورقية حسن أن نوعي الحذف الفعلي يتم استنادا إلى هذا التقسيم المزدوج للجملة، فأحيانا يقع الحذف في الجزء الأول مثل:

[4.96] - what **was the duke** going to do ? ماذا كانت ستفعل البطة ؟
- **θ** plant a row of poplars in the park . زرع بذور شجر الحور في الحظيرة

فقد وقع في الجواب حذف **was** مع الفاعل **Duke** ويمثلان معا العنصر الموجه وقد يقع الحذف على الجزء الثاني أي على الفعل المعجمي وتوابعه. ومثال ذلك :

[4.98] - who was **going to plant a row of poplars in the park** ?
- the duke was θ.

- من كان ذاهبا لزرع بذور شجر الحور في الحظيرة ؟
- البطة.

فالذي حذف هنا هو الفعل المعجمي **to plant** وما يتبعه.

ويكون عادة حذف العنصر الموجه في إجابات الأسئلة المفتوحة المدرجة بواسطة أداة الاستفهام **what** في وظيفة المفعولية. كما يبينه المثال [4.98] .

ويكون حذف العنصر الجملي كثيرا في الإجابات عن أسئلة ثنائية (binaire) أو مفتوحة مدرجة بواسطة أداة الاستفهام who (من) أو what (ماذا) كما يبينه المثال [4.96].

4- الوصل: (conjunction)

يمثل **الوصل** الظاهرة الرابعة من الظواهر التي تحقق علاقات اتساقية بين الجمل. وقد آثرنا أن نترجم **conjunction** بـ **الوصل** استئناسا بما هو مستعمل في العربية حين نتكلم عن العلاقات بين الجمل من ناحية الاصطلاح أي **الوصل** و**الفصل**.

ويتقاطع مفهوم **الوصل** مع مفهوم **conjunction** في نقطة هامة هي محاولة تحديد ما يربط الجمل في الحدود. ولكن مفهوم الوصل يختلف من وجهة أخرى من حيث إنه علاقة شكلية (relation formelle) تحصر عادة في العطف ويقابل غياب هذه العلاقة الشكلية علاقة دلالية تعوض هذا الغياب وهي التي يجسدها مفهوم **الفصل**.

يختلف الوصل باعتباره علاقة اتساقية عن باقي الظواهر التي رأيناها سابقا من حيث إن هذه الأخيرة تتحقق فيها جميعا العلاقة الاتساقية من داخل الجملة إلى داخل الجملة، أما الوصل فإن العلاقة فيه تم في الحدود بين الجمل. ويمكن تمثيل هذا الاختلاف كما يلي:

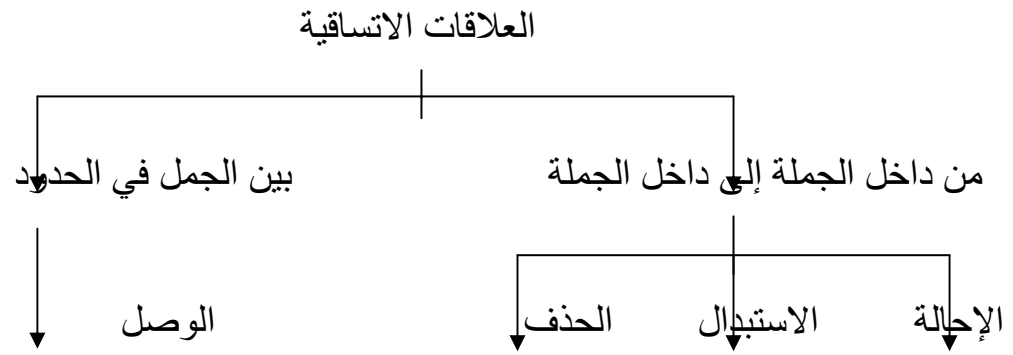

يشير هاليداي ورقية حسن إلى أن الوصل يختلف عن الإحالة والاستبدال والحذف من حيث إن أدوات الوصل لا تحيل إلى الوراء ولا إلى الأمام في النص، ولكنها تحتوي هي ذاتها على معنى وهذا المعنى هو الذي يحدد طبيعة العلاقة التي يقيمها ما يأتي بعدها بما يأتي قبلها.

غير أن مفهوم الوصل كما يراه الباحثان أوسع من مستوى العلاقات بين الجمل. ويمكن أن يتمظهر في مستويات عدة.

لو نظرنا إلى مجموعة الأمثلة الآتية:

[5.1 a-b]A snowstorm followed the battle. العاصفة الثلجية لحقت المعركة

After the battle, there was a snowstorm. بعد المعركة، كانت عاصفة ثلجية

After they had fought a battle, it snowed. بعد تقاتلهم في المعركة، أثلجت

They fought a battle. Afterwards, it snowed. قاتلوا في المعركة، بعد ذلك أثلجت

تشترك هذه الأمثلة كلها في التعبير عن التتابع الزمني، ولكن تختلف أشكال التعبير عن هذا التتابع من مثال إلى آخر ففي المثال الأول تم التعبير عنه بواسطة الإسناد (predication). ونحن في هذه الحالة أمام جملة واحدة. وفي المثال الثاني تم التعبير عنه بواسطة المركب المدرج بواسطة حرف الإضافة (after the battle) وفي المثال الثالث يتم التعبير عنه بواسطة التعليق(subordination) بين after they had fought a battle و it snowed.

وفي هذه الحالة نحن أمام جملة مركبة. أما في المثال الرابع فنحن أمام جملتين مستقلتين تركيبيا، ولكن تجسدت علاقة التتابع الزمني بينهما بواسطة الظرف **afterwards**.

فالمثالان الأولان يتم التعبير فيهما عن التتابع داخل الجملة أما الثالث فرغم أنه يتكون من جزأين وفي كل جزء فعل فإن هناك تعلق الجزء الأول بالثاني تركيبيا. ولم يبق إلا المثال الأخير الذي يجسد فعلا العلاقة الاتساقية كما طرحها الباحثان.

ومن هذا المنظور يعتبر التتابع الزمني المجسد لتتابع الأحداث **وصلا** ولكنه يتجاوز مفهوم الانحصار بين جملتين. يشير الباحثان في هذا السياق إلى أن التعامل الذي جرى به

العمل يستند إلى مفهوم الاتساق من حيث إنه **علاقة بين الجمل في التتابع** ولهذا يحصران مفهوم **الوصل** في هذا الحد. ولذلك لا يمكن الكلام عن الوصل إلا في المثال الأخير رغم أن العلاقة الدلالية بين الأمثلة الأربعة ثابتة (في كل الأمثلة هناك ربط بين حدثين المعركة و سقوط الثلج).

1.4- أنواع الوحدات الواصلة:

1.1.4- And بين العطف والاتساق:

يعتبر هاليداي ورقية حسن **and** التي تقابل واو العطف في العربية أنها أبسط أشكال **الواصلات**. وهي تقوم في سياقات بالربط داخل الجملة كأن تربط بين اسمين أو بين مجموعتين اسميتين وهو ربط يعطيه الباحثان صفة العطف (coordination) ويفرقان بينها وبين **and** التي تكون واصلة وتقوم في هذه الحالة بدور اتساقي فتربط بين جملتين.

« حينما تعمل **and** كواصلة بين الجمل لتحقق الاتساق للنص– أو بالأحرى لخلق النص بجعل جمله متسقة – فإنها تنحصر في أزواج الجمل. وهذا يبين الفرق بين **and** كعلاقة بنوية(عاطفة) و**and** كعلاقة اتساقية(ضم)» [260]

ويضربان مثالا للتفريق بين الواو العاطفة والواو الضامة فلو قلنا **men and women** (الرجال والنساء) فإننا ننظر إليه من ناحية البنية كعنصر واحد. ذلك أننا إذا أدرجنا هذا السياق في جملة فإنه قد يقوم بدور الفاعل. وقد يتعدى العطف عنصرين ومع ذلك فإن مجموع العناصر المعطوفة على بعضها تلعب دور العنصر الواحد في البنية. وهكذا يمكن أن نقوم بعملية التوسيع دون أن نغير من البينة شيئا. لننظر مثلا:

الرجال والنساء	- men and women
الرجال والنساء والأطفال	- men, women and children (الرجال
والنساء) و(الأبناء والبنات)	- (men and women) and (boys and girls)

فمهما تم التوسيع فإنه يبقى في حدود العنصر الواحد من ناحية البنية (دور الفاعل مثلا).

وتختلف **and** التي تحقق علاقة اتساقية عن **and** العاطفة فالعلاقة في حالة واو الاتساق تكون بين جملتين وبارتباطهما تلعبان دورا في تشكيل وحدة المعنى في النص.

2.1.4- بقية الأدوات الواصلة والمعاني التي تحققها في حالة الربط الاتساقي:

هناك أدوات أخرى تقوم بدور اتساقي وتربط الجمل فيما بينهما، وتكون معاني هذا الوصل مختلفة. ويحدد هاليداي وقية حسن أربعة معاني تحققها هذه الأدوات هي:

- علاقة إضافة - additive relation

---

[260] - Cohesion in English - P 234 .

- علاقة تقابل - adversative relation
- علاقة سببية - causale relation
- علاقة زمنية - temporal relation

فمثـال علاقة الإضافة:

[5.22] My client says he does not know this witness.
Further, he denies ever having seen her or spoken to her.
«أدلى موكلي بأنه لا يعرف هذا الشاهد، بالإضافة(إلى ذلك) هو ينفي
أن يكون قد رآه أو كلمه»

ومثـال العلاقة التقابلية:

[5.36 a] she failed. However, she's tried her best.
«هي فشلت ومع ذلك ستبذل جهدها».

ومثـال العلاقة السببية:

[5.84] you aren't leaving. Are you? Because I've got something to say to you.
« أنت لم تغادر. أنت هنا؟ لأن لدي شيئا أقوله لك»

ومثـال علاقة الترتيب الزمني:

[5.13] For the whole day he climbed up the steep mountainside,
almost without stopping. Then, as dusk Fell, he sat down to rest.
«خلال اليوم كله تسلق مرحلة الجبل الجانبي بدون توقف. ثم، حينما حل الظلام، جلس ليستريح»

5- الاتساق المعجمي

1.5- بين الاتساق النحوي والاتساق المعجمي:

لقد تعلق الأمر في النقاط السابقة بوصف مختلف أنواع الاتساق النحوي أي الإحالة والاستبدال والحذف والوصل. وهي ظواهر اتساقية نحوية لأنها تستند في استعمالها على أقسام منتهية،[261] كما هو الحال بالنسبة للإحالة والاستبدال والوصل، أو على البنية التركيبية كما هو الحال بالنسبة للاستبدال والحذف. ويرى هاليداي ورقية حسن أن أمرها يسهل مقارنة بالاتساق المعجمي. ففي حالة الاتساق النحوي تكون العملية واضحة نسبيا، إذ تفترض الإحالة مثلا أو الاستبدال أو الوصل بعض العناصر المماثلة.

حين يتعلق الأمر بالاتساق المعجمي، فإن المسألة تتجاوز حدود التعامل مع مجموعة محدودة من العناصر، ولكن كل المعجم يكون قابلا للاستعمال. ومن ثم فهو يتميز بالتنوع والاتساع ولا يتحكم في المسألة حينئذ إلا ما يختاره المتكلم. فالمعجم من ناحية التعريف يتميز بخاصية الانفتاح.

2.5- أنواع الاتساق المعجمي:

يحدد هاليداي وحسن كيفيتين للاتساق المعجمي، يسميان الأولى **التكرار (reiteration)** ويسميان الثانية **التلازم(collocation)** .

1.2.5- التكرار:

[261] - يفرق في اللسانيات اليوم بين قسمين من الوحدات اللغوية. قسم تتسم وحداته بالانتهاء وتشكل قوائم منتهية كالضمائر وأسماء الإشارة والموصولات وأسماء الاستفهام وحروف الربط. وقسم تتسم وحداته بالانفتاح والقابلية للزيادة وتمثل القسم الأكبر من الوحدات.

يتم الاتساق عن طريق التكرار إما بواسطة تكرار وحدة معجمية أو الترادف أو (شبه الترادف) أو اسم الجنس(**Hyperonyme**) أو بواسطة ما يسميه الباحثان **الاسم العام(general noun)**.

1.1.2.5- تمثيل للتكرار:

[6.5 a] There was a large **mushroom** growing near her, about the same height as herself.[…..] she stretched herself up on tiptoe, and peeped over of **the mushroom**.
كان **فطر** كبير ينمو بجانبها، له تقريبا نفس الارتفاع. مقارنة بها.[...] (هي) مددت طولها مستندة على رأس إصبع قدمها ولوحت بنظرة حول **الفطر**.

نلاحظ هنا أن الاتساق بين الجملتين تحقق بواسطة الانتقال من **mushroom** التي هي في هذه الحالة منكرة إلى **the mushroom** التي عرفت بواسطة **the** .

[6.5 b] Accordingly … I took leave, and turned to **the ascent** of the peak. **The climb** is perfectly easy …
«وفقا لذلك... بدأت أرحل، واستدرت إلى القمة. التسلق جد رائع».

يرتبط **The climb** هنا بـ **the ascent** بواسطة الترادف.

. [6.5 d] Henry's bought himself a new **jaguar**. He partically lives in the **car**.
«اشترى هنري لنفسه[سيارة] جغوار. وهو يعيش بصفة خاصة في السيارة».

ترتبط **jaguar** هنا بـ **car** من حيث أن **car** هنا أعلى رتبة **super ordinate**.

Can you tell me where to stay in **Geneva**? I've never been to **the place** .
« أيمكنك أن تخبرني أين تجلس في جنيفا ؟ لم أكن في (ذلك) المكان».

فـ **the place** يدرجه هاليداي ورقية حسن ضمن ما يسميه الأسماء العامة.

- **الاتساق المعجمي بواسطة الأسماء العامة: (general noun)**

يحدد هاليداي ورقية حسن عن طريق استعمال مصطلح الأسماء العامة أسماء هي حالات قصوى من اسم الجنس (l'hyperonyme). ويتعلق الأمر بالأسماء التي تستعمل للدلالة على **الآدميين** بصفة عامة (child, woman, man, person, people)

ـ المخلوقات غير الآدمية.
ـ المخلوقات غير الحية التي يمكن عدها(object, thing).
ـ المخلوقات غير الحية التي لا يمكن عدها (nom computable) (stuff).
ـ المفاهيم المجردة (business, affair, matter) .
ـ الأفعال (do, move)
ـ الأماكن (place).

يُصنف هذا النوع من الأسماء بين النحو والمعجم، ذلك أنها تتميز بالمحدودية وتشكل قوائم منتهية واستعمالها في تحقيق الاتساق يقترب في آليته من ظاهرة الاستبدال. ولو رجعنا إلى الاستبدال فسنجد أن **do** حينما يتعلق الأمر بالاستبدال الفعلي، و**one** حينما يتعلق الأمر بالاستبدال الاسمي يشكلان هرم سلم الترتيب المعجمي للأفعال والأسماء.

تسمح هذه الأسماء العامة بإدراج كل الدلالات الناتجة عن تفاعل أقطاب التواصل: مثلا موقف المتكلم، والقيم التي يحملها وتشكل أساسا للتعامل مع الآخرين. ويشير الباحثان إلى أن إدراج هذه الدلالات قد يرتبط بخرق نظام من القواعد، مثلما هو الحال حينما يستعمل المتكلم الاسم مخلوق (**creative**) أو **شيء (thing)** للدلالة على شخص.

2.1.2.5- التكرار ومسألة وحدة الإحالة:

تتأسس ظاهرة الاتساق المعجمي على مدلول الوحدات المعجمية في اللغة. وحينما نلاحظ حدوث علاقة اتساق بين كلمتين فإن ذلك يعني فقط أننا نعترف بوجود علاقة محبذة بين مدلولات هذه الوحدات.

وإذا كانت الإحالة تربط بمسألة الاشتراك الإحالي بين الوحدة المحيلة كالضمير مثلا والوحدة المحيل عليها من جهة ثم بينهما وبين المحيل عليه في المقام بهذا الشكل:

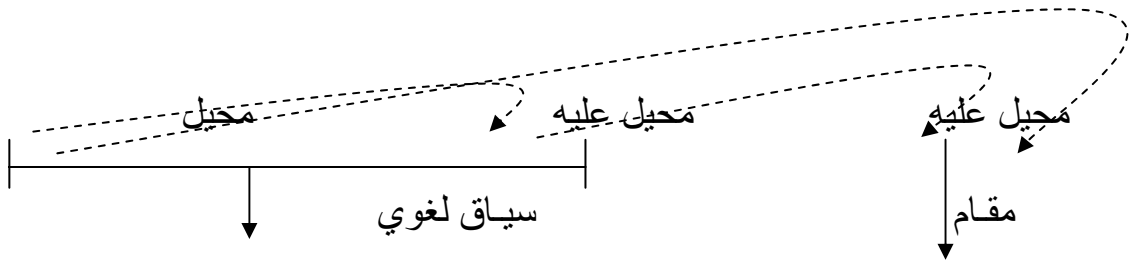

فإن هذا لا يعتبر ضرورة في الوحدات المعجمية. ولكن مع ذلك نجد هذا الاشتراك الإحالي. وتوضح الأمثلة الآتية إمكانية وجود الاشتراك الإحالي وإمكانية عدم وجوده:

[6-12]There's a boy climbing that tree.
A - The boy going to full if he doesn't take car.
B – Those boys are always getting into mischief.
C – And there's another boy standing underneath.

D – Most boys climbing trees.

إنه ولد يتسلق تلك الشجرة.

أ- الطفل سيسقط إذا لم يأخذ السيارة.

ب- هؤلاء الأولاد يخلقون دائما المشاغبة.

جـ- وهذا ولد آخر تحتها.

د- أغلب الأولاد يحبون تسلق الأشجار.

ففي **"A"** هناك اشتراك إحالي بين **a boy** و **The boy** ولكن في **"B"** هناك احتواء فـ **Those boys** يحوى **a boy** الموجود في الجملة الأولى ويحدد أطفالا آخرين أيضا. وفي **"C"** هناك إلغاء إحالي(exclusion référentielle). فعبارة **another boy** تلغي **a boy** لأن الأمر يتعلق بطفل آخر غير الذي ورد في الجملة الأولى. وفي **"D"** لا يقيم **most boys** أية علاقة إحالية يمكن تحديدها مع **a boy**. ويمكن تمثيل هذه العلاقات السياقية كما يلي:

A boy = the boy

A boy ⊃ those boys

A boy ≠ another boy

A boy ≠ most boys.

ففي حالة a boy = the boy يتعلق الأمر بانتقال النكرة إلى المعرفة، ومن ثم فنحن نتكلم عن الولد نفسه. وفي حالة a boy ⊃ those boys فإن a boy محتوى أو موجود في those boys. وفي الحالتين الأخيرتين فإن هناك اختلافا بين الطرفين.

ويُلاحظ أنه حين يوجد اشتراك إحالي تام أو جزئي، يمكن أن يتحقق الاتساق في هذه الحالة بواسطة الإحالة ولذلك يمكننا أن ننتقل من **a boy** (ولد) إلى he (هو) في "A" فيصبح هكذا:

There's **a boy** climbing that tree. **He** climbing that tree.

«ذاك ولد يتسلق تلك الشجرة. إنه يتسلق تلك الشجرة».

ويمكن تعويض **Those boys** في **"B"** بـ **They** فيصبح:

They are always going into mischief.

«إنهم يخلقون دائما المشاغبة».

ولكن لا يمكن أن نتعامل في **"C"** و**"D"** بواسطة الإحالة لأن استعمال **He** في **"C"** ونحن أمام طفل آخر يوهمنا بأننا نتكلم عن الطفل نفسه. ولكن يمكن توظيف الاستبدال هنا بواسطة **one** فنقول:

And there's another one . وهناك واحد(طفل) آخر.

أو الحذف:

And there's another θ. وهناك آخر.

وينـــبه هاليـداي ورقيةحســـن إلـــى أن هـــذه العـــلاقة الموجـــودة بـين التكـــرار (reiteration) والإحالـة كمـا يبينـه المثـال **the boy** **a boy** لا يجب أن توهمنـا أن هذين الإجراءين الاتساقيين متماثلان. ولا يعود الأمر في هذه الحالة إلى الاشتراك الإحالي بين **a boy** و**the boy** ، ولكن يتعلق الأمر بهذا التتابع أو الانتقال من النكرة إلى المعرفة وهو سياق مفارقة يلعب فيه **المحدد (the)** دورا إحاليا.

ويستدل الباحثان على هذه المسألة بإدراج الأعلام في الأمثلة التي يضربانها، ذلك أن سياق المفارقة لا يتحقق، أي لا نجد سياق منكر وسياق معرف بل نجد الوحدة نفسها من سياق إلى سياق. لننظر:

[6-9] John$_{(1)}$ took Mary to the dance. John$_{(2)}$ was left all alone.

«يأخذ جون(1) ماري إلى الرقص. جون (2) كان لوحده».

ففـي هـذا المثـال مـن غيـر الممكـن أن نقـول أن john (1) و john (2) يحـيلان علـى الشخص نفسه. ولا يتأتى لنا ذلك إلا إذا توفر سياق معين يعيننا على تحقق هذا الاشتراك الإحالي، كأن نضع مكان john (2) الضمير He (هو) فيزول الإبهام وتتحدد الإحالة.

ويتبين من هذا أن آلية الاتساق المعجمي مستقلة عن آلية الاتساق بواسطة الإحالة، فهي تتعلق باللغة وبكيفية تنظيمها لمعجمها.

2.2.5- التلازم:

تبين في النقاط السابقة الكيفيات التي يتم بها الاتساق المعجمي اعتمادا على ما يوفره معجم اللغة من إمكانيات لترابط الوحدات المعجمية فيما بينها كالترادف والاحتواء والعموم.وإلى جانب هذه الكيفيات التي تسمح بالتحرك في معجم اللغة هناك كيفية أخرى يسميها هاليداي ورقية حسن (the collocation)، وتختلف عن التكرار من حيث إنها لا تتأسس على الاتساق المعجمي، ولكن على انتماء الوحدات المعجمية إلى حقول دلالية أو فضاءات دلالية مشتركة فهي بهذا ذات طابع تآلفي.

تعني كلمة التلازم حرفيا وجود توجه بعض الكلمات نحو التجاور مع كلمات أخرى في النصوص. ويتم ترابط هذه الوحدات بعلاقات دلالية مختلفة. ونشير إلى البعض مما أورده الباحثان في هذا الجانب:

التضاد:

Deserted (فارغ)، crowded (ممتلئ) - dry (جاف)، wet (مبلل).

التكامل:

Sit down (اجلس)، stand up (قم) - girl (بنت)،Boy (ولد).

العلاقات الاتفاقية:

Obey (طاعة)، order (أمر) - sell (بيع)، Buy (شراء).

الانتماء إلى المجموعة نفسها:

Saturday (السبت)، Thursday (الخميس)، Tuesday (الثلاثاء) - South (الجنوب)، North (الشمال).

الانتماء إلى نفس القسم (الأدوات مثلا):

Table (طاولة)، chair (كرسي).
العلاقة كل-جزء:
Brak (مكبح)،car (سيارة) - nose (أنف)، chin (ذقن)، Mouth (فم).

ولا ترتبط مسألة الاتساق هنا بالطبيعة الدقيقة للعلاقة بين الوحدات، ولكن بمسألة انتماء الوحدات المعجمية إلى الفضاء الخطابي نفسه. وهذا ما يخول لهاليداي ورقية حسن اعتبار تعالق الكلمات الآتية من باب التلازم:

- Laugh … joke
  نكتة ... ضحك

- Ill … doctor … medicine
  طب..... طبيب... مرض

- Writer … literature … poetry … style … reader … book.…try… succeed
  نجاح.... ذوق.. كتاب..... قارئ... أسلوب.... شعر..... أدب..... كاتب

ويتبين من هذه الأمثلة أن الاتساق المؤسس على التلازم مستقل تماما عن الإحالة، فهو مؤسس فقط على علاقات معجمية. ولذلك يمكن أن تتحقق بين فعل واسم أو بين فعلين أو بين اسمين.

ويضرب هاليداي ورقية حسن مثالا مطولا يوضح فيه ظاهرة التلازم ويفرقا بينها وبين الإحالة من جهة وبينهما وبين التكرارمن جهة أخرى.

ونورد هنا فقط الوحدات المعجمية التي حدد بها العلاقات الاتساقية المؤسسة على التكرار (reiteration).

سلسلة الاتساق المؤسس على التلازم:

- Mountaineering … yosemite … summit peaks … climb … ridge;
- hours … whole day … (sundown … sunset …) all day … minute;
- wallowing … sinking … buried … imbedded ;

●ride… riding … ride… travel … travel… travel… flight…motion.. flight.

●تسلق... قمة... أعلى القمة... صعود... مرتفع؛

●ساعات...يوم كامل...(غروب الشمس...غروب الشمس...)...كل اليوم...دقيقة؛

●x xفرغ...غسل...

●نزهة...يتنزه...نزهة...رحلة...رحلة...رحلة....طيران....حركة...طيران.

وتوضح الوحدات المترابطة هنا أن ترابطها لا يتعلق باشتراك إحالي. فنحن لا نستطيع أن نقوم بعملية تعويض للوحدة المعجمية بالضمير مثلا، كما رأينا ذلك سابقا ونحن نقارن بين التكرار والإحالة، ولا بانتماء إلى القسم نفسه كتعالق الأسماء بالأسماء مثلا أو الأفعال بالأفعال ولكن هناك تنويع. ولا يحكم هذه الوحدات المعجمية المتعالقة ما يحكم معجم اللغة من قوانين. ويبقى فقط أن تعالق هذه الوحدات متأت من انتمائها إلى الفضاء الخطابي نفسه.

خلاصة:

لقد سمح لنا تتبع هاليداي ورقية حسن من خلال مؤلفهما cohesion in English، من أن نخرج بعض الخلاصات الهامة. يأتي في مقدمتها مهفوم النص، وهو مفهوم يتأسس على العلاقات الداخلية من جهة والعلاقات الخارجية. وتخرج العلاقات الداخلية من إطار العلاقات البنوية، لأنها تحكم الجملة إلى علاقات دلالية تخترق حدود الجملة وتقيم علاقات فيما بينها ليتحقق النسيج ومن ثم الاتساق. غير أن تحقق هذه العلاقات الداخلية لا يكفي، بل لا بد أن تنشأبين النص وبين المقام علاقات بسطها الباحثان تحت ما يسمى بمستوى التعبير.

وإضافة إلى تحديد مفهوم النص ثم التركيز على ظاهرة الاتساق كخاصية نصية. ومن هذا المنطلق فرق الباحثان بين العلاقات البنوية والعلاقات الدلالية واشترطا للاتساق أن يتم بين الجمل. ولعل اللغة تسمح بوجود ظواهر تتحقق داخل الجملة وبين الجمل، كالإحالة مثلا. غير أن العنصر المحيل إذا تحققت إحالته داخل الجملة نفسها فإنه لا يدخل في اعتبار الاتساق. ونعتبر هذا التعريف من أهم الإشارات عند الباحثين لما يترتب عنه من نتائج في مجال معالجة النصوص وتصنيفها.

ويتحقق الاتساق بكيفيات مختلفة، حددها الباحثان في:

- الإحالة وتتحقق في الانجليزية بواسطة الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة. كما تنقسم الإحالة إلى إحالة على ما هو لغوي وإحالة على ما هو غير لغوي. وأعطى هذا مصطلحين هامين يتداولان كثيرا في الدراسات النصية اليوم وهما الإحالة السياقية والإحالة المقامية. ويكون اتجاه الإحالة حينما تكون سياقية إما ورائيا وإما أماميا.

- الاستبدال: وهو مظهر من مظاهر الاتساق، ويتحقق بواسطة استبدال عنصر بعنصر آخر. ويرتبط تأويل العنصر المستبدل بالرجوع إلى ما سبقه.

- ويمثل الحذف مظهرا آخر من مظاهر الاتساق، ويختلف عن الاستبدال من حيث إن العنصر المستبدل به يكون الصفر ويتم ملأ الفراغ بالرجوع إلى السياقات القبلية.

- وتمثل العلاقات في الحدود بين الجمل أي الوصل نقطة هامة في تحقيق النسيج ومن ثم الاتساق. وتتحقق هذه العلاقات بواسطة أدوات مختلفة. وهذه الأدوات تعكس مجموعة من القيم مثل الإضافة والتقابل والسببية والزمن.

- ومن مظاهر الاتساق في الانجليزية أيضا ما يسميه الباحثان الاتساق المعجمي، ويتمثل في ربط عنصر بعنصر معجمي آخر يرد في السياق القبلي. وهو قسمان: تكرار وتلازم. فأما التكرار فهو إعادة ذكر عنصر معجمي أو التعبير عنه بمرادف أو بوحدة ذات دلالة عامة (الأسماء العامة).
وأما التلازم اللفظي فيتعلق بوجود علاقة بين كلمتين تنتميان إلى مجموعة معينة يتعرف عليها القارئ من السياق.

ولعل القول بأن المؤلف يجيب عن السؤال: كيف يتحقق الاتساق في النص؟ تعتبر عبارةملخصة لهذا المؤلف الهام.

الباب الثالث:
الدراسة التطبيقية

مدخل:

شكل الباب الأول والباب الثاني مداخل نظرية لمسألتي الانسجام والاتساق. ويمثل الباب الثالث من هذا العمل محاولة تطبيقية نسعى من خلالها إلى تلمس مظاهر الاتساق في مدونة من القرآن حددناها سلفا وهي سورة البقرة. وسنتتبع هذه المظاهر الاتساقية استناداً إلى مجموعة من الأدوات اللغوية التي تلعب دوراً في هذا المجال. وسيكون في مقدمة هذه الأدوات الضمائر لما تعرفه من ورود كبير في النصوص. فنحدد طبيعة إحالتها والعلاقات التي تنشئها مع ما تحيل عليه، ثم نقوم بجرد العناصر التي تخيل عليها. يلي الضمائر في المعالجة أسماء الإشارة، وسيكون تركيزنا فيها أولا على أهم ما يميزها الإشارة من حيث هي إحالة على الخارج. ثم نلفت إلى إحالتها الداخلية فنحدد ما تحيل عليه ونقارن بعد ذلك بينها وبين الضمائر. ثم ندرس مسألة الدلالة المسافية فيها استنادا إلى معطيات مدونتنا.

وإذا كانت الضمائر وأسماء الإشارة تحتل قوائم محدودة ومن ثم ..... إلى المجال النحوي. فإن هناك قسما من الوحدات تتسم بالانفتاح. ذلك هو الوحدات المعجمية. ويشكل الاتساق المعجمي شقا هاما في تحقيق نسيج النص لما يوفره من علاقات متعددة كالتكرار

والترادف والتضاد وعلاقات العموم والخصوص. وهذه العلاقات تسمح بنسج علاقات متعددة بين جمل النص.

ونختم هذا الباب بالكلام عن علاقات تختلف عن التي ذكرناها سابقا، من حيث إنها تتحقق في الحدود بين الجمل وشكلت محورا محور اهتمام البلاغيين العرب تحت عنوان من أهم العناوين في مدونة علم البلاغة وهو **الفصل والوصل**.

الفصل الأول:
الاتساق في سورة البقرة

1- الضمائر و دورها في الاتساق:

لقد أشرنا، ونحن نعرض نظرية الباحثين هاليداي ورقية حسن، أن المقابلات التي تنشأ على مستوى الضمائر تتعلق أساسا بالعلاقات الخطابية ومن ثم فإن ضمير المتكلم هو ضمير يدل على المتكلم وضمير المخاطب يدل على المخاطب. وبحكم هذا التوجه في هذين الضميرين فإنه قد يقع القارئ في الوهم أن هذا تحديد وتقييد. وواقع الحال أن مسألة الضمائر أوسع من أن تحصر في إحالة صيغة كهذه. ولقد لفت الباحثان الانتباه – ولكن دون توسع- إلى إمكانية أن يحيل هذان الضميران (أي أنا وأنت) إحالة داخلية. وإن شئنا قلنا إحالة سياقية (في مقابل إحالة مقامية) ولأن المسألة بهذه الدرجة من الأهمية فإننا سنتناول أولا المقابلات المختلفة التي تنشأ داخل نظام الضمائر. وهي مقابلات تأخذ أبعادا متعددة، فهي إما مقابلات مؤسسة على بعد خطابي وتكون بذلك مولدة لتقابل بين مشارك في العملية الخطابية وعدم مشارك. وهذا ما يعطي لمفهوم الغائب في التراث النحوي العربي بعده الحقيقي. ويعتمد الدرس اللساني كثيرا على هذا المنظور حينما يتعلق الأمر بدراسة الضمائر. وإما مقابلات مؤسسة على بعد إحالي وهي زاوية نظر توصلنا أحيانا إلى مقابلات طريفة بين الضمائر وأحيانا إلى معادلات.

وهذه المساواة بين "أنا" و"أنت" و"هو" حين تتحقق، لا يجب أن تنسينا أن أهم ما يتميز به الضمير "هو" هو الإحالة الداخلية، وهذه الإحالة تتحقق فيها علاقات بين الضمير وما يحيل عليه. وهذه العلاقات تختلف باختلاف هذا العنصر الذي يحيل عليه هذا الضمير. فهو إما مركب من نوع (ال + اسم) أو (اسم + ن) حيث **ن** علامة التنكير أو(اسم + اسم). ويتمظهر هذا الاختلاف في التطابق التام بين الضمير وما يعود عليه (جنسا وعددا) والتطابق الجزئي (جنسا فقط) وترتب عنه بعض المسائل كالعوامل التي يتحدد بها العنصر الذي يعود عليه الضمير والمقابلة بين الآدمي وغير الآدمي (humain / non humain).

ننهي بعد ذلك دراستنا لهذا القسم من الوحدات اللغوية بتحديد مختلف العناصر التي يعود عليها الضمير "هو" ونصل بذلك إلى تحديد منحى الإحالة في هذا الضمير.

1.1- أنا، أنت/ هو في العرف اللساني:

1.1.1- أسماء (أشخاص)/ ضمائر:

يفرق جان ديبوا (jean DUBOIS) في مؤلفه: Éléments de linguistique française بين إحالتين، إحالة على موجود في الواقع وإحالة على ما هو لغوي. وتبعا لذلك يتمكن من التفريق بين نوعين من الضمير هو (il). فحين يحيل هو على شيء في الواقع فإنه يسميه اسم شخص (nom personnel) وحين يحيل على ما هو لغوي يسميه ضميرا (pronom personnel). وعليه يتقابل هو من حيث الإحالة في:

1- (الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه) (البقرة 1-2)

2- (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يومنون)(البقرة 6)

مع هو في :

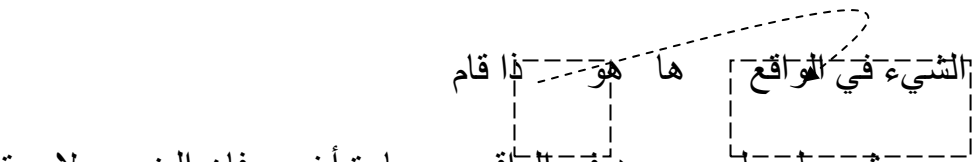

حيث يحيل على موجود في الواقع، وبعبارة أخرى فإن الضمير لا يرتبط إحاليا بوحدة لغوية.

*حينما نذكر رقم الآية ولا نذكر السورة في كل الأمثلة اللاحقة فهذا يعني أن المثال مأخوذ من سورة البقرة

وهو إذ يأخذ الشخص الثالث **"هو"** (il) ليتكلم عن نوعي الإحالة فإنه ضمنيا يحذو حذو بنفينيست في تقييمه للضمائر وفق المقابلة **أنا. أنت/هو** مع فرق لابد من لفت الانتباه إليه وهو أن إحالة **"أنا"** و**"أنت"** تلتقي مع إحالة **"هو"** حين يتعلق الأمر بالإحالة على شيء في الواقع.[262]

وبهذه النظرة يمكن أن نقول أن هناك قسمين من الضمائر في العربية قسم ثابت هو ما سماه ديبوا (noms personnels) ويمثل ضمير المتكلم وضمير المخاطب وقسم متغير إذ يدرج تارة مع ضمائر المتكلم والمخاطب وتارة تكون إحالته على ما هو غير لغوي.

فيختلف بذلك عن "أنا" و"أنت"، ويمكن تمثيل هذا التقسيم في الجدول الآتي:

أسماء (أشخاص) noms personnels		**ضمائر**
المتكلم	أنا نحن } و تنويعاته	
المخاطب	أنت- أنت- أنتما- أنتم- أنتن. وتنويعاتها.	
الغائب	هــو- هــي- همــا-	هو- هي- هما – هم – هن .

[262]- يذكر ديبوا في هذا الصدد أن التمييز بين أسماء (أشخاص) (noms personnels) والضمائر (pronoms personnels) تمكن من تحقيقها بطريقة مختلفة، فإذا كان **أنا** و **أنت** و **نحن** و**أنتم** أسماء (أشخاص) فالضمائر **هو- هي** أي ضمائر الشخص الثالث مفردة كانت أو جمعا تعتبر إما ضمائر ناتجة عن عملية الإضمار (pronominalisation) وإما أسماء (أشخاص) تكتب مباشرة في القاعدة حين يتعلق الأمر بإحالة على شيء وليس على مركب سابق (syntagme antérieur) لمزيد من التفصيل ينظر:
Elements de linguistique Française « syntaxe » p 226-256

هم- هن. وتنويعاتها	وتنويعاتها.

2.1.1- زوايا النظر في المقابلة:

يتفق معظم اللسانيين حول ضرورة وجود مقابلة من نوع "أنا" – "أنت" / "هو" وسواء سمينا "أنا" و"أنت" أسماء (أشخاص) أو ضمائر كما هي الحال عند ديبوا، فإن هذا لا يغير من المسألة شيئا. فليس من المعقول أن نضع في نفس المستوى "**أنا**" – "**أنت**" و"**هو**"[263]، فإذا كان هو يحدد اللاشخص (la non personne) فإن "أنا" و"أنت" يعينان أشخاصا يتميزون بخاصية المشاركة في العملية الخطابية.[264]

والفرق الوحيد بين هؤلاء اللسانيين وبين ديبوا هو فرق في زاوية النظر التي ينظر من خلالها إلى هذه المقابلة. ففي حين أنها من نوع مشارك/غير مشارك في العملية الخطابية عند الفريق الأول فإنها ذات طابع إحالي عند ديبوا. فـ "**أنا**" و"**أنت**" يتميزان عن "**هو**" من حيث إن إحالتهما تكون على المتكلم (أنا) والمخاطب (أنت) وهي موجودة في الواقع. ويدرج هو ضمنهما إذا كانت إحالته على موجود في الواقع مما يعطي مقابلة في ضمير الغائب من نوع:

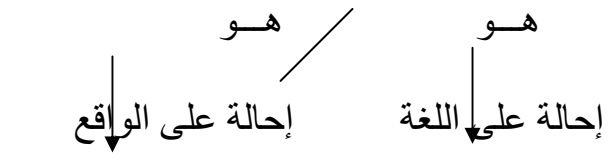

3.11- مبدآ المقابلات في الضمائر:

يظهر لنا الطرح السابق وجود مقابلتين إحداهما من نوع أنا – أنت / هو والأخرى من نوع أنا. أنت – هو/هو ومصدر الأولى خطابي إذ يتعلق الأمر بمشارك في مقابل غير مشارك أما مصدر الثانية فإحالي مع اختلاف في نوعية الإحالة إذ يستوى "أنا" و "أنت" و"هو" من حيث الإحالة على الواقع ويتقابل المجموع مع "هو" الذي يحيل على ما هو لغوي. وهكذا يحكم هذه المقابلات مبدآن هما المبدأ الخطابي والمبدأ الإحالي.

---

(263) ـ أنظر: J.DUBOIS: Elements de linguistique Française – p 226 – 256

(264)- أنظر : André MEUNIER : Modalités et communication p 215 .

1.3.1.1- المبدأ الخطابي:

يرتبط المبدأ الخطابي بمسألة المشاركة وعدمها في العملية الخطابية[265]، وينطلق المتمسكون بالمقابلة أنا – أنت / هو من أن العملية الخطابية تتطلب بالضرورة قطبين هما المتكلم والمخاطب. وهذان القطبان هما المشاركان، وعليه فمن العبث أن نحاول استبدال "أنا" و"أنت" بمجموعة أخرى[266].

إن مبدأ المشاركة يخرج **"هو"** من العملية الخطابية، وقد بلور بنفينيست المقابلة **مشارك/غير مشارك** بشكل واضح. وقد مكنه من ذلك اعتماده التقسيم العربي الثلاثي للضمائر (مخاطِب– مخاطَب- غائب). ولا شك أن العرب قد حصلوا على هذا التقسيم انطلاقا من تصور عملية التخاطب. وقد أشار بنفينيست إلى أصالة هذا التقسيم[267]، دون أن يشير إلى أصالة أخرى تتعلق بالتفريق بين الوحدة اللغوية وبين الموجود العيني.

وواقع الحال أننا حينما نتكلم ونستعمل عبارة المتكلم أو المخاطب فإن هذا يوشك أن يوقعنا في الخلط بين الضمير باعتباره وحدة لغوية (قرينة) وبين المتكلم والمخاطب باعتبارهما موجودين عينيين. وقد كان الرضي الاسترابادى دقيقا حينما فرق بوضوح بين المسألتين[268]. فالمتكلم هو الذي يستعمل ضمير المتكلم "أنا" ليدل به على نفسه وضمير المخاطب أنت ليُعيِّن المخاطب. ويؤكد ابن عقيل هذا الفرق فالمتكلم عنده "هو شخص يحكى بذلك اللفظ عن نفسه". والمخاطب " شخص يوجه إليه الخطاب به".[269]

إذا كان الأمر كذلك بالنسبة لـ "أنا" و"أنت" فما وضع "هو"؟ لاشك أنه في منظور التخاطب هو الغائب عن المشاركة في العملية الخطابية. فلا هو متكلم ولا هو مخاطب ومن ثم تسلب منه خاصية استعمال هذين الضميرين. ولذلك يرتبط تحديده بالمتكلم، وهذا التحديد هو الذي يعطيه سمته التمييزية مقارنة بـ "أنا" و"أنت" إذ يربط بالإحالة بنوعيها الداخلية والخارجية. وقد أشار النحاة العرب إلى هذه المسألة، فالغائب عند ابن يعيش مثلا هو ما تقدم له ذكر. ويحدد الرضى هذه الخاصية بشكل لا لبس فيه حين يشير إلى أن ضمير الغائب يقتضي " تقدم المفسر عليه لأنه وضعه الواضع معرفة لا بنفسه بل بسبب ما يعود

---

[265]- يؤكد جون ليونز(Lyons) أنه " يجب ملاحظة أن المتكلم و المخاطب هما فقط اللذان يشاركان في التفاعل (drame)، وعبارة الشخص الثالث تحدد سلبا بالنسبة للشخص الأول والشخص الثاني، فهي لا تناسب دورا إيجابيا للمشاركة. إن الضمائر المسماة ضمائر الشخص الثالث تختلف بهذا عن ضمائر الشخص الأول وضمائر الشخص الثاني ".

J. LYONS : Sémantique linguistique , paris , Larousse , 1980 , p 162 .

- GUILLAUME Marece : la deixis en Allemand, thèse d'état .Paris.1980 وينظر كذلك

[266] - B. COMBETTES / pour une linguistique textuelle -p 23

[267] - يحدد بنفينيست منطلقا لدراسة الضمائر اعتمادا على التقسيم العربي، ويذكر في هذا الصدد :" نستطيع أن ننطلق من التعاريف التي يستعملها النحاة العرب، فبالنسبة لهم، الشخص الأول هو المتكلم و الثاني المخاطب بينما الشخص الثالث هو الغائب، ويوجد في هذه التسميات تصور صحيح للعلاقات بين الأشخاص، صحيح لأنه يوضح الفرق بين الشخص الثالث والشخصين الأول والثاني "

problèmes de linguistique générale p 228 .

[268] - يستعمل ابن عقيل عبارة قرينة التمثيل حينما يتكلم عن ضمير المتكلم في مقابل المتكلم ينظر الألفية ص 45 .

- ويفرق الرضى بين المتكلم وضمير المتكلم والمخاطب وضمير المخاطب فالضمير أنا لفظ متكلم به من طرف المتكلم وأنت لفظ مخاطب به . شرح الكافية ج2 ، ص 3 .

[269] - الألفية ج 2 ، ص 3 .

إليه، فإن ذكرته ولم يتقدمه مفسره بقي مبهما منكرا لا يعرف المراد به حتى يأتي تفسيره بعده". [270]

وعلى هذا الأساس ينتج عن المبدأ الخطابي المقابلة الآتية:

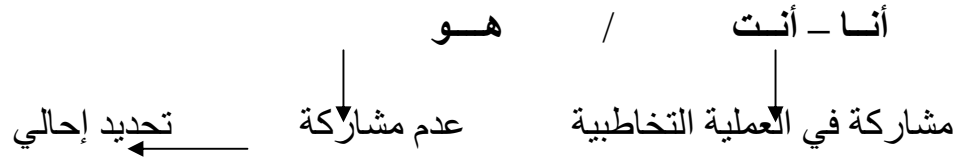

2.3.1.1- المبدأ الإحالي:

إذا كان المبدأ الخطابي يوصلنا إلى المقابلة **أنا - أنت/هو** باعتبار المشاركة وعدمها فإن المبدأ الإحالي يوصلنا إلى نماذج تقابلية تختلف عن التي تنتج عن المبدأ الخطابي.

ولابد أن نشير هنا إلى أن الإحالة مأخوذة في دلالتها الواسعة، أي الإحالة بشقيها الخارجي والداخلي وتبعا لذلك فإن الضمير يقيم إما علاقة مقامية مع ما يحيل عليه إذا تعلق الأمر بما هو غير لغوي وإما علاقة سياقية إذا تعلق الأمر بما هو لغوي.

ومن المهم لفت الانتباه إلى أن الفصل بين المبدأين معدوم عند كثير من الباحثين وكثيرا ما نجد انزلاقا من مبدأ إلى آخر أثناء دراسة الضمائر. وواقع الحال أن ما نحصل عليه حين نعتمد المبدأ الإحالي يختلف عما نحصل عليه باعتماد المبدأ الخطابي. فضمير الغائب هو حين تنظر إليه من زاوية الإحالة يخرج من دائرة التقابل مع "أنا" و"أنت" التي يتميز بها في المبدأ الخطابي ويدخل في مساواة مع **"أنا"** و**"أنت"** ويتقابل مع ضمير آخر تكون إحالته في هذه الحالة سياقية.

تمثيل: لنتصور مقاما حواريا **ح**، يستعمل فيه المتكلم ضمير المتكلم "أنا" ليدل به على نفسه وضمير المخاطب "أنت" ليعين به المخاطب الذي يقابله. ويتكلم إلى هذا المخاطب عن شخص **س** [243]. ويحدده بواسطة الضمير "هو". ويكون **س** في محيط المتخاطبين. ويمكن تحديده بالنظر فإننا نحصل في هذه الحالة – من منظور الإحالة – على المساواة الآتية:

---

[243]- لا يهمنا هنا سوى مسألة الإحالة، أما موضوع الخطاب فإنه يطرح مسائل معقدة وقلما اهتم بها الدرس اللساني العربي .ونشير هنا إلى أن النظر إلى موضوع الخطاب من منظور الضمائر يضعنا أمام نماذج تحتاج إلى بسط وتعميق فيمكن أن نجد

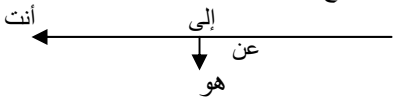

(إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يومنون) (البقرة 6) . فالمتكلم يتكلم إلى "أنت" عن الذين كفروا (= هم) الغائب أي الذي ليس متكلما ولا مخاطبا هو موضوع الخطاب.

(إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) . المتكلم يتكلم إلى "أنت" عن "أنا" (= المتكلم). فالمتكلم هو موضوع الخطاب.

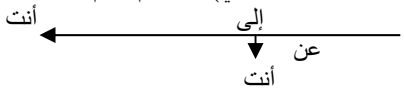

(إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) (الأنبياء 98). المتكلم يتكلم إلى "أنتم" عن "أنتم". المخاطب هو موضوع الخطاب

---

[270] ـ شرح الكافية ج$_2$ ، ص 5 .

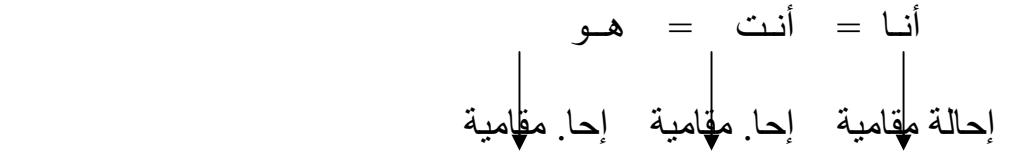

لو تصورنا مرة أخرى المقام الحواري، ويتكلم فيه "أنا" لـ "أنت" عن س دون أن يستعمل "هو" للدلالة على **س**، ولكنه يستعمل لفظا آخر كـ رجل مثلا ثم يحيل إلى هذا الرجل بواسطة "هو". فإننا في هذه الحالة لا نحصل على المساواة التي رأيناها سابقا بل مقابلة بهذا الشكل.

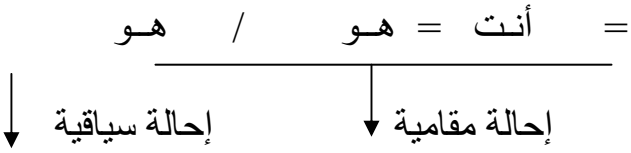

غير أن المعطيات تضعنا أمام السؤال التالي: هل تكون إحالة "أنا" و"أنت" دائما مقامية؟ الواقع أن الذين تناولوا مسألة الضمائر وقيمها حصروا أنفسهم في دائرة التخاطب كما أشرنا إلى ذلك سابقا. وبذلك لم يثيروا قضية الإحالة، والذي يقرأ بنفينيست مثلا أو ليونز يجد أن تركيزهما منصب على مقابلة "هو" بـ "أنا" و"أنت" وهذا ما يفسر مثلا إيراد بنفينيست لمصطلح instance de discours وهو يتكلم عن هذه العناصر التي تأخذ قيمها من الاستعمال.

والذي يتأمل مدارج الكلام المختلفة يكتشف أن المسألة تحتاج إلى وقفة، وقد سمحت لنا معطيات المدونة (سورة البقرة) أن نصل إلى معادلة تختلف عن المعادلة التي يتساوى فيها "أنا" و"أنت" وهو من حيث الإحالة المقامية.

لنتأمل المقطع الآتي :

(وإذا قال موسى لقومه: [إن الله يامركم أن تذبحوا بقرة] قالوا: [أتتخذنا هزؤا] قال: [أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين] قالوا: [أدع لنا ربك يبين لنا ما هي] قال [إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تومرون]).(آ/ 6-68)

نلاحظ في هذا المقطع:

- وجود سياقات مدرجة للحوار: **وإذ قال موسى لقومه- قالوا– قال- قالوا، قال**.
- يحدد السياق الأول المدرج للحوار أقطاب التواصل (موسى- قومه).
- يتميز كل مقطع من الحوار بتحديد الأقطاب بواسطة الضمائر (أنا- أنت = موسى) أنتم- نحن = قوم موسى.

تسمح لنا هذه الملاحظات بالخروج إلى نتيجة أولى هي أن هناك مقام تخاطب ماضيا مدرجا في مقام خطابي حاضر، ويعكس استعمال الضميرين "أنا" و"أنت" بتنويعاتهما هذا المقام الماضي. ويعكس السياق المدرج للمقطع الحواري المقام الحاضر بحيث يمكن رسم هذا الاندراج هكذا:

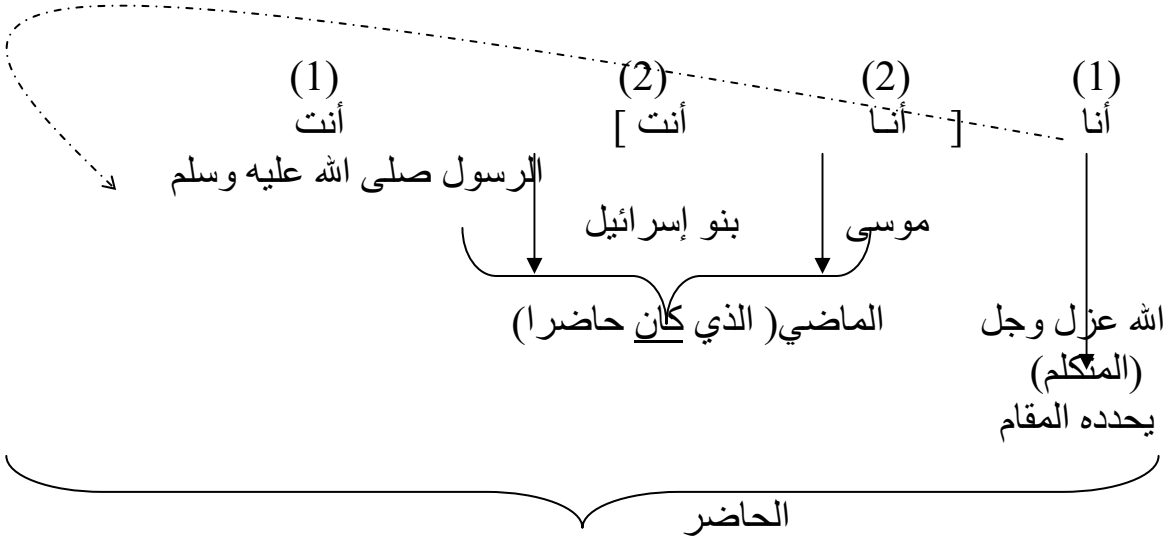

وإذا كان "أنا"(1) و"أنت"(1) يحددهما المقام فإن "أنا"(2) و"أنت"(2) يحددهما السياق وهو هنا: " وإذ قال موسى لقومه " وعليه يمكن أن نعيد كتابة المقطع بتحديد مختلف العلاقات الإحالية هكذا:

وإذا قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة .

قالوا: أتتخذنا هزؤا. قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ...

ونرى بوضوح أن "أنـا" و"أنت" يحيلان على وحدات لغوية أي أن إحالتهما إحالة داخلية مثل **هو** في **لقومه** و**قالوا** وعليه نحصل على معادلة تتقابل مع المعادلة الأولى:

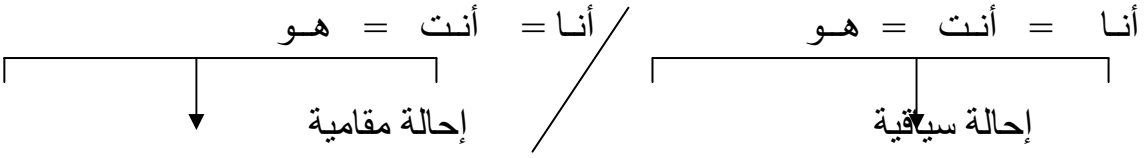

لنتأمل المقاطع التالية :

5 - (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة. قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون).(آ /30)

6 - (ألم تر إلى الملإ من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبئ لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ، قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين). (آ / 246).

واضح من المثالين أن مصدر الإحالة لكل مجموعة لا يوجد في الواقع الخارجي ولكن في الواقع اللغوي (فهو مذكور في السياقات اللغوية المدرجة للحوار). وبذلك يمكننا أن نقول أن الضميرين "أنا" و"أنت" يمكن أن تكون إحالتهما سياقية مثل الضمير "**هو**" غير أن ما يجب الإشارة إليه أن هذه الإحالة الداخلية لا تتحقق فيهما إلا في هذا الإطار المحدود الذي يتعلق بتقاطع مقاطع **سردية** مع مقاطع حوارية وتكون وظيفة هذه المقاطع السردية الإدراج.

2.1- **الإحالة في ضمير الغائب**:

إذا كان الطرح السابق قد سمح لنا باكتشاف إمكانية إحالة الضمائر كلها على ما هو لغوي وعلى ما هو غير لغوي، فإن هذا لا يجب أن يجعلنا ننحو نحو وضع قاعدة تتميز بخاصية العموم. بل أن الأقرب إلى الصواب أن إحالة "**أنا**" و"**أنت**" على ما هو لغوي هي حالة خاصة، ويبقى الضمير هو الذي يتميز بخاصية الإحالة على ما هو لغوي. وقد تنبه روجيرو (ROGGERO) وهو يقارن بين الضمائر في الإنكليزية إلى أن قابلية "He " (هو) و"She" (هي) و"it" (هو لغير العاقل) و("I" (أنا) و"you" (أنت...) لإحالتها/إحالتها على ما هو خارجي لا تخفي الفارق الأساسي بين المجموعتين. إذ الإحالة الخارجية ثانوية في المجموعة الأولى وأساسية في المجموعة الثانية والعكس.[244]

وإذا كانت ميزة ضمير الغائب أن تكون إحالته سياقية فإن هذا يدفعنا إلى تحديد هذه العناصر اللغوية التي يحيل عليها وطبيعة العلاقة التي تتحكم في الضمير وما يحيل عليه.

1.2.1- العناصر التي يحيل عليها الضمير:

يحيل الضمير على مجموعة من العناصر تختلف باختلاف وضعها التركيبي، فقد يكون اسما منكرا (س+ن) أو اسما معرفا بأل (أل+س) أو مركبا إضافيا أو مركبا وصفيا.

(244) - يؤكد روجيرو (ROGGERO) أن " ضمائر الشخص الثالث إذا كان بإمكانها، وهي في معظم الحالات كذلك، إذا كان بإمكانها أن تكون محققة لإحالة سياقية، تستطيع أيضا أن تحيل على المقام ففي محادثة بإمكان he و she و it بعد I و you أن تمثل القمة الثالثة لمثلث إحالي دون أن يكون المحيل عليه مذكورا، وبذلك تكون إحالتها مقامية مثل I و you ، ولكن يتعلق الأمر هنا بدور قليل الاستعمال.
J . ROGGERO : la substitution en Anglais . p 76

1.1.2.1- ما يحيل عليه الضمير"هو" من نوع (س+ن) أو (أل+س) :

7- (... وأنزل من السماء ماء فأخرج به من التمراث رزقا لكم...) (آ 22)
8- (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها (س+ن) الانهار...) (آ25)
9- (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) (آ26)
10-(ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون).(آ101)

11-(يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء **θ** لهم مشوا فيه).(آ20)
12-(وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها).(آ205)
(ال+س) 13- (...ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر)(آ102)
14- (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر).(آ102)
15- (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يومن بالله واليوم الآخر).(آ228)

نلاحظ في هاتين المجموعتين أن الضمير يتطابق جنسا وعددا مع ما يحيل عليه، كما هو الحال في (7-9-10-14). ويتطابق جنسا ويختلف عددا كما هو الحال في 8. ويبين الجدول اللاحق وجوه التطابق.

المثال	ما يعود عليه الضمير			الضمير العائد		
	الوحدة اللغوية	الجنس	العدد	الضمير	الجنس	العدد
7	ماء	مذكر	مفرد	ه	مذكر	مفرد
8	جنات	مؤنث	جمع	ها	مؤنث	مفرد
9	بعوضة	مفرد	مفرد	ها	مؤنث	مفرد
10	فريق	مذكر	جمع	هم	مذكر	جمع
11	البرق	مذكر	مفرد	θ	مذكر	جمع
12	الأرض	مؤنث	مفرد	ها	مؤنث	مفرد
13	الملكين	مذكر	مثنى	ي-ا	مذكر	مثنى
14	الشياطين	مذكر	جمع	وا	مذكر	جمع
15	المطلقات	مؤنث	جمع	ن - هن	مؤنث	جمع

سيشكل التطابق الجزئي في 8 نقطة اهتمام لدينا حينما نتعرض لمسألة المقابلة آدمي/غير آدمي. ولكن نشير هنا فقط إلى أن هذا التطابق يعتبر من العوامل المساعدة في تحديد العناصر التي يحيل عليها الضمير، ومن ثم فهو عامل هام في رفع اللبس استنادا إلى هذه المعطيات.

2.1.2.1- ما يحيل عليه الضمير "هو" من نوع (اسم + اسم) أو (اسم + ضمير) أو (اسم + صفة):

حينما يتعلق الأمر بحالة (اسم+ اسم) (س+س) فإن تقاطع الاسم الأول مع الاسم الثاني في الجنس والعدد ليس كافيا فإن الضمير العائد لا يكتفي بهذه المعطيات الشكلية لتحديد العنصر الذي يقيم معه علاقة. لنتأمل مثلا:

16- (أفتطمعون أن يومنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون). (آ 75)

فلو نظرنا إلى ما يربط الضمير ه بما يحيل عليه لوجدنا أن هناك تطابقا تاما بين هذا الضمير وبين عنصري المركب الاسمي كلام الله. فالضمير مذكر مفرد وكلا عنصري المركب مذكر مفرد. وعلى هذا الأساس لا يمكن الاستناد إلى هذا المعطى الشكلي لتحديد أي العنصرين يقيم معه الضمير علاقة.

حينما يتعلق الأمر بأمثلة من هذا النوع و لا يكون العامل الشكلي حاسما في تحديد العنصر الذي يقيم معه الضمير علاقة فإن عامل السياق أي مجموع الوحدات اللغوية التي تحيط بالمركب تعلب دورا في توجيه هذه العلاقة. ولو نظرنا مرة أخرى المثال 16 لوجدنا بعض الوحدات اللغوية التي تساعدنا على هذا التوجيه. لننظر:

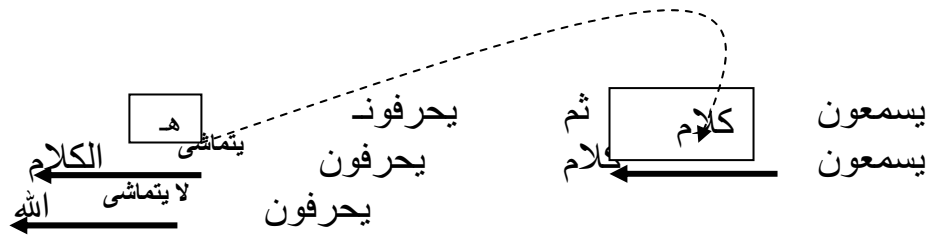

ومنه يمكن ربط الضمير بنواة المركب الاسمي.

ويلعب الاختلاف بين عنصري المركب الاسمي دورا هاما في توجيه العلاقة دون أن نكون بحاجة إلى الاستعانة بمعطيات السياق كما كان الحال في 16.

لنتأمل هذه المجموعة من الأمثلة :

18- (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها).(آ114)

19- (... ولا تتبعوا خطوات الشيطان ۔ إنه لكم عدو مبين).(آ168)

20- (ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين).(آ130)

21- (ومن يبدل نعمة الله من بعدها جاءته فإن الله شديد العقاب).(آ211)

22-(أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها)(آ161-162)

ففي كل هذه الأمثلة يلعب اختلاف عنصري المركب الاسمي دورا في تحديد العنصر الذي يقيم معه الضمير علاقته. ولا يجب أن يفهم من هذا أن هناك فصلا ضمنيا بين عنصري المركب الاسمي فهذه مسألة غير واردة تماما. ومن الضروري التأكيد على أن المركب الاسمي يعمل من الناحية التركيبية كوحدة واحدة. ويكفي أن نلاحظ أن المركب الإضافي يتدافع [245] مع المركب من نوع (ال + س).

وحينما يتعلق الأمر بالمركب من نوع (س + ضمير) فإن ارتباط الضمير العائد يكون دائما مع نواة المركب حتى وإن وقع التطابق بين عنصري المركب والضمير العائد. لنتأمل:

23-(... ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم).(آ54)

24-(أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت).(البقرة 266)

25-(... ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة).(آ74)

26-(أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن).(آ 187)

(245)- استعملنا مقابلا لمصطلح الوظيفيين : (exclusion mutuelle) عبارة التدافع، وشجعنا على اختيار هذا المقابل ما عثرنا عليه عند ابن يعيش و هو يعالج مسألة القرب و البعد في أسماء الإشارة، يقول في هذا السياق: " هاء التنبيه واللام لا يجتمعان لأن ها للقريب و اللام للبعيد و البعد و القرب معنيان متدافعان ". ابن بعيش. شرح المفصل، ص 136 .

ويعود هذا الارتباط بنواة المركب الاسمي إلى أن الضمائر هي في الأصل وحدات فارغة تمتلئ إما بالمقام أو بالسياق. وقد رأينا في المقابلات المختلفة التي عرضناها سابقا أن الضمير إما أن يعود على شيئ موجود في الواقع. وسمينا ذلك إحالة خارجية وإما أن يعود على عنصر لغوي وسمينا ذلك إحالة داخلية. وعلى هذا الأساس فإن الضمير العائد حينما يتعلق الأمر بمركب من نوع (س+ضمير) لا يرتبط بوحدة هي في الأصل فارغة على عكس ما نجده حينما يكون المركب من نوع (س+س) فقد يرتبط الضمير بالاسم الأول أو بالاسم الثاني:

27-(ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين).(آ168)

28-(ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين). (آ 144)

29-(ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو اكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا...).(آ 235)

أما المركب الوصفي أي (س+صفة) فارتباط الضمير فيه يكون مع نواة هذا المركب. ومثاله:

30-(ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام.وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره). (آ 150)

31-(ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون).(آ 99)

3.1.2.1- حالات خاصة في إحالة الضميرين "هما" و"هم":

إذا كان الضميران "هو" و"هي" يحيلان على وحدات يمكن وسمها جنسا وعددا. فإن الضميرين هما وهم يمكن أن يحيلا على عناصر موسومة ولكن أحيانا أخرى يحيلان على عناصر ترتبط بهذا الضمير بواسطة نوع من العد الرياضي. فلو أخذنا مثلا:

32-(... واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى).(آ282)

33-(وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر...). (آ102)

فإننا نجد في 32 أن الضمير في يكونا يحيل على شهيدين، وهذا المحيل عليه موسوم شكلا من ناحية العدد (المثنى) وكذلك الحال في هما مع امرأتان. أو بالنسبة للمثال 33 فإن الضمير في كفروا ويعلمون يحيل على الشياطين وهو موسوم شكلا أيضا للدلالة على الجمع.

وفي مقابل هذه العلاقة ذات الطابع الشكلي، نجد علاقة أخرى تخضع للعد الرياضي كما أشرنا إلى ذلك سابقا. ولا يكون ما يحيل عليه الضميران "هما" و"هم" موسوما شكلا ولكن محصول عملية جمع رياضية. لنتأمل:

34-(وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما).(آ 35)
35-(إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما...) (آ 158)
36-(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما).(البقرة219)
37-(... أم يقولون إن إبراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى).(آ140)

يمكن أن نحول علاقة العطف في هذه الأمثلة إلى علاقة رياضية من نوع (1+1) في (34-35) و(1+1+1+...) في (37). ونكون حينئذ في حالة (مفرد+ مفرد) أو (مفرد + مفرد + مفرد + مفرد +... ن مفرد).

غير أننا وجدنا في مدونتنا (سورة البقرة) مثالا لا يخضع للعلاقة الشكلية ولا للعلاقة الرياضية البسيطة التي رأيناها في 34-35 ولكن يتكون ما يحيل عليه الضمير "هما" من عنصرين متعاطفين أولهما جمع وثانيهما مفرد.

38-(وسع كرسيه السماوات و الأرض ولا يؤووده حفظهما وهو العلي العظيم). (آ 255)

يفترض رياضيا أن تكون العلاقة هكذا: (جمع + مفرد) أي ((1+1+1 ...ن1) +(1)) لكن وجود الضمير هما يقيد هذه العلاقة لتصبح (1+1).

وقد دفعنا هذا المثال إلى البحث عن أمثاله في القرآن، وتمكنا من جرد كل أمثلة القرآن التي وردت فيهما السماوات والأرض مرتبطة بمسألة الإحالة ووجدنا في المجموع 24 مثالا يمكن تصنيفها في مجموعتين:

المجموعة الأولى: السماوات والأرض ←هما. وعدد أمثلتها 21 مثالا [246] بما فيها المثال 38.

المجموعة الثانية: السماوات والأرض ←هن.وعدد أمثلتها ثلاثة:

39-(قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين. قال بل ربكم رب السماوات و الأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين). (الأنبياء 55-56)

40-(ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم). (الزخرف9)

[246]- المائدة(17-18)-- الحجر85-- مريم 65 – الأنبياء30 – الفرقان 59 – الشعراء 24 – الروم 8 - السجدة 4 – فاطر 41 – الصافات (4-5)- ص (10-66)- الشورى 29 – الزخرف 85 – الدخان (7-38)- الأحقاف 3 – ق 38 النبأ 37

41-(أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات و الأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير).(الأحقاف 33)

ونلاحظ في هذه الأمثلة الثلاثة وجود ميزتين، الأولى هي تحقق العلاقة العددية بين الضمير هن الذي يتكون من(هي+هي+هي+....+ن هي) والوحدتين المعطوفتين **السماوات والأرض** اللتان تشكلان المجموع (السماء+السماء+السماء+...ن سماء) [247] +(الأرض). أما الميزة الثانية فهي جعل الضمير الذي يحيل على جمع العاقلات كما في قوله تعالى مثلا:

41-(**والوالدات** يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)[248]. (آ 233).

42-(**والمطلقات** يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل **لهن** أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن).(آ 228).

وما أثار مسألة تنوع الضمير بين **"هما"** و**"هن"** رغم وحدة المحيل عليه هو وجود أمثلة في القرآن تخضع للعد وتتطابق عدديا تماما مع الضمير العائد.

43-(وما خلقنا **السماء والأرض** وما بينهما لاعبين). (الأنبياء16)

44-(وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا) (ص 27)

[247]- العدد ن هنا يساوي 7 بتتبع السياقات القرآنية التي تشير الى سبع سماوات كما في قوله تعالى :«فقضاهن سبع سماوات »

[248] - يتعرض الزكرشي في الفصل الأول الذي خصصه لوجوه المخاطبات والخطاب في القرآن إلى خطاب سماه "خطاب الجمادات خطاب من يعقل " ويقدم تفسيرا لهذا الاستعمال.يقول :

كقوله تعالى (فقال لها وللأرض ايتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) تقدير: "طائعة" وقيل :لماكانت ممن يقول وهي حالة عقل جرى الضمير في (طائعين) عليه كقوله :(رأيتهم لي ساجدين) ....ومنه قوله تعالى :(يا جبال أوبي معه) فأمرهما كما تؤمر الواحدة المخاطبة المؤنثة لأن جميع ما لا يعقل كذلك يؤمر.
البرهان في علوم القرآن .تحقق محمد أبو الفضل ابراهيم-الجزء الثاني ص 246-247.

ففي المثالين تتحقق العلاقة العددية (1+1) (2) وتتساوى إحاليا مع مجموعة الأمثلة من نوع السماوات والأرض هما

ولكن الأمثلة من نوع 31-32-33 تختلف إذ تعامل فيها الوحدات التي يحيل عليها الضمير معاملة العاقل وتتطابق بذلك مع أمثلة من نوع 35. [249] .

وإذا وضعنا جانبا هذا الاختلاف في العلاقة بين الضمير وما يحيل عليه حينما يتعلق الأمر بجمع العاقلين وجمع غير العاقلين، وهي مسألة تحتاج إلى علاج في نقطة خاصة تمس **المقابلة آدمي/غير آدمي** أو **عاقل/غير عاقل**، فإن العلاقة العددية بين الضميرين **"هما"** و**"هم"** وما يحيلان عليه تكون موسومة شكلا في الوحدات اللغوية أو محصلة عدّ رياضي ومثال ما يكون موسوما شكلا:

45-(وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه). (آ 102)

فالمحيل عليه الملكين موسوم شكلا من ناحية العدد بما يعرف في المصطلح النحوي بعلامة التثنية.

46-(وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا). (آ102)
47-(أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون). (آ 170)
48-(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق). (آ213)

[249]- سنرى هذه المسألة في المقابلة ادمي/غير آدمي

ولا بد أن نشير هنا، حينما يتعلق الأمر بالجمع، بأن هناك وحدات لغوية تحمل معنى الجمع ولفظها لفظ المفرد وترتبط مع الضمير عدديا.

لنتأمل:
49-(أفتطمعون أن يومنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون) .(آ75)
50-(ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان..).(آ 85)

51-(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق). (آ 109)

وتتحقق العلاقة التركيبية :

فريق	من	كم
فريق	من	هم
كثير	من	أهل الكتاب

العلاقة الرياضية بين أي مجموعة ومجموعتها الجزئية يمكن تمثيلها في الشكل الآتي:

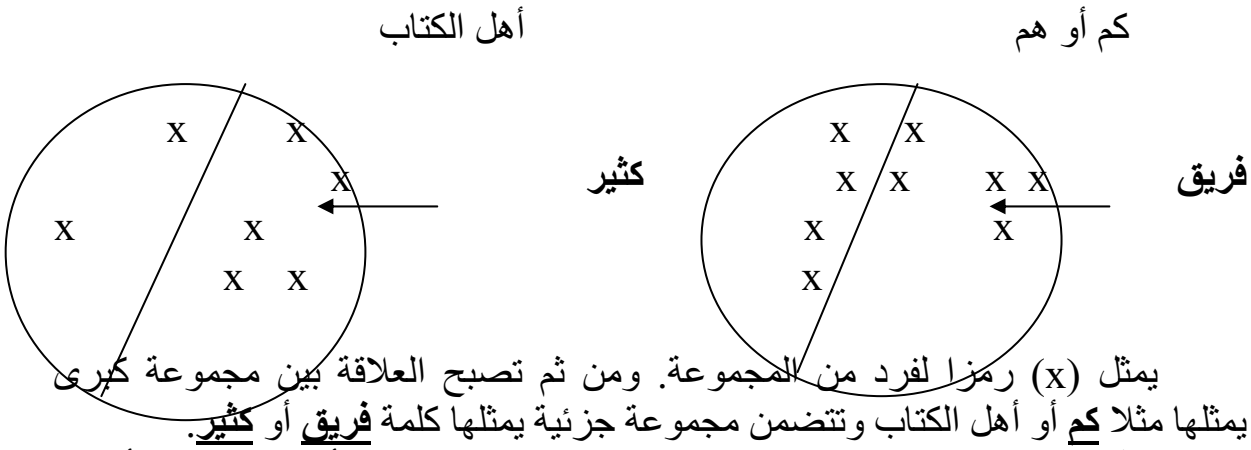

يمثل (x) رمزا لفرد من المجموعة. ومن ثم تصبح العلاقة بين مجموعة كبرى يمثلها مثلا **كم** أو أهل الكتاب وتتضمن مجموعة جزئية يمثلها كلمة **فريق** أو **كثير**.
ويصبح **فريق وكثير** انطلاقا من هذه العلاقة هو (1+1+1+ن1) أصغر من **كم** أو **هم** ولكن رغم صغره هذا فإنه يحقق العدد الذي به تتم العلاقة:

فريق- كثير ← هم

ويلعب السياق دورا في تحديد قيمة الجمع في مثل هذا النوع من الأمثلة:

52-(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمومنين).(آ 8)

فهذا المثال يحقق العلاقة الرياضية التي جسدناها في الشكلين السابقين ويمكن تقديمه هكذا:

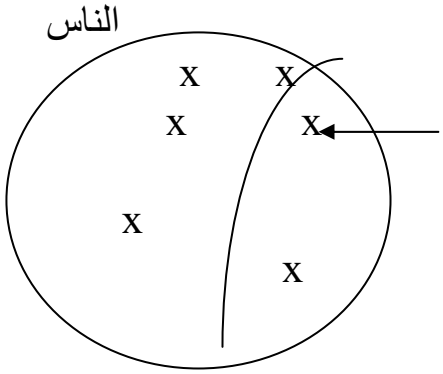

ولكن لا يمكن أن نعطي قيمة الجمع إلا بالتدرج مع السياق لنجد الفعل آمنا المقترن بضمير المتكلم "نحن" وحينئذ تتحدد قيمة مَن بالجمع.
ولعل وجود هاتين الخاصيتين أي كون لفظهما لفظ المفرد وتحمل معنى الجمع هو الذي يسمح لها بأن تقيم علاقة من نوع 1 هو أي مفرد ← مفرد فيمكن أن يحيل الضمير **"هو"** على هذا النوع من الوحدات في:

فريق منهم ← يسمع
فريق منكم ← من ديارهم

غير أن كلمة كثير لا تقبل هذه العلاقة فلا يمكن أن نقول:

كثير ← يردكم

أما ما يكون محصلة عد رياضي فنجد فيه أمثلة من نوع (26-28) في المثنى و(29) في الجمع وهي كلها تخرج من دائرة الوسم الشكلي لتحقق العلاقة بالعد الرياضي

4.1.2.1- محاولة جرد لمختلف الوحدات التي يحيل عليها الضمير:

لقد كانت الأمثلة السابقة مؤسسة على الانتقاء لمعالجة مسألة العلاقة بين الضمير وما يحيل عليه. وبينت لنا تلك الأمثلة أن الوسم الشكلي يلعب دورا في تحديد العنصر الذي يرتبط به الضمير خاصة حينما يتعلق الأمر بالمركبات الاسمية. ونريد في هذا السياق أن نقوم بعملية جرد لمختلف الوحدات التي يحيل عليها الضمير.
ولقد سمحت لنا معطيات مدونتنا أن نحصل على أمثلة مختلفة لهذه الوحدات.
يمكن أن يحيل الضمير على اسم خال من أداة التعريف:

53-(وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم). (آ22)
54-(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار). (آ25)
55-(... فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى). (آ 282)
56-(.....وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون). (آ146)
57-(....والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف). (آ 240)

أو على اسم معرف ب "ال":
58-(يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه). (آ 20)

59-(وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها). (آ 205)
60-(... فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق).(آ 213)
61- (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء).(البقرة228)

أو على مركب اسمي من نوع (**اسم + اسم**) أو (**اسم + ضمير**)

62-(أفتطمعون أن يومنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون). (آ75)
63-(....والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون).
64-(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم). (آ37)
65-(....ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة). (آ74)
66-(أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن). (آ187)

أو على علم :
67-(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم). (آ37)
68-(ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين). (آ130)

بين الضمير والأسماء الموصولة:

ترتبط الضمائر بالأسماء الموصولة بكيفيتين. فإما أن يكون الضمير في جملة الصلة وهو حينئذ يحيل على الاسم الموصول وينحصر في هذه الحالة في:

69-(الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون...).(آ 3)
70-(مثلهم كمثل الذي استوقد نارا...).(آ17)
71-(وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه). (آ27)
72-(بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئاته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)
73-(... فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه). (آ102)
74-(... وليملل الذي عليه الحق). (البقرة282)

وإما ان يتوسع السياق ويخرج الضمير من حيز جملة الصلة وفي هذه الحالة يستحوذ على السياق كله أي الموصول وصلته. ويرتبط شكلا مع الاسم الموصول لنتأمل:

75-(إن الذين كفروا سواء عليهم اانذرتهم أم لم تنذرهم لا يومنون). (آ 6)
76-(مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم...).(آ17)
77-(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فآتوا بسورة من مثله). (آ23)
78-(خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون). (آ63)
79-(قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبيس المصير).(آ126)
80-(ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ...). (آ 243)
81-(فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله). (آ 275)

5.1.2.1- نوع الإحالة في الضمائر:

تبين لنا الأمثلة السابقة أن إحالة الضمائر إحالة محدودة.أي أن الضمير يحيل على جزء من الجملة. وهذا الجزء يمكن وسمه شكلا إما جنسا وعددا كما بيناه في أمثلة التطابق التام أو جنسا فقط حينما يتعلق الأمر بالمركبات الاسمية المتطابقة عددا. وهذه العلامات الواسمة تلعب دورا في تحديد العنصر الذي يحيل عليه الضمير. [250]
غير أن هذه الإحالة الجزئية لا تمنع الضمير من أن يحيل أحيانا على ما لا يمكن وسمه شكلا كالجملة مثلا. وقد سمحت لنا بعض معطيات المدونة أن نرصد بعض الأمثلة لهذه الإحالة التي تتجاوز ما يمكن وسمه شكلا:

82-(كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه)[251] (آ181)
83-(فمن تطوع خيرا فهو خير له). (آ184)
84-(وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم). (آ271)
85-(ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم). (آ 282)

[250]- « تمثل مجموع العلامات الواسمة بين المحيل (référent)أوالمحيل عليه(référé)أكبر ضمان للتبليغ الدقيق للمعلومة عبر الاستبدال العائدي(substitution anaphorique)
Michel-Maillard- Essai de typologie des substituts diaphoriques -LF.21-Larousse.1974

(251)- لقد لفت الانتباه الطاهر بن عاشور الى هذه الإحالة في الضمير،يقول وهو بصدد تفسير هذه الآية «الضمائر البارزة» في (بدله وسمعه وإثمه ويبدلونه) عائدة إلى القول أو الكلام الذي يقوله الموصي ودل عليه لفظ «الوصية» وقد أكد ذلك بما دل عليه قوله « سمعه» إذ إنما تسمع الأقوال تفسير التحرير والتنوير-ج2- ص152
ونلاحظ كيف استغل السياق لتحديد إحالة الضمير في هذه الآية.

نلاحظ في مجموع هذه الأمثلة أن الضمير "**هو**" لا يحيل على وحدات يمكن وسمها شكلا فلا يلعب الجنس هنا ولا العدد دورا في تحديد إحالة الضمير بواسطة ما أسميناه التطابق (التام أو الجزئي) بين الضمير وما يحيل عليه. فكل السياقات التي يحيل عليها الضمير من82 إلى85 هي جمل. ومن فضول القول أن نقول أن الوسم الشكلي الذي يوجد في الوحدات المكونة لها لا يعتبر وسما لها وأقصى ما يمكن أن نقوله هنا أن الضمير "**هو**" خرج إلى إحالة موسعة.

تجدر الإشارة هنا إلى أن أمثلة هذا النوع من الإحالة مع الضمير قليلة جدا وهذه الأمثلة التي أوردناها هي الوحيدة في سورة البقرة وهي قليلة جدا قياسا بالإحالة الغالبة في الضمير، ويبدو أن الضمير ينحو نحو الإحالة المحدودة على خلاف أسماء الإشارة كما سنرى لاحقا.

ويسند التوجه نحو هذه الإحالة المحدودة ما نجده من تدرج تنازلي بين اسم الإشارة والضمير. ففي كثير من السياقات يحيل اسم الإشارة على سياق موسع ثم يأتي الضمير ليحيل على اسم الإشارة.

86-([الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يومنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون]أولئك على هدى من ربهم) (آ3-5)

87-(ومن أظلم [ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه] وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين). (آ114)

88-(وبشر[الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون] أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون).(آ 155-157)

89-(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر [من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس] أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون). (آ 177)

ولئن كانت هذه الأمثلة تتميز بوجود اسم موصول في بداية السياق الذي يحيل عليه اسم الإشارة، وبإمكان المسألة أن تتعلق بتطابق بين الاسم الموصول واسم الإشارة كما هي الحال مثلا في 85. الذين أولئك
فإن وجود سياقات موسعة بعد الاسم الموصول يرجح وجود أولئك بدل الضمير.

ويظهر بوضوح هذا التوجه نحو الإحالة المحدودة في الضمائر في أمثلة من نوع:

سياق موسع إشاري ضمير

لنتأمل هذه الأمثلة:

90-([وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر] ذلك هو الفوز العظيم) (التوبة72)

91-(الذين آمنوا وكانوا يتقون [لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة] لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم). (يونس 63-64)

92-(مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد). (إبراهيم18)

93-(ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه [خسر الدنيا والآخرة] ذلك هو الخسران المبين).(الحج 11)

94-(قل [إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة] ألا ذلك هو الخسران المبين).(الزمر15)

95-(وقهم السيئات [ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته] وذلك هو الفوز العظيم). (غافر9)

نلاحظ في كل هذه الأمثلة أن السياقات التي يحيل عليها اسم الإشارة ذلك تخرج من دائرة الوسم الشكلي كما أشرنا إلى ذلك سابقا. ويُتبع اسم الإشارة بضمير يتطابق معه جنسا وعددا. ونحصل بذلك على البنية:

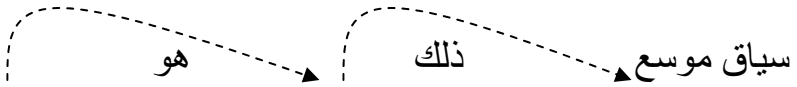

ونشير في هذا السياق أيضا إلى أن ما يعضد هذا المنحى للإحالة المحدودة في الضمير هو عدم إمكانية العبور من السياق الموسع إلى الضمير مباشرة.

الذين آمنوا ---- هو الفوز العظيم.

مثل الذين كفروا --- هو الضلال البعيد.

3.1- المقابلة آدمي/غير آدمي في الضمائر أو عاقل/غير عاقل:

لقد دفعنا إلى الكلام عن هذه المقابلة معطيات المدونة. فقد وضعتنا أمام أمثلة تقع فيها المفارقة بين الضمير وما يحيل عليه وتعكس بذلك ما أسميناه التطابق الجزئي. يتعلق الأمر في هذا السياق بضمير الغائب فهو أحيانا يحقق علاقة إحالية مستندة إلى التطابق التام كما في:

96-(وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل).(آ 205)

97-(... فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين).(آ24)

98-(وإذا قال موسى لقومه إن الله يامركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزؤا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي).(آ67-68)

99-(وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا). (النساء 128)

نجد في هذه الأمثلة تحقق العلاقة الآتية.

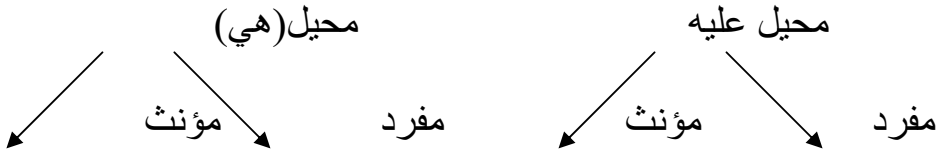

كما نجد أن الوحدات التي يحيل عليها هي في الأمثلة تنتمي إلى عوالم مختلفة:
فالأرض والنار تنتميان إلى عالم الجمادات وتنتمي البقرة وامرأة إلى عالم الأحياء ثم تفترقان من حيث انتماء امرأة إلى الآدميين وانتماء بقرة إلى غير الآدميين. غير أن انتماء هذه الوحدات إلى عوالم مختلفة لا يؤثر في إحالة الضمير "هي" فهو يحيل دون تمييز على كل هذه الوحدات.

غير أننا حينما ننتقل إلى جموع هذه الوحدات يصبح التطابق إما جزئيا أو تاما بحسب انتماء هذه الوحدات إلى عالم الآدميين أو غير الآدميين. لنتأمل هذه الأمثلة:

100-(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار).(آ25)
101-(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة). (آ74)
102-(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنها تاكلون).(النحل آ5)
103-(أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن). (آ187)
104-(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة). (آ233)

ففي المجموعة الأولى نجد أن المحيل عليه جمع لغير الآدميين ويحيل عليه الضمير "هي". بينما نجد في المجموعة الثانية أن الجمع هو جمع لآدميين فصاحبه في الإحالة الضمير "هن".

لقد تناول سيبويه هذه المسألة وهو يعالج قضية الجمع الذي يكسر عليه الواحد في سياق مقابلة كبرى تندرج ضمنها مقابلة صغرى. تتعلق المقابلة الكبرى بالحيوان في مقابل الموات وتتعلق المقابلة المدرجة في هذه المقابلة الكبرى بالآدمي في مقابل غير الآدمي. فنحصل على هذا الشكل:

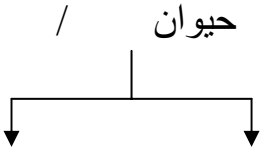

آدمي / غير آدمي

يقول سيبويه في هذا السياق: « وهذا في الواحد من الحيوان قليل، وهو في الموات كثير، فرقوا بين الموات والحيوان كما فرقوا بين الآدميين وغيرهم، تقول: هم ذاهبون وهم في الدار ولا تقول جمالك ذاهبون ولا تقول هم في الدار وأنت تعني الجمال..... وهذا النحو كثير في القرآن. وهو في الواحدة إذا كانت من الآدميين أقل منه في سائر الحيوان، ألا ترى أن لهم في الجميع حالا ليست لغيرهم، لأنهم الأولون وأنهم قد فضلوا بما لم يفضل به غيرهم من العقل والعلم وأما الجميع من الحيوان الذي يكسر عليه الواحد فبمنزلة الجميع من غيره الذي يكسر عليه الواحد في أنه مؤنث. ألا ترى أنك تقول: هو رجل وتقول هي الرجال فيجوز وتقول هو جمل وهي الجمال وهو عير وهي الأعيار فجرت هذه كلها مجرى هذه الجذوع» [252]

يبين لنا هذا المقطع لسيبويه أن العربية تقيم معادلة بين الموات والحيوان وتعامل الحيوان معاملة الموات في البنية من نوع ضمير+ اسم. كما تبرزه أمثلة سيبويه:

هي	الرجال	حيوان - آدمي
هي	الجمال	حيوان – غير آدمي
هي	الجذوع	موات

[252]- سيبويه – الكتاب – مكتبة الخانجي – ط3 1988- ج2 ص 38-39.

لكن ما يجب لفت الانتباه إليه أن هذه البنية يتصدرها الضمير. والذي يهمنا نحن في سياق الإحالة أولا والاتساق ثانيا أن البنية تكون بالشكل العكسي أي اسم ضمير وهذه البنية سمحت لنا بأن نستخلص نتيجة أولى مفادها أن هناك تفريقا بين الآدميين وغير الآدميين. وبالتالي فالمقابلة التي تخضع لها الإحالة في الضمائر ليست من نوع موات/حيوان لأن الضمير هي يحيل على الموات وعلى الحيوان غير الآدمي كما تبينه الأمثلة:

105-(ثم قست **قلوبكم** من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة).(آ74)
106-(يسألونك عن **الأهلة** قل هي مواقيت للناس والحج). (آ189)
107-(والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة). (النحل آ8)

وحينما يتعلق الأمر بالآدميين فإن الضمير هن هو الذي يحيل على الوحدة اللغوية التي تسبقه:

108-(و**المطلقات** يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء). (آ228)

ولئن كان هذا هو الغالب في إحالة الضمير "هي" و"هن" من حيث خضوعهما للمقابلة آدمي/غير آدمي كما بينته الأمثلة التي أوردناها سابقا فإن السياقات القرآنية لا تخضع دائما لهذه القاعدة. وقد دفعتنا بعض الأمثلة التي خرجت عن هذه القاعدة إلى القيام

بعملية مسح كامل لتحديد هذه الأمثلة التي خرجت عن هذه القاعدة. وقد تمكنا من جرد مجموعة من الأمثلة وصل عددها إلى 26 مثالا تتقاطع في الإحالة مع إحالة الوحدات التي تندرج في قسم الآدميين. وتصبح في هذه الحالة محققة للمعادلة الآتية:

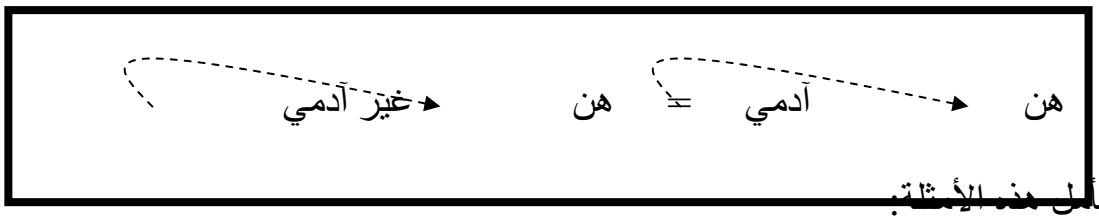

لنتأمل هذه الأمثلة:

109-(لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير). (المائدة120)
110-(يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم). (المائدة4)
111-(ومن آياته الجواري في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الرياح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور). (الشورى34)
112-(أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير). (الملك19)

ويسمح السياق أحيانا بطرح إمكانية تفسير لهذا الاستعمال. فلو نظرنا إلى السياقات التي تندرج فيها هذه الإحالة لوجدنا أن منها ما يرفع اللبس في الإحالة باللجوء إلى هن بدل هي مع أن المحيل إليه لا يندرج ضمن قسم الآدميين. ويقع في أمثلة من هذا النوع تنازع في الإحالة حينما نضع هي بدل "هن" ويكون تأثير وضع "هي" بدل "هن" كبيرا على دلالة السياق لنتأمل هذه المجموعة.

113-(لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير). (المائدة120)
114-(يسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده).(الإسراء44)
115-(قال ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين). (الأنبياء56)
116-(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون). (فصلت37)
117-(ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) (الزخرف9)

نلاحظ في هذه الأمثلة أن السياقات التي تسبق الضمير "هن" هي دائما السماوات والأرض وهي سياقات تتكون من وحدتين عطفت إحداهما على الأخرى وتتقاطعان في خاصية الوسم جنسا.
فكلتاهما مؤنث ومن ثم تتحقق فيها العلاقة الإحالية الآتية:

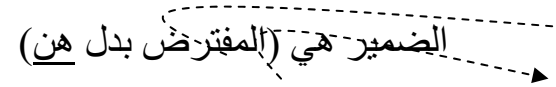

وعلى هذا الأساس فلو وضعنا هي بدل هن في هذه السياقات فإن الإحالة تخضع للتتابع الخطي وتصبح مرتبطة بالوحدة الثانية أي الأرض، بينما يقترح السياق على مستوى الدلالة بإستعمال هن ما يلي:

السماوات وما فيها + الأرض وما فيها ← هن
السماوات ومن فيها + الأرض ومن فيها ← هن
السماوات فطرها + الأرض فطرها ← هن
السماوات خلقها + الأرض خلقها ← هن

ونلاحظ في المثال أن السياقات التي تتنازع الإحالة ليست متعددة على مستوى الجنس إذ نجد مقابلة واضحة بين المذكر والمؤنث في:

الليل + النهار + القمر /الشمس

فلو وضعنا "هي" بدل "هن" في خلقهن لاستحوذت الشمس على الإحالة وارتبطت حينئذ بمسألة الخلق بينما يتوجه السياق في دلالته إلى:
خلق الليل + خلق النهار + خلق القمر + خلق الشمس ← خلقهن

وإلى جانب هذه المجموعة التي يصبح استعمال هن فيها رافعا للبس ومحددا للدلالة فإن هناك مجموعة أخرى تدرج السياقات فيها الوحدات التي يحيل عليها "هن" ضمن الآدميين لما يتصفون به من عقل. لنتأمل:

118-(يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهم مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم). (المائدة4)
119-(إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم). (التوبة36)
120-(وإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس) (إبراهيم 36)

121-(قل أفرايتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته) (الزمر 38)

ففي المثال 118 نجد أن الوحدة التي يحيل عليها "هن" موزعة في سياق يسمح لها بالاندراج في قائمة الوحدات المحققة للمقابلة آدمي/غير آدمي وهذا السياق هو تعلمون وكأن هذا التعليم نقلها إلى قسم العقلاء .فأصبحت إحالتها كإحالة الوحدات الدالة جمع إناث آدميين ومنه فـ:

الجوارح + تعلمون = هن

جمع مؤنث غير الآدميين العقل

وفي المثال 119 نجد شيئا طريفا وهو تحقق الإحالة المزدوجة المتقابلة للوحدة نفسها. والذي سمح بهذا التقابل ما صاحب الوحدة في الإحالة الثانية من وحدات تدرجها ضمن إحالة هن. يتوزع السياق في هذا المثال هكذا:

الشهور ها أربعة هن

ومع تقاطع الشهور وأربعة(أشهر) وإمكانية أن يحيل عليها "هي" فإن وجود أربعة مصاحبة لـ حرم أدرجها في سياق الإحالة بـ "هن" ومنه:

أربعة (أشهر) + حرم = هن

وكذلك الحال في 120 إذ إن:

الأصنام + أضللن = هن

أما المثال 121 فإن المحيل عليه المحدد بواسطة العبارة الواصفة التي يتصدرها الاسم الموصول ما تنقلنا إلى مفهوم الآلهة المعبودة من دون الله وكون الإنسان خصها بالعبادة فقد أعطاها القدرة على الفعل والمنع. ومن ثم أدرجها في سياق الوحدات التي تتماشى مع "هن".

إن عرض هذه الأمثلة يندرج ضمن طرح فرضيات لتفسير هذه الظاهرة. ولا يعني ما قدمناه تفسيرا نهائيا. ذلك أن هناك من الأمثلة في هذا السياق ما لا يمكن تبريره بما قدمناه لنتأمل مثلا:

122-(ألم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير). (الملك 19)

ويقابل هذا المثال مثال يشبهه ولكن يختلف عنه من حيث ما يقدمه من معطيات تسمح بتفسير استعمال هن. وهذا المثال هو:

123-(ألم يروا إلى الطير في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يومنون). (آ

فهذا المثال يختلف من حيث إنه يوفر في السياق وحدتين تتنازعان الإحالة. ومن ثم لو وضعنا "هي" بدل "هن" لارتبطت هذه الإحالة بالسماء. ولذلك يربط استعمال "هن" مسألة المسك بالطير.

يتبين لنا من مجموعة الأمثلة التي ضربناها ونحن نعالج مسألة المقابلة آدمي/غير آدمي أن الضميرين "هي" و"هن" يتنازعان الإحالة على ما هو آدمي وغير آدمي في سياقات نحوية تتعلق بالجمع. فحينما يكون المحيل عليه وحدة لغوية في الجمع فإن إحالة "هن" عليها تكون ثابتة حينما يتعلق الأمر بالآدميين. أما حينما يتعلق الأمر بغير الآدميين فإن هذه الإحالة تكون في الغالب "هي". وإذا خرجت هذه الإحالة إلى استعمال "هن" بدل "هي" فقد يكون لذلك مبررات سياقية كما حاولنا أن نبين ذلك في الأمثلة (113-117) من خلال مسألة تنازع الإحالة أو في الأمثلة(118- 120) بواسطة وجود وحدات لغوية تصاحب المحيل عليه وتسمح بنقله من قسم غير الآدميين إلى قسم الآدميين ولكن هذا لا يشكل قاعدة عامة فأحيانا نجد استعمال **هن** بدل هي ولا نجد مبررا سياقيا لهذا الاستعمال. وعليه يمكن تلخيص هذا النوع من الإحالة بواسطة الضميرين "هي" و"هن" هكذا:

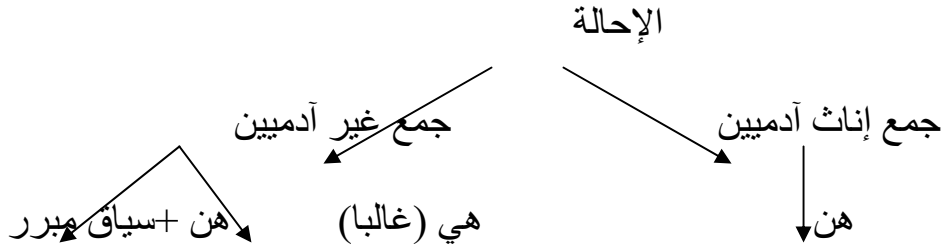

4.1- الضمير بين الدور الإحالي والدور الاتساقي:

إن ضرورة التفريق بين دور إحالي ودور اتساقي للضمير مرده أساسا إلى ما يلاحظ من تداخل عند بعض الدارسين وهم يدرسون مسألتي الاتساق والإحالة. فيقع عندهم عدم الفصل بين الدورين وتصبح الإحالة مرادفة للاتساق. ولقد بينا ونحن نعرض نظرية هاليداي في الاتساق أنه يفرق بين نوعين من الاتساق، وصف أحدهما بأنه بنوي ووصف الآخر بأنه غير بنوي بل هو دلالي. ويقصد بالاتساق البنوي ما يتم من علاقات تركيبية داخل الجملة.

وهذه العلاقات كفيلة بأن تعطي قوة ترابط تكتفي بها الجملة. وعلى هذا الأساس فحينما نجد عناصر إحالية داخل الجملة الواحدة فإنها لا تلعب دورا في الاتساق.

وحقيقة الأمر أن الاتساق بمعناه الحقيقي يكون حينما نخرج من حيز الجملة إلى جملة أخرى، ذلك أن ما يسمى بالاتساق البنوي هو مسألة إجبارية لا يملك فيها المتكلم أدنى

اختيار. وهو مجبر على أن يبني كلامه وفق قانون بناء الجمل في اللغة التي يتكلمها ومن ثم يصبح هذا الالتزام بهذا البناء شرطا أوليا للتواصل. لكن حينما نخرج من جملة إلى جملة يصبح في المسألة نوع من الحرية في اختيار الأدوات التي تتم بواسطتها علاقات بين الجمل.

ولأن العلاقات التركيبية إجبارية فإن وجود ضمير ما يحيل داخل حيز الجملة لا يمكن أن نعطيه دورا اتساقيا. بل يبقى دوره إحاليا فقط ولا تفتقر الجملة إلى هذه الإحالة لتحقق الترابط فيما بين عناصرها. لنتأمل بعض الأمثلة:

124 -(الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يومنون به) (آ 121)

ج

125-(وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن). (آ 124)

ج

126-(قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها) (آ 144)

ج

127-(وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إن لله وإنا إليه راجعون) (آ155-156)

ج

128-(إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس في الكتاب/ أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون). (آ 159)

ج

تعكس هذه الأمثلة وغيرها مما يماثلها أدوارًا إحالية للضمير. ففي جميعها يحيل الضمير على وحدة توجد معه داخل حيز واحد هو الجملة ومن ثم فدوره في هذه الحالة إحالي وليس اتساقيا ولسائل أن يسأل إذا انحصر دور الضمير هنا في الإحالة فقط فهل لهذه الإحالة دور؟ إن الإجابة عن مثل هذا السؤال تتطلب معالجة مسألة الانسجام من منظور وحدة الموضوع ودور الضمير فيها. وهي قضية سنتناولها في حينها حينما نتناول بعض المقاطع من سورة البقرة ونحاول أن ندرس انسجامها. وما يهمنا هنا هو التأكيد على ضرورة التفريق بين الدور الإحالي للضمير والدور الاتساقي.

2- أسماء الإشارة ودورها في الاتساق

1.2- الإحالة في أسماء الإشارة:

رأينا في المعالجة السابقة كيف تتم الإحالة على مستوى الضمائر. ومكنتنا معطيات المدونة من أن نقوم بجرد مختلف الوحدات التي يحيل عليها الضمير "هو" وصواحبه وهذا الجرد سمح لنا بتحديد الكيفيات التي يترابط بها هذا الضمير مع ما يحيل عليه كما سمح لنا بتحديد توجه الضمير في الإحالة. وعرفنا أن الضمير ينحو نحو الإحالة المحدودة إذ تكون الوحدات التي يحيل عليها في أغلب الأحيان موسومة جنسا أو عددا.
وقوى هذا الطرح عندنا هذه العلاقة التكاملية بين الضمير واسم الإشارة في الإحالة. وهي علاقة يمكن تمثيلها كما يلي:

سياق موسع ← اسم الإشارة ← ضمير

لا يمكن وسمه لأنه يتعلق بجملة أو مجموعة جمل.

واستنادا إلى هذه العلاقة يمكن طرح الأسئلة الآتية:
كيف تتم الإحالة في أسماء الإشارة؟ وكيف يكون المحيل عليه؟ وإذا كانت أسماء الإشارة تعرف على مستوى نظامها مقابلة بين القرب والبعد فما أثر ذلك على الإحالة؟ وبعبارة أخرى هل اسم الإشارة يحيل دائما على ما يتناسب معه من حيث دلالته المسافية؟.
تمثل هذه الأسئلة المعالم التي نتحرك بها لمعالجة الإحالة في أسماء الإشارة.

1.1.2- أسماء الإشارة بين الإحالة الخارجية والإحالة الداخلية:

قبل أن نعالج مسألة الإحالة الداخلية لعلاقتها المباشرة بالاتساق لا بد أن نشير أولا أن أسماء الإشارة التي تهمنا هي الأسماء التي تتسم بالاستقلالية. ولا يخفى على أحد أن اسم الإشارة يدخل في بنية من نوع: إشاري + (ال + اسم) كما في:

129-(ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين). (آ 35)
130-(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم). (الإسراء 9)

وفي مثل هذه البنى إما أن يرتبط اسم الإشارة بالمقام، أو أن يكون ناتجا عن تحويل من بنية من نوع اسم نكرة كقولنا مثلا:

رجل ← هذا الرجل

وفي هذه الحالة يدرج ضمن دراسة العلاقات الاتساقية التي تتم على مستوى المعجم. وانطلاقا من هذا التحديد فإن ما يهمنا هو اسم الإشارة الذي يتميز باستقلالية وظيفية مما

يعطيه قوة أكبر على أن يحقق مجموعة من الوظائف بحسب السياقات التي يتوزع فيها كما تبينه الأمثلة الآتية:

131-(والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (آ 39)
132-(....ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين) (آ63).
133-(أفتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا...).(آ 85) .

1.1.1.2- الإحالة الخارجية في أسماء الإشارة:

لمعالجة مسألة الإحالة الخارجية في أسماء الإشارة لا بد من أن نعود إلى بعض ما جاء عند النحاة العرب، خاصة ما تعلق منه بتعريف اسم الإشارة.

حينما نقف أمام سيبويه يلفت انتباهنا استعماله لعبارة الأسماء المبهمة [253] وهو استعمال يسمح له فيما بعد بالمقارنة بين اسماء الإشارة والضمائر. يقول في هذا السياق: « وقد يكون "هذا" وصواحبه بمنزلة "هو" يعرف به تقول: هذا عبد الله فاعرفه، إلا أن هذا ليس علامة للمضمر ولكنك أردت أن تعرف شيئا بحضرتك» [254].

لو نظرنا إلى هذا التعريف المستند إلى المقارنة بين هذا وصواحبه وهو وصواحبه لأمكننا الخروج بالخلاصات الآتية:

هذا وصواحبه ∩ (= بمنزلة) هو وصواحبه={يعرف به }

↓

هذا عبد الله هو عبد الله

لكن

هذا ليس علامة للمضمر ≠ هو علامة للمضمر

وكون "هذا" ليس علامة للمضمر و"هو" علامة للمضمر يضعنا أمام هذا الفرق المتمثل في الحضور في محيط المتكلم في مقابل عدم الحضور. وبعبارة أخرى فإن استعمال هذا وصواحبه يشترط الحضور في المحيط ولا يشترط استعمال "هو" هذا الحضور.

وبغض النظر عن هذه المقارنة، وهي هامة حينما نوظف مفهوم الإبهام، فإن الذي يهمنا هو أن "هذا" وصواحبه إشارته الأصلية مقامية بدليل «أردت أن تعرف شيئا بحضرتك»

(253)- انظر هامش 110
(254)- سيبويه –الكتاب – ص 256-257

ويؤكد هذا المعنى ابن يعيش وهو يعلل وصف أسماء الإشارة بالإبهام يقول: « ويقال لهذه الأسماء مبهمات لأنها تشير بها إلى كل ما بحضرتك وقد يكون بحضرتك أشياء فتلتبس على المخاطب فلم يدر إلى أيها يشير» ويضيف غير بعيد عن هذا السياق: «الإيماء إلى حاضر بجارحة» «فتعريف الإشارة أن تخصص للمخاطب شخصا يعرفه بحاسة البصر» (255).

وعلى هذا الأساس فإن الأصل في الإشارة أن تتحقق العلاقة الإحالية المباشرة بين الوحدة اللغوية التي هي الإشاري هنا وما يشير إليه وهو الموجود العيني ومن ثم
فإن تمثيل هذه العلاقة في شكل معادلة يكون كالآتي:

الإحاله الإشاريه = إشاري + موجود عيني

وتعكس هذه المعادلة مسألة هامة تتمثل في أن التواصل هنا لا يستغني عن المقام (أي المعطيات الخارجية) بل يصبح هذا المقام علامة توجيه (un repère) للمرسل والمستقبل. ويعكس استعمال الإشاري في قيمته الإحالية الخارجية دائما علاقة مباشرة بين المتكلم والمخاطب ليتحقق مفهوم الحضور الذي أشار إليه النحاة.
لنتأمل هذه الأمثلة:

134-(وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) (آ 21)
135-(وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا) (آ 58)
136-(كلما رزقوا منها من ثمرة قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) (آ 25)

يعكس المثال الأول علاقة تخاطب مباشرة بين الله وملائكته تستشف من استعمال قال (=الله) فيتحدد بذلك القطب الأول وهو المخاطب وأنبئوني التي تحدد بوضوح القطبين الله والملائكة ، ومن ثم نحصل على التمثيل الآتي:

(255)- ابن يعيش – شرح المفصل ص 126

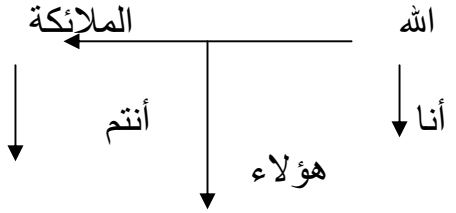

ويمثل هذا مقام حضور لأن المسألة تتعلق بالعرض وعلى هذا الأساس فمطالبتهم بإعطاء الأسماء يتعلق بما كان يعرض أمامهم. وبهذا يحقق الإشاري "هؤلاء" هنا علاقة

إحالية مباشرة من اللفظ (هؤلاء) إلى ما كان يعرض أمام الملائكة. ويجب التنبيه هنا إلى أن هذه الإحالة المباشرة (الخارجية) تنحصر في حيزها. أي في هذا المقام الذي تتحقق فيه هذه العلاقة التخاطبية المباشرة ويندرج هذا المقام في مقام أكبر نكون نحن فيه مستقبلين للخطاب وبالتالي تصبح علاقتنا لما أشير إليه لغوية لأنها تدرج في سياق السرد المدرج للحوار. ومن هذه الزاوية يتقاطع الضميران "أنا" و"أنت" مع الإشاري "هؤلاء" من حيث إحالتها الخارجية بالنسبة للمقام الذي يتم فيه التخاطب وهو ماض بالنسبة إلينا ولا تكون الإحالة فيه عندنا إلا لغوية كما بسطنا ذلك ونحن نحلل المقطع الذي تكلم عن قصة البقرة لتحديد الإحالة في الضميرين "أنا" و"أنت".

ويندرج المثال الثاني في السياق نفسه. فهناك علاقة مباشرة بين المخاطب والمخاطب. ففي قلنا نجد المتكلم وفي ادخلوا نجد المخاطب وهكذا يصبح التمثيل كالآتي:

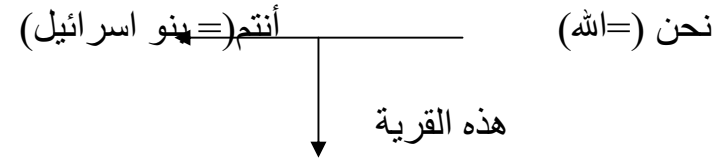

والاختلاف الوحيد بين هذا المثال والمثال السابق أن الأمر يتعلق بإشاري مستقل في المثال الأول. بينما يتعلق الأمر هنا بإشاري مدرج في بنية من نوع (إشاري+(ال +اسم) وهي بنية وليدة انتقال من نكرة إلى معرفة. وهذا الإنتقال يعطي في الغالب صورتين هما:

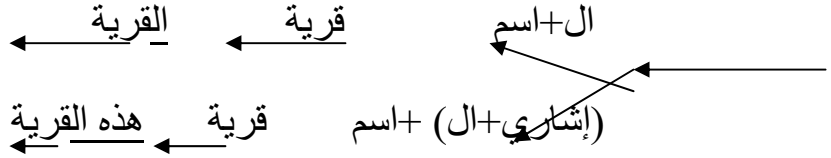

والحال نفسها في المثال الثالث فقولهم "هذا الذي رزقنا من قبل" فيه إشارة من المتكلم (= نحن في رزقنا) إلى موجود في حضرته.

إن الوجود في حضرة المتكلم أو بعبارة أعم وأدل الوجود في مقام التخاطب يعتبر شرطا للكلام عن إشارة محققة لعلاقة إحالية خارجية.

ولعل المتفحص للاستعمالات التي يكون فيها الإشاري محيلا على الخارج يستطيع أن يلاحظ المسألة بوضوح. لنتأمل بعض السياقات القرآنية الأخرى:

137-(وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا). (البقرة 126)

وهذا في هذا السياق يرتبط بما هو موجود في حضرة المتكلم وهو هنا سيدنا إبراهيم عليه السلام. ويتضح مقام التخاطب الذي تحدد من خلاله الموجودات في حضرة المتخاطبين كما في قوله تعالى:

138-(ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين. قال لقد كنتم وآباؤكم في ضلال مبين). (الأنبياء 51-54)

ويستمر سياق المحاورة إلى أن يشير قوم إبراهيم إلى ما فعله سيدنا إبراهيم عليه السلام:
139-(قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم قالوا فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون). (الأنبياء 59-63)

ولا بد من أن نشير هنا إلى أن هذه القيم الإحالية للإشاريات المستعملة في هذه السياقات التي أوردناها تستمد من وجود أقطاب التخاطب في مقام واحد. فالأصنام والفعل الذي قام به إبراهيم يسهل على المتخاطبين (إبراهيم وقومه)
معاينتهما. ولو نقلنا هذه الإشاريات إلى حاضرنا فسيكون سندنا في هذه الحالة ما تبلوره اللغة من مقام نستعين به لنحدد القيم الإحالية للإشاريات المستعملة. ففي سياق لم نذكره في المثال السابق يشير إبراهيم إلى ما سيفعله بهذه الأصنام وفي هذه الإشارة التي هي أساسا لغوية بالنسبة إلينا سند لنا لرفع الإبهام عن الإشاري هذا:

140-(قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لأكيدن أصناكم بعد أن تولوا مدبرين. فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون).

إن هذه الأمثلة التي عرضناها لنوضح من خلالها القيمة الإحالية الخارجية لأسماء الإشارة وما تتطلبه من شروط خاصة ما كان منها متعلقا بالحضور في مقام الخطاب يضعنا أمام السؤال التالي:
هل ينحصر دور أسماء الإشارة في الإحالة الخارجية؟

2.1.1.2- أسماء الإشارة والإحالة الداخلية:

لقد أشرنا ونحن نعالج مسألة الإحالة الخارجية في أسماء الإشارة إلى هذه المقارنة التي قام بها سيبويه بين الضمائر وأسماء الإشارة وأوصلته إلى تحديد نقطة تقاطع بين "هذا" و"هو" في إمكانية أن يعرف بهما ولكن يقابل هذا التقاطع اختلاف من حيث إن "هو" هو علاقة للمضمر و"هذا" ليس علامة للمضمر. ولئن كانت هذه المقارنة تدرج أسماء الإشارة

في خانة الإحالة الخارجية. فإن المقارنة بين اسم الإشارة والضمير "هو" يضعنا في البداية أمام إمكانية أن يحيل اسم الإشارة على ما هو لغوي. أي أنه يحقق إحالة داخلية.

وتثبت لنا معطيات المدونة (سورة البقرة) أن نسبة استعمال أسماء الإشارة في الإحالة الداخلية أكثر منه في الإحالة الخارجية. فمن بين أمثلة استخرجناها لم نعثر إلا على أمثلة قليلة تتحقق فيها الإحالة الخارجية. وقد استندنا عليها فيما سبق لشرح هذه الإحالة. أما بقية الأمثلة فتحقق كلها إحالات داخلية.

ولا يتقاسم هذه الإحالة في مدونتنا سوى جزء من أسماء الإشارة بنسب مختلفة نعرضها في الجدول الآتي:

اسم الإشارة	عدد المرات التي استعمل فيها
أولئك	27
ذلك	15
كذلك	09
ذلكم	04
تلك	09
المجموع	64

يمثل هذا الجدول مجموع ما استعمل من أسماء الإشارة في سورة البقرة وهي كلها محققة لإحالة داخلية. غير أن هذه الإحالة الداخلية تنقسم إلى قسمين من حيث خاصية التوسيع. قسم يتقاطع فيه الإشاري مع الضمير من حيث الارتباط بعنصر يمكن وسمه شكلا وقسم آخر لا يخضع فيه ما يحيل عليه اسم الإشارة إلى وسم شكلي. ويتعدى في هذه الحالة المركبات إسمية كانت أو وصفية.

1.2.1.1.2- أولئك والإحالة الداخلية:

يجسد إسم الإشارة "أولئك" القسم الأول من الإحالـة أي الإحالة المحدودة. وكنا قد قارنا فيما سبق بين إحالة الضمير وإحالة إسم الإشـارة ووصلنـا إلى خلاصة مفادها أن الضمير يغلب عليه الإحالة المحدودة. واستندنـا في ذلك إلى تدرج في الإحـالة من الإشاري إلى الضمير بهذا الشكل:

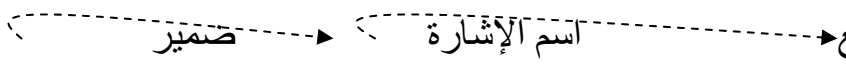

ويمثل الإشاري "أولئك" في مدونتنا الإحالة المحدودة وإن كانت هذه الإحالة في الواقع تتوسع داخليا بما يتيحه السياق الذي يحيل عليه اسم الإشارة لنتأمل هذه الأمثلة:

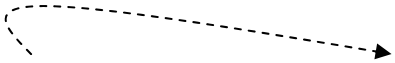

140-(والذين (كفروا وكذبوا بآياتنا) أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون).
141-(إن الذين (يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب) أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون). (آ 159)

142-(إن الذين (كفروا وماتوا وهم كفار)أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). (آ161)

يرتبط إسم الإشارة "أولئك" في هذه الأمثلة ومثيلاتها بالاسم الموصول ويحقق معه تطابقا على مستوى العدد[256]. ولأن الاسم الموصول لا يمكن أن يستقل مثل الإشاري فهو يرتبط إجباريا بما بعده[257] (بصلته). وهذه الصلة هي التي تعكس مفهوم التوسيع ولكنه توسيع يمكن أن نصفه بالمغلق أي أنه خاضع للاسم الموصول. وهذا الخضوع هو الذي يسمح للإشاري "أولئك" أن يقيم معه هذه العلاقة على مستوى العدد.
ولئن كان الاسم الموصول "الذي" يسمح بإقامة علاقة على مستوى العدد من منطلق اندراجه في مقابلات مع غيره من الأسماء الموصولة فإن بعض السياقات التي يحيل عليها "أولئك" تحقق تطابقا يشبه التطابق الذي يتحقق في الضمير.

143-(وما يضل به إلا الفاسقين (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض) أولئك هم الخاسرون). (آ26-27)

144-(وبشر الصابرين(الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إن إلى الله وإنا إليه راجعون) أولئك...). (آ 25)

---

(256)- ينحصر التطابق في العدد دون الجنس لأن نظام التقابل في أسماء الإشارة لا يعطي وحدتين إحداهما للجمع المذكر والأخرى للجمع المؤنث بخلاف الأسماء الموصولة ومن ثم نجد وحدة واحدة في أسماء الإشارة للمذكر والمؤنث ووحدتين للأسماء الموصولة. فيكون نظام الموصولات هكذا :

الذي	اللذان	الذين
≠	≠	≠
التي	اللتان	اللاتي (اللاني)

أما أسماء الإشارة فهكذا :

هذا	هذان	هؤلاء
هذه	هاتان	

(257)- يقول ابن يعيش:« معنى الموصول أن لا يتم بنفسه ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسما فإذا تم بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامة يجوز أن يقع فاعلا ومفعولا ومضافا إليه ومبتدأ وخبرا... ».
موفق الدين ابن يعيش – شرح المفصل – عالم الكتاب – د.ت- ج2- ص138

ففي هذين المثالين يرتبط الإشاري "أولئك" بوحدة معجمية ويتحقق التطابق معها عددا كما يلي:

الفاسقين	جمع	أولئك	جمع

الصابرين جمع أولئك جمع

ولكن هذه الوحدة موسعة بواسطة الموصول وصلته وهذا التوسيع كبير وقابل لأن يمتد أكثر (على الأقل من الناحية النظرية) [258]. ويمكن تقديمه في هذا الشكل:

وحدة معجمية (موصول+ صلة)

أ+ب+ج+.....ن.

ومن هذه الزاوية يصبح المثال الأول هكذا:
الفاسقين الذين (أ و ب و ج)

ويصبح المثال الثاني هكذا:
الصابرين الذين (أ)

ولكن مهما توسعت هذه الوحدة فإن الترابط يتم بين اسم الإشارة والوحدة المعجمية الموسعة بواسطة الموصول وصلته .
وتسمح بعض الأمثلة بالاستفادة من السياق للقيام بعملية جمع رياضية لتحديد العناصر التي يحيل عليها "أولئك". لنتأمل هذا المثال:

---

[258]- لا بد من الإشارة هنا إلى أن مفهوم التوسيع هنا مفتوح كثيرا من الناحية النظرية. فبإمكان المتكلم أن يضيف عددا لا نهائيا من الجمل المتعاطفة أو التي ترتبط ببعضها بكيفيات تركيبية أخرى. ولكن هذه الإمكانية النظرية تصطدم بالجانب العملي في اللغة. فللغة إمكانيلت وحدود وما يكون فيها متاحا نظريا يقيده الاستعمال ولأمر ما كان الكلام عن قواعد اللغة وقواعد التواصل (règles de communication)

145-(ولا تنكحوا المشركات حتى يومن ولأمة مومنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا ولعبد مومن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه). (آ 221)

لو اقتصرنا في هذا المثال على مفهوم التطابق الجزئي فبإمكاننا أن نربط الإشاري بإحدى الوحدتين إما المشركات وإما المشركين لأن كلتيهما تحقق التطابق الجزئي (على مستوى العدد) غير أن الذي يأتي بعد أولئك يرجح جمعها هكذا:
أولئك + يدعون إلى النار = المشركات + المشركين

فإذا أضفنا إلى السياق: يدعون إلى النار سياقات المفاضلة مومنة خير من مشركة ومومن خير من مشرك التي تقتضي:

المومن يدعو إلى الجنة و المومنة تدعو إلى الجنة
≠
المشرك يدعو إلى النار و المشركة تدعو إلى النار

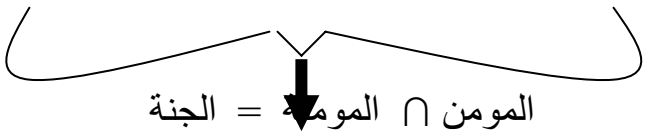

وفي مقابل هذه الوحدات التي يمكن وسمها شكلا، فإن اسم الإشارة "أولئك" يمكن أن يحيل على اسم موصول لا يدخل ضمن مقابلة على مستوى الجنس والعدد. ولكن يدخل في مقابلة أخرى يستعمل فيها مفهومي العاقل وغير العاقل يتعلق الأمر هنا بالاسم الموصول "مَن".

وقد عثرنا على مجموعة من الأمثلة يرتبط فيها الإشاري أولئك بالموصول مَن ، رغم أن مَن ليس موسوما (جنسا وعددا). ولا بأس من أن نعرض بعضا منها في هذا السياق.

146-(فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ومنهم مَن (يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب). (آ 200-202)

147-(ومن أظلم ممن(منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين). (آ 144)

148-(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من (آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون).(آ 177)

نلاحظ من خلال هذه الأمثلة أن قابلية التوسيع التي أشرنا إليها سابقا هي نفسها هنا كما يبينه المثال الأخير(148) بصفة خاصة. ولكنه توسيع محكوم بالموصول. أي أنه توسيع لا يعدو أن يكوِّن مع الموصول وحدة واحدة. ولئن كان وسم الموصول حين يتعلق بالذين يسهل عملية الربط بينه وبين الإشاري "أولئك" فإن غياب هذا الوسم يستعيض عنها "مَن" بالسياق البعدي الذي يدرجه ضمن المقابلة عاقل/غير عاقل وهذا السياق هو الذي يسوغ ارتباط "أولئك" به ارتباط عاقل بعاقل.

ففي المثال الأول نجد: من +(يقول)
وفي المثال الثاني نجد: من +(منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه)
وفي المثال الثالث نجد: من+(آمن+آتى+أقام الصلاة.....)

فالقول والمنع من الذكر المجسد لإرادة معينة والإيمان وإيتاء الزكاة وإقامة الصلاة كلها تدرج "مَن" في جانب العاقل مما يجعل التناغم السياقي يقترح "أولئك" كعنصر محيل.

وبغض النظر عن مفهوم التوسيع الذي تكلمنا عنه فإن العلاقة تتعلق بعنصرين في السياق الموصول "مَن" والإشاري "أولئك" ومن هذا الجانب فهي إحالة محدودة.

2.2.1.1.2- أسماء الإشارة الأخرى:

إذا استثنينا الإشاري "أولئك" الذي يرتبط بعنصر من السياق كما رأينا في الأمثلة السابقة فإن بقية الإشاريات أي "ذلك" (كذلك، ذلكم) و"تلك" تختلف فيها الإحالة وتصبح إحالة موسعة بأتم معنى الكلمة، أي أن الإشاري يحيل على سياقات لا يمكن وسمها شكلا لأنها تساوي الجملة أو تتعداها.

1.2.2.1.1.2- اسم الإشارة ذلك:

يحيل الإشاري "ذلك" في الأمثلة التي تمكنا من استخراجها من سورة البقرة على سياقات موسعة تتجاوز ما يمكن وسمه شكلا:

149-(وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم [اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون] ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون). (آ 51-52)
150-((أفتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب). (آ 85)
151-(وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الآخر). (آ 232)

ففي كل هذه الأمثلة يحيل الإشاري "ذلك" على ما لا يمكن وسمه شكلا. ففي المثال الأول يحيل على اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون وفي المثال الثاني على أفتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وفي المثال الثالث على كل الجملة الشرطية وإذا طلقتم... بالمعروف.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الإشاري ذلك يسهل عملية إدراج سياقات تبريرية بعده حينما تتحقق البنية ذلك بـ. فيصبح ما بعد هذه البنية مبررا أو معللا لما قبله لننظر:

152-(اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم و(ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله) ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيئين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون). (آ61)
153-(الذين ياكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا). (آ275)

يتضح من خلال هذين المثالين أن السياقات التي تأتي بعد ذلك بـ هي مبرر أو تعليل لما قبلها.

ويصبح السياق كله أي ما قبل ذلك بـ وما بعده مشكلا لبنية حجاجية [259] يسهل تقسيمها إلى حكم وعلة ويصبح فيها ذلك بـ معادلا لـ لأن بهذا الشكل:

[259]- ويتقاطع ذلكم مع ذلك في إمكانية إدراج بنية حجاجية ونحصل من ثم على البنية ذلكم بـ . ولم نعثر في سورة البقرة على هذه البنية ولكن وجدناها في سياقات قرآنية أخرى وهي قليلة جدا إذ لا يتعدى عددها الثلاثة :
- (إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل. ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تومنوا فالحكم لله العلي الكبير) (غافر11-12)
- (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزؤا وغرتكم الحياة الدنيا)(الجاثية35)

154-(ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله .ذلك بـ .أنهم كانو يكفرون بآيات الله ....لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس. ذلك بـ . أنهم قالوا إنما البيع مثل الربا)

ونلاحظ أن إدراج العلة لا يتحقق إلا إذا وجد الإشاري الذي يحيل على السياق القبلي. ولا نستطيع أن نمر مباشرة من الحكم إلى العلة بحذف ذلك بـ ومن هذه الزاوية يلعب الإشاري دورا مزدوجا فهو محصل للسياق القبلي وسند للسياق البعدي.

2.2.2.1.1.2- اسما الإشارة ذلكم وكذلك:

أدرجنا هذين الإشاريين تحت نقطة واحدة لأنهما يمثلان في الأساس الإشاري "ذلك" نواة أدخلت عليها إما دال الجماعة أو دال المقارنة فـ:

ذلكم = ذلك + م و كذلك = ك + ذلك

يندرج الإشاري "ذلكم" في سياق المخاطبة، أي في السياق الذي يتحدد فيه المخاطب لغة بواسطة أدوات مختلفة. وهو لا يختلف من ناحية الإحالة عن "ذلك" ويحيل أيضا على ما لا يمكن وسمه شكلا:

155-((فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم) ذلكم خير لكم عند بارئكم). (آ45)
156-(ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله). (آ282)
157-(وإذ نجيناكم من آل فرعون(يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم). (آ49)

ففي هذه السياقات كلها هناك توجيه للخطاب يعكسه استعمال ضمير المخاطب "أنتم" الذي تختلف دلالته باختلاف المخاطبين. ففي المثالين الأول والثاني أنتم= بني إسرائيل أما في المثال الثالث فـ أنتم = المؤمنين.

أما بالنسبة للإشاري "كذلك" فإن اقترانه بالكاف يحدد علاقة مقارنة بين ما قبله وما بعده. ولئن كانت الإحالة لا تختلف عن إحالة ذلك فإن ما يلفت الانتباه هنا هو أن موقع "كذلك" يقع بين السياقين المقارنين مع حوصلة السياق الموجود قبل الكاف بواسطة الإشاري ذلك. لنتأمل هذه الأمثلة:

158-(وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم). (آ113)

159-(تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون). (آ187)

160-(يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة). (آ219)

161-(ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين). (آ191)

تعكس كل الأمثلة التي أوردناها بنية المقارنة بين طرفين. ولكنها ليست كبنية التشبيه من حيث وجود طرفين بينهما رابط (أداة التشبيه). فالأمر يختلف هنا، إذ طرف اليمين مضاعف لأن الإشاري يحيل على السياق القبلي. لنجرد المثال الأول:

162- وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء **وهم** يتلون الكتاب

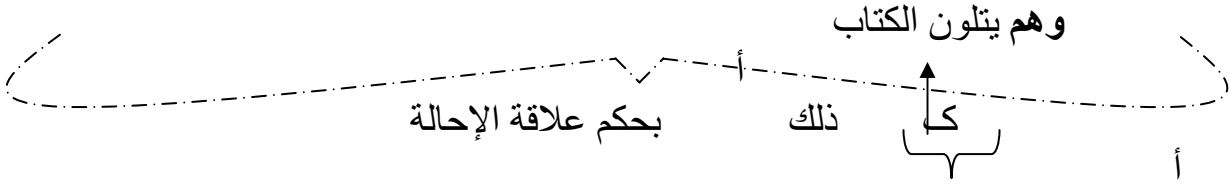

قال الذين لا يعلمون مثل قولهم

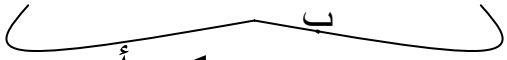

فتصبح العلاقة هكذا: ك أ ب . ومن ثم تتجه دلالة الكاف إلى ما بعد أ وهي عكس علاقة التشبيه لأن الكاف فيه تتجه إلى الوراء [260].

(260)- من الممكن أن نجد البنية الخطية للتشبيه مقلوبة فيكون المشبه أولا والمشبه به ثانيا عكس البنية أ ك ب (أنت كالبدر إلى كالبدر أنت) ولكنها تبقى بنية تختلف عن الحالة التي نعالجها لأنها بنية من نوع أ ك أ ب بينما التشبيه المقلوب خطيا فبنيته هي ك أ ب

3.2.2.1.1.2- اسم الإشارة تلك:

يتقاطع الإشاري "تلك" مع غيره من الإشاريات التي تناولناها من حيث الإحالة على سياقات موسعة. ولكن يختلف عنها من حيث إنه يحدد دائما ما بعده بوحدة لغوية تصنف ما قبله وتقوم بوظيفة ميتا لغوية:

163-(وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم). (آ 111)
164-(أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها). (آ 187)
165-(تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق). (آ252)

يحيل الإشاري "تلك" في هذه الأمثلة على سياقات قبلية موسعة .ويأخذ هذا التوسيع حيزا كبيرا يتجاوز ما نجده في المثالين (163-164). ففي المثال (165) يتعلق بكل ما سبق من القصص[261]. ويعلق الطاهر بن عاشور على هذه الآية والتي بعدها أي «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض»
قائلا في تلك آيات الله: «الإشارة إلى ما تضمنته القصص الماضية وما فيها من عبر» وفي تلك الرسل: «موقع هذه الآية موقع الفذلكة لما قبلها والمقدمة لما بعدها: فأما الأول فإن الله تعالى لما أنبأ باختيار الرسل إبراهيم وموسى وعيسى وما عرض لهم من أقوامهم وختم ذلك

بقوله «تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق» جمع ذلك كله في قوله «تلك الرسل» لفتا للعبر التي في خلال ذلك كله» [262].

[261]- الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتوير – المجلد الثاني. ص503
[262]- نفسه – المجلد الثالث ص5

وبالإضافة إلى هذه الإحالة الموسعة نجد دائما وحدة لغوية تصنف ما يحيل عليه الإشاري "تلك" كما توضحه كل الأمثلة:

تلك	أمانيهم
تلك	حدود الله
تلك	آيات الله
تلك	الرسل

2.2- التقسيم المسافي في أسماء الإشارة:

من المعلوم أن أسماء الإشارة تحكمها ثلاثة أنظمة جزئية تشكل باتحادها نظامها العام. وهذه الأنظمة الجزئية يحكمها مبدأ التقابل. ففي النظام الجزئي الأول نجد تقابلا على مستوى الجنس وفي النظام الجزئي الثاني نجد تقابلا على مستوى العدد. وتتقاطع أسماء الإشارة مع الضمائر في هاتين المقابلتين. وهناك نظام جزئي ثالث يميز أسماء الإشارة ويتعلق بالتقابل المسافي.

يعطي التقابل المسافي نوعين من الوحدات الإشارية.وحدات تشير إلى ما هو قريب ووحدات تشير إلى ما هو بعيد [263]. ويتحقق هذا التقابل المسافي بهذا الشكل[264].

[263]- يستعمل سيبويه مصطلح التراخي للدلالة على مفهوم المسافة يقول في هذا السياق <<وذاك بمنزلة هذا إلا أنك إذا قلت ذاك فأنت تنبه لشيء متراخ وهؤلاء بمنزلة هذا وأولئك بمنزلة ذلك وتلك بمنزلة ذاك >> ص78. وهذا السياق الذي أوردناه يسمح لنا باستنتاج مجموعة من المعادلات والمقابلات .ففي باب الإشارة نحصل على :

هذا=ذاك أولئك=ذلك هنا= ذاك = هؤلاء = أولئك =تلك =[الإشتراك في الإشارة]
هؤلاء=هذا تلك =ذاك

وفي المسافة نحصل على : هذا ≠ ذاك هذا =هذه = هؤلاء
هؤلاء ≠ أولئك ≠ ذلك= تلك =أولئك =[التقابل]
هذه ≠ تلك

[264]- اقتصرنا على أهم وحدات الإشارة التي نتبين من خلالها النظام الذي يحكمها وقد اكتفى سيبويه بما يحقق هذا النظام لكن ابن يعيش ينحوا نحو عرض كل الوحدات المستعملة في الإشارة. فيعطي خانة في القريب : ذا- هذا- تا- تي- ذي- ذه- هاتا- هاتي- هذه- ذان-ذين- هذين- تان- تين- هاتان- أولاء- هؤلاء- هؤلا. وفي خانة البعيد: ذلك- تلك- تاك- ذانك- أولئك – أولا لك.
انظر- سيبويه الكتاب ج2ص77و- ابن يعيش – شرح المفصل ص135وما بعدها.

قريب	**بعيد**
هذا	ذلك
هذه	تلك
هذان	ذانك
هاتان	تانك
هؤلاء	أولئك

وإذا كانت دلالة المسافة في اسم الإشارة تعني في معناها الحقيقي (لأن الأصل في الإشارة الإشارة إلى ما هو حسي وهذا يقتضي الحضور في المقام) أن المتكلم يشير إلى شيء قريب في محيطه أو بعيد في هذا المحيط [265]. فإن هذه الدلالة تأخذ معنى آخر حينما يصبح الإشاري محيلا على ما هو غير حسي.

ولقد أشرنا في بداية حديثنا أن أغلب الوحدات الإشاريةالتي تمكننا من تحديدها في سورة البقرة تحيل إحالة داخلية وهذه الإحالة الداخلية تتوزع بين إحالة على ما يمكن وسمه شكلا كما هي الحال في ما يحيل عليه "أولئك" وإحالة موسعة لا يمكن فيها وسم ما يحيل عليه الإشاري. وتقتضي خاصية الدلالة المسافية للإشاري حينما يتعلق الأمر بالإحالة الداخلية أن يحيل الإشاري الدال على القرب على ما هو قريب منه ويحيل الإشاري الدال على البعد على ما هو بعيد.

غير أن ما لفت انتباهنا هو أن كل الإشاريات التي تحيل إحالة داخلية تنتمي إلى الإشاريات الدالة على البعد كما يبينه الجدول الذي جردنا فيه الوحدات المستعملة في سورة البقرة. واللافت للانتباه أيضا أن ما يحيل عليه الإشاري الدال على البعد قريب في السياق. لنتأمل بعض الأمثلة:

166-(وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون). (آ51-52)

[265]- البعد والقرب هنا ليس مسألة حسابية رياضية دقيقة ولكنه مسألة تقديرية .وحين يستعمل المتكلم هذا أو ذلك مثلا فكأنه يقول إني أشير إلى شيء قريب أو إلى شيء بعيد دون أن يكون بحاجة إلى تحديد رياضي.

167-(أفتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يرون أشد العذاب). (آ 85)

168-(وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم). (آ49)

169-(وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تاتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم). (آ118)

170-(فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة).(آ196)

نلاحظ في هذه الأمثلة وفي غيرهما مما لم نورده هنا أن ما يحيل عليه الإشاري قريب. فهو يقع مباشرة قبله في المدرج الخطي. ويقتضي هذا القرب أن يكون الإشاري الدال على القرب هو المستعمل غير أننا نجد إشاريا دالا على البعد (ذلك، ذلكم، كذلك، تلك) وهذا يضعنا أمام مفارقة بين محيل عليه قريب ومحيل دال على البعد.

لقد حاول الرضي الاسترابادي أن يفسر هذه الظاهرة التي يستعمل فيها الإشاري الدال على البعد رغم أن المشار إليه قريب والعكس. يقول في هذا السياق: « ويجوز في هذه الصورة على القلة أن يذكر اسم الإشارة بلفظ الحاضر القريب نحو قلت لهذا الرجل وهالني هذا الضرب أي هذا المذكور عن قرب. لأن المحكي عنه وإن كان غائبا إلا أن ذكره جرى عن قريب وكأنه حاضر وكذا يجوز لك في القول المسموع عن قريب ذكر اسم إشارته بلفظ

الغيبة والبعد. كما تقول بالله الغالب الطالب وذلك قسم عظيم لأفعلن. قال تعالى: (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) وإنما جاز ذلك لأن ذلك اللفظ زال سماعه فصار في حكم الغائب البعيد والأغلب في مثله الإشارة إلى المعنى بلفظ الحضور فتقول وهذا قسم عظيم وكذلك يجوز الاتيان بلفظ البعيد مع أن المشار إليه شخص قريب. نظرا لعظمة المشير أو المشار إليه وذلك أنه يجعل بعد المنزلة بينهما كبعد المسافة كقول السلطان لبعض الحاضرين ذلك قــال كذا،

ويجوز ذكر البعيد بلفظ القريب تقريبا لحصوله (في الذهن) وحضوره نحو"هذه القيامة قد قامت ونحو ذلك.» [266]

يسمح لنا هذا المقطع للرضي أن نستخرج بعض الإشارات الهامة منه كما يلي :

محكي عنه غائب (غير حاضر) جرى ذكره عن قرب ←هنا(بقلة)
قول مسموع عن قريب- وزال سماعه) ←ذلك
مشار إليه معنوي ←هذا (غلبة)
التعبير عن عظمة المشار إليه ←ذلك
التعبير عن بعد المنزلة بين المتكلم والسامع ←ذلك
تقريب الحصول والحضور في الذهن ←هذا(هذه القيامة مثلا)

ويغلب في خطاب الرضي مسألتان:

- أن الأمر مبني على الجواز نظرا لمسوغات معينة (وقد مثل لها في كل الأمثلة التي أعطاها).
- أن الكلام في تشكيله الخطي يرتبط ارتباطا جوهريا بالزمن إذ أن كل ما ينطق به المتكلم يصبح ماضيا بالنسبة له (وقع وانتهى). ومن منطلق أن أسماء الإشارة تنقسم من حيث الدلالة على المسافة إلى لفظ الحاضر القريب ولفظ الغائب البعيد فإن القول المسموع وإن كان عن قرب فإنه بمجرد زوال سماعه يجوز الإشارة إليه بلفظ الغائب البعيد "ذلك".

[266]- الاستراباذي: شرح كافية ابن الحاجب. ص 80-81.

لقد ناقش الطاهر بن عاشور ما جاء عند الرضي، وهو بصدد تفسيره لبداية سورة البقرة حيث ورد قوله تعالى(ذلك الكتاب) باستعمال الإشاري "ذلك" واستند في هذه المناقشة إلى ما جاء عند ابن مالك في التسهيل فقد سوى هذا الأخير بين الإتيان بالقريب والبعيد في الإشارة لكلام متقدم (الإحالة الداخلية هنا). وقد يتعاقب الإشاريان الدال على البعد والدال

على القرب مع أن المشار إليه واحد. كما في قوله تعالى: (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) ثم قال: (إن هذا لهو القصص الحق).

ويصدر حكما في استعمال الإشاريين يحسن أن نعرضه هنا لأهميته يقول:

« وكلام ابن مالك أوفق بالاستعمال إذ لا يكاد يحصر ما ورد من الاستعمالين. فدعوى الرضي قلة أن يذكر بلفظ الحاضر دعوى عريضة. وإذا كان كذلك كان حكم الإشارة إلى غائب غير كلام مثل الإشارة إلى الكلام في جواز الوجهين لكثرة كليهما أيضا. ففي القرآن « فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه» فإذا كان الوجهان سواء كان ذلك الاستعمال مجالا لتسابق البلغاء ومراعاة مقتضيات الأحوال. ونحن قد رأيناهم يتحيزون في مواقع الإتيان باسم الإشارة ما هو أشد مناسبة لذلك المقام فدلنا على أنهم يعرفون مخاطبيهم بأغراض لا قبل لتعرفها إلا إذا كان الاستعمال سواء في أصل اللغة ليكون الترجيح لأحد الاستعمالين» [267].

وواضح من السياقات التبريرية التي يوردها الطاهر بن عاشور أن المسألة كلها مرتبطة بالجانب البلاغي. والتوفيق في استعمال أحد الإشاريين (الدال على البعد أو الدال على القرب) مرتبط بقدرة المتكلم على أن يراعي المقام الذي ينتج فيه الكلام. ومن هنا شكل تعليقه على الرضي مدخلا ليصف استعمال ذلك الكتاب في بداية سورة البقرة توفيقا تاما بين الكلام والمقام. يقول:

[267]- الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتنوير – المجلد 1- ص219-220

« فلا جرم أن كانت الإشارة في الآية باستعمال اسم الإشارة للبعيد لإظهار رفعة شأن هذا القرآن لجعله بعيد المنزلة. وقد شاع في الكلام البليغ تمثيل الأمر الشريف بالشيء المرفوع في عزة المنال... فالكتاب هنا لما ذكره في مقام التحدي بمعارضته بما دلت عليه حروف التهجي في آلم كان كالشيء العزيز المنال.... أو لأنه بصدق معانيه ونفع إرشاده بعيد عمن يتناوله بهجر القول »[268]

ويبدو لنا أن المسألة لا يجب أن تطرح من منظور إمكانية الاختيار بناء على مسوغات عامة كما هو الأمر عند الرضي. ولا استنادا إلى المعطى البلاغي الذي تكلم عنه الطاهر بن عاشور.

فبالنسبة للمسوغات العامة يمكن أن نستند إليها لو كانت المسألة تتعلق باستعمال تناوبي يتقارب إحصائيا ومن ثم تصبح هذه المسوغات سندا نفسر به استعمال أحد الإشاريين كما فعل الرضي في كل ما أورده من أمثلة ولكن الأمر يتجاوز هذه الصورة إلى غلبة في الاستعمال.

لقد أشرنا في سياقات سابقة إلى أن أغلب الإشاريات المستعملة في سورة البقرة هي إشاريات دالة على البعد. بل إننا إذا رجعنا إلى مقولة الرضي نجده ينحو نحو استعمال الإشاري الدال على البعد في تعليقه على الأمثلة وهي قريبة في السياق.

لنتأمل مثلا :
مشيرا بذلك
وإنما جاز ذلك
وكذلك يجوز
وذلك أنه
ونحو ذلك

إشاريات دالة على البعد مع أنها تحيل على سياقات قريبة

(268)- نفسه- ص220-221.

والأمر نفسه فيما ورد عند الطاهر بن عاشور:
وإذا كان كذلك كان حكم...
كان ذلك الاستعمال مجالا ...
ما هو أشد مناسبة لذلك المقام

ما يحيل عليه كل إشاري قريب في السياق

إن هذا التوجه نحو استعمال الإشاريات الدالة على البعد لتحيل على سياقات قريبة يوجب علينا أن نضع بعض الاحتياطات في مسألة استعمال الإشاريات في الإحالة الداخلية. وأول هذه الاحتياطات أن المسألة تطرح حينما يتعلق الأمر بعدم التناسب المسافي بين الإشاري وما يحيل عليه. وعدم التناسب هذا يفرض علينا أن نشير إلى بعض النقاط:
لا تطرح مسألة المفارقة حينما تكون إحالة الإشاري خارجية إذ أن الإشاري في هذه الحالة بقدر ما يشير فهو يموضع المشار إليه بالنسبة لمقام الخطاب. فلا يعقل أن يشير المتكلم إلى شيء قريب منه مستعملا "ذلك" مثلا. وإذا وجدت مثلا عدة أشياء فإن استعمال "هذا"، "ذاك"، و"ذلك" مثلا يكون ترتيبيا ليموضع هذه الأشياء.
قد يقع تناسب بين الإشاري وما يحيل عليه فتتحقق العلاقة:
سياق قريب ← هذا
سياق بعيد ← ذلك
وفي هذه الحالة لا تطرح المسألة من أساسها.

وإذا استثنينا هاتين الحالتين ،إذ يتحقق التناسب المسافي بين الإشاري وما يشير إليه في حالة الإحالة الخارجية [269] أو الإشاري وما يحيل عليه في حالة الإحالة الداخلية. فإن بقية الإشاريات تعكس عدم التناسب المسافي كما أشرنا إلى ذلك. وتفرض هذه الظاهرة السؤال الآتي:
إلام يعود عدم التناسب هذا ؟

(268)- تنظر الأمثلة التي أوردناها ونحن نتكلم عن الإحالة الخارجية في أسماء الإشارة

لقد حاولنا أن نتتبع كل الأمثلة المتعلقة بعدم التناسب في مدونتنا وسمح لنا فحص بعض هذه الأمثلة أن نلاحظ الآتي:
تندرج بعض السياقات التي يوجد فيها الإشاري وتسبقه لتشكل سياقات إحالية في الماضي وبحكم هذا الاندراج في الماضي تسوغ استعمال الإشاري الدال على البعد رغم أن ما يحيل عليه قريب في السياق. لنتأمل هذه الأمثلة:

171-(وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون). (آ51-52)
172-(وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيئين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون). (آ 61)
173-(وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم). (آ49)
174-(فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون).(آ73)
175-(وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما يبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار). (آ 168)
176-(وقالوا لن الجنة إلا من كان هودا أو ننصارى تلك أمانيهم). (آ 111)
177-(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم). (آ 134)

وقد سبق الكلام في هذا المثال الأخير عن إبراهيم وبنيه. ثم جاء الإشاري تلك ليحيل على هذا السياق القبلي ولكنه سياق قبلي أدرجه السياق البعدي في الزمن الماضي

أمة قد خلت الماضي تلك

والطريف في هذا المثال أننا لو حاولنا استبدال "تلك" بـ "هذه" لما استقام الأمر فلا يمكن أن نقول: هذه أمة قد خلت.
ولعل ذلك يعود إلى أن "هذه" يتماشى مع مقام الحضور والمشاهدة بينما يتوافق "ذلك" مع مقام الغياب ومن ثم يقع التعارض بين لفظ الحضور "هذه" ولفظ المغايبة قد خلت والمنازعة كما يقول الرازي مظنة المنافرة. ولذلك لا يتناغم في هذا السياق إلا الإشاري "تلك" الدال على البعد والماضي بُعْد.
غير أن سياقات أخرى لا تندرج في الماضي ويصبح مسوغ استعمال الإشاري الدال على البعد هو فقط أن ما يحيل عليه سبق ذكره « وزال سماعه فصار في حكم الغائب البعيد»
كما يشير إلى ذلك الرضي فيما أوردناه سابقا. ونستطيع أن نفسر بهذه الإشارة العديد من الأمثلة التي تتوفر فيها مسوغات كالتي ذكرناها سابقا لنتأمل بعضا من هذه الأمثلة:

178-(ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه). (آ 231)

179-(فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم).(آ45)
180-(ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله). (آ282)
181-(ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين). (آ 191)
182-(يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يومن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين. ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير .أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابه إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون). (آ 264-266)

ففي هذه الأمثلة ومثيلاتها لا يوجد سياق لغوي يبرر استعمال الإشاري الدال على البعد بل إن الأفعال المستعملة في السياقات التي يحيل عليها الإشاري هي أفعال تتجه إلى المستقبل (لا تمسكوهن– فتوبوا- لا تسأموا– لا تقاتلوهم) ويبقى المسوغ الوحيد. لاستعمال "ذلك" أو "تلك" هو سبق الذكر الذي يمكن أن نصفه بأنه وقع وانتهى بحكم أنه قيل.

وهكذا نكون في الحالة الأولى التي تدرج فيها الوحدات اللغوية السياق في الماضي أمام قرب ما يحيل عليه الإشاري في السياق اللغوي ولكن بعده كحدث.

بينما يكون في الحالة الثانية أمام قرب ما يحيل عليه الإشاري ولكن بحكم أنه سبق ذكره فهو في عداد الحدث اللغوي الذي مضى.

وكأن استعمال الإشاري الدال على البعد رغم قرب ما يحيل عليه يحكمه حدثان يتقاطعان في خاصية المضى الأول حدث واقعي والثاني حدث لغوي.

3.2- مجال الحركة الإحالية بين الضمائر وأسماء الإشارة:

نقصد بحيز الحركة الإحالية الحيز الذي يتحرك فيه اسم الإشارة في إحالته الداخلية وهذا الحيز إما أن يكون الجملة نفسها ومن ثم تكون إحالة اسم الإشارة غير محققة للاتساق وإما أن يكون هذا الحيز عدة جمل.

ولا بد هنا من أن نضع في مقابل أسماء الإشارة الضمائر .وقد سبق أن تناولنا الفرق بين إحالة الضمير وإحالة اسم الإشارة منظور إليه من زاوية ما يحيل عليه كلاهما. وتبين لنا أن الضمير ينحو نحو الإحالة المحدودة أي أنه يحيل على ما يمكن وسمه شكلا. بينما ينحو اسم الإشارة نحو الإحالة الموسعة. وكون الضمير يحيل على ما يمكن وسمه شكلا هو في نهاية الأمر إحالة على وحدة من الوحدات المكونة للجملة وهذه الوحدة قد تكون في الجملة نفسها التي يكون فيها الضمير أو تكون هي في جملة والضمير في جملة أخرى.

وبحكم هذه الخاصية فإن الضمير يستعمل بكثرة ويكون حيز حركته كبيرا. فقد يحيل داخل الجملة نفسها:

183-(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه). (آ37)
184-(قل إن هدى الله هو الهدى). (آ 120)
185-(وعلم آدم الأسماء كلها). (آ 31)

ونكتفي في هذا السياق بهذه النماذج التي تبين أن الضمير يحيل على عنصر من الجملة التي ينتمي إليها ولا نعرض نماذج الإحالة عبر الجمل فهي كثيرة وقد أوردنا عددا منها ونحن نتكلم عن الإحالة في الضمائر.

وإذا نظرنا إلى أسماء الإشارة من حيث حيز حركتها الإحالية فإن توجهها نحو الإحالة الموسعة (على ما لا يمكن وسمه شكلا) يجعل نسبة كبيرة من المستعملة منها استعمالا إحاليا تعبر الجمل. وقليلة هي النماذج التي يحيل فيها الإشاري داخل الجملة نفسها.

لقد سمح لنا تتبع المدونة أن نرصد بعض الأمثلة التي يحيل فيها الإشاري "أولئك" داخل الجملة نفسها ويشكل مع ما يحيل عليه ركني الجملة لنتأمل هذه الأمثلة:

186-(والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (آ39)

ج

187-(إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) (آ161)

ج

188-(إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون (آ159) إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) .

ج

ففي هذه الأمثلة يلعب الإشاري "أولئك" في الجملة نفسها دورين دورا إحاليا لأنه يحيل على السياق القبلي الذي يتصدره الموصول ودورا تركيبيا من حيث إنه يشكل مع ما بعده العنصر الثاني في العلاقة الإسنادية هكذا:

الذين (س) أولئك + سَ (270)
المسند إليه المسند

وإذا استثنينا هذه الحالة التي يمكن أن يحيل فيها الإشاري أولئك بصفة خاصة داخل الجملة الواحدة فإن بقية الإشاريات التي تمكنا من جردها من المدونة تحقق علاقات إحالية عبر الجمل بل إن ما يميزها كما أشرنا إلى ذلك ونحن نعالج مسألة نوعية الإحالة في أسماء الإشارة هو الإحالة على سياقات موسعة وتكون هي في جمل أخرى.

بل إن الإشاري "أولئك" الذي يحيل أحيانا داخل الجملة الواحدة يكون في هذه الإحالة محدودا جدا كما ونوعا. فأما كما فإن عدد الأمثلة التي تمكنا من جردها قليلة جدا وأما نوعا فإنها في كل ما تمكنا من جرده يلعب فيها الإشاري دور المتمم لبناء الجملة المصدرة بالموصول. وقد سمحت لنا بعض المعطيات الأخرى من المدونة أن نجد هذا الإشاري يحيل من جملة إلى أخرى في سياقات يتصدرها الموصول.

وهذا الموصول يكون قد شكل مع ما بعده تمام البناء فتصبح حركة الإشاري عبر جملية (transphrastique) كما تبينه الأمثلة الآتية:

(270)- لا يهمنا هنا إلا طرفي العلاقة الإسنادية أما العلاقة الإسنادية وكيفية تحققها بالتفصيل فإنها تعكس بنية تتعقد تدريجيا كلما اتجهنا إلى اليسار في الأمثلة التي أوردناها باستثناء المثال 186 فلو أخذنا المثال 187 مثلا نجد

إن الذين (جملة الصلة) أولئك عليهم لعنة الله

أولئك عليهم لعنة الله

عليهم لعنة الله

لعنة الله

لو رمزنا للمسند بـ أ والمسند إليه بـ ب فإننا نستطيع أن نمثل درجة التعقيد في هذه الجمل

أ ب

أ ب

أ ب

189-(الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته / أولئك يومنون به). (آ 121)

ج1 ج2

190-(والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات /

ج1

أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون).(آ257)

ج2

وإذا استثنينا الحالات التي يحيل فيها الإشاري "أولئك" داخل الجملة فإن بقية الإشاريات التي جردناها في مدونتنا تحيل عبر الجمل. بل إن الحيز الذي تحيل عليه قد يكون عددا من الجمل يحوصلها الإشاري وهو ينتمي تركيبيا إلى جملة أخرى. لاحقة للسياقات التي يحوصلها.

وها هي ذي بعض العينات على سبيل التمثيل:

191-((يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بالحسان) ذلك تخفيف من ربكم ورحمة). (آ187)

192-((فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم) ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم).(آ45)

193-((يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون). (آ 219)

194-((الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تاخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت) /تلك حدود الله فلا تعتدوها...).(آ229)

3- الاتساق المعجمي:

حاولنا فيما سبق أن نبين الكيفيات التي تحقق بها الضمائر وأسماء الإشارة الاتساق. وقد أوصلنا فحص مختلف المعطيات المتعلقة بهذا الجانب أن نميز بين نوعين من الإحالة المحققة للاتساق، نوع يحيل فيه العنصر اللاحق على عنصر سابق وهذا الأخير يمكن وسمه شكلا وسمينا هذه الإحالة **الإحالة المحدودة** وتكاد تكون سمة للضمائر (إذا استثنينا بعض الحالات التي يحيل فيها الضمير إحالة كإحالة الإشاري) ونوع يحيل فيه العنصر اللاحق على سياق لا يمكن وسمه شكلا ويكون هذا الأمر هنا متعلقا **بإحالة موسعة** وهي سمة لأسماء الإشارة.

ونحاول في هذا السياق أن نتناول الاتساق المعجمي، وقد اشرنا سابقا ونحن نعرض نظرية هاليداي في الاتساق أن التعامل مع المعجم يختلف عن التعامل مع وحدات تشكل قوائم منتهية كالضمائر وأسماء الإشارة. ومن ثم فإن خاصية التنوع والاتساع بقدر ما تسمح للمتكلم أن ينشئ علاقات مختلفة بين الوحدات المعجمية بقدر ما تصبح المسألة متسمة بشيء من الصعوبة بالنسبة للمتلقي.

ويلعب المعجم بواسطة العلاقات التي يقيمها كالتكرار والترادف والعموم والخصوص والتضاد دورا هاما في الاتساق. وهذه العلاقات، وإن كانت تشكل القواعد التي يتأسس عليها معجم أي لغة،فإن هناك علاقات أخرى لا تتأسس على القواعد المعجمية ولكن يحكمها ما يسمى بالفضاءات المشتركة للخطاب. وهذه الفضاءات المشتركة هي التي تؤسس نوعا من العلاقات التآلفية (Relations associatives) بين هذه الوحدات المعجمية.

1.3- التكرار:

يأخذ التكرار أشكالا مختلفة، فقد يكون تكرارا محضا ترد فيه الوحدة المعجمية نفسها في السياق اللاحق كما هو الحال في:

195-(ولا تلبسوا **الحق** بالباطل وتكتموا **الحق** وأنتم تعلمون).(آ42)
196-(ولو شاء **الله** لذهب بسمعهم وأبصارهم. إن **الله** على كل شيء قدير).(آ20)
197-(فبدل **الذين ظلموا** قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على **الذين ظلموا** رجزا من السماء بما كانوا يفسقون).(آ59)
198-(ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي **كالحجارة** أو أشد قسوة وإن من **الحجارة** لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء).(آ74)
199-(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى **نصر الله** ألا إن **نصر الله** قريب).(آ214)
200-(فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما **حدود الله** وتلك **حدود الله** يبينها لقوم يعلمون).(آ230)

ففي هذه الأمثلة ومثيلاتها يكون التكرار تاما. ويمكن أن يمثل بترميز رياضي هكذا س ⟶ س والجدول التمثيلي الآتي يبين هذه العلاقة:

195	الحــق	الحــق
196	الله	الله
197	الذين ظلموا	الذين ظلموا
198	الحجارة	الحجارة
199	نصر الله	نصر الله
200	حدود الله	حدود الله

وقد يكون الانتقال من النكرة إلى المعرفة للوحدة المعجمية نفسها كما في:

201-(أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد و**برق** يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين. يكاد **البرق** يخطف أبصارهم). (آ19-20)

وهذا هو المثال الوحيد الصريح الذي عثرنا عليه في مدونتنا (سورة البقرة) ويصاحبه في المدونة نفسها مثال يشبهه في الانتقال ولكن لا يماثله وهو:

202-(**شهر رمضان** الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم **الشهر** فليصمــه).(آ185)

ففي هذا المثال يتم الانتقال من معرف بالإضافة وهو **شهر رمضان** إلى معرف بـ **ألـ** وهو **الشهر**. ووجود الوحدة **شهر** في المركب الإضافي **شهر رمضان** الذي يعطي لـ **ألـ** في **الشهر** قيمته الإحاليـــة.

ويلعب الانتقال من النكرة إلى المعرفة دورا هاما في تحقيق الاتساق من جهة وتمكين النص من التدرج (progression) وقد عثرنا على مثال طريف في غير سورة البقرة. وسبق أن أشرنا إليه. وهذا المثال يعكس بوضوح هذا الدور المزدوج للوحدات المعجمية:

203-(الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها **مصباح**. **المصباح** في **زجاجة** **الزجاجة** كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية). (النور آ35) .

تشكل كل وحدة لاحقة من الوحدات المتعالقة في هذا المثال سندا يتأسس عليه التدرج بإضافة عناصر جديدة مع تحقيق العلاقة الاتساقية في الوقت نفسه هكذا:

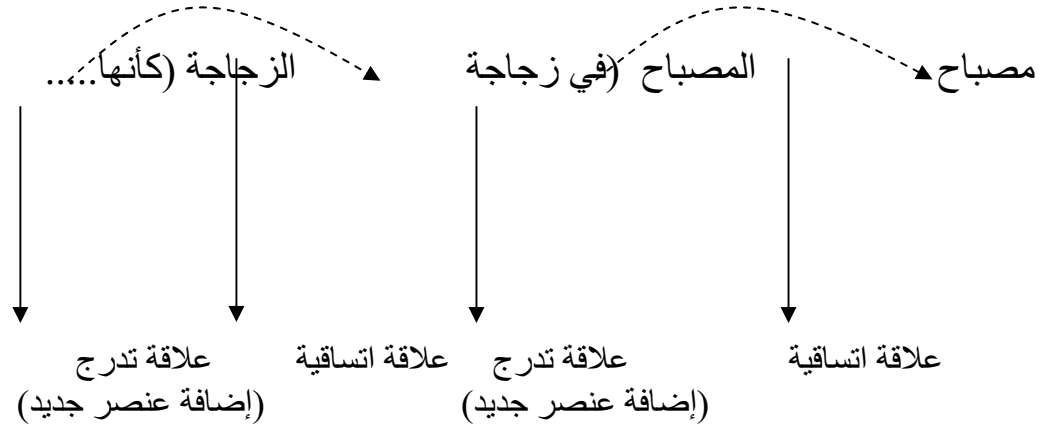

والحقيقة أن التكرار من نوع س ← ـــــس يلعب دورا هاما في الاتساق ويسمح ببناء مقاطع نصية كبيرة وفق بنية واحدة يمكن تجريدها كالآتي:

مـــقـ = س (ص) س (ص$_1$) س(ص$_2$) س (ص$_3$).....س(ص$_ن$)

بحيث تتحقق العلاقة الاتساقيـــة بين الجمل المكونة للمقطع بواسطة **س** ويـــسمح هذا العنصر المحقق للاتساق (أي س) بإضافة عناصر جديدة تختلف من جملة إلى أخرى.ويمكن أن يتوسع هذا العنصر الجديد الذي يضاف إلى **س** والذي رمزنـــا له بـ **ص**، **ص$_1$**،... **ص$_ن$** بشكل لافت ولا يحده حينئذ إلا ورود **س** في سياق لاحق فتصبـــح مـــعلما

على الانتقال إلى جملة أخرى. لنتـــأمل هذا المثال من سورة النحل، وهو مقطع طويل وآثرنا أن نورده على طوله لنبين بـه هذه الظاهرة:

204-(والله (خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا إن الله عليم قدير)).
(والله (فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون)).
(والله (جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يومنون وبنعمة الله هم يكفرون. ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون. فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون. ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه رزقا منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون. الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون. وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم).
(والله (غيب السماوات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير)).
(والله (أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون. ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يومنون)).
(والله(جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين)
(والله (جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون))
(النحل70- 81).

وتتقاطع هذه الوحدات المعجمية في دورها المزدوج مع الضمير هو. ويحقق معها هذا الأخير البنية نفسها التي أشرنا إليها سابقا. لنتأمل هذا المثال:
205-(وهو الذي(أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون))
(وهو الذي(ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون))
(وهو الذي(يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون)).(المومنون78-80)

وقد يتحقق الاتساق بواسطة المادة اللغوية بصور مختلفة استنادا إلى ما تسمح به اللغة من مرونة في الاشتقاق. وتلعب خاصية الاشتقاق هذه دورا كبيرا في تسهيل الروابط الاتساقية بين مختلف الوحدات المعجمية التي تظهر في السياقات اللغوية وتتقاطع في المادة الاشتقاقية. لننظر إلى البعض من هذه الأمثلة:

206-(وإذا قيل لهم لا **تفسدوا** في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم **المفسدون** ولكن لا يشعرون).(آ11-12)
207-(وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن **مستهزئون**. الله **يستهزئ** بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون).(آ15)
208-(ذلكم خير لكم عند بارئكم **فتاب** عليكم إنه هو **التواب** الرحيم).(آ45)
209-(وما **ظلمونا** ولكن كانوا أنفسهم **يظلمون**).
210-(واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما **كفر** سليمان ولكن الشياطين **كفروا**). (آ102)
211-(ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما **تبعوا** قبلتك وما أنت بـ**تابع** قبلتهم).(آ145)
212-(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بـ**الصبر** والصلاة إن الله مع **الصابرين**).(آ153)

إن توزيع هذه الوحدات المعجمية في السياقات التعاقبية (كما تبينه الأمثلة) يسمح بربط ما لحق من هذه السياقات بما سبق. وهذا الربط يأتي ليضاعف العلاقات الاتساقية. ويمكننا إبراز مضاعفة هذه العلاقات كالآتي:

المثال	السياق السابق	الحد	السياق اللاحق	عدد الروابط
206	ما يحيل عليه **هم**-لا تفسدوا		هم - المفسدون	2
207	ما يحيل عليه **هم**-مستهزئون		يستهزئ- هم	2
208	بارئكـم – تاب		هـو - التواب	2
209	**ظلمونا**	و+لكن	هـم - يظلمون	4
210	كــفر	و+لكن	كــفروا	3
211	الصـــــبر	Ø	الصابرين	

وتستوقفنا هنا الأمثلة من 209 إلى 211 لإبراز تشابك العلاقات فيما بينها. ففي 209 و210 تتضاعف الروابط في الحد بين السياقين (الجملتين) ويلعب كل عنصر رابط في هذا الحد دورا نصيا. فالواو يندرج في سياق تمكين النص من التدرج(progression) عن طريق الإضافة (addition) ولكن تحقق علاقة بين السياقين وتحدد طبيعة هذه العلاقة وهي التقابل. ولو أردنا تجريد المثال بواسطة ترميز رياضي لحصلنا على:
:209

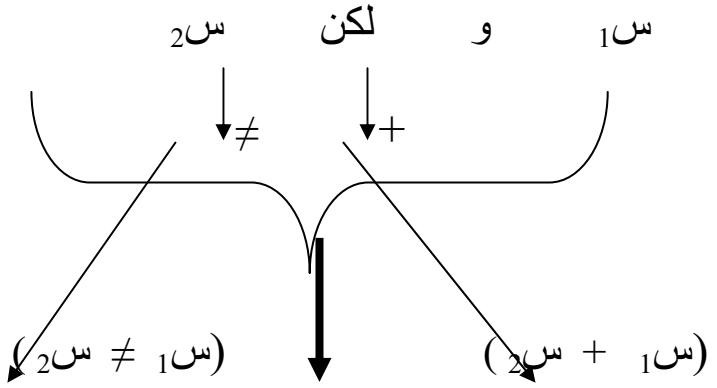

وبالإضافة إلى هاتين العلاقتين في **الحدود** ، توجد علاقتان من **داخل السياق** إلى **داخل السياق** ومثيلة 210. أما211 فإنه يحقق في الظاهر علاقة واحدة بواسطة **الصبر**- **الصابرين** لكننا إذا تأملنا جيدا فسنكتشف أن هناك **فصلا** [271] (في مقابل الوصل).

وغياب الرابط الشكلي بين الجملتين دليل على قوة الترابط بينهما. وواقع الحال أنه يسهل أن نحدد طبيعة العلاقة بين هاتين الجملتين ونقترح رابطا في الحد بينهما:

استعينوا بالصبر والصلاة لأن الله مع الصابرين.

والأمثلة من هذا النوع كثيرة في القرآن . وها هي ذي بعضها مما ورد في سورة البقرة.

212 واستغفروا الله إن الله غفور رحيم (آ
213 ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين (آ208)
214 ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم (آ127)
215 أينما تكونوا يات بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير(آ148)
216 فمن خاف من موص جنفا أو اثما فأصلح بينهما فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم (آ182)

ومن ثم تظهر مسوغات الفصل بين السياقين، ويعتبر في هذه الحالة غياب الرابط الشكلي الذي رمزنا له بالرمز (Ø).

2.3- التقـــابل:

إذا كان التكرار يأخذ أشكالا مختلفة كما رأينا في عدد من الأمثلة التي أوردناها ويسمح بتحقيق العلاقات الاتساقية بين السياقات المختلفة المتعاقبة فإن التقابل لا يقل أهمية من هذا الجانب. وإذا كان التكرار يحقق نوعا من المساواة (لا بالمفهوم الرياضي) أو التقارب، فإن التقابل يتجه اتجاها عكسيا. ولكن رغم هذا الاختلاف فإن الظاهرتين تتقاطعان في خاصية تحقيق العلاقة الاتساقية. واندراج وحدة أو وحدات معجمية في سياق لاحق يشكل مسوغا للمتلقي لأن يصدر أحد الحكمين أثناء عملية التلقي. فإما أن يقول **هذا من ذلك** حينما يتعلق الأمر بالتكرار. وإما أن يقول **هذا ليس كذلك** حينها يتعلق الأمر بالتقابل. وفي كلتا الحالتين يكون قد **ربط بين سياق لاحق وسياق سابق** .

وتتعدد أمثلة التقابل في مدونتنا فقد تتقابل وحدة في سياق لاحق مع وحدة في سياق سابق كما في:

---

[271] - سنرى مسألة الفصل ودورها في العلاقات الاتساقية لاحقا

217-(ولقد اصطفيناه في **الدنيا** وإنه في **الآخرة** من الصالحين). (آ130)
218-(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله **أموات** بل **أحياء**). (آ145)
219-(فإن الله يأتي بالشمس من **المشرق** فات بها من **المغرب**). (آ258)
220-(فمن **تعجل** في يومين فلا إثم ومن **تأخر** فلا إثم عليه). (آ203)

وقد تتعدد الوحدات التي تتقابل فيما بينها كما هو الحال في:

221-(و **أحل** الله **البيع** و **حرم الربا**).(آ275)
222-(**يمحق** الله **الربا** و **يربي** **الصدقات**).(آ276)

بل إن التقابل قد يمس سياقات موسعة بأكملها وهناك أمثلة طريفة عثرنا عليها في مدونتنا من مثل:

223-(كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن **تكرهوا** شيئا وهو **خير** لكم وعسى أن **تحبوا** شيئا وهو **شر** لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون).(آ216)

224-(الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون). (آ257)

ولعل القارئ يلاحظ أن التقابل يتعدد وبتعدده هذا يضاعف العلاقات الاتساقية، ففي 223 نجد:

تكرهوا	تحبوا
خير	شر
يعلم	لا تعلمون

بل إن التقابل نتلمسه في السياق الواحد نفسه، كما هو الحال في:

تكرهوا	خير
تحبوا	شر

من حيث إن **الكره** يتماشى في العرف والعادة مع ما هو **شر** والمحبة تتماشى مع ما هو **خير**.
ويتأسس المثال 224 على تعدد التقابل أيضا، ويسمح هذا التقابل باكتشاف بنيات غائبة تقتضيها البنيات الحاضرة. لنتأمل:

سياق$_1$:الله ولي الذين آمنوا / يخرجهم من الظلمات إلى النور/ Ø

سياق$_2$: و الذين كفروا أولياؤهم الطاغوت / يخرجونهم من النور إلى الظلمات / أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

ومن ثم تتعقد مسألة التقابل تدريجيا، ليصبح السياق الأول كله متقابلا مع السياق الثاني من حيث إن عناصره تتقابل مع عناصر السياق الثاني وفي هذا المتعدد مضاعفة للعلاقات الاتساقية باعتبار أن التقابل نفسه هو ربط سياق لاحق بسياق سابق وفق علاقة التقابل نفسها. ثم تأتي الواو في الحد لتجمع السياقين، فتكون صورة الربط بين السياقين هكذا:

الله	الطاغوت
الذين آمنوا	الذين كفروا
يخرجهم من الظلمات إلى النور	يخرجهم من النور إلى الظلمات
Ø (أصحاب الجنة)	أصحاب النار

وفي المدرج الخطي تتقابل العناصر عنصرا بعنصر هكذا :

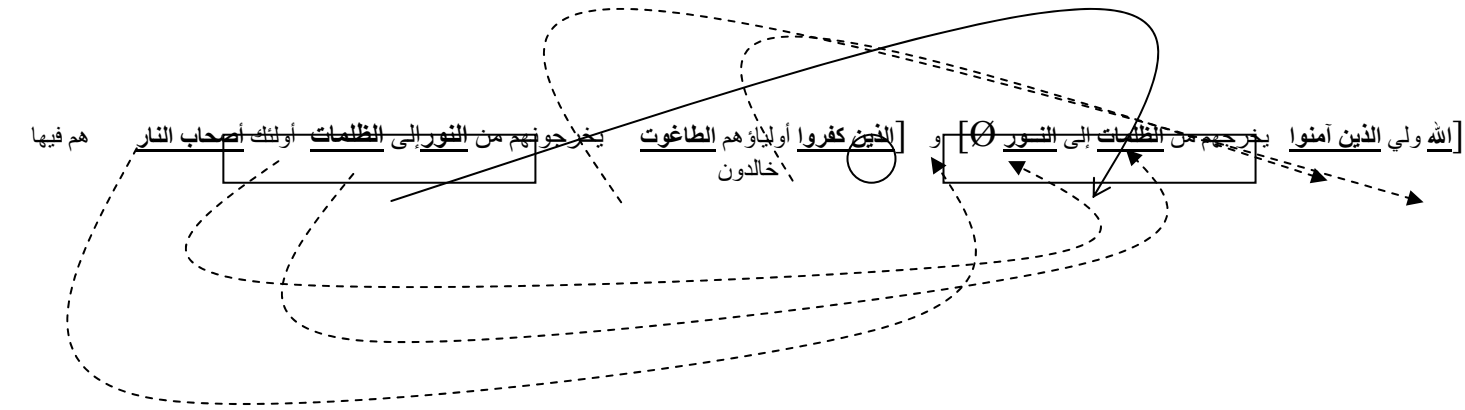

وللقارئ أن يلاحظ أن العلاقات الاتساقية في هذا المثال لا تتأسس فقط على التقابل بل هناك أمثلة كثيرة للتكرار ترد في السياق الثاني وترجعنا إلى السياق الأول من مثل:

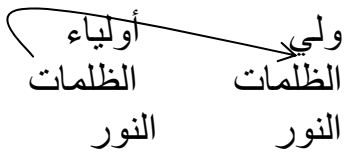

والواقع أن التقابل كظاهرة في القرآن يحتاج إلى وقفة متأنية وبسط أكثر لما له من أهمية ومن طرافة. ولا يسعنا هنا إلا أن نشير إلى أن ظاهرة التقابل هذه تأخذ أحيانا سياقات أوسع من التي رأيناها سابقا[272]. وكتمثيل لهذه المسألة دون الذهاب بها إلى أقصى ما

[272] - قد يتوسع الطرف الأول من المقابلة بشكل لافت ثم يأتي الطرف الثاني ليتقابل معه . وهذا مقطع من سورة التوبة يجسد هذه الظاهرة:

تتطلبه نورد بداية سورة البقرة في مقابلة بين الذين آمنوا والذين كفروا، ونحاول أن نمثلها بالأسهم إشارة إلى علاقاتها التقابلية المحققة للاتساق:

سياق1 المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن معروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون. وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقـــيم.

سياق2 كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولاد فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا . أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة. وأولئك هم الخاسرون. ألم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين و الموتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمـــون .

سياق3 والمومنون والمومنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويوتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم . وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم (التوبة 67- 82).

يتقابل سياق1 مع سياق3 كما هو واضح، ويرتبط سياق3 بسياق سابق للسياق1 إذ أنه يندرج في نفس الوحدة الخطابية التي تسبق سياق1 وهي هذا الخطاب الموجه بواسطة ضمير المخاطب **أنتم** في سياق الرد على المنافقين في قوله:قل:**استهزئوا إن الله مخرج ما كنتم** تخدرون. وقوله: **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون.**

س1:**الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يومنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم و أولئك هم المفلحون** .

س2:إن **الذين كفروا** سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم **لا يومنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة** و **لهم عذاب عظيم** .

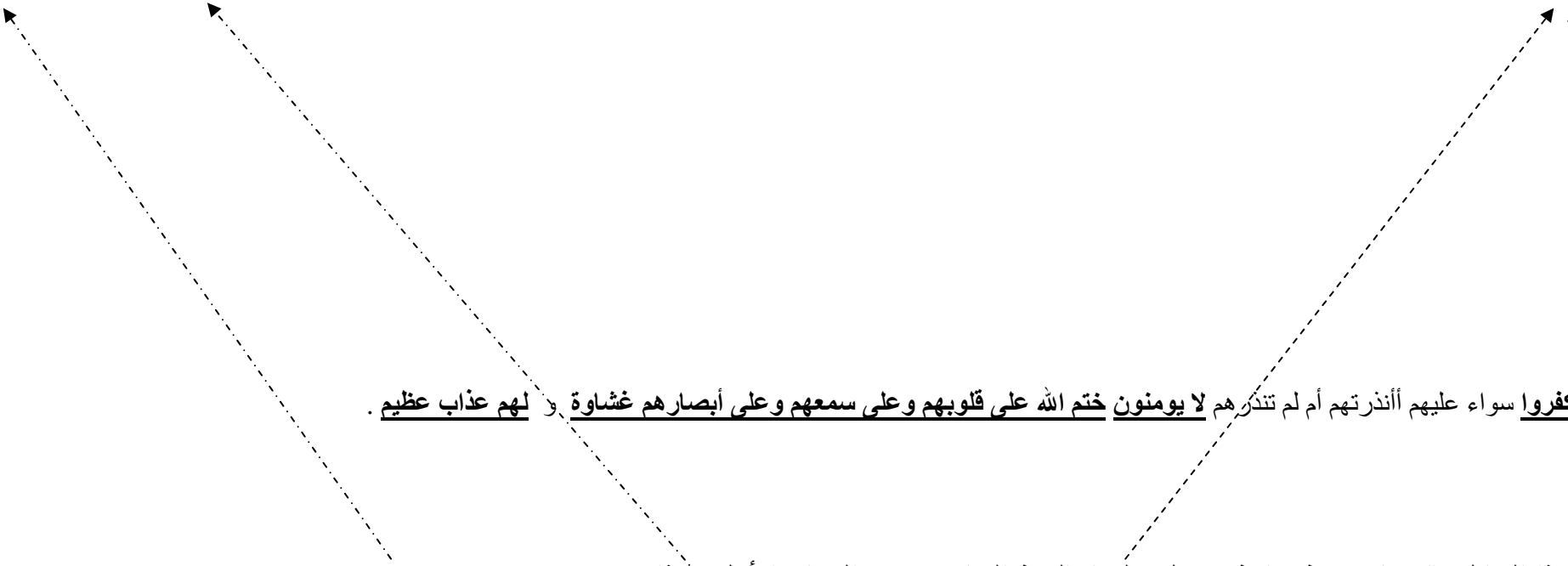

ويسمح هذا التقابل باكتشاف بنية غائبة يستدل عليها بالبنية الحاضرة في السياق الأول هكذا :

الذين يومنون (بالغيب..... والذين يومنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك)

إن الذين كفروا (Ø).

وإذا كان التقابل عاملا من عوامل تحقيق الاتساق بين سياقين يكونان في أدنى صورهما جملتين ويتوسعان كلما اقتضى الخطاب ذلك . فإن العلاقات الاتساقية تتحقق **أولا** في كل سياق موسع بوسائط مختلفة[273] ويكفي أن نشير هنا إلى أن السياق الثاني أي:

« إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يومنون. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم» تتعدد فيه العلاقات الاتساقية ليشكل مقطعا متسقا. ولا بأس من أن نقدم هذه العلاقات في الشكل الآتي:

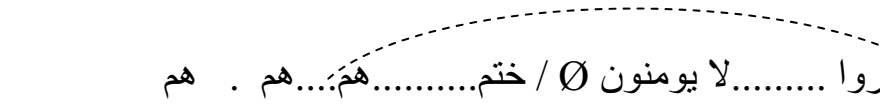

يمثل Ø غياب الرابط الشكلي في الجدول وهو ما يعرف في البلاغة العربية بالفصل. وهذا الفصل مسوغه شدة التحام الجملتين. إذ يسهل أن نضع **لأن** بدل Ø ليصبح الحكم الذي أعطى في الجملة الأولى **معللا** في الجملة الثانية. ومن ثم فإن الوسائط الرابطة بين الجملتين تتنوع، فهي من داخل الجملة إلى داخل الجملة (عودة الضمير) وبين الجملتين بواسطة ما يسوغه السياق من علاقة.

3.3- التلازم:

لقد أشرنا ونحن نعرض دور المعجم عند هاليداي ورقية حسن في تحقيق الاتساق إلى أن أشكال الترابط المعجمي المحقق للاتساق مختلفة تتراوح بين التقابل والتكرار. ويضيف الباحثان إلى هاتين الخاصيتين خاصية أخرى هي ما يسميانه (the collocation).

وقد حددنا انطلاقا من هاليداي ورقية حسن بأن بعض الكلمات تنحو إلى التجاور مع كلمات أخرى في النصوص. ويستند هذا التجاور إلى مجموعة من المعطيات اللغوية كالتضاد والتكامل والانتماء إلى نفس المجموعة أو العلاقات بين الجزء والكل.

والحقيقة أننا حين ننطلق من هذا التصور ونحاول أن نتلمس بعض مظاهر **التلازم** في السياقات القرآنية فإننا نجد من الأمثلة ما تتعدد فيه علاقات التلازم هذه من التضاد إلى الانتماء إلى المجموعة نفسها. وغير ذلك من العلاقات وها هي ذي بعض الأمثلة الموضحة لهذه المسألة:

(273)- سنعود بشيء من التفصيل إلى هذه المسألة حينما نتكلم عن مفهوم **قوة الاتساق**

225-(أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين. مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم. إن الله على كل شيء قدير).(آ16-20)

لو حاولنا جرد الوحدات التي تترابط فيما بينها باعتبار انتمائها إلى نفس الفضاء الخطابي فإننا نحصل على الآتي:

استوقد نار أضاءت نور ظلمات لا يبصرون
صم بكم عمي ظلمات رعد، برق ، آذانهم، الصواعق .
البرق. أبصارهم. أضاء. أظلم. سمعهم. أبصارهم

ويمكن أن نشكل من هذه الوحدات ثلاث مجموعات بهذا الشكل:

استوقد	آذانهم	لا يبصرون
نـار	أبصارهم	أظلم
أضاءت	سمعهم	ظلمات
نور	أبصارهم	
رعد		
برق	صـم	
صواعق	بكم	
أضاء	عمي	

وتشكل هذه المجموعات عددا من العلاقات. فإذا كانت المجموعة الأولى تنتمي إلى مجال الظواهر الطبيعية فإنها تتعالق بالإضافة إلى هذا الانتماء بواسطة اشتراكها في الدلالة المعجمية لمفهوم **الضياء**. وتمثل المجموعة الثانية مجالا ثانيا له علاقة بالإنسان وتشكل المجموعة الثالثة مجالا ثالثا. ويقع العبور بين هذه المجموعات لتتآلف الوحدات المعجمية من المجالات المختلفة. فمثلا نجد:

- رعد - آذانهم - سمعهم - صم.

- استوقد - نار – أضاء – نور – برق – صواعق – أبصارهم – عمي – لا يبصرون - أظلم- ظلمات .

ولنتأمل هذا المثال الآخر:

226-(وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشر عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين). (آ60)

نجد في هذا المثال عددا من الوحدات المعجمية التي تترابط ببعضها بحكم انتمائها إلى مجموعة واحدة:

استسقى ..... عـينا.....مشربهم.....اشربوا

والحقيقة أن التلازم يلعب دورا كبيرا في تحقيق العلاقات الاتساقية لما يتميز به معجم اللغة من مرونة تسمح بإيجاد علاقات مختلفة بين الوحدات. ونقدم هنا مثالا مطولا يبين أهمية هذه الوحدات في الاتساق:

227-(يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فـ**اكتبوه** ولـ**يكتب** بينكم كاتب بالعدل. ولا ياب **كاتب** أن **يكتب** كما علمه الله فـ**ليكتب** ولـ**يملل** الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل **واستشهدوا شهيدين** من **رجالكم** فإن لم يكونا **رجلين** فـ**رجل** وامرأتان ممن ترضون من **الشهداء** أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا ياب **الشهداء** إذا ما دعوا ولا تسأموا أن **تكتبوه** صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم لل**شهادة** وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا **تكتبوها**. و**أشهدوا** إذا تبايعتم ولا يضار **كاتب** ولا **شهيد**. وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم).(آ 282)

يسمح هذا المقطع بتحديد الوحدات التالية (وهي مأخوذة حسب ترتيب ورودها)

- اكتبوه....ليكتب....كاتب....كاتب....يكتب....فليكتب....ليملل....يملل.... فليملل....أن تكتبوه....ألا تكتبوه....كاتب.
- استشهدوا....شهيدين....الشهداء....الشهادة....أشهدوا....شهيد.
- رجالكم....رجلين....رجل....امرأتان.

وتشكل هذه الوحدات المعجمية سلاسل الاتساق. ويسميها هاليداي ورقية حسن: (chains of collocational cohesion)

4- الاتساق المؤسس في الحدود بين الجمل:

تعلق الأمر لحد الآن بعلاقات اتساقية تتم من داخل الجملة إلى داخل الجملة وتتحقق بواسطة وحدات لغوية مختلفة تنتمي إلى أقسام متعددة كالضمائر وأسماء الإشارة، وتشكل كما رأينا قوائم منتهية أو المعجم بما يسمح به من علاقات مختلفة كالتكرار والترادف والتقابل. وبالإضافة إلى هذه العلاقات الاتساقية هناك علاقات اتساقية أخرى تتم في الحدود بين الجمل وتتم بواسطة وحدات لغوية متنوعة ولكنها تنتمي أيضا إلى قوائم منتهية.

والواقع أن مسألة العلاقات بين الجمل في الحدود شكلت عند البلاغيين محور اهتمام لا نظير له تحت عنوان يعتبر من أهم العناوين إن لم يكن أهمها. ذلك هو **الفصل والوصل**. ويكفي أن نقف أمام إشارتين لعلمين من أعلام البلاغة العربية هما الجرجاني والسكاكي لنتبين أهمية المسألة وما يوليانها من عناية. يقول الجرجاني في بداية الجزء الذي خصصه للفصل والوصل:

«اعلم بأن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعضها أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة... وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم (الأعراب الخلص الذين طبعوا على البلاغة) جعلوه حدا للبلاغة»[274].

ويقول السكاكي في المفتاح:

---

[274] – الجرجاني – دلائل الإعجاز – ص 170

« ليس بممتنع بين مفهومي جملتين اتحاد بحكم التآخي، وارتباط لأحدهما بالآخر مستحكم الأواخي، و لا أنه يباين أحدهما الآخر مباينة الأجانب لانقطاع الوشائج بينهما من كل جانب أو أن يكونا بين رحم ما هنالك، فيتوسط حالهما بين الأولى والثانية لذلك...»

ويؤكد في سياق آخر أهمية المسألة كما أكدها الجرجاني من قبله فيقول:
«...وإنها لمحك البلاغة، ومنتقد البصيرة، ومضمار النظار، ومتفاضل الأنظار، ومعيار قدر الفهم، ومسبار غور الخاطر، ومنجم صوابه وخطائه، ومعجم جلائه وصدائه، وهي التي إذا طبقت فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقدح المعلى، وأن لك في إبداع وشيها اليد الطولي...» [275].

وإذا كانت هذه السياقات التي أوردناها تؤكد أهمية مسألة الفصل والوصل باعتبارها مقياسا للتفاضل في مضمار البلاغة. فإن الذي يهمنا منها هو أن الجمل في نتاجها الخطي إما أن تترابط فيما بينها بواسطة أدوات معينة تقع في الحدود بينها وإما أن تترابط بوسائل أخرى.
وحين نجمع بين ما ورد عند الجرجاني وما ورد عند السكاكي نستطيع أن نخرج بصورة أولى عن العلاقات بين الجمل بهذا الشكل:

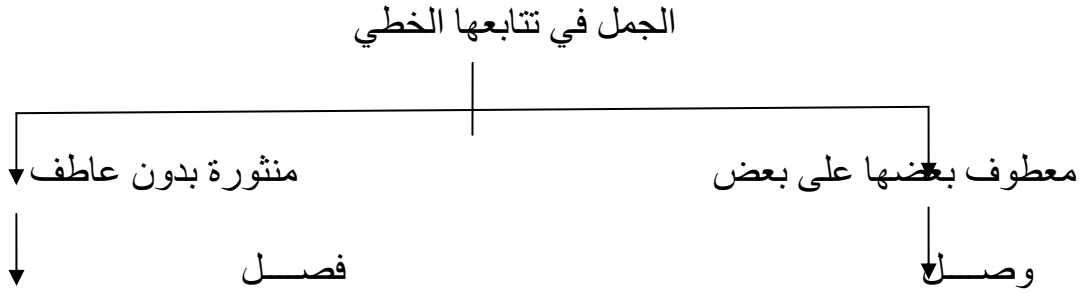

4.1- كيف يتحقق العطف؟ :

يتحقق العطف بأدوات مختلفة يمكن تقسيمها إلى قسمين، يحتل القسم الأول حرف الواو. ويحتل القسم الثاني بقية أدوات العطف. ويحدد الجرجاني مسوغات هذا التقسيم كالآتي:

[275] – السكاكي : مفتاح العلوم – تحق د: عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت .د .ت

« واعلم أنه إنما يعرض الإشكال في الواو دون غيرها من حروف العطف، وذلك لأن تلك تفيد مع الإشتراك معني مثل أن الفاء توجب الترتيب من غير تراخ، و«ثم» توجبه مع تراخ، و«أو» تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما بعينه»[276].

وهكذا فإن:

الـواو∩ الـفاء∩ ثـم ∩ أو ∩ بـل ∩ غيرها من حروف العطف = الإشراك

و

الـفاء∩ ثـم ∩ أو ∩ بل ∩ ..... = الإشراك + خصوصية دلالة كل حرف

أما الواو فليس له معنى «سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي اتبعت فيه الثاني الأول، فإذا قلت جاءني زيد وعمرو لم تفد بالواو شيئا أكثر من إشراك عمرو في المجيء الذي أثبته لزيد والجمع بينه وبينه. ولا يتصور إشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه»[277].

إن اشتراط الإشراك هذا هو الذي يستند إليه الجرجاني ليعالج مسألة **الواو** حينما يغيب الإشراك المؤسس على المعطى الإعرابي. وإذا كان يسهل أن نجد مسوغا لإيراد الواو في "مررت برجل خُلُقُه حسن **و** خَلْقُه قبيح" وهو الإشراك في الحكم الإعرابي. فإن الذي يشكل أمره كما يقول الجرجاني هو الجمل العارية الموضع من الإعراب. ففي تتابع جمل مثل:

- زيد قائم وعمرو قاعد.
- العلم حسن والجهل قبيح.

لا تشرك الجملة الثانية في كل مثال الجملة الأولى في الإعراب إذ لا مسوغ لذلك. ومع ذلك لا يعتبر وجود الواو بين الجملتين نافرا.

إن غياب المسوغ الإعرابي للجمع بين الجملتين ووجود الواو رغم غياب هذا المسوغ، هو الذي يفتح المجال للجرجاني للكلام عن أمر مسوغ للجمع. ففي التتابع الجملي الآتي:

زيـــد قائـم و عمرو قـــاعد

---

[276] – دلائل الإعجاز ص 172.

[277] – نفسه ص 172.

لم يتم الجمع بين الجملتين إلا لأن **زيـد** يكون بسبب من **عـمرو** وهذه العلاقة بينهما ذات طبيعة مقامية لأنها تتعلق بالسامع «بحيث إذا عرف (أي السامع) حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني» [278].

والطريف عند الجرجاني أن التتابع الجملي السابق يقسمه تقسيما يذكرنا بما رأيناه ونحن نتكلم عن الديناميكية التواصلية والمنظور الوظيفي للجملة حينما عرضنا ما جاء عند أصحاب مدرسة براغ. ولا نرى مانعا من عرض تحليل الجرجاني مستعملا مصطلحات استعملها ابن السراج قبله :

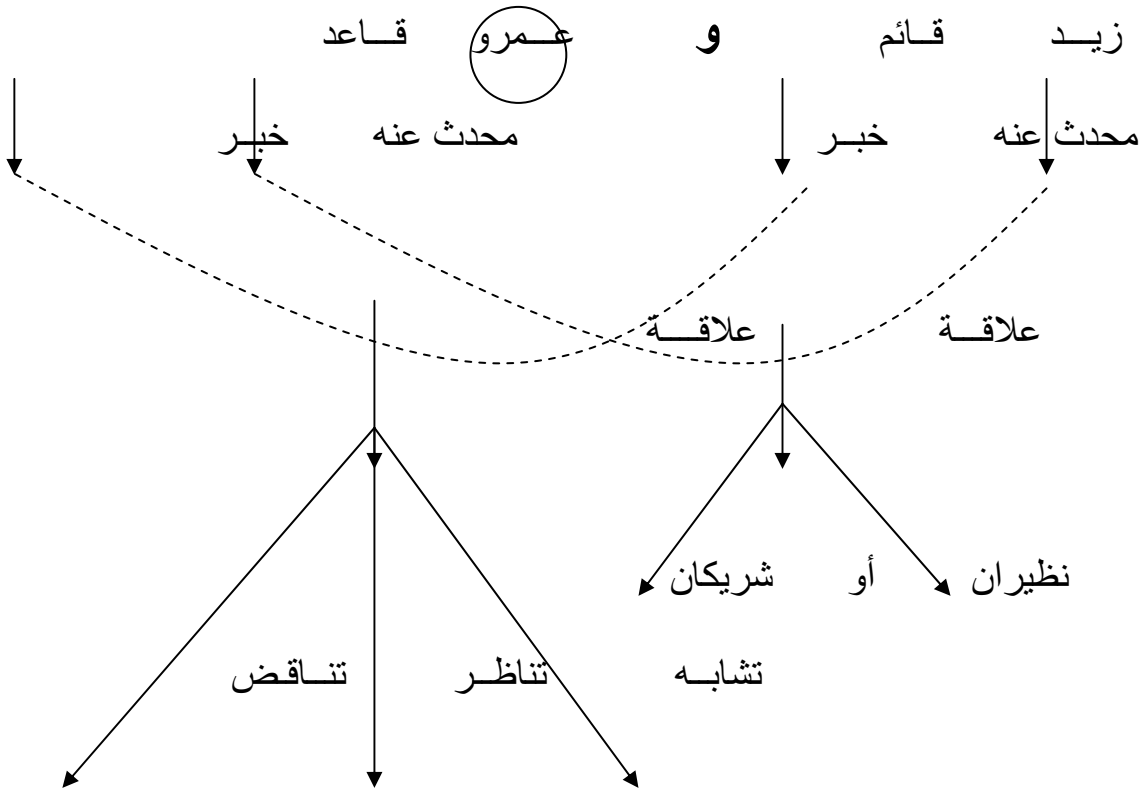

[278]- نـــفسه ص 173.

إن مسوغ العطف هو وجود الطرف الأول في الجملة الأولى في علاقة بالطرف الأول في الأخرى والطرف الثاني في الجملة الأولى في علاقة بالطرف الثاني في الأخرى.
فإذا فقدت العلاقة بين هذه الأطراف يصبح موقع الواو شاذا. لأن وجوده غاب. فلو ربطنا تتابعا جمليا من نوع:
زيــد طويل القامة و عمرو شاعر
لظهر ذلك شاذا.

إن مجرد هذا التعالق بين أطراف الجملتين وغيابه ولد مصطلحين هامين عند الجرجاني، هما **الخلف** و**اللفق**. يقول معلقا على المثال السابق:
« فلو قلت زيد طويل القامة وعمرو شاعر كان **خلفا** لأنه لا مشاكلة ولا تعلق بين طول القامة وبين طول الشعر، وإنما الواجب أن يقال: زيد كاتب وعمرو شاعر، وزيد طويل القامة وعمرو قصير. وجملة الأمر أنها لا تجيء حتى يكون المعنى في الجملة. في هذه الجملة **لفقا** لمعنى في الأخرى ومضاما له»[279].

ويورد السكاكي مثالا طريفا عن مسألة المشاكلة والتعليق يبين فيه أن تباعد الجمل عن بعضها وغياب المشاكلة بينها يجعل وجود الواو فيما بينها في غاية القبح، يقول:
« ولذلك متى قال قائل: زيد منطلق ودرجات الحمل ثلاثون وكم الخليفة في غاية الطول وما أحوجني إلى الاستفراغ وأهل الروم نصارى وفي عين الذباب جحوظ وكان جالينوس ماهرا في الطب وختم القرآن في التراويح سنة وإن القرد لشبيه بالآدمي فعطف **أخرج من زمرة العقلاء** وسجل عليه بكمال السخافة أو عُد مسخرة من المساخر واستطرف نسقه هذا إلى غاية ربما استودع دفاتر المضاحك وسفين نوادر الهذيان **بخلافه إذا ترك العطف** ورمى بالجمل رمي الحصا والجوز من غير طلب ائتلاف بينها **فالخطب إذا يهون هونا ما** »[280]

هناك مسألتان تستوقفاننا في سياق السكاكي الذي أوردناه. الأولى أن جميع الجمل التي مثل بها يوجد بين حدودها حرف العطف ومع ذلك لم يجعل وجوده من هذه الجمل كلا، بل إن وجود هذا العاطف يدخل الكلام في مجال السخافة كما يصرح بذلك السكاكي. والمسألة الثانية هي أن غياب الواو أي في الحالة المفترضة، والتي يقتضيها هذا النوع من الجمل، والمتعلقة بغياب الواو فإن **الخطب يهون هونا ما**. وإذا فالخطب باق وإن قل بعض الشيء في حدته. ومن ثم فإن وجود الواو الذي يربط بين هذه الجمل يتطلب وجود شيء في الجمل يسوغ له الربط. بدليل أن حالة افتراض غياب الواو لم تجعل الجمل التي أوردها السكاكي مؤتلفة ولكن فقط **قللت من الخطب**.

يسمح لنا بتصور الربط بالواو هكذا:

---

[279] - نفسه ص 173 .

[280] – مفتاح العلوم ص 381 .

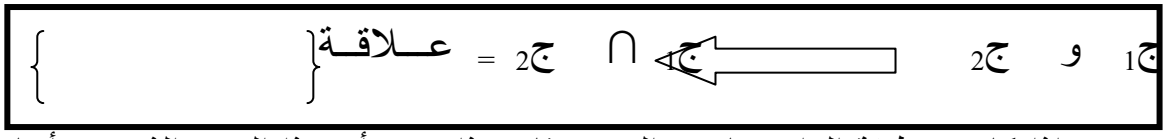

وإذا كانت وظيفة الواو هنا هي الجمع، فإن هذا يعني أن هذا الجمع الذي هو أساسا علاقة اتساقية لا يتحقق إلا إذا توفرت علاقة بين الجملتين، وهذه العلاقة هي التي **تعطي شرعية للواو**.

ولعل هذا ما جعل الجرجاني ومن بعده السكاكي [281] يعلقان على بيت أبي تمام الآتي:

لا والذي هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريــم

« فلا **مناسبة**(= لا علاقة) بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى و**لا تعلق** لأحدهما بالآخر و**ليس يقتضي** الحديث بهذا الحديث بذاك »[282].

أو كما يقول السكاكي: « فالعطف في الواو بمثله يبرز في معرض التوخي للجمع بين الضب والنون»[283]. وشتان ما بين حيوان يعيش في الصحراء (الضب) وحيوان يعيش في البحر (النـون أي الحـوت).

2.4- نماذج من الربط في الحدود بين الجمل:

---

[281] – يذهب السكاكي بعيدا في مسألة الواو وسياقات وجودها وغيابها . ويضعنا أمام نماذج مفترضة ليسند بها مسوغات وجود الواو وعدم وجودها.
انظر إلى هذه السياقات في المفتاح ص 380 .

[282] - دلائل الإعجاز . ص 173 .

[283]- مفتاح العلوم – ص 381 .

1.2.4- وجوه الربط بالواو لمسوغ نحوي:

228-(الله **يستهزئ بهم** و**يمدهم في طغيابهم يعمهون**). (آ15)
229-(وما يضل به إلا الفاسقين الذين **ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه** و**يقطعون ما أمر الله به أن يوصل** و**يفسدون في الأرض**).(آ26-27)
230-(أتجعل فيها من **يفسد فيها** و**يسفك الدماء**).(آ30)
231-(فلما أنبأهم بأسمائهم قال: آلم أقل لكم **إني أعلم غيب السماوات والأرض** و**أعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**).(آ33)
232-(وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون **أنهم ملاقو ربهم** و**أنهم إليه راجعون**). (آ45)
233-(يا بني إسرائيل **اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم** و**أني فضلتكم على العالمين**).(آ122)

ولو تأملنا هذه الأمثلة لوجدنا أن المسوغ النحوي وهو الاشتراك في الإعراب كما في 228- 231- 232- 233 لأن الجملة الأولى لها محل من الإعراب، أو غياب المحل الإعرابي كما في 229 و230 يعضده مسوغ آخر ويقويه. ففي المثال 228 مثلا يزداد معنى الجمع في الواو قوة وظهورا لأن المخبر عنه في الجملتين واحد، وبتعبير آخر فإن مصدر الإحالة واحد في الجملتين المتقاطعتين ويمكن تمثيله هكذا:

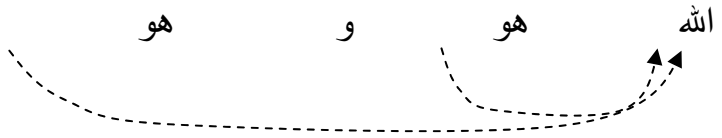

وكذلك الحال في الأمثلة الأخرى ففي:

229	الفاسقين	هم	و	هم
230	من	هو	و	هو
231	هو	أنا	و	أنا [284]
232	الخاشعين	هم	و	هم
233	إما:بنو إسرائيل	أنتم	و	أنتم(على تقدير اذكروا واذكروا).

[284]- يندرج هذا المثال في سياق أوسع وهو طريف من حيث دور السياق في تحديد الإحالة (وقد عرضنا هذه المسألة سابقا). والسياق الذي يسبق المثال هو :
« وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »
فالسياق الذي يسبق " قال ألم أقل لكم " يقترح إحالة الضمير على آدم لكن السياق ألبعدي أي " أعلم غيب السموات والأرض " يقترح "ربك" ضمن سلسلة من الضمائر المحيلة التي تختلف باختلاف سياقات الخطاب

وإما: الله أنا و أنا

يشير الجرجاني إلى ازدياد معنى الجمع في الواو قوة وظهورا قائلا:
« واعلم أنه إذا كان المخبر عنه في الجملتين واحدا كقولنا: هو يقول ويفعل ويضر وينفع ويسئ ويحسن ويأمر وينهى ويحل ويعقد ويأخذ ويعطي ويبيع ويشتري ويأكل ويشرب وأشباه ذلك ازداد معنى الجمع في الواو قوة وظهورا وكان الأمر حينئذ صريحا وذلك أنك إذا قلت: هو يضر وينفع كنت قد أفدت بالواو أنك أوجبت له الفعلين جميعا وجعلته يفعلهما معا. ولو قلت يضر ينفع من غير واو لم يجب ذلك بل قد يجوز أن يكون قولك «ينفع» رجوعا عن قولك «يضر» وإبطاله»[285].

وكأن غياب الواو في **يضر ينفع** مدعاة لقراءته على الإضراب مما يسوغ وضع **بل** بينهما فتصبح: يضر ينفع = يضر **بل** ينفع.
وقد يستند الرابط بالواو إلى مسوغ غير نحوي، وهذا المسوغ يمثل الجامع بين الجملتين كالاشتراك أو التقابل، ومن أمثلته:

234-(يخادعون الله والذين آمنوا **و** ما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون).(آ9)
235-(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر **و** ما هم بمومنين).(آ8)
236-(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات **و** هو بكل شيء عليم).(آ29)
237-(ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل **و** آتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس).(آ87)
238-(وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا **و** إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون).(آ14)

لو رمزنا لما قبل الواو التي وضعنا تحتها خطا بالرمز **أ** وما بعدها بالرمز **ب** فإننا نكون أمام أمثلة مجردة من نوع **أ** و**ب**. وعدم احتياج الربط إلى مسوغ نحوي يعني هنا أن **أ** لا تندرج في البنية التركيبية لجملة تسبقها ومن ثم فهي تركيبيا مستقلة. وعلى هذا الأساس فإن العلاقة التي تقيمها مع **ب** تستند إلى معطى غير تركيبي، أو بعبارة أخرى فإن ما يسوغ الواو هنا يعتمد إما على اشتراك معجمي بوجه من الوجوه التي رأيناها سابقا أو تقابل. ويمكن تمثيل هذه العلاقة التي ينشئها العاطف والمؤسسة على معطيات معجمية هكذا:

	أ	ب	سند العطف بالواو
234	يـــخادعـون	(ما) + يخادعون	اشـــتراك + تقـــابل

(285)- دلائل الإعجاز – ص 174 .

235	آمـــنا	(ما) + مــومنين	اشــتراك + تقابــل
235	هـو (= الله)	هـو (= الله)	اشـــــتراك
237	آتـــينا	آتـــينا	اشـــــتراك
238	لقوا – الذين آمنوا	خلوا – شياطينهم	اشــتراك + تقابــل

إن كون الاشتراك والتقابل يمثلان في الوقت نفسه سندا أو مسوغا للعطف في السياقات المتعاطفة كما هو الحال في **234** - **235** و **238** يعني فيما يبدو لنا أنه بإمكاننا أن نعبر عن علاقة التقابل هذه في الحدود باستعمال **لـكن**. وتقبل الأمثلة
234 – 235 – 238 هذا الرابط. ولا تقبله بقية الأمثلة التي لا يتوفر فيها التقابل (لننظر إلى 236 – 237 مثلا). وقد تكون مضاعفة هذه المسوغات مع اختلافها بين الاشتراك والتقابل التي تسوغ مضاعفة الروابط في الحدود فنجد مثلا **و + لكن** [286].

ولئن كان المثالان **239** و **240** صريحين في الدلالة على التقابل اعتمادا على المعطى المعجمي (لا يواخذكم ≠ يواخذكم ، ما كفر≠ كفر) فإن الأمثلة الأخرى يستشف التقابل فيها من السياق. وهذا السياق يسمح بافتراض سياقات غائبة. فمثلا يمكن تحليل **241** هكذا:

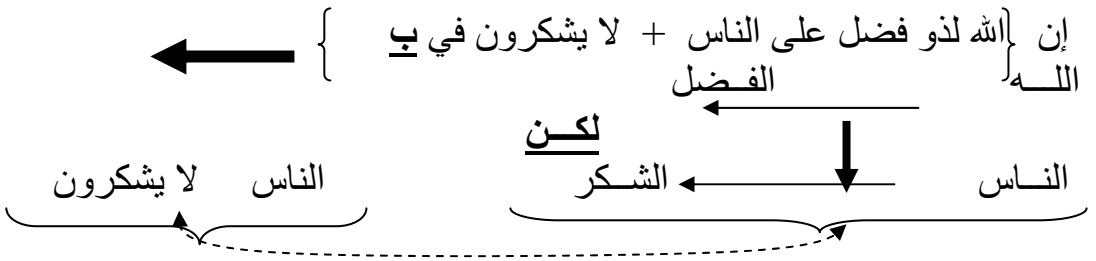

وكذلك الحال في (242) إذ تسمح السياقات المختلفة بالقيام بالقراءات الآتية:

لو شاء الله ما اقتتلوا ← اقتتلوا ← اختلفوا

وبما أن: اقتتلوا ← اختلفوا ← فإن:

ما اقتتلوا ← ما اختلفوا

---

(286)- إن موقع **لكن** هو دائما بين **أ** و **ب** وإن كنا درجنا على اعتبار **لكن** منتميا إلى فئة الوحدات التي تدخل على الجملة الاسمية ، إلا أنه يختلف عنها من حيث انحصاره في موقع واحد وهو وجوده بين أ و ب . وهذا وجه اختلاف بينه وبين غيره من الوحدات التي يشكل معها فئة تميز الجملة الاسمية .

ففي الوحدات الأخرى ، لا يقتضي موقعها دائما طرفين **أ** و **ب** . ويمكن أن نرمز لهذه الوحدات التي ينتمي إليها **لـكن** بالرمز س فتكون صورة الوحدات غير **لكـن** هي :

(س) أ ب أو أحيانا **أ س ب** مع إمكانية ورود **س أ ب** كما هي الحال في **لعل** أو الاندراج في بنية تركيبية يشكل فيها العنصر **س** مع ما بعده فضلة كما هي الحال في **أنَّ** .

وتكون صورة **لـكن** هي : أ **(س)** ب.

وقد أدرك الجرجاني هذه المسألة وهو يحلل قول الله عز وجل :

(وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين **ولـكنا** أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين)

ويخرج إلى هذه الخلاصة :

« ... ومعنى **لكـن** في الآية يقتضي أن تكون في موضعها الذي هي فيه فكيف يجوز أن ينوى بها التأخير عنه إلى موضع آخر » ص 192.

ولمزيد من التفصيل والاطلاع على الحجج المختلفة التي يقدمها انظر الدلائـل . ص 190 – 192 .

ومن هنا يأتي التقابل بين **أ** و **ب** .

3.4- الفصل بين الجمل والعلاقات الاتساقية:

إذا كان ربط الجمل فيما بينها بواسطة العطف بالواو خاصة يتطلب توفر شروط، عرضناها سابقا. فإن هناك حالات لا تحتاج فيها الجمل إلى إيجاد رابط بينها في الحدود. وتنتقل صورتها من **أ و ب** إلى **أ Ø ب**.

ينطلق الجرجاني من قياس بسيط ليوضح مسألة غياب الرابط في الحدود فيقول:

« واعلم أنه كما كان في الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله فيستغني بصلة معناه له عن واصل يصله ورابط يربطه وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به، وكالتأكيد الذي لا يفتقر إلى ما يصله بالمؤكد– كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها ومبينة لها... »[287].

وإذا كان قياس الجرجاني علاقات الجمل ببعضها على علاقات الأسماء ببعضها يعطينا مسوغ غياب الرابط بين الجملتين وهو هنا **شدة الالتحام** لأنه "لا تكون الصفة غير الموصوف والتأكيد غير المؤكد"[288] فإن السكاكي يذهب في تفصيل المسألة بشكل موسع. يقول في هذا السياق:

«... أن الجملة متى نزلت في كلام المتكلم منزلة الجملة العارية عن المعطوف عليها، كما إذا أريد بها القطع عما قبلها أو أريد بها البدل عن سابقة عليها لم تكن موضعا لدخول الواو وكذا متى نزلت من الأولى منزلة نفسها لكمال اتصالها بها مثل ما إذا كانت موضحة لها ومبينة أو مؤكدة لها ومقررة لم تكن موضعا لدخول الواو وكذا متى لم يكن بينها وبين الأولى جهة جامعة لكمال انقطاعها عنها لم يكن أيضا موضعا لدخول الواو»[289].

فهناك إذاً **قطع** و**بدل** و**توضيح وتبيين** و**تأكيد وتقرير**. ويهتم السكاكي بتفضيل كل عنصر من هذه العناصر مع ضرب الأمثلة الموضحة. وقد سمح لنا عرضه برسم هذا الشكل التوضيحي:

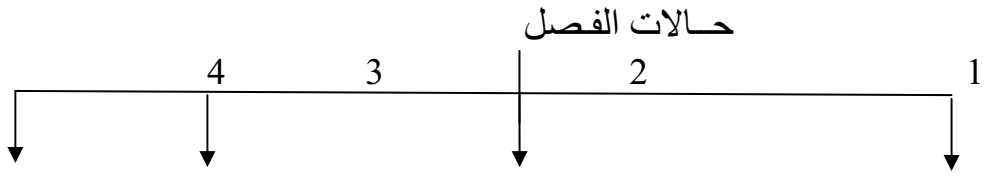

---

[287]- دلائل الإعجـاز – ص 175 .
[288]- نفسه ص 157 .
[289]- مفتاح العلوم ص 360 .

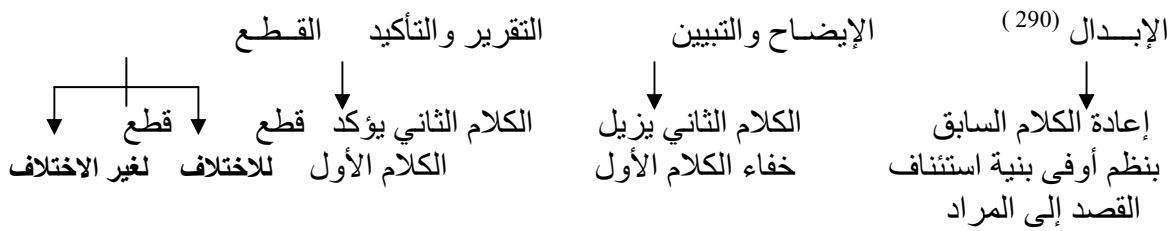

ويسمح لنا الشكل التوضيحي السابق بأن نخرج إلى خلاصة أولى، تتمثل في أن التعريفات من1 إلى3، تتقاطع كلها في كونها **كلاما يتأسس على كلام**. وبعبارة أخرى فالكلام اللاحق أو الجملة اللاحقة، لأن المسألة تتعلق بالعلاقات بين الجمل، يتضمن الكلام السابق. أما في التفريع الرابع فالكلام اللاحق منقطع تماما – كما يفهم هذا السكاكي- عن الكلام السابق .

ولعل القول بأن الكلام حين يتأسس على الكلام كما هي الحال في التفريعات 1-3 والكلام منقطع عن الكلام السابق يوهمنا بأن الحالة الأولى تجسد التحاما وصورة قوية للاتساق. بينما يغيب في الحالة الثانية الاتساق بحكم الانقطاع. وقد دفعنا هذا إلى محاولة جرد أهم الأمثلة التي استند إليها السكاكي ومن قبله الجرجاني في بعض منها. وتصنيفها حسب طبيعة العلاقة التي توجد بين الجملتين.

(290)- يشبه مفهوم الإبدال هنا ما يعرف في الدراسات اللسانية بـ **la paraphrase** أو ما يتداول عادة في مسائل إعادة الصياغة باستعمال عبارة **dire autrement** ، ولكن المسألة تحتاج إلى بسط أكثر وتدقيق في مجموع الأمثلة التي ترد في هذا السياق .

مدونـة السكاكي لدراسـة الفصـل في الجمـل

العلاقة			المثال
البدل	1		أقول له ارحل/لا تقيمن عندنا وإلا فكن في السر والجهر مسلما
	2		بل قالوا مثلما قال الأولون/قالوا أ إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أ إنا لمبعوثون (المومنون81-82)
	3		أمدكم بما تعلمون/أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون (الشعراء 132-134)
	4		اتبعوا المرسلين/اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون (يس 20-21)
الإيضاح والتبيين	5		ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمومنين/يخادعون الله والذين آمنوا (البقرة 8-9)
	6		فوسوس إليه الشيطان/قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى(طه120)
التقرير والتأكيد	7		ألم . ذلك الكتاب/لا ريب فيه (البقرة 1-2)
	8		إن الذين كفروا سواء عليهم أ أنذرتهم أم لم تنذرهم/لا يومنون/ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة (البقرة 6-7)
	9		إنا معكم/ إنما نحن مستهزئون (البقرة 14)
	10		ما هذا بشرا/إن هذا إلا ملك كريم
	11		كأن لم يسمعها/كأن في أذنيه وقرا
القطع	12	للاختلاف خبرا وطلبا	وقال رائدهم/:أرسوا نزاولها فكل حتف امرئ يجري بمقدار
	13		ملكتـه حبـلى ولكنـه ألقاه من زهد على ربي وقال إني في الهوى كاذب انتقم الله من الكاذب
	14		هل تُصلِحُ لي كذا / أدْفَعُ لك الأجرة
	15		لا تدن من الأسد يأكلك
	16	لغير الاختلاف	تكون في حديث ويقع في خاطرك بغتة حديث آخر لا جامع بينه وبين ما أنت فيه بوجه "كان معي فلان فقرأ،[ثم خطر ببالك أن صاحب حديثك جوهري و لك جوهرة لا تعرف قيمتها فتعقب كلامك أنك تقول]لي جوهرة لا أعرف قيمتها هل[أريكها] **فتفصل** .
	17		تكون في حديث قديم ومعك حديث آخر بعيد التعلق به تريد أن تذكره فتورده في الذكر مفصلا : كتاب سيبويه،رحمه الله ،والله كتاب لا نظير له في فنه، ولا غنى لامرئ في أنواع العلوم عنه لاسيما العلوم الإسلامية، فإنه فيها أساس، وأي أساس / إن الذين رضوا بالجهل لا يدرون ما العلوم وما أساس العلوم.

لقد أشرنا ونحن نعرض مسألة الاتساق عند هاليداي أن العلاقة الاتساقية تتحقق حينما يرتبط عنصر من جملة لاحقة بعنصر من جملة سابقة إما عن طريق الإحالة وإما عن طريق علاقة معجمية كالتكرار أو التقابل حينما يتعلق الأمر بالوحدات المعجمية، وبالإضافة إلى هذه العلاقات هناك علاقات تحددها بعض الوحدات التي توجد في الحدود.

وبالنظر إلى أن الفصل في المنظور البلاغي العربي هو غياب الرابط في الحدود. إما لأن الجمل تتلاحم ببعضها كتلاحم الصفة بالموصوف والتأكيد بالمؤكد على حد قياس الجرجاني أو أنها تنفصل وتتباعد لاختلاف الأولى عن الثانية كاختلاف الخبر عن الطلب.

فإن السؤال الذي يطرح هنا ذو وجهين وهو الآتي: هل كون الجمل حين تتعالق فيما بينها **تعالق كل بكل** [291] (لأن الآخر يتعلق بجملة لاحقة تبين أو تؤكد أو تعوض جملة سابقة) يلغي مفهوم الاتساق من حيث هو ارتباط عنصر بعنصر؟ وهل كلامنا عن الانقطاع التام يتعارض مع مفهوم الاتساق كما حدد في سياقات سابقة؟

إن الإجابة عن هذين السؤالين تقتضي العودة إلى الجدول الذي عرضنا فيه مدونة السكاكي للبحث عن العناصر التي تتعالق في أمثلة الفصل. وقد رقمنا الجمل من 1 إلى 17 تسهيلا لتحديد هذه العناصر. ولذلك سنعرضها استنادا إلى هذا الترقيم، ونشير إلى الجملة الأولى بـ **أ** والجملة الثانية بـ **ب**. ونحدد في كلتا الجملتين العناصر التي تتعالق:

المثال	أ	ب
1	محتوى أ + (أنت)	محتوى ب + (أنت)
2	محتوى أ + (قال +هم)	محتوى ب + (قال +هم)
3	محتوى أ +(أمد+هو+كم)	محتوى ب + (أمد+ هو +كم)
4	محتوى أ +(اتبع +أنت)	محتوى ب + (اتبع +أنت)
5	محتوى أ +(الناس+الله+آمنا+مومنين)	محتوى ب + (هم – آمنوا)
6	محتوى أ + (الشيطان)	محتوى ب + (هو)
7	محتوى أ + (الكتاب)	محتوى ب + (هو)
8	محتوى أ + (الذين كفروا)	محتوى ب + (هم)
9	محتوى أ + (نحن)	محتوى ب + (نحن)
10	محتوى أ + (هذا)	محتوى ب + (هذا)
11	محتوى أ + (هو)	محتوى ب + (هو)
12	Ø	Ø
13	خبر + (كاذب)	طلب (دعاء) + (الكاذب)

[291]- يفهم من علاقة كل بكل هنا علاقة محتوى الجملة اللاحقة بمحتوى الجملة السابقة . وهذا المحتوى هو وليد تفاعل العناصر المكونة من جهة وتفاعل كل جملة مع السياق الذي تندرج فيه .

14	طلب + (أنت)	خبر + (أنت)
15	طلب + (أنت)	
16	**Ø**	**Ø**
17	كلام عن سيبويه + (العلوم)	كلام عن الجهال+(الجهل+العلوم)

يوجد في الأمثلة من 1 إلى11 وهي كلها تنتمي إلى دائرة ما يعرف في البلاغة بكمال الاتصال. على الأقل عنصر من الجملة اللاحقة يرتبط بعنصر من الجملة السابقة بالإضافة إلى المحتوى الذي يحدد طبيعة العلاقة بين الجملة اللاحقة ككل والجملة السابقة ككل. ومن ثم يمكن أن نمثل هذا **الانفصال لكمال الاتصال** كما يلي:

ا ع ب = محتوى ا ع محتوى ب + على الأقل عنصر حيث ع = علاقة

وإذا جئنا إلى دائرة كمال الانقطاع إما للاختلاف وإما لغير الاختلاف. فإننا نلاحظ أن الأمثلة 13 إلى15 والمثال 17، تختلف وإن كان **اختلافها يختلف**. فمن 13 إلى 15 يتعلق الاختلاف بنوع الجملة من حيث هي خبرية أو طلبية، أما 17 فالاختلاف في موضوع كل جملة. إذ تتكلم الجملة الأولى عن سيبويه وتتكلم الجملة الثانية عن الجهال[292]. ولكن رغم هذا الاختلاف فإننا نجد في الجملة اللاحقة عنصرا يرتبط بعنصر من الجملة السابقة.

ولعل المثالين الوحيدين اللذين يوفران قطيعة تامة هما 12 و16 والواقع أننا إذا تأملنا 12 فإننا نجد أنه يشكل بنية تركيبية معقدة من حيث إن "**ارسوا نزولها** "يمثل مقول القول (وهو في مرتبة المفعول) واختلافه من حيث هو جملة طلبية لا يعتبر مبررا كافيا لفصله عن قال رائدهم باعتباره جملة خبرية فهو أولا من تمام الجملة (فما المفعول) وحتى لو فرضنا بأن الجملة جاءت في صيغة الخبر كأن تكون مثلا:

[292]- انظر إلى ما عرضناه حول مسألة القطيعة و الانسجام وإلى معالجة هاليداي لمسألة الاساق المؤسس على المعجم وعلاقته بفضاء الخطاب.

وقال رائدهم: رسينا لنزاولها [293].
فإن احتمال وجود الواو غير وارد فلا يمكن أن نحصل على:

- وقال رائدهم: (و) رسينا لنزاولها.

أما المثال 16 فإن السكاكي نفسه يعطي جميع عناصر إدراج هذا المثال الذي يبدو نافرا إذا عزلناه عن سياقه فعندنا:

صاحب حديثك(= من توجه إليه الخطاب) ←جوهري
المتحدِّث ←له جوهرة
الموضوع – المنطلق ←كلام عن فلان
الموضوع العارض ←كلام عن الجوهرة

وإذا كانت مسألة التفكك يحسها المتلقي ولها علاقة حميمة به، فإننا لو فرضنا أن هذا الذي يوجه إليه الخطاب كان جراحا مثلا فإن الكلام يكون هنا ضربا من العبث أو كما يقول السكاكي **كالجمع بين الضب والنون**.

1.3.4- بعض صور الفصل في سورة البقرة:

يتعلق الأمر هنا بعرض بعض الأمثلة التي تبرز العلاقات المختلفة التي تتم بين الجمل حينما يغيب بينها أو بعبارة أخرى في حدودها الرابط الشكلي فتتحقق فيها خاصية الفصل. وهاهي ذي بعض الأمثلة:

1.1.3.4- التبيـين

---

[293]- إن السياقات التي تأتي بعد فعل القول في صيغه المختلفة تكون خالية من الواو سواء تعلق الأمر بجملة طلبية أم بجملة خبرية .

حين تعلق الأمر بأدراج مقول القول في غير بنية المحادثة (la conversation) كما في :
- وإذ **قال ربك للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفة** . **قالوا** : **أتجعل فيها من يفسد فيها** ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . **قال** : **إني أعلم ما لا تعلمون** .
- قال : أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير .
- قلنا : اهبطوا منها جميعا . فإما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون .
- قل : هو الله أحد .

ففي الأمثلة السابقة هناك اتفاق في الخبر كما في المثال الأول واختلاف كما في الذي يليه وكذلك الحال في بقية الأمثلة. وكلها خالية من الواو، خاصة منها ما اتفق خبرا، ونجد في السياقات القرآنية الاتفاق حتى في الطلب وتغيب الواو، كما في :

قل / أ أنتم أعلم أم الله .
قل / كونوا حجارة أو حديدا

244-(وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب/يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم).(آ49)
245-(وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل/ لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا).(آ83)
246-(وإذ أخذنا ميثاقكم / لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم).(آ84)
247-(ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين/ إنما يامركم بالسوء والفحشاء).(آ208)
248-(كتب عليكم القصاص في القتلى/ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى).(آ178)
249-(الله لا إله إلا هو الحي القيوم/ لا تاخذه سنة ولا نوم).(آ255)

ففي هذه الأمثلة يتعلق الأمر بشقين، شق تمثله الجملة الأولى أي الجملة التي تأتي قبل الجملة المبينة وهي تتميز بحاجتها إلى ما بعدها ليبينها. ففي 244 مثلا تثبت جملة **يسومونكم سوء العذاب** أن هناك عذابا ولكن لا تبين ما هو هذا العذاب فتأتي جملة **يذبحون أبناءكم و...** لتبين هذا العذاب. وبذلك تصبح هذه الجملة الثانية امتدادا للجملة الأولى. وتصبح العلاقة بينهما شبيهة بعلاقة الإجمال والتفصيل. ومن ثم يمكن تجريد هذه العلاقة استنادا إلى الأمثلة التي عرضناها هكذا:

الميثاق	←	عبادة الله + بالوالدين إحسانا + ...
ميثاقكم	←	عدم سفك الدماء + عدم الإخراج
عداوة الشيطان	←	أمر بالسوء والفحشاء + القول على الله بما لا يُعلم
القصاص	←	الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى
الحي القيوم	←	لا سنة ولا نوم

والواقع أن العلاقة التبيينية لا تتحقق فقط بهذه الصورة التي قدمناها آنفا. بل إن السياق أحيانا يدرج جملا يستأنف بها الكلام وتكون وظيفتها التبيين وعادة ما يطلق على هذا الاستئناف **الاستئناف البياني**. ومن أمثلته في سورة البقرة:

250-(وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون/الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون). (آ14-15)
251-(ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل/ ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا...). (آ108)
252-(الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منى ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون/ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم).(آ262)

253-(يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولست آخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد/ الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء).(آ267)

254-(الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون/ الذين ياكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون/يمحق الله الربا ويربي الصدقات). (آ274-276)

إذا كانت الأمثلة الأولى المتعلقة بالتبيين تعكس حاجة أو افتقار الجملة الأولى إلى الجملة الثانية ومن ثم أصبحت الجملة الثانية من تمام الجملة الأولى ولم تعد بحاجة إلى واصل يصلها بها لشدة وصلها بها، فإن أمثلة المجموعة الثانية (244- 249) وغيرها مما هو مثيلها لا يتأسس على مفهوم الافتقار، بل إن الجملة الثانية تتميز باستقلالية. ومن هنا يأتي مفهوم الاستئناف ولكنها استقلالية تندرج في سياق عام يتكلم عن قضية ما. ومن هنا يأتي مفهوم الاستئناف البياني.

في 250 مثلا تمثل جملة **الله يستهزئ بهم** انفصالا أو استقلالية عما قبلها ولا يفتقر ما قبلها إليها. ولكن كون سياق الكلام ينحو نحو الكلام عن استهزاء المنافقين جعل هذه الجملة تندرج في سياق التبيين لأنها ليست منفصلة تماما عن هذا الموضوع.والحال نفسها في بقية الأمثلة. ويصبح مسوغ الفصل هو اختلاف ما يُتَحَدَّث عنه بين الجملة الأولى والجملة الثانية. ويمكن تمثيل هذا الاختلاف في الجدول الآتي:

المثال	المتحدث عنه في ج1	المتحدث عنه في ج2
250	هم (المنافقون)	الله
251	من يتبدل الكفر بالإيمان	أهل الكتاب
252	الذين ينفقون أموالهم...	قول معروف ومغفرة
253	الذين آمنوا	الشيطان
254	الذين ينفقون أموالهم بالليل...	الذين ياكلون الربا

2.1.3.4- التأكيــد:

255-(ألم ذلك الكتاب / لا ريب فيه).(آ1-2)

256-(إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم/لا يومنون/ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم).(آ6-7)
257-(وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلو إلى شياطينهم قالوا إنا معكم/ إنما نحن مستهزئون).(آ14)
258-(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم/الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منى ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون).(آ261-262)
259-(له ما السماوات وما في الأرض/من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه).(آ255)

يتعلق الأمر في التأكيد بمسألة التقوية. ففي التتابع الجملي، تكون وظيفة الجملة الثانية هي تقوية الجملة الأولى لأنها تشبه التكرار. ولقد بسط الجرجاني هذه المسألة بسطا طريفا وهو يعلق على بعض أمثلة التأكيد. يقول معلقا على المثال 255:

« قوله « لا ريب فيه» بيان وتأكيد وتحقيق لقوله «ذلك الكتاب» وزيادة تثبيت له وبمنزلة أن تقول: هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب فتعيد مرة ثانية لتثبته »[294].

ويعلق على المثال 256 قائلا:
« قوله تعالى«لا يومنون» تأكيد لقوله (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) وقوله (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) أبلغ من الأول لأن من كان حاله إذا أنذر مثل حاله إذا لم ينذر كان في غاية الجهل» [295].

وفي المثال 257 يعلق قائلا:
«... وفي ذلك لأن معنى قولهم: (إنا معكم) أنا لم نؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم نترك اليهودية، وقولهم (إنما نحن مستهزئون)خبر بهذا المعنى بعينه لأنه لا فرق بين أن يقولوا: إنا لم نقل ما قلناه من أنا آمنا إلا استهزاء، وبين أن يقولوا: إنا لم نخرج من دينكم وإنا معكم. بل هما في حكم الشيء الواحد فصار كأنهم قالوا: إنا معكم لم نفارقكم ، فكما لا يكون (إنا لم نفارقكم) شيئا غير (إنا معكم) كذلك لا يكون (إنما نحن مستهزئون) غيره فاعرفه» [296].

---

[294]- دلائل الإعجاز ص 175.

[295] – نفسه ص175.

[296] – نفسه ص 176 .

فالعلاقة بين الجملة الثانية والجملة الأولى هي علاقة مساواة. ويؤكد ذلك عبارات من مثل **خبر بهذا المعنى بعينه**، **لا فرق بين ... وبين هما في حكم الشيء الواحد**. وهذه المساواة تشكل مسوغا للفصل، لأن الشيء لا يعطف على نفسه، بحكم أن العطف يقتضي التغاير مع وجود الجامع المسوغ لهذا العطف كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

3.1.3.4- البدل:

لم تمكنا معطيات المدونة (سورة البقرة) من إيجاد أمثلة واضحة لمسألة الإبدال في الجمل. ولعرض هذه الظاهرة، سنستعين بأمثلة السكاكي التي أوردناها في الجدول الذي جمعنا فيه جزءًا من المدونة التي اعتمد عليها لدراسة مسألة الفصل.

260-(بل قالوا مثلما قال الأولون/ قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون). (المومنون81- 82)
261-(أمدكم بما تعلمون/ أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون). (الشعراء 132- 134).
262-(اتبعوا المرسلين/ اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) (يس 20- 21).

وليست أمثلة البدل بعيدة عن التأكيد وتقوية الكلام، وهذه التقوية تتأتى من مسألتين يشير إليهما السكاكي وهما **المطابقة** و**التأكيد** كقيمة إضافية. ففي تعليقه على قول الشاعر:
أقول له: ارحل/لا تقيمن عندنا وإلا فكن في السر والجهر مسلما

يقارن بين الجملتين: **ارحل** و**لا تقيمن عندنا** ويحوصل هذه المقارنة بقوله:

« فضل "لا تقيمن " عن "ارحل " لقصد البدل. لأن المقصود من كلامه هذا كمال إظهار الكراهة لإقامته بسبب خلافي سره العلن. وقوله "لا تقيمن عندنا" أوفى بتأدية هذا المقصود من "ارحل" لدلالة ذاك عليه بالتضمن مع التجرد عن التأكيد ودلالة هذا عليه بالمطابقة مع التأكيد» [(297)].

(297) - مفتاح العلوم – ص 376 .

ويمكننا أن نمثل خلاصة السكاكي هذه بالشكل الآتي:

ارحـــل	لا تقيمن عندنـــا
- دلالة بالتضمن. - تجريد عن التأكيد	دلالة بالمطابقة مصاحبة الـتأكيد

وهذا ما يجعل جملة **لا تقيمن عندنا أوفى** بتأدية المقصود وهو "كمال إظهار الكراهة لمقابلته". فمن منظور الإشراك في الدلالة على المقصود نفسه يسمح هذا بالكلام عن إمكانية الاستدلال. ومن منظور **علاقة التتابع** بين الجملتين فإن الثانية هي التي تكون مؤكدة للأولى. ونكون أمام صورة التأكيد التي قدمها الجرجاني في التتابع: **ذلك الكتاب. لا ريب فيه**. فنحصل حينئذ على "**ارحل، ارحل** في مثال السكاكي.

ومن ثم يبين لنا أن العلاقة الإبدالية تتضمن علاقة التأكيد لأنها تتأسس على المساواة[298].

4.1.3.4- علاقة التعليل :

نقصد بعلاقة التعليل هنا إمكانية أن نضع في الحد بين الجملتين المنفصلتين عن بعضهما الوحدة الدالة على التعليل. وقد سمحت لنا مجموعة الأمثلة التي جمعناها من سورة البقرة بأن نصنفها إلى مجموعات بحسب بنيتها اللغوية. ويستحسن أن نقدمها بحسب هذه المجموعات.

- **البنية: فعل طلبي – إن ..... وأمثلتها:**

263-(واستغفروا الله / إن الله غفور رحيم).
264-(فاعفوا واصفحوا حتى ياتي أمر الله/ إن الله على كل شيء قدير).
265-(واحسنوا/ إن الله يحب المحسنين).
266-(ولا تتبعوا خطوات الشيطان / إنه لكم عدو مبين).
267-(ولا تعتدوا/ إن الله لا يحب المعتدين).

تتردد هذه البنية كثيرا في القرآن. ولئن كانت الجملة الثانية المصدرة بإن تمثل تعليلا بحكم أننا نستطيع أن نضع بين الجملتين **لأن**. فإنه يمكن أيضا أن نعتبر العلاقة بين فعلين

[298] - لا يجب أن نفهم المساواة هنا فهما رياضيا يحقق المطابقة التامة. ولكن مسألة الدلالة في الجمل مسألة تتجاذبها عدة عوامل. أولها الوحدات اللغوية المكونة للجملة. وإذا كان السائد والمتفق عليه أن لا وجود لترادف بمفهوم المطابقة التامة في مستوى المفردات . فأحرى وأولى أن يؤدى تآلف هذه الوحدات داخل الجمل إلى إمكانيات دلالية عديدة.

كلاميين هما فعل الطلب وفعل التأكيد. ويلعب فعل التأكيد هنا **سندا** لفعل الطلب. وسياقا لغويا دائما للأمر والنهي كما تبينه الأمثلة.

ولا بد أن نشير هنا إلى أن الكلام عن علاقة التعليل بين الجملتين يمس الجملتين من حيث هما جملتان تنشأ بين دلالتيهما هذه العلاقة. وتمثل بالشكل:

افعل **لأن** أ
لا تفعل **لأن** أ

وهذا التعليل يعتبر مسوغا للفصل لافتقار الجملة الأولى إلى الثانية. ولكن الطريف في الأمر أننا نجد أن الفصل يتنازعه هنا مسوغان يبدوان متباعدين. فشدة الاتصال بواسطة التعليل مسوغ للفصل وشدة الانفصال من حيث إن موضوع الجملة الأولى يختلف تماما عن الجملة الثانية مسوغ للفصل أيضا. وبين هذا وذاك، نجد عناصر في الجملة الثانية ترتبط بعناصر من الجملة الأولى لتحقق العلاقة الاتساقية. والجدول الآتي يبين لنا العلاقات التي بسطناها سابقا:

المثال	ج1			ج2	
		الموضوع	الوحدات	الموضوع	الوحدات
263		أنتم	الله	الله	الله
264		أنتم	الله	الله	الله
265		أنتم	أحسنوا	الله	المحسنين
266		أنتم	الشيطان	هو(= الشيطان)	هو(=الشيطان)
267		أنتم	تعتدوا	الله	المعتدين

ويكفي هنا مقابلة كل خانة بأختها لنكشف الاختلاف على مستوى الموضوع والاتفاق على مستوى وجود وحدات لغوية تربط ج2 دائما بـ ج1 محققة بذلك العلاقة الاتساقية التي يتكلم عنها هاليداي.

- **البنية: ج1 _____ ذلك بـ أو ذلك :**

268-(الذين ياكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس/ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا).(آ275)

269-(ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله/ ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا).(آ282)

ويلعب الإشاري هنا دور المحوصل لكل السياق السابق ويسمح مع ما بعده ببناء علاقة التعليل. واللافت للانتباه هنا، أننا نستطيع أن نضع بين الجملتين في المثال 269 **لأن** فنحصل على:

270-(ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله (لأن) ذلك أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لا ترتابوا). (آ282)

غير أننا لا نستطيع أن نضعها في 268. لنتأمل:

*(الذين ياكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي تخبطه الشيطان من المس (لأن) ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا). (آ275)

ويبدو أننا نستطيع أن نضع مكان **بأن** **لأن**. ولكن في هذه الحالة يصبح لا مسوغ لوجود **ذلك**. وتكون علاقة التعليل محققة بين الجملتين هكذا:

271-(الذين ياكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس(لأنهم) قالوا إنما البيع مثل الربا). (آ275)

غير أن وجود **بأن** بدل **لأن** يتطلب وجود هذا الإشاري المحوصل. وهذا ما جعلنا نعتبره وحدة واحدة أي **ذلك بـ**. والواقع أن علاقة التعليل تنشأ أساسا في الجملة الثانية بين الإشاري وما بعده. غير أن دوره الإحالي الذي يحوصل السياق السابق يسمح لنا ببناء علاقة التعليل بين الجملتين هكذا:

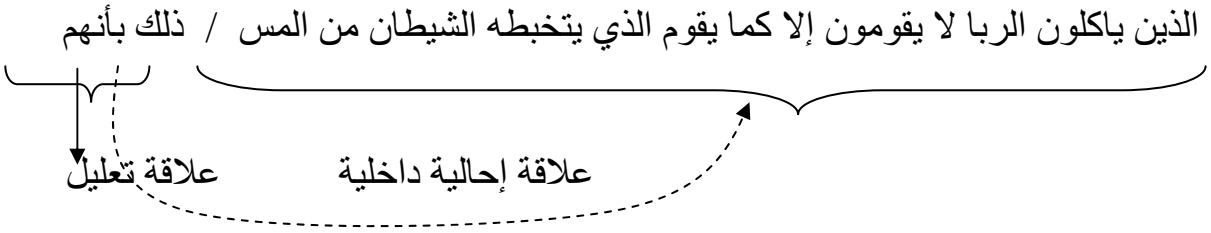

ولكن من منطلق أن **ذلك** = الذين ياكلون ... المس. استنادا إلى الإحالة تصبح علاقة التعليل متعدية، أي أنها تنشأ بين الجملة الأولى والجملة الثانية التي يتصدرها الإشاري المحوصل.

2.3.4- الفصل لأجل الاختلاف:

مثلت الأمثلة التي عرضناها سابقا مدونة استطعنا أن نفسر بها الفصل بين الجملتين. وهو فصل يتأسس على شدة الاتصال. من حيث إن الجملة الثانية تكون إما مؤكدة للأولى أو مبينة لها أو مبدلة أو معللة، ومن ثم فلا حاجة لوجود الرابط في الحدود بينهما. غير أن حالة

الاختلاف تختلف من حيث إن السياق القريب لا يقترح أية علاقة من العلاقات التي ذكرناها. وتصبح الجمل متجاورة وكل جملة تختلف موضوعا عن الجملة التي تسبقها.

وقد سبق أن عرضنا موقف السكاكي في مسألة غياب المشاكلة ووجود الواو[299]. وما رتب عنها من جهة من يلجأ إلى هذا النوع من الاستعمال. وقد بين لنا ذلك أن التباعد بين الجمل يسوغ غياب الرابط في الحدود مثلما يسوغ التقارب بينها غياب هذا الرابط. ولئن كنا قد ضربنا أمثلة للفصل لأجل شدة الاتصال، فإننا نحاول أن نعرض في مسألة الفصل لأجل الاختلاف سياقات أوسع حتى تسمح لنا بتفسير هذه الظاهرة. ومن هذه السياقات قوله تعالى في سورة البقرة:

227- أ-(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون/)

ب-(إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم/)

ج-(إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم/)

د-(إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم ولا هم ينظرون وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم/)

هـ-(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيى به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون).(آ153-164)

إذا تأملنا هذا المقطع فإننا نجد أنه يتكون من:

- عبارة محددة لوجهة الخطاب: يا أيها الذين آمنوا
- مجموعات خطابية يسمح بتحديدها الفصل وتغير الموضوع أو المتحدث عنه. وهذه المجموعات هي:

أ : استعينوا بالصبر .....أولئك هم المهتدون

ب : إن الصفا .....فإن الله شاكر عليم

ج : إن الذين يكتمون.....وأنا التواب الرحيم

---

(299) – انظر الهامش279.

د : إن الذين كفروا.....لا إله إلا هو الرحمن الرحيم
هـ: إن في خلق السماوات .....لآيات لقوم يعقلون

تنفصل هذه الجمل من حيث اختلاف المتحدث عنه في كل جملة كما يبينه الجدول الآتي:

الجملة	المتحدث عنه
أ	أنتم (= الذين آمنوا)
ب	الصفا والمروة
ج	الذين يكتمون ما أنزلنا
د	الذين كفروا
هـ	آيات

يمثل اختلاف ما تحدث عنه في كل جملة مسوغا عند البلاغيين للفصل بين هذه الجمل كما رأينا ذلك سابقا ونحن نعرض مدونة السكاكي، غير أن الذي تجدر الإشارة إليه. أن انفصال الجمل عن بعضها لاختلاف ما يتحدث عنه باعتباره عاملا مساعدا على الانفصال لا يعني التنافر الذي يؤثر على الخطاب بحيث لا يسمح للمتلقي أن يصنع فيه اتساقا. بل إن هذا الانفصال باعتبار غياب الرابط في الحدود لا يتنافى مع مفهوم الاتساق باعتباره علاقة بين الجمل تتحقق إما في الحدود أو بين عناصر من هذه الجمل استنادا إلى الإحالة أو الجانب المعجمي.

والواقع أن حالة الانقطاع التام بمفهوم البلاغيين لا تعني أبدا غياب العلاقة الاتساقية. وإذا عدنا إلى مثالنا لوجدنا عددا من العناصر ترتبط فيما بينها بطرق مختلفة مع انتمائها إلى جمل مختلفة. ويبين الجدول الآتي هذه العناصر التي تحقق العلاقات الاتساقية:

الجملة	العناصر

أ	الذين آمنوا - المهتدون
ج	الذين يكتمون ما أنزلنا...نا(=نحن=الله)-الهدى-الله-أنا(=الله)
ب	الله - الله
د	الذين كفروا – الله
هـ	الله – هو(=الله)

تسمح هذه الوحدات التي حددناها بربط الجمل ببعضها لتحقيق علاقات اتساقية مختلفة استنادا إلى المعجم وما يتيحه من علاقات كالتقابل في **الذين آمنوا**≠**الذين يكتمون ما أنزلنا**... أو التكرار في كلمة **الله** التي توجد في كل الجمل. أو التكرار بواسطة الاشتقاق كما في **المهتدون**– **الهدى**، أو الترادف كما في **الذين يكتمون ما أنزلنا**..=**الذين كفروا**، أو الإحالة كما في **نحن** أو **أنا** اللذان يحيلان على الله في السياق السابق أي **أ** و**ب** أو كما في **هو** الذي يحيل على **الله** وهو وحدة موجودة في كل الجمل.

ونلفت النظر هنا إلى أن كلامنا عن علاقات الجمل، هو محاولة لتبسيط المسألة ذلك أن هذه الجمل التي تمكنا من تحديدها استنادا إلى اختلاف المتحدث عنه فيها (وهو يشكل عاملا للفصل)، تشكل هي في حد ذاتها مقاطع معقدة إلى حد كبير من حيث علاقاتها الاتساقية. إنها تتوسع بواسطة هذه العلاقات الاتساقية لتشكل كتلا قائمة بذاتها. وسنحاول أن نبين هذه العلاقات الاتساقية التي تسمح بتشكيل هذه الجمل فيما يأتي:

أ- (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة/ إن الله مع الصابرين / ولا تقولوا لمن
1 **2**
يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم ولكن لا تشعرون/ ولنبلونكم بشيء من
3
الخوف والجوع ونقص من الأموال والثمرات/ وبشر الصابرين الذين إذا أصابهم
4
مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون/ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة /
5
وأولئك هم المهتدون).
6

يمكن تمثيل العلاقات الاتساقية المختلفة لهذه الكتلة في هذا الجدول:

1	الصبر- الصابرين + علاقة التعليل

2	و+ أنتم – الله
3	و + أنتم
4	و + الصابرين – الله
5	أولئك –
6	و + أولئك

تنشأ علاقات أولى داخل1 استنادا إلى التكرار بين **الصبر** و**الصابرين** واستنادا إلى علاقة التعليل بين الطلب وسنده. ثم تبدأ العلاقات تنسج إما من داخل الجملة إلى داخل الجملة بواسطة التكرار أو بواسطة الإحالة، وإما بين الجمل في الحدود بواسطة العطف كما يبين الجدول السابق ذلك كله. وحين يتم الانتهاء من هذه الكتلة، تأتي الكتلة الثانية لتتكلم عن موضوع آخر وهو الصفا والمروة ولكنها أيضا تستند إلى مجموعة من العلاقات الاتساقية التي تجعلها باعتبارها كتلة في علاقة بالكتلة الأولى:

2 **1**

(إن الصفا والمروة من شعائر الله/فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما /

3

ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم).

يمكن تمثيل العلاقات الاتساقية لهذه الكتلة الثانية كالآتي:

1	الصفا والمروة – الله
2	فـ + هما– هو
3	و + هو + الله

تنشأ علاقة أولى في الحدود بين **2** و**1** بواسطة **الفاء** ثم تدعم بعلاقة أخرى بواسطة الإحالة (هما = الصفا والمروة) وتنشأ علاقة بين **3** و**1** بواسطة التكرار في **الله**. ونكون بذلك أمام الشكل الآتي:

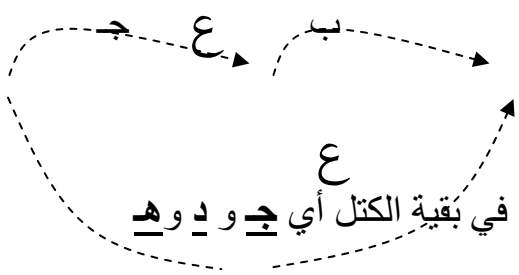

وهكذا الأمر في بقية الكتل أي **جـ** و **د** و**هـ**

إن الكلام عن الفصل استنادا إلى مفهوم الاختلاف لا يعني غياب العلاقات الاتساقية. والواقع أن وجود عناصر تحقق العلاقات الاتساقية فيما بين الجمل التي لا يتوفر فيها رابط في الحدود هو من المسائل التي لا لبس فيها. وقد سمح لنا تتبع الأمثلة المختلفة التي رأيناها في الفصل، بأن نبلور مفهوما للفصل مرتبطا بمفهوم الاتساق. وإذا كان أساس هذا التصور

أن لا تعارض بين المفهومين. فإن نظرتنا إلى الاتساق قد تختلف في تحديد دوره استنادا إلى نوعية الفصل.

فإذا كان الفصل مؤسسا على مفهوم شدة الاتصال، فهذا يجعل الاتساق علاقة سائدة ذلك أن الفصل لشدة الاتصال يعني إمكانية تحديد علاقة دلالية بين الجملتين أساسها الجملتان كليهما، ففي التأكيد مثلا تؤكد الجملة اللاحقة باعتبارها كلا الجملة السابقة باعتبارها كلا. وكذلك الحال في الإبدال والتعليل. فإذا وجدت عناصر في الجملة اللاحقة ترتبط بعناصر من الجملة السابقة فيتعلق الأمر حينئذ **بعلاقات اتساقية سائدة**.

أما إذا كان الفصل مؤسسا على مفهوم الاختلاف فإن العناصر الاتساقية تلعب دورا في ربط الجمل ببعضها رغم انفصالها. وإذا كان الاتساق من حيث هو إجراء يختلف في الحالتين، فإن الذي يحسن لفت الانتباه عليه هو أن وصْفَنا للعلاقات الاتساقية في حالة شدة الاتصال بأنها **سائدة** لا يعني عدم أهميتها أو إمكانية التخلي عنها. بل إن العنصر الاتساقي يحتل موقعا يؤسس هو بدوره مفهوم الفصل.

لنتأمل هذه الأمثلة:

273-(ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم/ إن **الله** على كل شيء قدير).(آ20)

274-(وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض/**أولئك** هو الخاسرون). (آ26-27)

275-(قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا/إنـ**ك أنت** العليم الحكيم).(آ32)

276-(فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم/**ذلكم** خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم/إنـه هو التواب الرحيم).(آ45)

277-(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله/إن **الله** بما تعملون بصير).(آ110)

يكفي في هذه الأمثلة ومثيلاتها تغيير العنصر الذي تحته خط،وهو عنصر اتساقي، بعنصر آخر لا يحقق العلاقة الاتساقية لنخرج إلى التنافر.

5- نماذج من تحليل الاتساق:

سنحاول في هذه النقطة أن نحلل ثلاثة مقاطع من سورة البقرة، لنتلمس فيها الكيفيات التي يتحقق بها الاتساق وقوته. والواقع أن الكلام عن قوة الاتساق هو كلام عن قرب وبعد العلاقات الاتساقية من جهة وعددها من جهة أخرى.

لقد أشار هاليداي إلى مسألة قوة الاتساق وحددها انطلاقا من مفهوم الحوار، فكلما كان العنصر الاتساقي موجودا في الجملة الموالية مباشرة كلما دل ذلك على قوة الاتساق وكلما ابتعد العنصر عن الجملة التي يرتبط بها دل ذلك على الضعف التدريجي لهذه العلاقة الاتساقية.

والواقع أن هناك عاملا آخر يؤثر في قوة الاتساق وهو عدد العناصر اللاحقة التي ترتبط بعناصر سابقة إذ بعددها تتعدد العلاقات الاتساقية. سنعتمد في تحليلنا للمقاطع على هذين العاملين، أي القرب والبعد والعدد.

وفيما يتعلق بالمقاطع فإننا نأخذ المقاطع الأولى من سورة البقرة. وهي:

1.5- المقطع الأول:

(آلم ● ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) .

يتكون هذا المقطع من آيتين، الأولى هي **آلم**[300]. ويتميز هذا المقطع بانفتاحه على عدة قراءات تركيبية. يورد صاحب الكشاف عدة احتمالات. يقول:

« فإن قلت: أخبرني عن تأليف ذلك الكتاب مع آلم. قلت: إن جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف وجوه: أن يكون آلم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الأول ومعناه: أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وأنه الذي يستأهل أن يكون كتابا»[301]. واستنادا إلى هذا الطرح نحصل على الآتي:

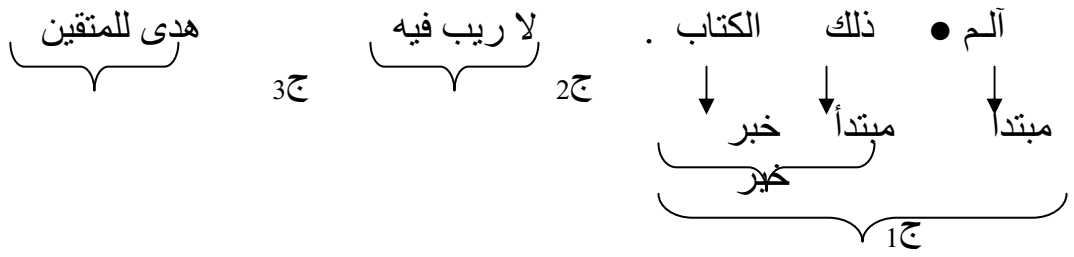

وتتحدد العلاقات الاتساقية في هذا المقطع كالآتي:

ج1	ج2	ج3
الكتاب	Ø(=هو) – هو	Ø (=هو)

يمثل Ø الضمير المستتر الذي يحيل على الكتاب في الجملة الأولى. ونرى هنا أن العلاقة الاتساقية تستند إلى الإحالة. وتسمح هذه الإحالة التي يحققها ضمير الغائب **هو** بثبات موضوع الكلام وهو الكتاب عبر الجمل المتتابعة. ونكون هنا أمام ما يسمى بتدرج بموضوع ثابت كما رأينا ذلك سلفا ونحن نتكلم عن مسائل التدرج والديناميكية التواصلية.

غير أن الزمخشري يرجح قراءة تركيبية أخرى يراها تتلاءم مع البعد البلاغي. يقول:

« والذي هو أرسخ عرفا في البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحا وأن يقال: إن قوله الـم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها و« ذلك الكتاب» جملة ثانية و«لا ريب فيه» جملة ثالثة و«هدى للمتقين» رابعة. وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جئ بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذ بعضها بعنق بعض»[302].

---

[300]- لقد أعطى ابتداء بعض سور القرآن بهذه الحروف محاولات عديدة لتفسير هذه المسألة، وذهب المفسرون فيها مذاهب شتى تبتعد عما نحن بصدده، ولكن لمن يريد أن يأخذ فكرة موجزة عن هذه القضية، ينظر ما عرضه الطاهر بن عاشور في بداية تفسيره لسورة البقرة، فهناك عرض لمختلف الآراء التي تناولت هذه الظاهرة.
التحرير والتنوير – ص 206- 218.

[301]- الكشاف المجلد الأول – ص111 .

[302]- الكشاف مج1 – ص 121 .

وعلى هذا الأساس نكون أمام البناء الآتي:

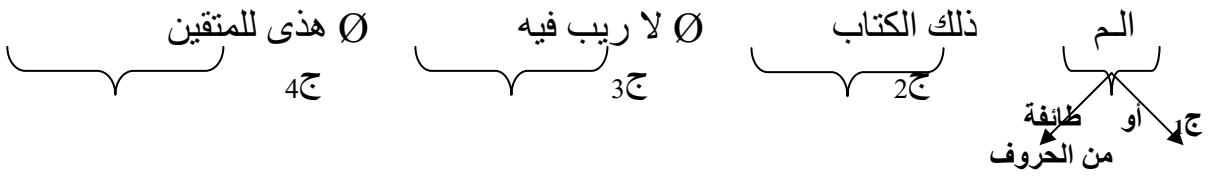

وتكون العلاقات الاتساقية بهذا الشكل:

ج1	ج2	ج3	ج4
الـم	ذلك الكتاب	Ø + هو	Ø

يحيل اسم الإشارة على **آلم**[303]. ويحقق بذلك علاقة بين ج2 وج1 وتحيل ضمائر الغائب في ج3 وج4 على **الكتاب** الموجود في ج2 وتشترك ج4 و ج3 في الإحالة نفسها. ومن هذا المنطلق فإن العلاقات الاتساقية المؤسسة على الإحالة متصلة بهذا الشكل:

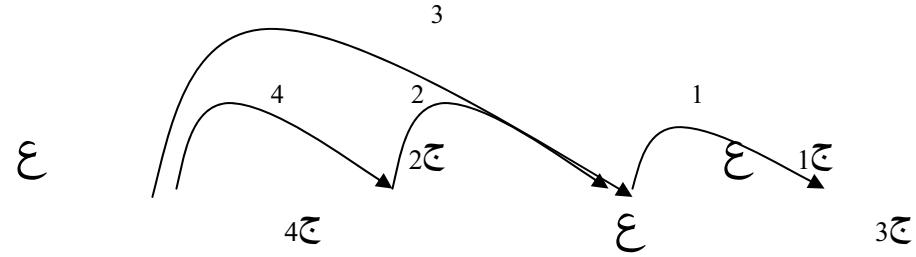

لكن هذا البناء الجملي له ميزة خاصة وهي غياب الرابط في الحدود. وبذلك فنحن أمام ظاهرة الفصل. وهذا الفصل كما رأينا سابقا إما أن يكون لشدة الاتصال أو الاختلاف. وإذا كان الاختلاف يتأسس أساسا على اختلاف المتحدث عنه بين جملة وأخرى، فإن هذا لا يتحقق في البناء الذي نحن بصدده ومن ثم فإن هذا الفصل يكون لشدة الاتصال.

لقد أدرك الزمخشري هذه العلاقات الخفية بين الجمل في هذا المقطع، وقد رأينا في إشارته السابقة تلميحا لهذه العلاقات وهو يستعمل عبارات من مثل:

«متناسقة من غير حرف نسق، متآخية آخذ بعضها بعنق بعض»

وقد فسر هذا التناسق والتآخي في سياق مكمل للسياق. يقول:

---

(303)- يعتبر الزمخشري أن **ذلك** يحيل على آلم. يقول في هذا السياق:« لم صحت الإشارة بذلك إلى ما ليس ببعيد ؟ قلت: وقعت الإشارة إلى الـم بعدما سبق التكلم به وتقضى» . الكشاف مج1 – ص 108 .

« فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة، بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من أعضاده. ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله... ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله،وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»[304].

يمكننا رسم هذه العلاقات التي حددها الزمخشري والمحققة للتآخي الذي تكلم عنه كما يلي:

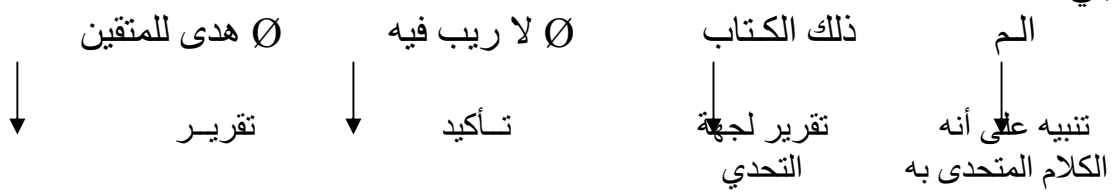

وهكذا فبالإضافة إلى العلاقات الاتساقية المؤسسة على الإحالة بواسطة الإشاري أو بواسطة الضمائر، هناك علاقات اتساقية دلالية تتعلق بالجمل باعتبارها كلا ومن ثم يمكن رسم هذه العلاقات المختلفة في هذا المقطع في الجدول الآتي:

ج1	ج2	ج3	ج4
	ذلك + تقرير	Ø(=هو)+هو+التأكيد	Ø(=هو)+ تقرير

في هذا المقطع الذي يتكون من أربع جمل بسيطة هناك سبع علاقات اتساقية، أربع منها تتحقق بواسطة الإحالة، وثلاث علاقات دلالية بين الجمل باعتبارها كلا.

2.5- المقطع الثاني:

(الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يومنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون).

يطرح هذا المقطع إشكالا تركيبيا يؤثر بطريقة أو بأخرى على تحديد عدد العلاقات الاتساقية. فوجود الموصول وضع المفسرين أمام خيارين، خيار الوصل واعتبار **الذين يومنون** وما بعده كلاما متصلا بقوله **المتقين**. ويذهب هذا المذهب الطاهر بن عاشور، يقول في هذا السياق:

---

[304]- الكشاف ،مجـ- ص 121-122..

« يتعين أن يكون كلاما متصلا بقوله «للمتقين» على أنه صفة لإرداف صفتهم الإجمالية بتفصيل يعرف به المراد. ويكون مع ذلك مبدأ استطراد لتصنيف أصناف الناس بحسب اختلاف أحوالهم في تلقي الكتاب المنوه به إلى أربعة أصناف». [305]

وخيار الاستئناف كونه كلاما مستأنفا مبتدأ. ويذهب هذا المذهب الزمخشري ولكن ضمن طرحه لمجموعة من الخيارات من بينها الوصل، فـ «الذين يومنون إما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة أو مدح منصوب أو مرفوع بتقدير أعين الذين يومنون أو هم الذين يومنون وإما مقتطع عن المتقين مرفوع عن الابتداء مخبر عنه بأولئك على هدى». [306]

حين نتعامل مع هذا المقطع استنادا إلى النظرة التركيبية الأولى فإن كونه متصلا بما سبق يجعله جزءًا من المقطع الأول الذي حللنا فيه الاتساق. ومن ثم نكون أمام علاقات اتساقية تتضمن ما رأيناه في الجدول السابق ويضاف لها علاقات أخرى يؤسسها الإشاري المحيل**أولئك**. في الجملتين المتعاطفتين: **أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**.

ويصبح جدول العلاقات الاتساقية بهذا الشكل:

ج1	ج2	ج3	ج4	ج5	ج6
	ذلك+تقرير	Ø(=هو)+هو+تأكيد	Ø(=هو)+قرير	أولئك	و + أولئك

وتتحقق في المدرج الخطي لهذه الجمل العلاقات الاتساقية تباعدا بين كل جملة لاحقة وجملة سابقة حتى الجملة 4 كما رأينا ذلك سابقا ثم تواصل هذه العلاقات الاتساقية المدارية إذ يرتبط الإشاري في إحالته بكلمة **المتقين**، وإن كانت الموصولات تتعالق جنسا وعددا مع هذا الإشاري وتشكل سندا لعلاقة إحالية معه كما سنرى ونحن ننظر إلى المقطع على أنه منفصل. ومن هذا المنطلق يمكن تمثيل هذه العلاقات كالآتي:

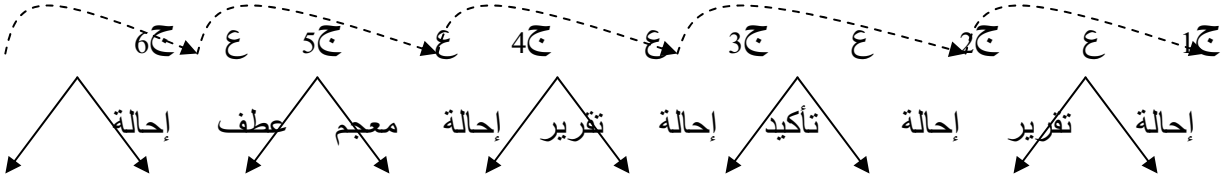

ونستحسن في هذا السياق أن نمثل لهذا المقطع بواسطة أسهم حتى يتمكن القارئ من أن يدرك بوضوح هذه العلاقات الاتساقية:

---

[305]- التحرير والتنوير – مج1 – ص 228 .
[306]- الكشاف- مج1 – ص 123 .

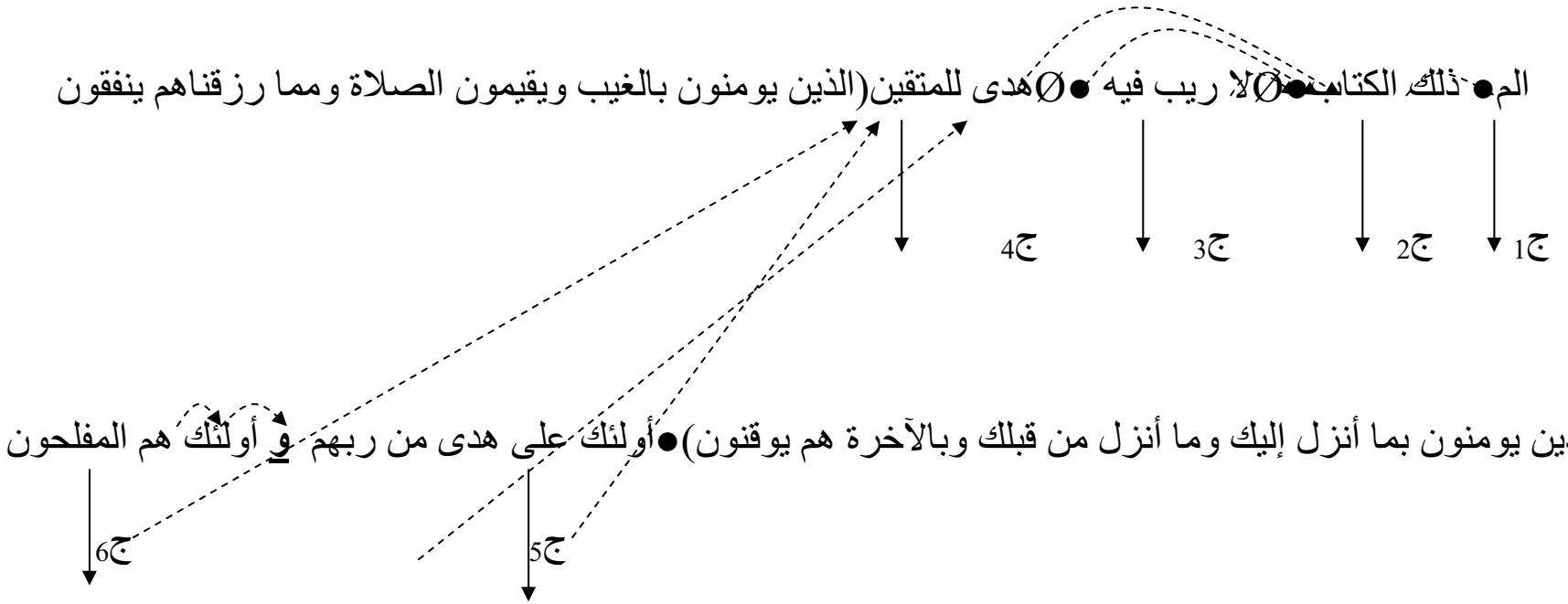
الم● ذلك الكتاب● لا ريب فيه ●هدى للمتقين(الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون
ج1
ج2
ج3
ج4
و الذين يومنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون)●أولئك على هدى من ربهم و أولئك هم المفلحون
ج5
ج6

أما إذا تعاملنا مع المقطع استنادا إلى النظرة الثانية التي تحمله على الاستئناف فإننا نحصل على جملة واحدة. ذلك أن **الذين** يكون مرفوعا على الابتداء ومخبرا عنه بأولئك ويكون البناء كالآتي:

ج **الذين**(يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يومنون بما أنزل إليك وما
مبتدأ
أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون)

أولئك عل هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون
خـــبر

وحين يتعلق الأمر بجملة واحدة، فإن الكلام يكون حينئذ عن اتساق بنوي، لأن العلاقات التركيبية كفيلة بتحقيق الترابط بين العناصر المختلفة المكونة للجملة. ويكون الكلام عن العوامل الأخرى المحققة للاتساق كالإحالة والعلاقات المعجمية ضربا من الاستطراد.

ولا بد هنا من أن نقف قليلا أمام مسألة اعتبار الذين يومنون وما بعده استئنافا. ولئن كان الزمخشري قد حملها على التجويز فإن الطاهر بن عاشور لم يستسغ هدا التجويز. يقول في معرض رده على هذه النظرة:

« وجوز صاحب الكشاف كونه كلاما مستأنفا مبتدأ وكون«أولئك على هدى» خبره. وعندي أنه تجويز لما لا يليق، إذ الاستئناف يقتضي الانتقال من غرض إلى غرض وهو المسمى بالاقتضاب، وإنما يحسن في البلاغة إذا أشيع الغرض وأفيض فيه حتى أوعب أو حتى خيفت سآمة السامع... »[307].

والحقيقة أن هذا الرفض لا يستند إلى معطيات قوية، فاشتراط الإفاضة في الغرض الأول كي ننتقل إلى الغرض الثاني يعني أن اعتبار الاستئناف عند الزمخشري عدم إدراك منه إلى أن الغرض الأول لم يستوف فيه الكلام، وهذا الغرض الأول هو في سياق تفسير الطاهر بن عاشور والزمخشري قبله هو الكلام عن الكتاب. لكن الذي يصعب تقبله هو أن الطاهر بن عاشور نفسه يستشهد بنظرة الزمخشري لتتابع الجمل الأربع التي تتكلم عن القرآن. يقول:

« وقال في الكشاف ثم لم تخل واحدة من هذه الأربع بعد أن نظمت هذا التنظيم السري من نكتة ذات جزالة: ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه، وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة، وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف، وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر– وهو الهدى- موضع الوصف وإيراده منكرا والإيجاز في ذكر المتقين. ا هـ »[308].

---

[307] - التحرير والتنوير – مج1 – ص 229.

[308]- التحرير والتنوير . مج1 – ص 228 .

ولا يخفى ما في الاستشهاد بهذا الذي جاء عند الزمخشري من أن هذا المقطع بلغ الغاية في البلاغة ومن ثم لا مانع من اعتبار **الذين يومنون** وما بعده استئنافا للكلام عن غرض آخر. والواقع أن النظر إلى هذا المقطع وإلى غيره يجب أن يدرج في سياق السورة كلها. لأن دوره يتحدد باندراجه في هذا السياق العام. وهذا ما سنراه ونحن نحاول أن نقترح تحليلا للانسجام فيما يأتي من هذا العمل.

3.5- المقطع الثـالث:

(إن الذين كفروا سواء عليهم اانذرتهم أم لم تنذرهم لا يومنون. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) .

يفتح هذا المقطع نفسه على عدة قراءات تركيبية. نحاول أن نعرضها باختصار اعتمادا على ما جاء في تفسير التحرير والتنوير لأنه حاول أن يجمع أهم ما ورد في هذه المسألة. وهذا العرض يكون بواسطة التمثيل بالأسهم، لتحديد وظائف الوحدات اللغوية وحصر حدود الجمل. ثم نحاول أن نحدد العلاقات المختلفة التي تحكم هذه الجمل المتتابعة.

التمثيل التركيبي للمقطع:

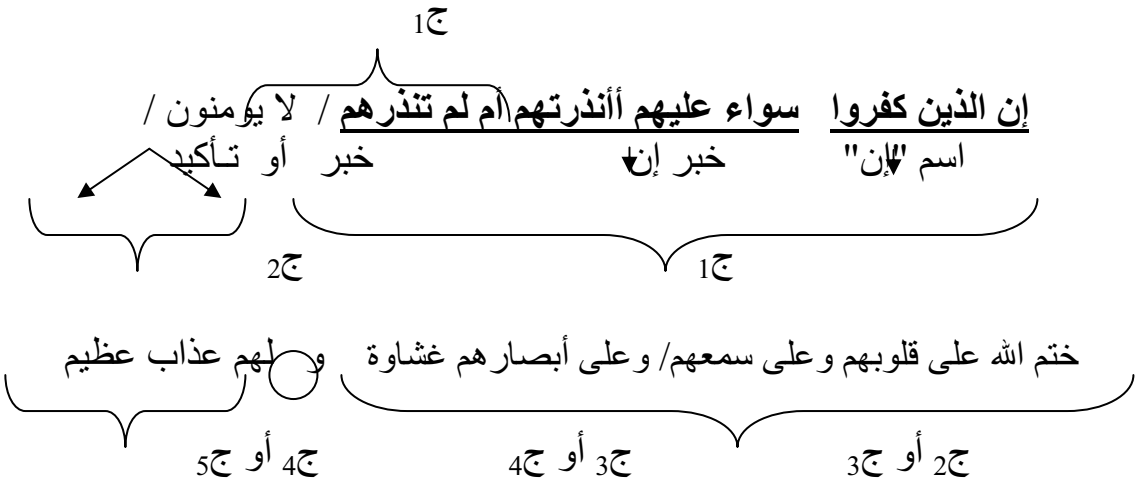

وعلى هذا الأساس نكون إما أمام ثلاث جمل إذا اعتبرنا **لا يومنون** خبرا وإما أمام أربع جمل إذا اعتبرنا **لا يومنون** تأكيدا.

وبحسب أحد الاعتبارين، نحصل على جدول محدد للعلاقات الاتساقية مختلف عن الجدول الآخر. ولنقارن هذين الجدولين اعتمادا على التحديدات السابقة:

الحالة الأولى: اعتبار لا يومنون خبرا

ج1	ج2	ج3	ج4
الذين كفروا	هم – هم + التعليل	هم + العطف	هم + العطف

تشترك الجمل ج2،ج3 و ج4 في الإحالة على **الذين كفروا**. وتتعالق الجمل في مدرجها الخطي بواسطة عوامل مختلفة. فـ ج2 ترتبط بـ ج1 بواسطة الإحالة الضميرية التي يحققها الضمير **"هم"** المكرر مرتين في ج2 ويضاف إلى هذه العلاقة الإحالية علاقة دلالية تتعلق بالجملتين ككل. هذه العلاقة هي علاقة التعليل.

وقد لفت الطاهر بن عاشور الانتباه إلى هذه المسألة وهو بصدد تفسير قوله تعالى«ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة» يقول في هذا السياق:

> «هذه الجملة جارية مجرى التعليل للحكم السابق في قوله تعالى« سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يومنون» وبيان لسببه في الواقع ليدفع بذلك تعجب المتعجبين من استواء الإنذار وعدمه عندهم... فإذا علم أن على قلوبهم ختما وعلى أسماعهم وأن على أبصارهم غشاوة علم سبب ذلك كله وبطل العجب»[309].

> وترتبط ج3 بـ ج2 بواسطة الاشتراك في الإحالة والعطف والحال نفسها بالنسبة لـ ج4 وج3 .

الحالة الثانية: عدم اعتبار لا يومنون خبرا.

ج1	ج2	ج3	ج4	ج5
الذين كفروا	هم + تأكيد	هم+هم+التعليل	هم+ العطف	هم + العطف

حينما نعتبر لا يومنون غير داخلة في حيز جملة إن الذين كفروا... ، فإنها في هذه الحالة تقيم علاقات اتساقية استنادا إلى الإحالة بواسطة الضمير **"هم"** واستنادا إلى علاقتها كجملة بالجملة السابقة فتصبح تأكيدا لها، فتصبح علاقتها الاتساقية مضاعفة بينما لم تكن في الحالة الأولى إلا عنصرا من جملة وتحكمها بذلك العلاقات التركيبية ولا يكون الاتساق حينئذ إلا بنويا .

---

[309]- التحرير والتنوير – مج1 – ص 254 .

4.5- كيف تتحقق العلاقة بين المقاطع؟:

لقد حاولنا في تحليلاتنا السابقة أن نتلمس عمليا مختلف العلاقات الاتساقية التي تنشأ بين الجمل المكونة لكل مقطع. ولئن كانت المقاطع قصيرة فإنها غنية بمعطياتها التركيبية والاتساقية. ولا يتسع المجال لبسط مسألة الاتساق في مقاطع أكبر. والذي يهمنا في ختام هذه المعالجة هو محاولة تحديد ما يربط هذه المقاطع.

لقد أشار البلاغيون إلى أن مسألة الفصل ترتبط بتمام الاتصال أو كمال الانفصال. كما رأينا ذلك سابقا. ورأى المفسرون تبعا لهذه النظرة أن هذه المقاطع يحكمها قانون الفصل لأن كل مقطع منها يتكلم عن موضوع يختلف عن موضوع المقطع الآخر. يشير الزمخشري إلى هذه المسألة:

« افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم، ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا وألسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم... »[310].

وقد فسر الطاهر بن عاشور هذا الفصل أيضا بمسألة الاختلاف مع إشارة هامة إلى أن هذا الاختلاف مصدره التضاد. يقول وهو بصدد تفسيره لقوله تعالى: (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم):

« وإنما قطعت هذه الجملة عن التي قبلها لأن بينهما كمال الانقطاع إذ الجملة السابقة لذكر الهدى والمهتدين وهذه لذكر الضالين، فبينهما الانقطاع لأجل التضاد»[311].

---

(310) - الكشاف – مج 1 – ص 165 .

(311)- التحرير والتنوير – مج1 – ص247 .

ولئن ارتبطت الإشارات التي أوردناها بتبرير الفصل. فإن الذي يهمنا هو تحديد ما يربط هذه المقاطع رغم أنها تختلف في مواضيعها. ولا يسعنا هنا عرض المقاطع كلها، ولكننا نتعامل معها من خلال جدول نحدد فيه كل العناصر التي تنقلنا من مقطع إلى آخر على الترتيب:

المقطع الأول	المقطع الثاني	المقطع الثالث
الكتاب هدى - المتقين	الذين يومنون- ما أنزل إليك هدى - المفلحون	الذين كفروا-لا يومنون-ختم الله...-لهم عذاب عظيم

ويمكن تمثيل هذه العلاقات كالآتي:

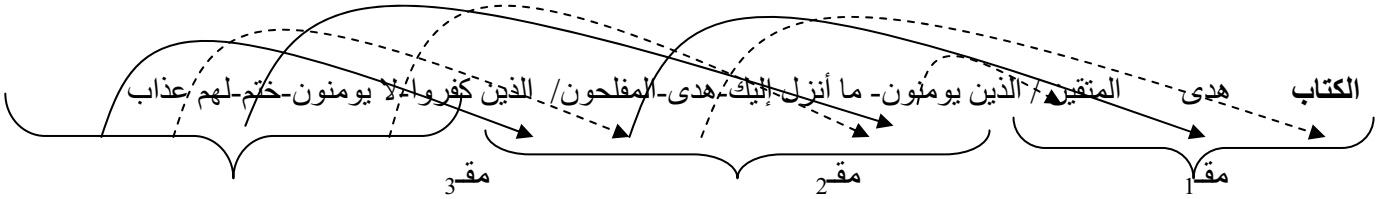

لا تشير الأسهم هنا إلى علاقة إحالية، وإنما فقط إلى أن الوحدة اللغوية أو العبارة ترتبط بوحدة أو بعبارة ارتباطا ما. فيمكن أن نحصل على وحدات تدخل في حيز واحد:

المتقين - الذين يومنون
الكتاب - ما أنزل إليك
هدى - هدى

أو وحدات تتقابل:

الذين يومنون	الذين كفروا + لا يومنون
هدى	ختم الله على قلوبهم
المفلحون	لهم عذاب عظيم(=الخاسرون)

وقد أدرك الطاهر بن عاشور هذه البنية التقابلية وأشار إلى أن موقع (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم): « فموقع هذه الجملة في نظم الكلام مقابل موقع جملة « أولئك على هدى من ربهم» فلهذه الجملة مكانة بين ذم أصحابها بمقدار ما لتلك من المكانة في الثناء على أصحابها »[312] .

[312]- التحرير والتنوير – مج1 – ص 254 .

الفصل الثاني:
دراسة الانسجام في سورة البقرة

1- مدخل إلى تقسيم سورة البقرة

نريد في بداية معالجتنا للمدونة، وهي سورة البقرة، أن نضع مجموعة من المعالم نسير عليها في تقسيمنا لها من جهة ،وفي النظر إلى مسألة الانسجام فيها. وأول هذه المعالم وأهمها هو المقياس الذي يعتمد في التقسيم.

لقد درج المتعاملون مع النصوص على تقسيم يأخذ بعين الاعتبار الوحدة المعنوية (unité sémantique) التي تشكلها المقاطع المختلفة لنص ما. وربما يشكل هذا امتدادا لنظرة فان دايك إلى مكونات النص. ونحسب أن هذه الوحدة المعنوية بغض النظر عما جاء به فان دايك، هي التي وجهت المفسرين الذين يخرجون من إطار التتبع الخطي في التفسير. أي من آية إلى آية إلى تصور تعكسه بعض الاستعمالات لألفاظ معينة تعكس هذا الخروج من مثل: "الغرض" و"الغاية".

ونجد هذه النظرة المؤسسة على مفهوم الوحدة المعنوية عند بعض المفسرين كالطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" وسيد قطب في الظلال.

ولكن هناك نظرة أخرى وهي سابقة في الزمن، وتختلف من حيث إنها لا تعتمد على هذه الوحدة المعنوية المؤسسة على وحدة الموضوع، ولكنها تسعى في الوقت نفسه إلى تأسيس مجموعة من العلاقات التدريجية من خلال تتبع السورة من بدايتها إلى نهايتها. ويمثل هذه النظرة المفسر الكبير الرازي في "التفسير الكبير".

سنعرض باختصار هذه النظرات الثلاث على سبيل الاستئناس من جهة وعلى سبيل التمهيد لما نقترحه من تقسيم نستند فيه إلى مجموعة من الملاحظات النافذة التي أوردها خاصة المشتغلون بعلوم القرآن من أمثال الزركشي والسيوطي وعلى ملاحظات بعض المشتغلين في حقل الخطاب والتلفظ اليوم.

2- آراء بعض المفسرين في تقسيم سورة البقرة

1.2- عند سيد قطب

1.1.2- حول القرآن وسوره

يشير سيد قطب في بداية تناوله لهذه السورة أنها من أوائل ما نزل من السور بعد الهجرة. وهي أطول سور القرآن على الإطلاق. ويميل إلى ترجيح عدم نزول آياتها متوالية كلها حتى اكتملت. ولكن ما يلفت الانتباه لديه إشارة لطيفة نوردها هنا.
يقول:

« ومن ثم يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أن لكل سورة من سوره شخصية مميزة! شخصية لها روح يعيش معها القلب كما يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس! ولها موضوع رئيسي أو عدة مواضيع رئيسية مشدودة إلى محور خاص. ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها، ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو. ولها إيقاع موسيقي خاص إذا تغير في ثنايا السياق فإنما يتغير لمناسبة موضوعية خاصة... وهذا طابع عام في سور القرآن جميعا لا يشذ عن هذه القاعدة طوال السور كهذه السورة »[313]

[313]- سيد قطب : في ظلال القرآن .دار الشروق، ط 11 . ص 27.

إن أهم ما يشد في هذا القول هو ربط هذه السورة بالموضوع .ولئن ذهبنا لنجسد ما قاله من خلال خطابه فإننا نحصل على الآتي:

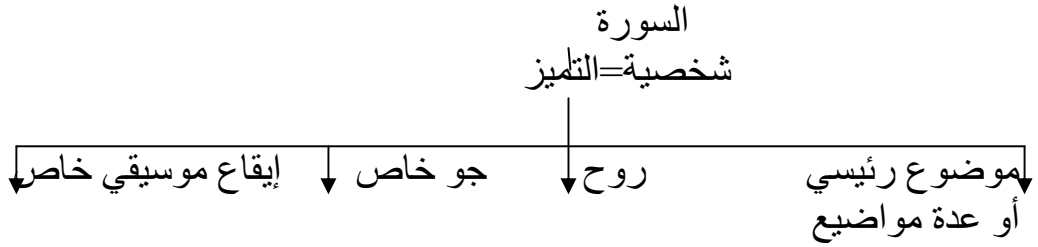

فالجانب الأول من هذه الشخصية وهو الروح له علاقة مع القلب والجانب الثاني يمس الموضوع أو المواضيع وهي ترتبط بمحور خاص. أما الجانب الثالث فهو الجو الخاص للسورة الذي ينعكس ظله على الموضوعات ليخلق بينها وبين هذا الجو تناسقا. وهكذا فإن:

روح السورة ع(=علاقة) القلب
الموضوع ع المحور
الجو الخاص للسورة ع[التناسق] المواضيع

2.1.2- نظرة سيد قطب إلى سورة البقرة:

تمثل سورة البقرة بالنسبة لسيد قطب عدة موضوعات يجمعها محور واحد مزدوج جانبه الأول يتعلق بموقف بني إسرائيل من الدعوة في المدينة، وجانبه الثاني يدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض. ويشير سيد قطب بوضوح إلى أن كل موضوعات السورة تدور حول هذا المحور المزدوج بخطيه الرئيسين.

ويحاول أن يربط بين هذه المواضيع وهذا المحور المزدوج فيمهد له بعرض ما يسميه بالملابسات التي نزلت آيات السورة لمواجهتها ابتداء فيتناول مسألة الهجرة وأسبابها وآثارها على قريش من جهة وعلى اليهود في المدينة. ثم يقدم مواضيع السورة ونرى أن تقدمها في الخطاطة الآتية:

مواضيع سورة البقرة

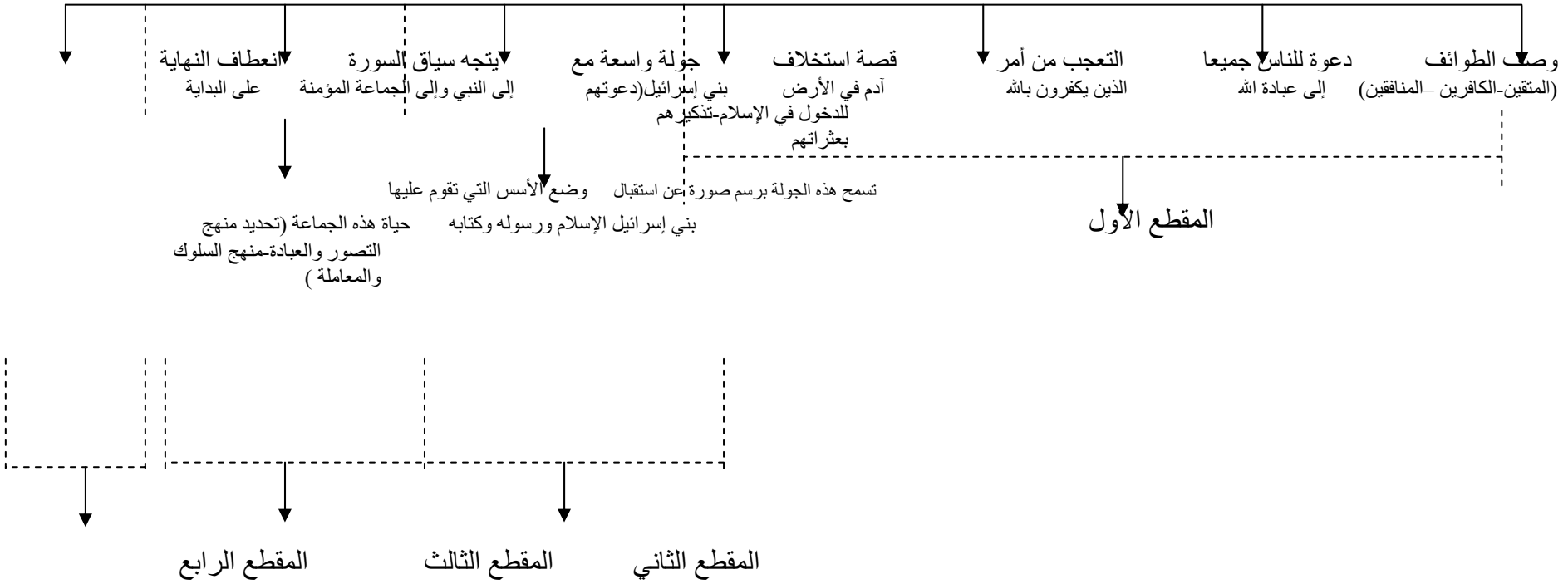

حين يتعلق الأمر بالخروج من موضوع السورة كأن يكون الكلام عن المومنين وما يتعلق بهم فيتخلله إشارة إلى بني إسرائيل مثلا وهذا ما هو واقع في الموضوع ما قبل الأخير فإن ذلك لا يعدو أن يكون خدمة للسياق الذي تندرج فيه هذه الخروجات. يقول سيد قطب «... وفي مناسبات معينة يرجع السياق إلى الحديث عن بني إسرائيل من بعد موسى وعن حلقات من قصة إبراهيم ولكن جسم السورة – بعد الجزء الأول منها– ينصرف إلى بناء الجماعة المسلمة وإعدادها لحمل أمانة العقيدة».[314]

وتمثل الخطاطة السابقة الصورة العامة التي تمكنا من رسمها ونحن نتتبع تفسير سيد قطب لهذه السورة. وهي تبين بوضوح الابتعاد عن التفسير الخطي الذي ينتقل فيه المفسر من آية إلى التي تليها. فصاحب الظلال يتكلم عن مقاطع في التقسيم. وبأخذ مقاطع يرتبط كل مقطع منها بموضوع. ويسعى لربط هذه المواضيع بعضها ببعض. وفي الحالات التي يخرج مقطع ما عن السياق الذي يدرج فيه كلامه عن سياق آخر أو حين لا يتماشى سياق مع سياق كأن يتعلق الأمر بالاستطراد فإنه يحاول أن يبحث له عن مناسبة حتى يربطه بما قبله. فمثلا حينما يأتي إلى تفسير الجزء الذي بدأ من قوله سبحانه وتعالى: " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض... إلى آخر السورة " فإن الذي يربط هذا الجزء بالجزء الذي يسبقه هو ما انتهى به الجزء الذي سبق. فالآية التي اختتم بها الجزء الذي يسبق هذا الجزء هي قوله عزوجل:
"تلك آيات نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين" [315]

---

[314]- في ظلال القرآن – ص 34.
[315]- نفسه .ص 275.

وهكذا يستل سيد قطب من هذه النهاية علاقة تحقق الربط مع ما يأتي بعد. يقول سيد قطب في هذا السياق:

« ... هذه البقية (أي الجزء الأخير) تأتي بعد قوله لنبيه ε في نهاية الجزء الثاني من السورة: « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين». فنهاية الجزء الثاني كانت عن قوم موسى وكانت حديثا عن داود عليه السلام وكانت كذلك إشارة إلى رسالة النبي ε وإلى تزيده بتجارب المرسلين»[316]

.....المرسلين. تلك الرسل

« فمناسبة الاستطراد واضحة في الحديث عن الرسل بين أواخر الجزء الثاني وأوائل الجزء الثالث... والمناسبة كذلك واضحة في سياق السورة كله»[317].

(316)- نفسه . ص 275.
(317)- نفسه . ص 275.

2.2- سورة البقرة من منظور الطاهر بن عاشور:

يحدد صاحب " التحرير والتنوير" بعض المعطيات المتعلقة بالسورة .فيشير إلى بداية نزولها في السنة الأولى للهجرة في أواخرها أو في الثانية. غير أن وجود أحكام الحج والعمرة وأحكام القتال مع المشركين في الشهر الحرام والبلد الحرام يدل على أن نزولها استمر إلى سنة خمس أو ست من الهجرة، بل قد يكون ممتدا إلى ما بعد سنة ثمان كما يقتضيه قوله«الحج أشهر معلومات ....إلى قوله لمن اتقى»[318].
وتعد السورة السابعة والثمانين في ترتيب النزول بعد سورة "المطففين" وقبل "آل عمران".

[318]- التحرير والتنوير. ص 201-202.

1.2.2- أغراض سورة البقرة:

وحين نتتبع الطاهر بن عاشور في تقسيمه للسورة نجد أنه يعتمد مصطلح الأغراض. وسورة البقرة بالنسبة إليه يتقاسمها غرضان شاملان أولهما يتعلق بإثبات سمو الدين الذي جاء به النبي ε على ما سبقه وثانيا يتعلق بتبيان شرائع هذا الدين. وفي هذه النظرة إلى السورة صورة لكيفية قراءة أو لنقل صورة لكيفية صنع انسجام لها [319]. ويتكون هذان الغرضان الشاملان من أغراض تفصيلية. ودون أن ندخل في كثير من التفاصيل فإننا نحاول أن نقدم السورة في شكل خطاطة تعكس هذه الأغراض التي تكلم عنها وعلاقات بعضها ببعض.

[319]- تذكرنا هذه المسألة المتعلقة بالانسجام بالعلاقة التي تنشأ بين المتلقي وبين ما يتلقى. وقد أشرنا إلى هذا مع مانغونو في ما يُعرف عنده بتعدد الانسجامات بحسب تعدد المتلقين.

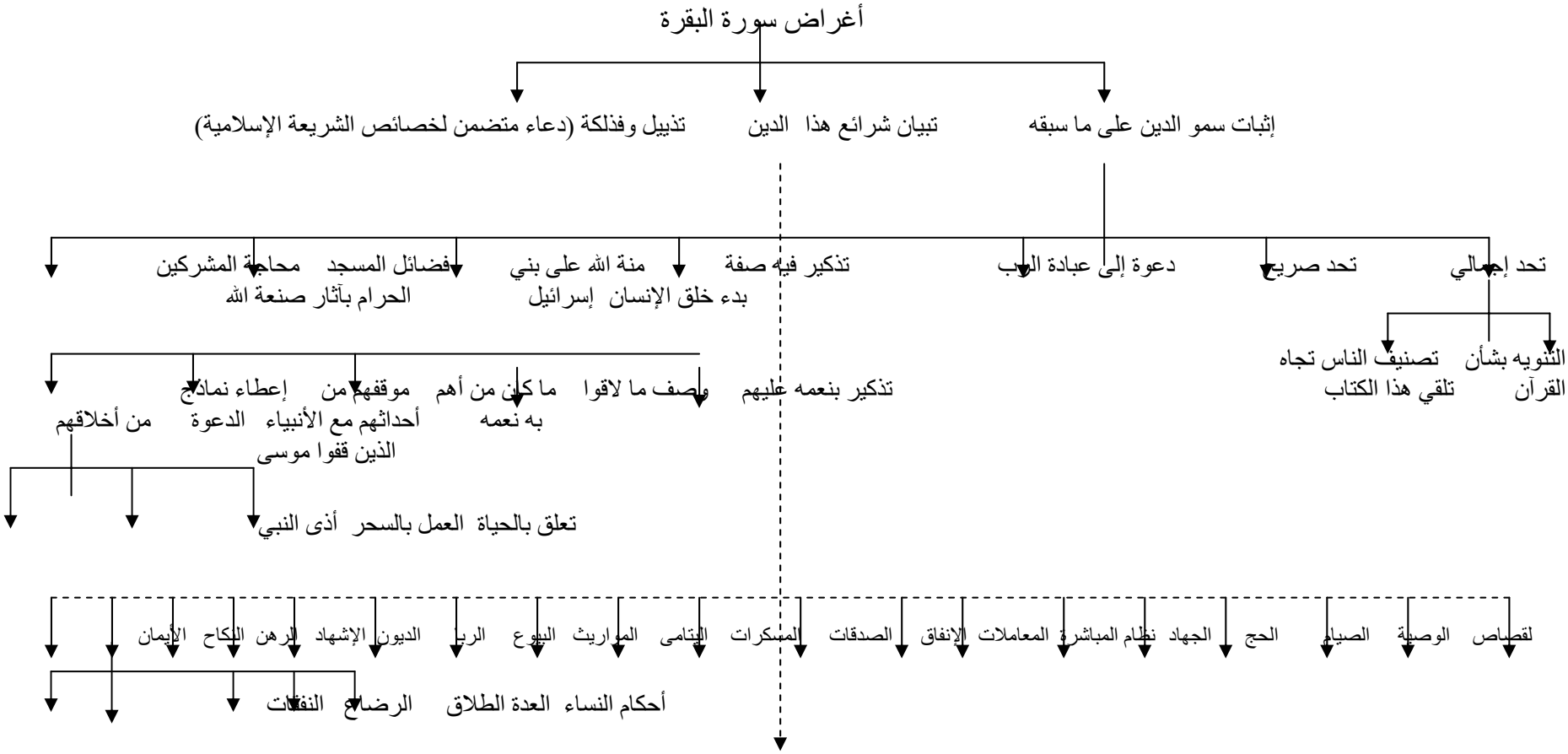
أغراض سورة البقرة
إثبات سمو الدين على ما سبقه
تبيان شرائع هذا الدين
تذييل وفذلكة (دعاء متضمن لخصائص الشريعة الإسلامية)
تحد إجمالي
تحد صريح
دعوة إلى عبادة الرب
تذكير فيه صفة
منة الله على بني إسرائيل
بدء خلق الإنسان
فضائل المسجد الحرام بآثار صنعة الله
محاجة المشركين
التنويه بشأن القرآن
تصنيف الناس تجاه تلقي هذا الكتاب
تذكير بنعمه عليهم
وصف ما لاقوا
ما كان من أهم به نعمه
موقفهم من أحداثهم مع الأنبياء الذين قفوا موسى
إعطاء نماذج من أخلاقهم الدعوة
تعلق بالحياة
العمل بالسحر
أذى النبي
لقصاص
الوصية
الصيام
الحج
الجهاد
نظام المباشرة
المعاملات
الإنفاق
الصدقات
المسكرات
اليتامى
المواريث
البيوع
الربا
الديون
الإشهاد
الرهن
النكاح
الأيمان
أحكام النساء
العدة
الطلاق
الرضاع
النفقات

2.2.2- كيف يتحقق الربط بين الأجزاء؟

يستند الطاهر بن عاشور على مفهوم التخلص وهو مفهوم يسمح له بالتحرك في سياقات السورة الواسعة، ذلك أن هذه السورة مترامية الأطراف كما يقول: " هذه السورة مترامية أطرافها وأساليبها ذات أفنان قد جمعت من وشائج أغراض السور ما كان مصداقا لتلقيبها فسطاط القرآن. فلا نستطيع إحصاء محتوياتها بحسبان... وقد حيكت بنسج المناسبات والاعتبارات البلاغية من لحمة محكمة في نظم الكلام، وسدى متين من فصاحة الكلمات " (320)

ويمثل هذا القول سياقا لبنية حجاجية يكون فيها هذا القول حكما ويعتبر ما يأتي بعد استدلالا عليه. ومن هنا يأخذ مفهوم التخلص دلالته القوية. ولو تتبعنا المسألة بشيء من التدقيق لوجدنا أن كل سياق يمهد لسياق لاحق. ونحاول أن نمثل هنا لمسألة علاقات السياقات المختلفة اعتمادا على مفهوم التخلص من خلال مقطع من السورة:

(320)- نفسه. ص 203.

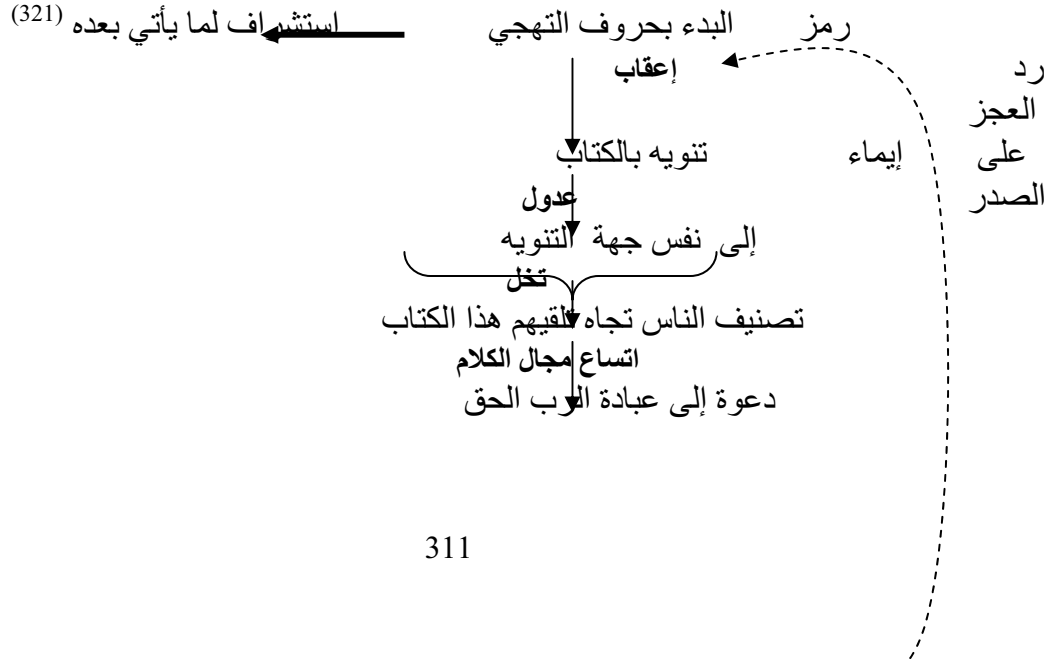

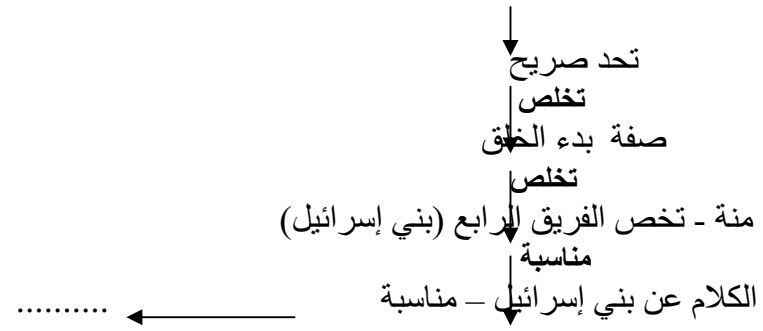

(321)- نفسه . ص 228.

3.2.2- العلاقات في البنية الخطية للسورة:

نقصد بالبنية الخطية للسورة تتابع جملها. وقد لفت انتباهنا محاولات الطاهر بن عاشور تحديد مجموعة من العلاقات حتى في الحالات التي يغيب فيها الرابط الشكلي. ويحسن بنا في هذا السياق أن نتناول بداية سورة البقرة إلى المقطع الذي ينتهي عند **يوقنون**. والمقطع هو:

(آلم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يومنون بما أنزل إليك وما إنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون).

يقرأ الطاهر بن عاشورهذا المقطع عدة قراءات تركيبية. سنحاول أن نمثلها بأشكال تمييزية:
الحالة الأولى وهي وليدة تناوله لمسألة ابتداء بعض سور القرآن ببعض الحروف التي أوصلته إلى أن **آلم** التي افتتحت بها سورة البقرة لا ترتبط إعرابا بما بعدها وبعبارة أصح لا يرتبط ما بعدها بها. يقول في هذا السياق: «مبدأ الكلام (إشارة إلى ذلك الكتاب) لا اتصال له في الإعراب بحروف آلم كما علمت مما تقدم على جميع الاحتمالات كما هو الأظهر». (322)

وعليه فالشكل التركيبي للمقطع يكون هكذا:

آلم	ذلك الكتاب	لا ريب فيه هدى للمتقين
	مبتدأ ↓ خبر ↓	خبر أول ↓

(322)- نفسه. ص219.

فنحن بهذا أمام جملتين الأولى تمثلها الحروف التي افتتحت بها السورة والثانية ابتداؤها من "ذلك" ويربط الجملتين من طرف خفي بواسطة الإحالة. يقول: «وقد جوز صاحب الكشاف على احتمال أن تكون حروف **آلم** مسوقة مساق التهجي لإظهار عجز المشركين عن الإتيان بمثل بعض القرآن أن يكون اسم الإشارة مشارا به إلى آلم باعتباره حرفا مقصودا للتعجيز... فيكون **آلم** جملة مستقلة مسوقة للتعريض. واسم الإشارة مبتدأ والكتاب بدل وخبره ما بعده».(323)

وهناك قراءة تركيبية أخرى هي:

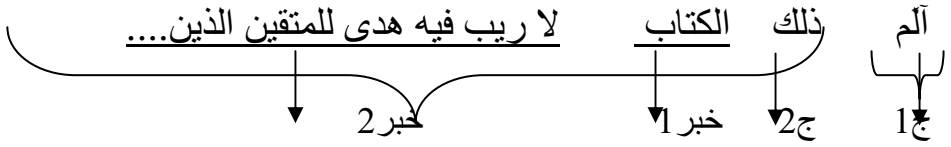

والحالة الثالثة هي :

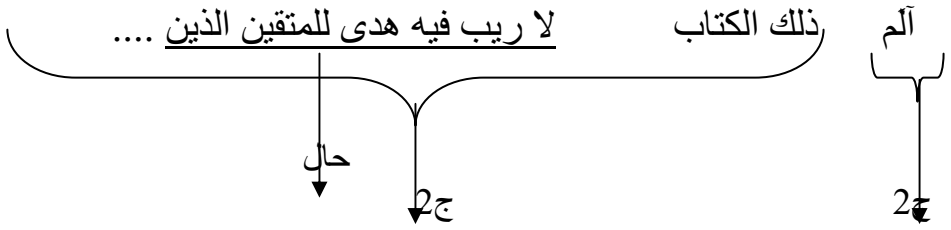

وفي هاتين الحالتين أيضا نحن أمام جملتين يبقى الرابط بينهما هو هذا التوجه الذي أشرنا إليه من أن اسم الإشارة "ذلك" يحيل على **آلم**.

ولا تهمنا كثيرا الجمل المندرجة في حيز الجملة الثانية فحكمها حكم المفرد وبالتالي فالأساس التركيبي كاف في هذه للكلام عن الاتساق في مستواه الأول أو ما يعتبره هاليداي ورقية حسن اتساقا بنويا.

---

(323)- نفسه . ص 219.

غير أن ما يلفت الانتباه هو رجوع الطاهر بن عاشور إلى الزمخشري ليفسر مسألة الالتئام بين الجمل الأربعة (وهي نظرة تركيبية أخرى). يقول:

" وتلتئم الجمل الأربعة كمال الالتئام: فإن جملة (آلم) تسجيل لإعجاز القرآن... وجملة (ذلك الكتاب) تنويه بشأنه وأنه بالغ حد الكمال في أحوال الكتب... وجملة (لا ريب) إن كان الوقف على قوله (لا ريب) تعريض بكل المرتابين فيه من المشركين وأهل الكتاب ...وإن كان الوقف على قوله(فيه) كان تعريضا بأهل الكتاب... " (324)

والذي يمكننا أن نستشفه من هذا السياق أن مرد كمال الالتئام هذا هو دوران الجمل الأربعة في فلك الكتاب .فلو رمزنا للجمل الأربعة بالرموز أ وب وج ود لأمكننا تمثيل هذه العلاقة بينها كما يلي:

أ ∩ ب ∩ ج ∩ د ∩ = القرآن

وبمنظور حديث فإن الجمل الأربعة تتحد في الموضوع ويمكن تجسيد هذه العلاقات هكذا:

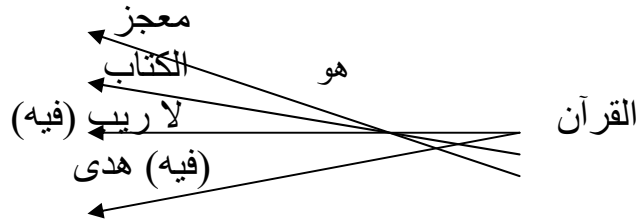

(324)- نفسه . ص 227.

والذي تجدر الإشارة إليه أن المتتبع للطاهر بن عاشور في تفسيره، يكتشف أن هاجس البحث عن العلاقات يصاحبه دائما. وما الكلام عن اللحظة المحكمة في نظم الكلام ألا تعبيرا صريحا عن هذا الهاجس. بل ولا يخلو سياق في سورة البقرة من محاولة إيجاد علاقة تربطه بما يسبقه. ويستند هذا الربط إكا إلى المعطى النحوي (البحث عن العلاقات النحوية المختلفة بين الجمل)، وإما إلى المعطى البلاغي بواسطة البحث عن العلاقات الدلالية بين الجمل. ولا بأس من أن نأخذ جزءًا من السورة ونضع بعده تعليق الطاهر بن عاشور عليه.

(كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون /
استئناف حال/استدلال عطف/تفريع على الاستدلال

هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات
استئناف/استدلال ثان استدلال

وهو بكل شيء عليم). (آ 28-29)
نتيجة لما ذكر من دلائل القدرة

(/) يشير إلى الفصل وهو فصل لكمال الاتصال.

يقول الطاهر بن عاشور في هذا السياق:

« ثني عنان الخطاب إلى الناس الذين خوطبوا بقوله آنفا: « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم»، بعد أن عقب بأفانين من الجمل المعترضة من قوله: «وبشر الصابرين الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري- إلى قوله- الخاسرون». وليس في قوله «كيف تكفرون بالله» تناسب مع قوله « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما» وما بعده مما حكي عن الذين كفروا في قولهم « ماذا أراد الله بهذا مثلا» حتى يكون الانتقال إلى الخطاب في قوله « تكفرون» التفاتا. فالمناسبة بين موقع هاته الآية بعد ما قبلها هي مناسبة اتخاذ الغرض بعد استيفاء ما تخلل واعترض.

ومن بديع المناسبة وفائق التفنن في ضروب الانتقالات في المخاطبات أن كانت العلل التي قرن بها الأمر بعبادة الله تعالى في قوله « يا أيها الناس اعبدوا ربكم»...إلخ هي العلل التي قرن بها إنكار ضد العبادة وهو الكفر به تعالى في قوله هنا « كيف تكفرون بالله». فقال فيما تقدم « الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء» الآية. وقال هنا« وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى إلى السماء »، وكان ذلك مبدأ التخلص إلى ما يسرد من بيان ابتداء انشاء نوع الإنسان وتكوينه وأطواره»[325]

[325]- نفسه . ص373.

3.2- سورة البقرة من خلال الرازي:

1.3.2- الكليات التي يؤسس عليها الرازي تفسيره:

لئن كنا قد رأينا أن الطاهر بن عاشور ينطلق في تفسيره لسورة البقرة ولغيرها من السور من منظور وجود غرض أو أغراض لكل سورة، ثم يؤسس العلاقات بين مختلف الأجزاء التي يحددها استنادا إلى مفهوم التخلص كما مثلنا ذلك سابقا، فإن منطلق الرازي الذي سبقه زمنا يؤسس تفسيره كله على مجموعة من الكليات يتحرك في إطارها.

وأولى هذه الكليات تتعلق بالكلام من حيث هو علاقات تصل في درجة التحامها إلى التعبير عن الكلام الكثير بلفظة الكلمة. ويبرر هذا الاستعمال بقوله: «لفظ الكلمة يستعمل في اللفظة الواحدة ويراد بها الكلام الكثير الذي قد ارتبط بعضه ببعض كتسميتهم القصيدة بأسرها كلمة... وإطلاق لفظ الكلمة على المركب مجاز لوجهين:

- أن المركب إنما يتركب من المفردات فإطلاق لفظ الكلمة على الكلام المركب يكون إطلاقا لاسم الجزء على الكل
- أن الكلام الكثير إذا ارتبط بعضه ببعض حصلت له وحدة فصار شبيها بالمفرد في تلك الوحدة »[326]

ويهمنا هنا مسألة الارتباط المؤدي إلى الوحدة المسوغة لاستعمال لفظة الكلمة للدلالة على الكلام .والواقع أن هذه النظرة ليست جديدة فالجاحظ من قبل ذهب إلى أبعد من هذا في مسألة شدة التماسك .فهو حين يتكلم عن العلاقات التي تتم بين الكلمات في بناء الشعر يؤسسها على مبدأ التآلف يقول: « وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مرضيا موافقا كان على اللسان عند إنشاء ذلك الشعر مؤونة»[327] ويواصل في هذا السياق نفسه: «وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملساء

[326]- التفسير الكبير – مجـ1، جزء 1 ، ص 23
[327]- الحافظ البيان والتبيين ص 89

ولينة المعاطف سهلة وتراها متباينة ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده والأخرى تراها سهلة لينة خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد» [328]

واستعمال الجاحظ هنا لمصطلح **الجزء** وهو استعمال يحتاج إلى مسح في ما كتب الجاحظ في البيان خاصة وفي غيره من مؤلفاته مما فيه إشارة إلى هذه المسألة، لا يهمنا، وإنما الذي يهمنا هو هذه النظرة إلى شدة الالتحام وإلى كيفية التعبير عنها .فإذا كانت حروف الكلام وأجزاء البيت متفقة والاتفاق هنا يؤسس التآلف بينها، فإن هذا الاتفاق يجعل الكلام بأسره والبيت بأسره كلمة واحدة من حيث هي متكونة من حروف إذ تصبح كالحرف الواحد. وهكذا فإن التآلف يتدرج من الكلمة إلى الكلام ويصبح مؤسسا للكلام عامة والشعر خاصة من أدنى مستوى وهو تآلف حروف الكلمة إلى أعلى مستوى وهو تآلف أجزاء الكلام. ونكون حينئذ أمام شعاع يمكن قراءته في الاتجاهين هكذا:

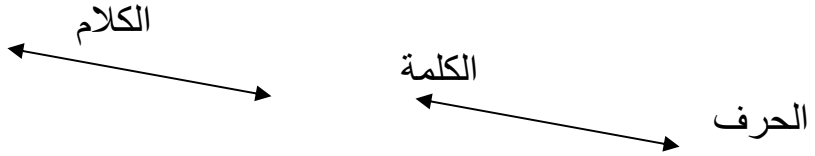

والحقيقة أن هذه النظرة بقيت مستمرة إلى ما بعد الرازي ففي المجال النقد الأدبي يشير ابن طباطبا إلى أن «أحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله... يجب أن تكون القصيدة ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجا حسنا وفصاحة وجزالة ألفاظ... حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغا تقتضي كل كلمة ما بعدها ويكون ما بعدها متعلقا بها مفتقرا إليها» [329]

[328]- نفسه ص 89

[329]-ابن طباطبا عيار الشعر ص 31

فكما أن شدة الارتباط جعلت الكلام الكثير كلمة واحدة عند الرازي، فإن القصيدة لاقتضاء كل كلمة فيها ما بعدها وافتقار كل كلمة لاحقة إلى سابقتها تصبح ككلمة واحدة.[330]

وأما الكلية الثانية فتتعلق بالقرآن فهو (أي القرآن) من حيث هو كلام يحكمه قانون التآلف ومن ثم فهو لشدة تآلفه «جاء كالكلمة الواحدة» ومن منطلق هذا الحكم يبقى فقط معرفة الوجوه التي تحققت بها هذه الخاصية.

يمثل تفسير الرازي بأكمله محاولة إثبات لهذه النظرة .ويعالج هذه المسألة من خلال محورين، محور كلي يتعلق بالعلاقات بين السور وفق ترتيبها في المصحف ومحور تفصيلي يتعلق بالعلاقات التي تنشأ بين الآيات أو مجموعة الآيات في السورة.

ففيما يتعلق بالمحور الأول يستند إلى تسمية الفاتحة بأم القرآن ويؤسس على دلالة هذه التسمية علاقة بين الفاتحة وبين باقي القرآن يقول:

« هذه السورة مسماة بأم القرآن فوجب كونها كالأصل والمعدل وأن يكون غيرها كالجداول المتشعبة»[331].

ويؤكد هذه النظرة في سياق آخر وهو بصدد تفسير الفاتحة فيقول: «... ثم إن جملة القرآن كالنتائج والشعب من الفاتحة»[332]

[330]- الواقع أن هذه الإشارات الطريفة للكلام والمؤسسة على مفهومي التآلف والتنافر يمكن إدراجها في سياق الإشارات النصية العربية.وهو موضوع يحتاج إلى بسط أكبر بتتبع المهتمين بمسألة الكلام سواء أكانوا من نقاد الأدب وما أكثر الإشارات عندهم أو من البلاغيين وهم لا يقلون عن النقاد .ولكن أيضا عند المفسرين والمهتمين بعلوم القرآن الذين وضعوا نصب أعينهم مسألة المناسبة بين الآيات والمناسبة بين السور بل إن التأليف في هذا الموضوع أي المناسبة حظي بعناوين خاصة به منها على سبيل المثال:

- البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور .دار الكتب العلمية- بيروت-1995

- السيوطي: تناسق الدرر في تناسب السور. دار الكتب العلمية- بيروت 1986

[331]- التفسير الكبير مج$_1$ ، جزء$_1$، ص186 .

[332]- نفسه ص 270

والحقيقة أنه يبين في سياق آخر مبررات تسمية الفاتحة بأم القرآن. يتعلق الأمر في هذه الحالة باعتبار ما في القرآن كله تفصيلا موجودا في الفاتحة إجمالا:

« فالمقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة: الإلهيات والمعاد والنبوات وإثبات القضاء والقدر لله تعالى. فقوله (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم) يدل على الإلهيات وقوله (مالك يوم الدين) يدل على المعاد وقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) يدل على نفي الجبر والقدر وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدرته وقوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

يدل أيضا على إثبات قضاء الله وقدره وعلى النبوات... فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة وكانت هذه السورة مشتملة عليها لقبت بأم القرآن»[333]

ومن منطلق علاقة الإجمال والتفصيل يقارن بين السور المفتتحة بالحمد لله وهي أربعة: الأنعام والكهف وسبأ وفاطر ليبين مفهوم الإجمال في الفاتحة ومفهوم التفصيل في غيرها من هذه السور الأربعة. ونستحسن في هذا السياق أن نقدم هذه العلاقات بصورة مختصرة في الشكل الآتي:

(333)- نفسه ص 179

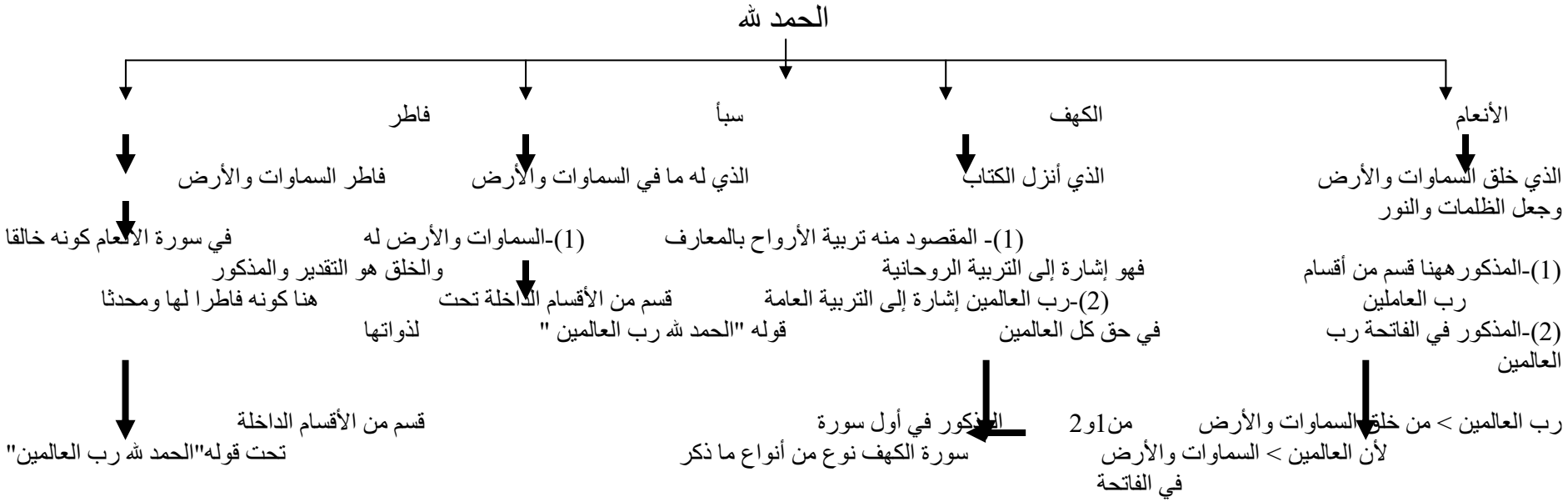

التفسير الكبير مجلد1.ص 176-177

وإذا كانت هذه العلاقات بين الفاتحة وبين بقية السور تندرج في سياق إثبات مقولة أن القرآن كالكلمة الواحدة وهي مقولة يؤسس عليها الرازي تفسيره كما أشرنا إلى ذلك سابقا فإن إثبات هذه المقولة على مستوى كل سورة من حيث هي مجموعة من الآيات المرتبة يمثل سمة مميزة لتفسير الرازي.

والحقيقة أن هذه المسألة تحتاج لوحدها إلى دراسة مستفيضة يتتبع فيها الباحث تفسير الرازي كله، ليتمكن من تحديد كل الوسائل التي يوظفها لإثبات العلاقات بين الآيات داخل السورة الواحدة. وحسبنا هنا أن نتتبع بعض إشاراته في سورة البقرة .

لقد مكنتنا متابعة الرازي في تفسيره سورة البقرة من أن نخرج بخلاصتين أولهما أن كل لاحق من الآيات يرتبط بالسابق منها. وقد أعطتنا هذه النظرة مجموعة من المصطلحات التي يحدد بها الرازي هذه العلاقات. ويمكننا جردها في الآتي:

وجه تعلق.....بما قبله
موقع ..... من نظم الكلام
تعلق..... بما قبله
أي مناسبة بين.....وبين.....
فك النظم
نظام الكلام
وجه اتصال.....بما قبله
رعاية النظم
اتصال بعض الكلام ببعض
وجه النظم في .....

ولا يخفى أن هذه المجموعة المصطلحية التي دار في فلكها الرازي تحكمها أساسا علاقة ما هو لاحق بما هو سابق. وهكذا يعكس حرص الرازي على ضرورة إيجاد علاقة ما بين ما هو بصدد تفسيره وما سبق أن فسره.

إن البحث عن هذه العلاقات تظهر أهمية الاهتمام به من خلال السياقات التي تبدو منفصلة عن بعضها البعض وسنعطي هنا عينتين لهذه المسألة تبينان بوضوح ما أشرنا إليه:

العينة الأولى :

يتعلق الأمر في بداية سورة البقرة بالكلام عن فرق ثلاثة هم المومنون والكافرون والمنافقون. حتى إذا انتهى الكلام عن هذه الفرق نجد انتقالا إلى نداء الناس. وهذا الانتقال يدفع بالرازي إلى إيجاد مسوغات له تسمح بإيجاد علاقة بين هذين الجزأين. يقول في سياق معالجته لهذا الانتقال:

«... أن الله تعالى لما قدم أحكام الفرق الثلاثة أعني المومنين والكفار والمنافقين أقبل عليهم بالخطاب وهو من باب الالتفات المذكور في قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) وفيه فوائد :

- أن فيه مزيد هز وتحريك من السامع.
- كأنه سبحانه وتعالى يقول: جعلت الرسول واسطة بيني وبينكم أولا ثم الآن أزيد في إكرامك وتقريبك فأخاطبك من غير واسطة ليحصل لك مع التنبيه على الأول شرف المخاطبة والمكالمة.
- أنه مشعر بأن العبد إذا كان مشتغلا بالعبودية فإنه يكون أبدا في الترقي بدليل أنه في هذه الآية انتقل من الغيبة إلى الحضور.
- أن الآيات المتقدمة كانت في حكاية أحوالهم وأما هذه الآيات فإنه أمر وتكليف ففيه كلفة ومشقة فلا بد من راحة تقابل هذه التكلفة وتلك الراحة أن يرفع ملك الملوك الواسطة من البين ويخاطبهم بذاته» [334].

[334] التفسير الكبير، مجـ جزء2 ص90

العينة الثانية:

وهناك سياق آخر يتخلله سياق يكسر وتيرة الخطاب فيه يتعلق الأمر هنا بالمقطع[335] الذي يبدأ بتوجيه خطاب إلى الناس .ففي هذا المقطع نجد خطابا آخر موجها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم باستعمال الضمير أنت ثم يعود الخطاب إلى استعمال أنتم هكذا :

يا أيها الناس (أنتم) أنت(=ε) أنتم

ويحاول إيجاد علاقة تبرر العطف في قوله تعالى «وبشر الذين آمنوا» وهي بداية السياق الذي يتخلل المقطع. يقول:

« ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه. إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المومنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والضرب وبشر عمرا بالعفو والإطلاق.

- أنه معطوف على قوله (فاتقوا) كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما خبيتم وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم.
- قرأ زيد بن علي (وبشر) على لفظ المبني للمفعول عطفا على (أعدت)»[336]

[335]- المقطع هو: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون. الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون. وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين [وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ...] كيف تكفرون بالله ..الخ الآية)

[336]- التفسير الكبير. مجـ1. ج2 . ص 138.

2.3.2- سورة البقرة كبنية موضوعاتية عند الرازي :

لقد رأينا من خلال عرضنا السابق أن هناك محاولات لتحديد موضوع السورة كما هو الحال عند سيد قطب أو أغراض كما هو الحال عند الطاهر بن عاشور. والحقيقة أن الرازي كان الأسبق إلى هذه المسألة بحكم الأسبقية الزمنية ولكن بالإضافة إلى هذه الأسبقية الزمنية هناك ميزة تميزه وهي تحديد المواضيع وحيزها. فهو حينما يتكلم عن موضوع ما يحدده في فضاء السورة باستعمال عبارات من مثل:

- لما تكلم في .....إلى هذا الموضوع فمن هذا الموضوع إلى قوله ....شرع في....
- اعلم أنه لما ذكر .....إلى ههنا شرع من هنا في .....
- اعلم انه لما شرح.....أراد من ههنا .....

وبالإضافة إلى هذه العبارات التي تسمح بتحديد مواضيع جزئية يمكن ضمها إلى بعضها لتكون مواضيع أكبر. فإن هناك سياقات تسمح للقارئ باستخراج تصور عام لمواضيع سورة البقرة. ولقد لفت انتباهنا إشارات بدا لنا أنها تسمح أن نرسم مخطط مواضيع هذه السورة. وأولى هذه الإشارات حينما وصل إلى قوله « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون » يقول:

«اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أولا ثم عقبها بذكر الانعامات العامة لكل البشر عقبها بذكر الانعامات الخاصة على أسلاف اليهود كسرا لعنادهم ولجاجهم بتذكير النعم السالفة واستمالة لقلوبهم بسببها وتنبيها على ما يدل على نبوة محمد ε من حيث كونها إخبارا عن الغيب واعلم أنه سبحانه ذكرهم تلك النعم أولا على سبيل الإجمال... وفرع على تذكيرها الأمر بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم عقب بذكر الأمور التي تمنعهم من الإيمان به .ثم ذكرهم تلك النعم على سبيل الإجمال ثانيا... ثم شرع بعد ذلك في تحديد النعم على سبيل التفصيل»[337].

[337]- التفسير الكبير.مجـ2. ج1. ص30.

وتسمح هذه الإشارة الأولى بتحديد الموضوعات التالية:

1- دلائل التوحيد والنبوة والمعاد
2- الإنعامات العامة لكل البشر
3- ذكر الإنعامات التي أنعمها على بني إسرائيل

وأما الإشارة الثانية فنجدها حين يصل إلى تفسير قوله تعالى: «وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن...» يقول:

«اعلم أنه سبحانه وتعالى لما استقصى في شرح وجوه نعمه على بني إسرائيل ثم في شرح قبائحهم في أديانهم وأعمالهم وختم هذا الفصل بما بدأ بهوهو قوله (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي) إلى قوله(ولا هم ينصرون) شرع سبحانه هاهنا في نوع آخر من البيان وهو أن ذكر قصة إبراهيم عليه السلام....فحكى الله عن

إبراهيم أمورا توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبول محمد ε»[365]

وتسمح هذه الإشارة بإضافة موضوع رابع هو ذكر قصة إبراهيم.

وأما الإشارة الثالثة فتوجد مع تفسيره لقوله تعالى:«يا أيها الناس كلوا من طيبات ما رزقناكم..» يقول :«...ثم نقول إن الله سبحانه وتعالى تكلم من أول السورة إلى ههنا في دلائل التوحيد والنبوة واستقصى الرد على اليهود والنصارى ومن هنا شرع في بيان الأحكام »[338].

وهكذا فبضم هذه الإشارات إلى بعضها وتتبع الرازي في بعض الإشارات الجزئية الأخرى يمكن رسم مخطط مواضيع سورة البقرة عند الرازي كما يأتي:

---

[338]- نفسه . ص 36.

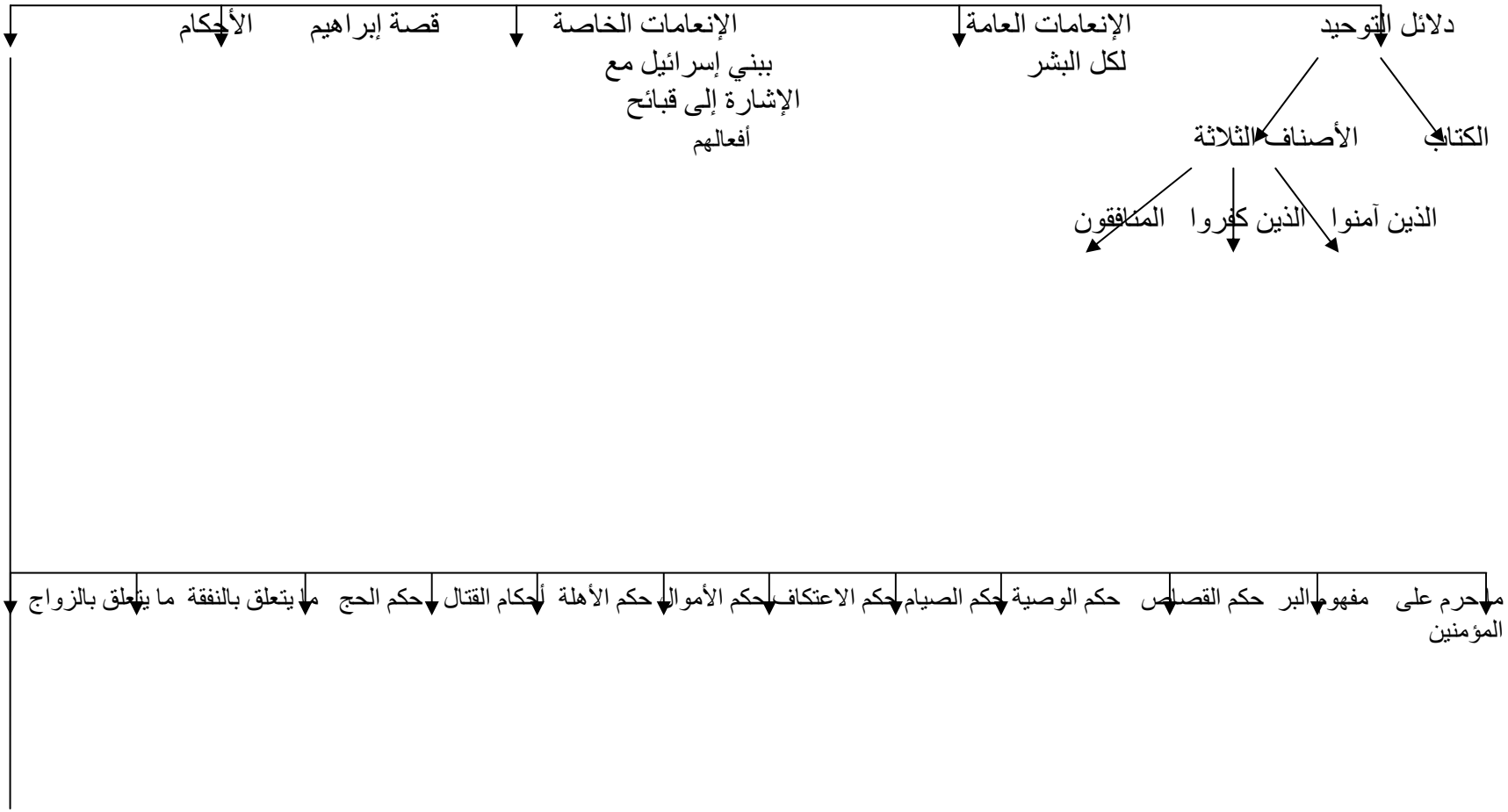
دلائل التوحيد
الإنعامات العامة لكل البشر
الإنعامات الخاصة ببني إسرائيل مع الإشارة إلى قبائح أفعالهم
قصة إبراهيم
الأحكام
الكتاب
الأصناف الثلاثة
الذين آمنوا
الذين كفروا
المنافقون
ما يحرم على المؤمنين
مفهوم البر
حكم القصاص
حكم الوصية
حكم الصيام
حكم الاعتكاف
حكم الأموال
حكم الأهلة
أحكام القتال
حكم الحج
ما يتعلق بالنفقة
ما يتعلق بالزواج

3- محاولة لتحليل الانسجام في سورة البقرة :

1.3- البعد الخطابي وأهميته في تحليل الانسجام:

لقد تبين لنا من خلال عرض ما جاء في تفسير سورة البقرة عند سيد قطب والطاهر بن عاشور والرازي أن هناك قاسما مشتركا بين هؤلاء المفسرين من حيث محاولة تحديد مواضيع للسورة وإن كان هناك توجه عند الرازي والطاهر بن عاشور إلى طرح مسائل لغوية لمعالجة الكيفيات التي يتم بها الربط في البنية الخطية للسورة، مما جعل تفسيريهما مزاوجة بين البحث عن الاتساق باعتباره علاقات بين الجمل والانسجام باعتبار استناده إلى كون النص يبلور موضوعا.

ونريد هنا أن نقترح مسارا آخر لمعالجة الانسجام في سورة البقرة استنادا إلى ما توفره اللغة من معطيات تساعد على تصور عدد من المداخل للسورة. ولقد بدا لنا ونحن نتأمل هذه السورة أنه بإمكاننا أن نعتمد على بعد يمكن تسميته بالبعد الخطابي ويسمح هذا البعد بتحديد الأجزاء التي تكون السورة. ولا بد هنا من أن نوضح هذه المسألة أكثر.

ما المقصود بالبعد الخطابي؟ نقصد بالبعد الخطابي أن أي متكلم حينما يتكلم فإنه يريد أن يقول شيئا ليصل به إلى شيء. وفي قوله هذا الشيء هناك من يوجه إليه الكلام ومن ثم نحصل على عناصر العملية الخطابية وهي:

المخاطِب المخاطَب وما يقال للمخاطَب

والذي تسمح به اللغة أنها توفر عناصر تحدد به أقطاب هذه العملية ضمن الخطاب فيظهر المخاطِب في خطابه بواسطة الضمير "أنا" أو "نحن" كما يحدد هذا المخاطِب مخاطَبه بواسطة الضمير "أنت" بتنويعاته المختلفة أو بواسطة عبارات لغوية كالنداء مثلا، ومن ثم نستطيع استنادا إلى هذا المنظور أن نجد عدة بنى خطابية في النص الواحد.

وعلينا ألا نستغرب حين نجمع بين النص الواحد وتعدد البنى الخطابية فيه، فهذه مسألة أوضح من أن توضح إذ في النص الواحد نجد توجيها للخطاب إلى عدة مخاطبين، ويكفي هنا الإشارة إلى مسألة الالتفاب في قسم الضمائر من حيث هو انتقال من ضمير إلى ضمير.

ولكن قد لا تسمح اللغة أحيانا بتحديد مخاطَب بعينه، وفي هذه الحالة يمكن حمل الخطاب على العموم، أي أن المخاطِب يوجه خطابه لا إلى مخاطَب بعينه ولكن إلى أي مخاطَب فنحصل على "أنت" ذي دلالة عامة.

1.1.3- أركون والبنية الخطابية في القرآن

لقد كان لنظرية بنفينيست الأثر الكبير في الدراسات التي تهم الخطاب .وكان لإشاراته حول مسألة الضمائر والعلاقات التي تنشئها بين المتخاطبين دور كبير في الفصل بين مختلف الخطابات من حيث مفهوم المسافة بين المخاطِب (المتكلم) والمخاطَب من جهة وبين المتكلم وكلامه من جهة أخرى. وقد سمحت الضمائر لبنفينيست بأن يتحصل على قسمين كبيرين من الكلام. سمى أحدهما الخطاب (discours) وسمى الثاني السرد (récit) وقد أشرنا إلى هذه المسألة فيما سبق .

لقد استغل محمد أركون هذه النظرة واستند إلى مقولة بنفينيست الشهيرة:
« كل تلفظ يقتضي/يفترض متكلما وسامعا ويكون عند الأول قصد التأثير في الآخر بكيفية ما» [339] ليحدد مجموعة من البنى الخطابية في القرآن. يقول في هذا السياق «يظهر مجموع الخطاب القرآني ثلاثة أطراف قائل (locuteur-auteur) متلق-المتلفظ (Allocuté-énonciateur) هو محمد ومرسل إليه جمعي (destinataire collectif) هم الناس »[340].وهكذا فالبنية الخطابية العامة للقرآن هي:

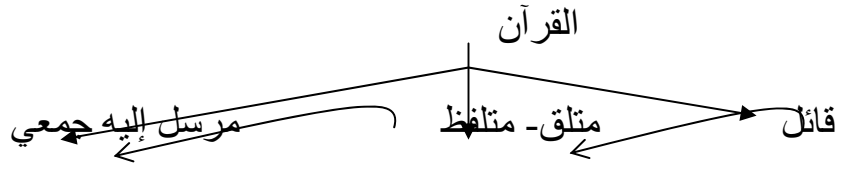

(339)-E.Benveniste .problèmes de linguistique générale .Gallimard 1966 .p242
(340)-M.Arkoun –la penseé arabe –P.U.F-1975-3 ed-p11-12

يشير بعد تحديد هذه البنية الخطابية العامة إلى مجموعة من الخصائص نوجزها فيما يأتي:

- المتلقي(l'allocuté) ليس الناقل السلبي للأقوال المبلغة له، بل يصبح طرفا في التبليغ ويسوغ استعمال الفعل **قال** بصيغه المختلفة بأن يصبح المتلقي قائلا (un locuteur) .
- إن الأقوال القرآنية (énoncés coraniques) تخضع لتركيب يصبح فيه كل متلفظ مثل محمد ε إذا وجد في السياق اللغوي نفسه للمتكلم(locuteur) مرتبطا بما يقول.

2.1.3- البنى الخطابية في سورة البقرة:

تسمح هذه الملاحظات بالكلام عن تعدد البنى الخطابية في السياق القرآني الواحد فلو أخذنا مثلا قول الله عز وجل : " قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن اتبع إلا ما يوحى إلي "
فإن اللغة توفر لنا معطيات تسمح بتحديد عدد البنى الخطابية. ففي الفعل **قُلْ** نجد المتكلم الذي تعكسه صيغة الأمر[341] ونجد أيضاالمخاطَب ويحدده ضمير الخطاب **أنت**. وما يأتي بعد قل يعتبر بنية خطابية أخرى يتحول فيها "أنتَ" إلى أنا ويقابله **أنتم** وتسمح المعطيات اللغوية أيضا من تحديد **أنا** من خلال الأشكال اللغوية **أقول**– **أعلم**- **اتبع**– **إلي** وتحديد "أنتم" من خلال الشكل اللغوي "لكم" ومن ثم تصبح البنية الخطابية لهذه الآية هكذا :

(341)- يشير أركون إلى أن المتكلم(locuteur) « يتمظهر من خلال الاستعمال الثابت لضمير التعظيم **نحن** أو الأمر أو النداء أو التحذير...»
La pensée arabe- P 12.

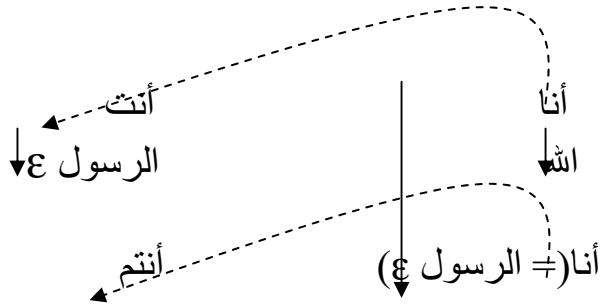

إن تحول المتكلم إلى مخاطَب والمخاطَب إلى متكلم ظاهرة كثيرة في القرآن. وقد اشرنا إليها ونحن نعالج مسألة الإحالة في الضميرين "أنا" و"أنت" وتبين لنا حينها أن تقاطع السرد بالحوار يسمح بهذه الانتقالات وتداخل البنى الخطابية.
لكن الذي يهمنا هنا هو الصورة البسيطة الأولى لأي بنية خطابية وهي أن هناك متكلما وهناك مخاطب وهناك موضوع خطاب أو بعبارة أخرى ما يريد المتكلم أن يقوله. وتلعب اللغة في هذه المسألة دورا من حيث إمكانية تحديد أقطاب العملية الخطابية.

وإذا استندنا إلى هذا المنظور وحاولنا رسم البنية الخطابية العامة لسورة البقرة فإنه بإمكاننا أن نحصل استنادا إلى مجموعة من المعطيات اللغوية على عدد من البنى الخطابية يميزها أساسا اختلاف المخاطَب فيها من مقطع إلى آخر.

سنقدم في البداية صورة عامة لهذه البنى ثم نعلق باختصار على كل بنية خاصة عندما يندرج في هذه البنية بنية أخرى فتكسر وتيرة البنية الأصلية ثم تعود هذه البنية الأصلية لتستمر في مسار السورة.

البنى الخطابية في سورة البقرة

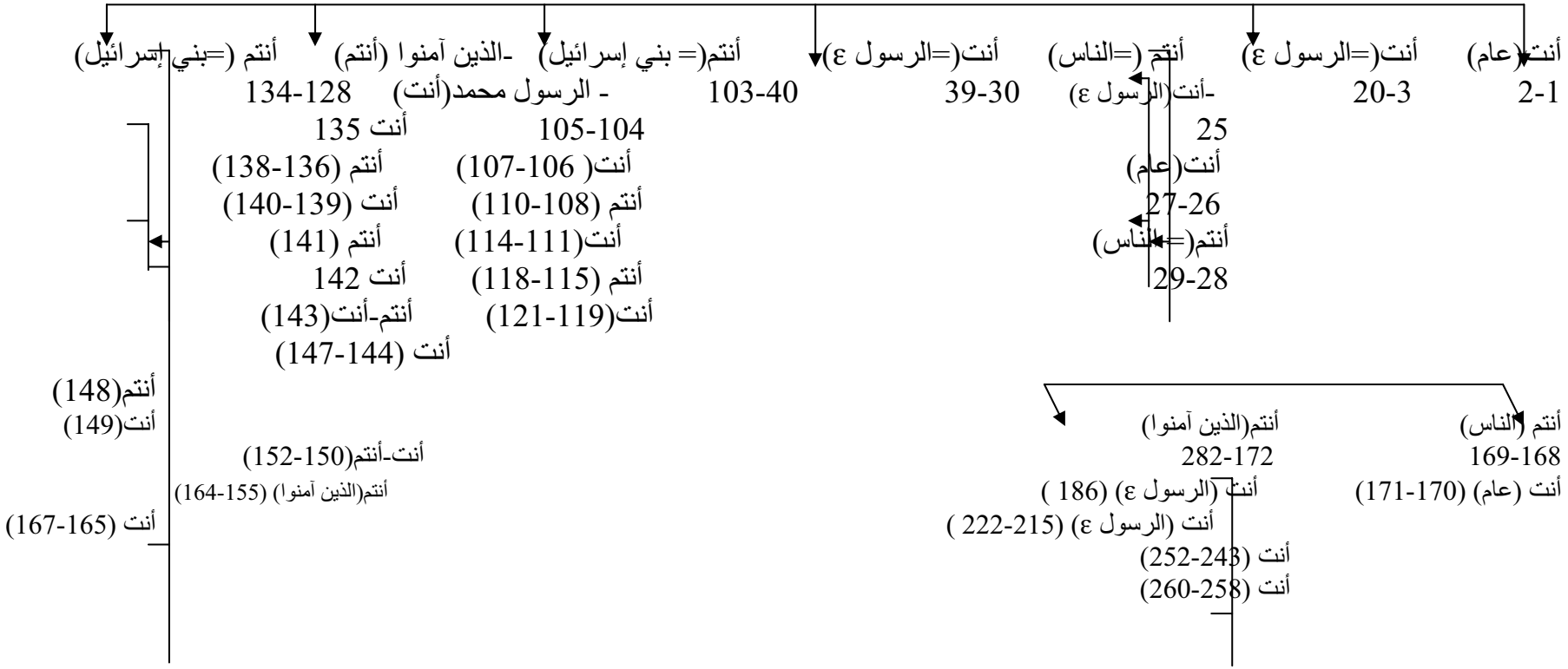

1.2.1.3- تعليق على البنى الخطابية

البنية الخطابية الأولى: يحدد هذه البنية الخطابية مقطع يتكون من الآيتين 1 و2 ويتميز بغياب أي علامة لغوية دالة على المخاطب ولذلك أدرجناه ضمن ما أسميناه بالخطاب العام ويتميز بخصائص لغوية تفتح المجال واسعا لقراءات متعددة وأولى هذه الخصائص افتتاحه بما لم يكن في العادة الافتتاح به. ومعروف أن هذا الافتتاح دفع كثيرا من المفسرين إلى محاولة إيجاد تفسير[342] وإن كانوا جميعا يتفقون على التحدي بهذا الاستعمال وثاني خاصية هي إمكانية قراءة ما يأتي بعد **آلم** قراءة تركيبية متعددة وأشرنا إلى بعضها فيما سبق من سياقات ولكن نعود هنا لنشير إلى أن الآية 2 أي التي تأتي بعد **آلم** تتمحور حول موضوع واحد هو الكتاب ويعضد وحدة الموضوع هذه سلسلة الضمائر المحيلة على الكتاب هكذا :

ذلك الكتاب ← لا ريب فيه ← Ø هدى للمتقين

وتعكس البنية اللغوية ذلك الكتاب مفهوم الاختزال أي أن هذا الكتاب ولا كتاب غيره ومن ثم يكون استعمال اسم الاشارة الدال على البعد للدلالة على رفعة مكانة هذا الكتاب وبعده عن أن يتناوله أحد بشيء.

يقول الطاهر بن عاشور في هذا السياق: «فلا جرم أن كانت الإشارة في الآية باستعمال اسم الإشارة للبعيد لإظهار رفعة شأن هذا القرآن لجعله بعيد المنزلة»[343] ويورد إشارة للسكاكي في هذه النقطة: «...أو أن يقصد ببعده تعظيمه كما تقول في مقام التعظيم ذلك الفاضل وأولئك الفحول وكقوله عز وعلا {آلم ذلك الكتاب} ذهابا إلى بعده درجة »[344].

[342]- لقد أشرنا إلى هذه المسألة سابقا بشيء من العجلة ونعود هنا لنؤكد أن الطاهر بن عاشور في تفسيره قام بعملية جرد لمختلف الآراء التي تناولت فواتح السور بالحروف وأقام فيها تصنيفا ولا يتسع المكان هنا لعرض هذا التصنيف. ينظر على سبيل التوسع: التحرير والتنوير ج1- ص206-218

[343]- نفسه – ج1- ص220

[344]- نفسه ص222

ولو عدنا إلى هذا الاستعمال الذي لم يكن معهودا عند العرب وحاولنا أن نتأمله من جانب أصل الاكتساب اللغوي وحصول الإنسان على الملكة اللغوية فإن الذي يبدو لنا أن المتكلم لأي لغة نظرا لسماعه لآلاف الأمثلة في لغته منذ نشأته الأولى فإنه يبلور شبكة من العلاقات بين الوحدات اللغوية المختلفة فلو فرضنا مثلا أننا قلنا لعربي من هؤلاء الذي نزل في زمنهم الوحي:

الكتاب

فإن هذه الوحدة تسمح له باستحضار مجموعة من الوحدات الأخرى التي بإمكانها أن تشكل معها شبكة علائقية فتكون مثلا أمام إمكانيات من نوع :

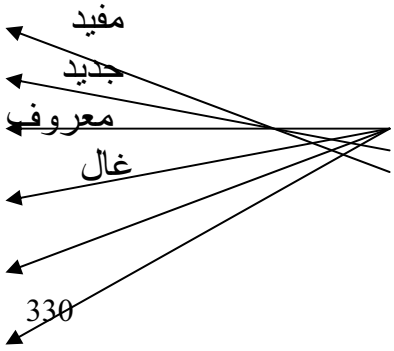

....

وهكذا الحال في كل الوحدات اللغوية إذ تسمح كل وحدة بفتح شبكة مع وحدات أخرى ومن ثم فإن إكمال أي وحدة من هذه الوحدات بوحدة أخرى يندرج ضمن توقعات المتكلم بحكم اشتراكه في النظام اللغوي نفسه مع غيره.

غير أن الذي يقع باستعمال هذه الحروف هو غياب شبكة علائقية في ذهنه وبالتالي يجد نفسه أمام كلام يبدأ بحرف من حروف التهجي أو أكثر على غير عادة العرب في كلامهم مما يثير في نفسه تساؤلات كثيرة يكون أبسط جواب عنها أنه أمام بناء لغوي على غير المعهود.

ولعل ارتباط المفسرين وهم متكلمون لهذه اللغة بهذا المنظور في البناء اللغوي هو الذي أوصلهم إلى مسألة التحدي بهذا الاستعمال إذ يبدو أن هناك سؤالا ذا شقين يوجههم وهو:

- ما المقصود بهذه البداية على غير عادة العرب في كلامهم؟
- هذه حروف عربية وهي حروف يعرفونها جيدا لأنهم ينتجونها ومن ثم ليس المقصود تعريفهم بها وعليه فما المقصود بالابتداء بها؟

البنية الخطابية الثانية: تبدأ هذه البنية الخطابية من الآية 3 إلى الآية 20 وقد اعتبر بعض المفسرين هذا المقطع تابعا للمقطع الأول ومن تمامه من الناحية التركيبية مؤسسين هذا الاعتبار على الربط بين الاسم الموصول "الذين" الموجود في بداية الآية 3 والمتقين الموجودة في نهاية الآية 2 والذي نميل إليه أكثر هو أن البنية الخطابية يشكلها مقطع مستقل وقد قوى توجهنا هذا ما ورد عند الرازي في هذه المسألة يقول:

« قال بعضهم {الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون} يحتمل أن يكون كالتفسير لكونهم متقين وذلك لأن المتقي هو الذي يكون فاعلا للحسنات وتاركا للسيئات. أما الفعل فإما أن يكون فعل القلب وهو قوله{الذين يومنون} وإما أن فعل الجوارح {الصلاة..} وأما الترك فهو داخل في الصلاة لقوله تعالى {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر} والأقرب أن لا تكون هذه الأشياء تفسيرا لكونهم متقين وذلك لأن كمال السعادة لا يحصل إلا بترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي فالترك هو التقوى والفعل إما فعل القلب وهو الإيمان أو فعل الجوارح وهو الصلاة والزكاة لأن القلب كاللوح القابل لنقوش العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة واللوح يجب تطهيره أولا عن النقوش الفاسدة حتى يمكن إثبات النقوش الجيدة فيه وكذا القول في الأخلاق فلهذا السبب قدم التقوى وهو ترك ما لا ينبغي ثم ذكر بعده فعل ما ينبغي» (345)

وإذا كانت البنية الخطابية الأولى تتميز بغياب أية علامة دالة على المخاطَب فإن هذه البنية تختلف من حيث وجود علامة دلالة على المخاطب وهي الضمير أنت والذي يحيل في هذا السياق على الرسول ε فنجد مثلا:

الذين يومنون بما أنزل إليك - قبلك – سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم

(345)- التفسير الكبير – مجلد1- جزء2- ص26

ويتفق جميع المفسرين على موضوع هذا المقطع وهو تحديد أصناف الناس وهم فرق ثلاثة مومنون وكافرون ومنافقون .وتسمح السلاسل الضميرية التي تلعب دورا في الاشتراك الإحالي (346) بالمحافظة على الموضوع نفسه فيتحدد في بداية كل جزء من المقطع الموضوع بواسطة وحدة معجمية ثم تأتي الضمائر العائدة لترسخ هذا الموضوع في ذاكرة المتلقي ولا بأس هنا أن نعرض كيفية تكوُّن السلاسل الضميرية انطلاقا من تحديد الموضوع في بداية كل جزء من المقطع.

الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يومنون بما انزل إليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون.

إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يومنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم.

ومن الناس من يقول أمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمومنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنومن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين مثلهم كمثل...
...هم...هم....ون.هم...ون....ون....هم...هم....هم...هم....وا...هم....وا.... هم.....هم

(346)- ينظر مسألتي الإحالة والإحالة المشتركة في عرضنا لعمل لينا لاندكيست

بقية البنى الخطابية. لعل أهم ما يميز بقية البنى الخطابية عن البنيتين السابقتين هو وجود النداء المحدد الذي يوجه إليه الخطاب ويمكن استنادا إلى هذا المعطى اللغوي أن نقسم السورة قسمين قسم نستطيع أن نحدد فيه الموجه إليه الخطاب إما بغياب العلاقة تماما كما هي الحال في البنية الخطابية الأولى، وإما بوجود العلاقة(ضمير المخاطب) كما هي الحال في البنية الخطابية الثانية. وقسم يتحدد فيه المخاطب بواسطة النداء بصيغة يا أيها س ويحتل حيزا يمتد من الآية 21 إلى 284 ويحتل كل نداء حيزا يمتد إلى عدد من الآيات والذي تجدر إليه الإشارة إليه أن هذه البنى الخطابية تؤسسها أفعال كلامية يتقاسمها الأمر والنهي فنجد مثلا:

البنية3: يا أيها الناس اعبدوا .....فلا تجعلوا .....فاتوا.....وادعوا.....
البنية5: يا بني اسرائيل اذكروا ...وهو فعل مهيمن في هذه البنية ويبدوا أن ذلك عائد إلى تذكير يهود الفترة النبوية بما أنعم الله على أجدادهم وبما قابلوه وما ترتب عن ذلك ومن ثم يتجاذب الخطاب وعد ووعيد .
البنية6: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا....

البنية7: يا بني إسرائيل اذكروا وهي تتمة للبنية الخطابية5 ولذلك تصبح البنية الخطابية6 مدرجة ضمن البنية الخطابية 5-7
البنية8: يا أيها الناس كلوا...
البنية9: يا أيها الذين آمنوا كلوا...

2.2.1.3- اندراج البنى الخطابية في بعضها :

إن أهم ما يميز هذه البنى الخطابية هو اندراج البعض منها في البعض الآخر فلو تأملنا البنية الخطابية 3 لوجدنا أنه يتخللها بنية خطابية أخرى يكون فيها المخاطَب هو الرسول ε ويحدده الضمير "أنت" وتنطلق هذه البنية كما رأينا سابقا بتحديد المخاطَب بواسطة النداء (يا أيها الناس) وضمير المخاطب أنتم (=الناس) ثم تقطع وتيرة هذه البنية بواسطة الضمير -أنت ليعود مرة أخرى الضمير "أنتم" فيكون الشكل الخطابي :

أنتم أنت(=الرسول محمد) أنتم(=الناس)

وقد لفتت مسألة القطيعة هذه انتباه المفسرين فبحثوا لها عن تبرير في سياق ما يعرف بعطف القصة على القصة. يقول الطاهر بن عاشور ملخصا نظرة من سبقه من المفسرين:

«وجعل جملة {وبشر} معطوفة على مجموع الجمل المسوقة لبيان وصف عقاب الكافرين يعني جميع الذي فصل في قوله {وإن كنتم في ريب -إلى قوله- أعدت للكافرين} فعطف مجموع أخبار عن ثواب المومنين على مجموع أخبار عن عقاب الكافرين والمناسبة واضحة مسوغة لعطف المجموع على المجموع وليس هو عطفا لجملة معينة على جملة معينة الذي يطلب معه التناسب بين الجملتين في الخبرية والإنشائية ونظّره بقولك زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبَشِّرْ عمرا بالعفو والإطلاق»[347]

ويورد تبريرا آخر لصاحب الكشاف مفاده أنه يجوز«أن يكون قوله{وبشر} معطوفا على قوله{فاتقوا} الذي هو جواب الشرط فيكون له حكم الجواب أيضا... وإنما كان المعطوف على الجواب مخالفه لأن الآية سيقت مساق خطاب الكافرين على لسان النبي فلما أريد ترتيب الإنذار لهم والبشارة للمؤمنين جعل الجواب خطابا لهم مباشرة لأنهم المبتدأ بخطابهم وخطابا للنبي ليخاطب المؤمنين إذا ليس للمؤمنين ذكر في هذا الخطاب فلم يكن طريق لخطابهم إلا الإرسال إليهم»[348]

وواضح من هاتين الإشارتين أن هناك وعيا بمسألة تغيير وجهة الخطاب ومحاولة إيجاد مبرر لهذا التغير بإعطاء استعمال أنت (= الرسول ε) قيمة تمثل في توجيه الخطاب إلى المؤمنين انطلاقا من قاعدة أن الإنذار تعقبه البشارة.

---
[347]- التحرير والتنوير ج- ص350
[348]- نفسه ص351

وتمثل البنية الخطابية 6 بنية مندرجة ضمن البنية 5-7 كما أشرنا إلى ذلك سابقا ومن ثم يكون شكلها مع البنيتين 5-7 هكذا:

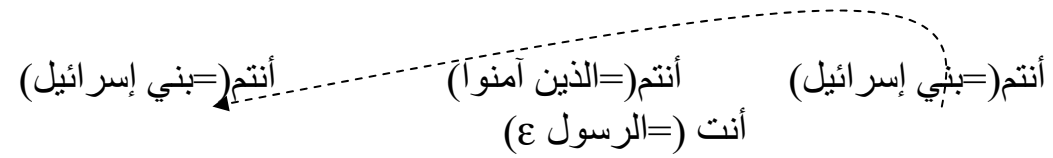

غير أننا نلاحظ أن هذه البنية لا يمثلها "أنتم" (=الذين آمنوا) من بدايتها إلى نهايتها وإنما هي عبارة عن بنيتين تتعاقبان، إحداهما يوجه فيها الخطاب إلى الذين آمنوا(أنتم) والأخرى إلى الرسول ε "أنت" تمتد هاتان البنيتان من الآية 104 إلى الآية 121.

أما البنية الخطابية 8 فتحتل حيزا يمتد من الآية 168 إلى الآية 169 ثم يليها خطاب لا يتحدد فيه مخاطب بعينه. وتبرز فيه ظاهرة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة مجسدة في الانتقال من "أنتم" (=الناس) إلى هم. ولكن هذا الضمير يعادل في قيمته الإحالية "أنتم" وهو ما يحقق الاستمرارية للمقطع من الآية 168 إلى الآية 171.

وتتميز البنية الخطابية 9 أيضا باندراج بنية خطابية أخرى فيها يعكسها ضمير المخاطب "أنت" (=الرسول ε) ومن ثم نكون أمام شكل يشبه شكل البنية في2 وفي 5-6-7 ويمكن تقديمه هكذا

ولكننا نشير في هذا الصدد إلى أن هذا تصور تجريدي لهذه البنية من حيث إن حديها هو المخاطب "أنتم" (=الذين آمنوا) لكن عمليا نجد بين هذين الحدين أجزاء كثيرة يتناوب فيها الضميران "أنت" (=الرسول محمد) و"أنتم" (=الذين آمنوا) وقد تتبعنا هذه البنية الخطابية تفصيلا محاولين حصر مدى كل ضمير في امتداد المقطع 9 وحصلنا على الصورة التفصيلية الآتية:

أنتم 185-172 أنت 186 أنتم 188-187 أنت 189 أنتم أنت 207-204 أنتم 210-208 أنت 211 أنتم 214- 212

أنت 223-215 أنتم 242-224 أنت 243 أنتم 245-244 أنت 253-246 أنتم 256-254 أنت 263-258 أنتم 271-264 أنت/أنتم 272

أنتم 284-272

إن أهم ما يميز الأجزاء التي يرد فيها ضمير المخاطَب أنت (= الرسول محمد) هو خروجها إلى الضمير أنتم بحيث تندمج بسهولة مع الأجزاء التي يرد فيها "أنتم" (=الذين آمنوا) لنتأمل مثلا:

سياق1 :(يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر أن تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون)(آ 189)

سياق2:(ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتاكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون).

فبمجرد الدخول في مسار التلقي يصبح ما بعد قل سياقا متمما لما ورد في سياق1 فنحصل على:

لا تاكلوا ....وتدلوا .....أن تاتوا .....واتوا .....واتقوا ← أنتم

أما البنية الخطابية 10 فإنها تشبه البنية 1 من حيث عدم وجود ما يحدد لنا مخاطبا بعينه. بل يصبح الخطاب مفتوحا ومن ثم نكون أمام أنت ذي القيمة العامة.

ويندرج مقطع هذه البنية الخطابية عند المفسرين في باب رد العجز على الصدر. ويورد الطاهر بن عاشور إشارة للزجاج يبرر بها وجود هذا المقطع يقول: «لما ذكر الله في هذه السورة أحكاما كثيرة وقصصا وختمها بقوله "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه" تعظيما لنبيه ε وأتباعه وتأكيدا وفذلكة لجميع ذلك المذكور من قبل»[349]

ويواصل بانيا هذه المقولة:

« فالجملة استئناف ابتدائي وضعت في هذا الموقع لمناسبة ما تقدم وهو انتقال مؤذن بانتهاء السورة لأنه لما انتقل من أغراض متناسبة إلى غرض آخر هو كالحاصل والفذلكة فقد أشعر بأنه استوفى تلك الأغراض».[350]

وعلى هذا الأساس نكون في بنية مغلقة للسورة بهذا الشكل:

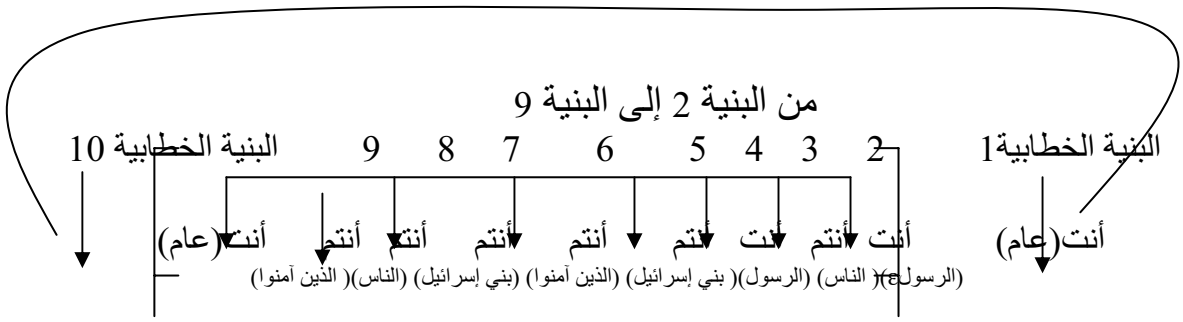

(349)- التحرير والتنوير – المجلد الثالث ص 131
(350)- نفسه ص 132

وإذا نظرنا إلى موضوع الخطاب في البنية 1 وموضوع الخطاب في البنية 10 فإننا نجد أنه في 1 انصب على الكتاب معتبرا إياه هو الكتاب ولا كتاب غيره وهو ما عبّرنا عنه بمفهوم الاختزال. ولما كان هو الكتاب فإن هذا يترتب عنه مجموعة من النتائج تحقق العلاقات فيما بين السياقات المتتابعة في الآيتين 1 و2.

الكتاب ← لا ريب فيه ← هدى للمتقين
بالمفهوم الذي أشرنا إليه

أما في البنية 10 فقد تعلق الأمر بإقرار مسألة إيمان الرسول بما أنزل إليه والمؤمنين وما أنزل إليه هو الكتاب. وكأن ما جاء في 10 هو نتيجة لما جاء في 1 فالكتاب هدى للمتقين. والرسول والمؤمنون من المتقين.
وقد تكون هذه النتائج وليدة التتابع الخطي لعدد من السياقات كما هو الحال في:

آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين.... آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمومنون.

ولكن تسمح العبارة اللغوية "ذلك الكتاب" بحكم دلالة الاختزال فيها أن تتضمن نتيجة أخرى يمكن تمثيلها كالآتي:

البنية 1:
1- ذلك الكتاب=لا كتاب سواه
2- بما أنه ذلك الكتاب ← يقتضي ← اتباع هذا الكتاب

البنية10: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمومنون ← معرفة أن ما أنزل هو ذلك الكتاب.

وهكذا ترتبط بداية السورة التي تمثل البنية الخطابية الأولى بنهايتها التي تمثل البنية الخطابية الأخيرة وهما بنيتان متماثلتان من حيث عدم تحديد مخاطب بعينه على خلاف البنى الخطابية الأخرى. فتصبح البنية الخطابية الأولى حاملة لحكم عام وتصبح البنية 10 استدلالا على الحكم أو سندا له هكذا:

بداية السورة: آلم. ذلك الكتاب لا ريب فيه ← حكم
نهاية السورة: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمومنون ← سند الحكم

3.2.1.3- مدخل إلى ربط البنى المختلفة

لقد أشرنا سابقا إلى أن الأساس الذي يبنى عليه مفهوم البنية الخطابية هو وجود علاقة لغوية دالة على المخاطب كالضمائر مثلا أو غيرها من العلامات. فإذا غابت هذه العلامات

أصبحنا أمام خطاب المخاطَبُ فيه هو "أنت" ذي الدلالة العامة. وهذا ما لاحظناه في البنيتين 1 و10.

والحقيقة أننا إذا تأملنا مختلف البنى الخطابية التي حددناها في سورة البقرة فإننا نجد أنه يمكننا تقسيمها إلى ثلاثة أقسام، قسم تغيب فيه العلامة الدالة على المخاطب ويمثل هذا مثلما أسلفنا البنيتان 1 و10 وقسم تحدد المخاطَب فيه علامات أخرى غير النداء على رأسها ضمير الخطاب. ويغلب في سورة البقرة الضمير "أنت" الدال على الرسول ε (البنى 2،3،4،6،7،9) أو "أنتم" (=الذين آمنوا) في البنية7 ولا يعنينا هنا أنتم الذي يأتي في سياقات يتصدرها النداء من مثل **يا أيها الناس** و **يا أيها الذين آمنوا** فالذي في 7 هو **يا بني إسرائيل** مع سلسلة من الضمائر الموزعة في سياقات مختلفة تعود إلى بني إسرائيل. ولكن داخل هذا السياق الضميري نجد الضمير "أنتم" الذي يدل على **الذين آمنوا** ومن ثم فهو ليس امتداد للنداء.

أما القسم الثالث فهو قسم يحدد المخاطَب فيه تصدر المقطع بالنداء ولو نظرنا إلى سورة البقرة لوجدنا أنه يتوزعها ثلاث نداءات الأول في بدايتها وهو نداء عام [351] وعبارته **يا أيها الناس**، والثاني نداء موجه إلى بني إسرائيل وعبارته **يا بني إسرائيل**، والنداء الأخير موجه إلى المؤمنين عبارته **يا أيها الذين آمنوا**. ويمكن أن نتصور استنادا إلى هذه النداءات الثلاثة بربطها ببداية السورة التي قررت مسألة الكتاب وحسمت أمرها وقررت مسألة الإيمان وما يترتب عنها ومسألة الكفر وما يترتب عنها ومسألة النفاق وما ينجر عنها، العلاقات في السورة هكذا:

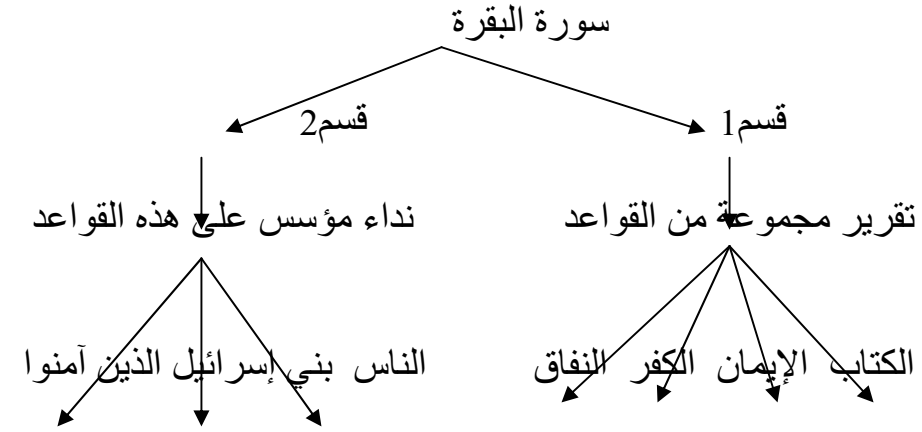

(351)- لقد أثار الرازي مسألة العموم والخصوص في عبارة يا أيها الناس باعتبارها خطاب مشافهة يقول في هذا المجال « لما ثبت أن قوله تعالى (يا أيها الناس)يتناول جميع الناس الذين كانوا موجودين في ذلك العصر فهل سيتناول الذين سيوجدون بعد ذلك أم لا؟ والأقرب أنه لا يتناولهم لأن

قوله (يا أيها الناس) خطاب مشافهة وخطاب المشافهة مع المعدوم لا يجوز وأيضا فالذي سيوجدون بعد ذلك ما كانوا موجودين في تلك الحالة. وما لا يكون موجودا لا يكون إنسانا وما لا يكون إنسانا لا يدخل تحت قوله (يا أيها الناس) فإن قيل فوجب ألا يتناول شيء من هذا الخطاب الذين وجدوا بعد ذلك الزمان وأنه باطل قطعا لو لم يوجد دليل منفصل لكان الأمر كذلك إلا أنا عرفنا بالتواتر من دين محمد ع أن تلك الخطابات ثابتة في حق من سيوجد بعد ذلك إلى قيام الساعة فهذه الدلالة المنفصلة حكمنا بالعموم.»التفسير الكبير مجلد1- ج2- ص12

وهذه القواعد هي:

قاعدة1: ذلك الكتاب (وبما أنه ذلك الكتاب) ← لا ريب فيه: (إذن) هو هدى للمتقين

قاعدة2: الذين يؤمنون بـ..... ← على هدى من ربهم (وبما أنهم على هدى من ربهم) فهم المفلحون.

قاعدة3: الذين كفروا(+ قوة التقرير بـ إنّ) ← الختم ← عذاب عظيم

قاعدة4: ومن الناس (=المنافقون) ← المرض ← عذاب أليم

إن كل نداء من النداءات التي أشرنا إليها سابقا والتي تمثل القسم الثاني يأخذ قوته من هذه القواعد الأربعة. فأمر الناس بالعبادة مرتبط بمدلول **ذلك الكتاب** من حيث هو عبارة مختزلة كما أشرنا. وقوة الاختزال هذه تأتي من مصدره الذي هو الله ومن ثم يستمد الأمر بالعبادة قوته من هذه القاعدة التي تعضدها القواعد الباقية المبنية بناء سببيا من حيث ما يترتب عن كل فعل. فالفلاح مرتبط بالإيمان والخسارة مرتبطة بعدم الإيمان في صورتيه (الكفر والنفاق).

والأمر والنهي الموجه للفئة المؤمنة يستمد قوته أيضا من هذه القواعد وخاصة القاعدة1، ذلك أن **ذلك الكتاب** تعني من ضمن ما تعنيه أن ما يقوله الحق ومن ثم فالحق أحق أن يتبع. فإذا أضفنا إلى ذلك أن ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين مقررة لمسألة أن لا كتاب إلا هذا الكتاب وهي من الكتاب دل ذلك على مدى ما تحمله العبارة من قوة. تجعل فعل الطلب الذي يمهو له النداء معضود بقوة تدخله في سياق الأفعال الناجحة.

الخاتمة

لقد حاولنا أن نتتبع مسألتي الانسجام والاتساق في هذا العمل. وبدأنا بالكلام عن الانسجام. وسمح لنا عرض مختلف المحاولات أن هناك تدرجا في الرؤية، من النظر إلى النص في حد ذاته إلى ربطه بالمتلقي.

ففيما يتعلق بالنظر إلى النص في حد ذاته، سمحت المعطيات التي اعتمدها الدارسون من اسخلاص نظرتين للنص، إحداهما ترى فيه تحقق الاستمرارية بين جمله، والأخرى تؤسس نظرتها على مفهوم القطيعة. ويحكم النظرتين منطلق مشترك هو أن النص بنية خطية. ففيما يتعلق بالاستمرارية يحكم النص علاقات مستمرة من جملة إلى أخرى. وهذه العلاقات قد تكون شكلية وقد تكون دلالية، وسمح هذا بتحديد مجموعة من العناصر المحققة لهذه الاستمرارية كالإضمار والتعريف والاستبدال والتغطيات الافتراضية وإجراءات الموضعة (شارول مثلا).

أما فيما يتعلق بالقطيعة فإن الجمل المتتابعة المكونة للنص، يقع فيها اختلاف في المواضيع. ويتأسس مفهوم القطيعة هنا على المنظور الوظيفي للجملة أي تحليل الجملة إلى موضوع ومحمول. فالذي يحصل أن موضوع الجملة اللاحقة يختلف عن موضوع الجملة السابقة. وقد يحدث أن يكون لكل جملة في النص موضوع يختلف عن موضوع الجملة التي تسبقها. وسمح هذا بإدراج مفهومين هما: الموضوع العام Hyperthème والموضوع الشامل hyper- hyperthème.

وتعتبر أعمال ليتا لاندكيست محاولة توسيع مجال تطبيق نظرية الكلام، أي من الجملة إلى النص. فكما أن الجملة تتكون من منظور سيرل (وهذا المنظور المعتمد عندها) من ثلاثة أفعال هي فعل الإحالة وفعل الإسناد وفعل الإنجاز.

فكذلك يمكن توسيع هذا المنظور إلى النص، ومن ثم فالنص يتكلم (فعل الاسناد) ويتكلم عن شيء (فعل الإحالة) ليصل إلى شيء/ليحقق شيئا (فعل الإنجاز).

وإذا كان شارول قد حاول ربط مسألة الانسجام بمسألة الفهم من خلال بعض الإشارات، فإن نظرية الحصافة (Théorie de pertinence) تمثل محاولة صريحة لربط الانسجام بمسألة التلقي. ويتأسس التلقي في هذه النظرية على مفهوم السياق والأثر السياقي. فالمتلقي يتلقى الكلام في سياق يملكه هو، وهو مخزن في ذاكرته ويصنع من ثم فرضيات تصبح هي بدورها سياقا يتلقى فيه بقية الكلام. وهكذا تحدث عملية تمحيص للسياقات اللاحقة على ضوء السياقات السابقة. وكلما أحدث سياق لاحق أثرا دل ذلك على أن هناك أثرا سياقيا ومن ثم يكون الكلام حصيفا أي يحظى بالاستجابة عند المتلقي.

أما فيما يتعلق بالاتساق من حيث هو مجموعة العلاقات التي تنشأ بين الجمل فإن نظرية هاليداي ورقية حسن تمثل الصورة الأكثر اكتمالا لدراسة هذه الظاهرة؛ فالاتساق هو عامل من العوامل التي تسمح بتحقيق وحدة النص، ذلك أن العلاقات التي تنشأ بين الجمل تحقق النسيج (Texture)، وهذا النسيج يحقق اللحمة التي تسمح ببناء المعنى الكلي وتحقق للنص وحدته المعنوية .

وتحقق العلاقات مجموعة من العناصر تحتل مواقع مختلفة في مدرج الكلام؛ فقد تكون من داخل الجمل إلى داخل الجمل أو بين الجمل في الحدود. فالضمائر وأسماء الإشارة والوحدات المعجمية والحذف تقع في داخل الجمل، والعطف مثلا يقع بين الجمل في الحدود.

ولا بد من الإشارة إلى مسألة هامة وهي ضرورة التفريق بين الإحالة والاتساق. ذلك أن إحالة عنصر على عنصر آخر (الضمير مثلا) لا يعني بالضرورة أن هناك اتساقا. فيمكن أن يكون العنصر المحيل والعنصر المحيل عليه كلاهما في الجملة نفسها.

فحينئذ لا يمكن الكلام عن الاتساق باعتباره علاقات بين الجمل. يضاف إلى ذلك أن الجملة مكتفية ببنائها، وهذا البناء هو الذي يحقق لها التماسك. وهذا ما يعتبره هاليداي ورقية حسن اتساقا بنويا، لأن البنية من منظورهما هي علاقة موحدة بالطبع (structural cohe) .

وفيما يتعلق بالجوانب التطبيقية، فقد سمح لنا التعامل مع المدونة من الخروج إلى النتائج الآتية:

- تضعنا المعطيات العملية (المدونة) في قسم الضمائر أمام ملاحظة مفادها أن الضمائر تلعب دورا في الإحالة بشقيها الداخلي والخارجي. واعتبار الضميرين "أنا" و"أنت" ضميرين دالين على أقطاب التواصل لا يعني أن إحالتهما حصرية في الخارج. بل إن هذين الضميرين قد يحيلان إحالة داخلية على وحدات لغوية ومن ثم يلعبان دورا في الاتساق. وقد سمحت لنا مختلف السياقات التي ترد فيها هذه الضمائر من رسم مجموعة من العلاقات يتقاسمها التساوي بين هذه الضمائر أحيانا والتقابل أحيانا أخرى كما يلي:

أنا = أنت = هو	إحالة داخلية
أنا = أنت = هو	إحالة خارجية
أنا = أنت/ هو	إحالة خارجية /إحالة داخلية
أنا = أنت = هو/هو	إحالة خارجية / إحالة داخلية

- هناك تكامل بين إحالة الضمير وإحالة اسم الإشارة. ففي حين يحيل الضمير على وحدات يمكن وسمها شكلا. ويعتبر هذا خاصية لا تشذ عنها إلا أمثلة قليلة في سياقات محدودة، فإن اسم الإشارة ينحو نحو الإحالة الموسعة أي أن ما يحيل عليه يتجاوز حدود ما يمكن وسمه شكلا فيكون جملة أو مجموعة جمل. وبذلك تتحقق علاقة التكامل بينهما هكذا:

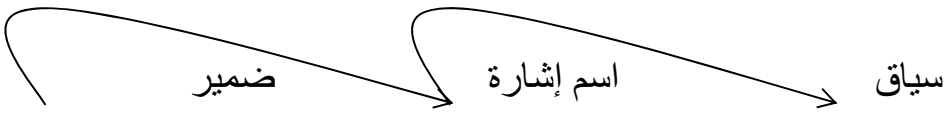

وقد يتسع ما يحيل عليه اسم الإشارة إلى سياقات تتكون من عدد من الجمل.

- وفيما يتعلق بالتقابل المسافي في أسماء الإشارة (القرب/البعد)، فإن الذي لاحظناه - ويكاد أن يكون قاعدة - هو أن أسماء الإشارة التي تحيل إحالة داخلية هي أسماء الإشارة الدالة على البعد. رغم أن السياقات التي تحيل عليها قريبة. بل أمنكننا من أن نلاحظ سياقات المفسرين التي تتكلم عن هذه الدلالة المسافية تستعمل أسماء الإشارة الدالة على البعد. وهذه ظاهرة تحتاج إلى دراسة أوسع باعتماد مدونة أكبر.
- يمثل المعجم مجالا واسعا لتحقيق العلاقات الاتساقية، وتسمح خاصية الانفتاح فيه من بناء علاقات معجمية مختلفة تتأسس على مجموعة من القواعد. كالترادف والتضاد

وعلاقات العموم والخصوص. بل إن انتماء الوحدات إلى فضاء خطاب واحد، يسمح بخلق لحمة بين مختلف الجمل المكونة للنص، ومن ثم تتحقق الوحدة فيه.

- وإذا كانت الإحالة والاتساق المعجمي يتم من داخل الجملة إلى داخل الجملة، فإن هناك علاقات اتساقية تتم بين الجمل في الحدود. وقد احتلت هذه العلاقات موقعا هاما في الدرس البلاغي العربي تحت عنوان من أهم العناوين هو الفصل والوصل. وإذا كان الوصل يتم بواسطة وحدات مثل العطف فإن الفصل يتأسس على علاقات دلالية بين الجمل كأن تكون الجملة اللاحقة تفسيرا للجملة السابقة أو بدلا منها، أو تأكيدا لها. والذي تجدر الإشارة إليه أن هناك علاقة مضاعفة في الفصل؛ فبالإضافة إلى العلاقات الدلالية التي أشرنا إليها، يوجد دائما عنصر يحقق علاقة اتساقية كالضمير أواسم الإشارة.
- وفيما يتعلق بالانسجام، فبالإمكان طرح منظور تحليلي آخر يتأسس على البعد الخطابي في النص. ويصبح النص مجموعة من الخطابات التي ترتكز على اختلاف أقطاب التواصل. وبذلك يتم اكتشاف وجهة أو وجهات الخطاب فيه. ولا يتنافى هذا مع مفهوم وحدة الموضوع الذي عادة ما يعتمد أساسا لتحليل الانسجام. فاختلاف الخطابات لا يعني غياب الوحدة، بل بالإمكان إيجاد علاقات بين هذه الخطابات ليصنع المتلقي في نهاية المطاف انسجاما في ما يتلقاه.

هذه بعض الخلاصات، ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن دراسة الاتساق والانسجام تحتاج في العربية إلى مدونات أكبر حتى تتجاوز حدود التمثيل للظواهر إلى بناء تصور للنص مستند إلى التحليل وإمكانية تحديد أنماط نصية مؤسسة على أنواع العلاقات الاتساقية.

قائمة المصطلحات

Acte d’énonciation	فعل تلفظ
Analyse casuelle	تحليل حالي
Analyse fonctionnelle	تحليل وظيفي
Anaphore	عائد
Archisème	سمة دلالية جامعة
Attitude de locution	موقف تعبيري
Base de texte	قاعدة النص
Base thématique	قاعدة موضوعاتية
Chaîne coréférentielle	سلاسل الاشتراك الإحالي
Chaines isotopes	سلاسل متشاكلة
Champ lexicaux	حقوق معجمية
Code	وضع
Cohérence	انسجام
Cohérence coréférentielle	انسجام بواسطة الاشتراك الإحالي
Cohérence thématique	انسجام موضوعاتي
Cohésion	اتساق
Cohésion lexicale	معجمي
Collocation	تلازم
Compatibilité sémantique	تآلف دلالي
Compréhension inférentielle	فهم استنتاجي
Conjonction	وصل
Connecteur(s)	ر(و)ابط

Connexion	ربط
Contenu modal	محتوى حكمي
Contenu propositionnel	محتوى قضوي
Contexte de compréhension	سياق الفهم
Contexte situationnel	سياق مقامي أو حالي
Contiguité sémantique	ترابط دلالي
Coréférence	اشتراك إحالي
Corrélation(s) réciproque(s)	تناظر(ات) تبادلي(ة)
Déictique	إشاري
Deplacement thématique	تحول موضوعاتي
Description définieلا تناظر	وصف محدد
Dissymétrieديناميكية تواصلية Dynamique communicative	
Echange	تبادل
Effet contextuelle	أثر سياقي
Elémentanaphoriqueعنصر	عنصر عائدي
Elément cohésif	اتساقي
Ellipse	حذف
Entité(s) référentielle(s)	وحدة(ات) إحالية
Exclusion référentielle	إلغاء إحالي
Glissement thématique	انزلاق موضوعاتي
Grammaire des contes	نحو الحكايات
Grammaire de texte	نحو النص
Grammaire interphrastique	نحو بيجملي
Grammaticalitéموضوع	(سلامة) نحوية
Hyper- hyperthème	شامل
Hyper- thème	موضوع عام
Hyperonyme	اسم الجنس
Hyponyme	فرد الجنس
Identité référentielle	وحدة إحالية
Immanenceاقتضاء	ملازمة/محايثة
Implication contextuelleضمني(ات) Implicitation (s)	سياقي
Indice(s) linguistique(s)	علامة(ات) لغوية
Indice modal	علامة حكمية
Information conceptuelle	معلومة موضوعاتية
Intention communicative	قصد تبليغي
Intention informative	قصد إعلامي

Intervalle – texte	فاصلة نصية
Matrice	مصفوفة
Modalité(s)	حكم/أحكام
Modalités de l’énoncition	أحكام التلفظ
Mode نموذج	صيغة
Modèle actantiel	فاعلي/عاملي
Modèle du code نموذج	نموذج الوضع
Modèle fonctionnel نمذجة	وظيفي
Modélisation	ترجة (الشخصية متوفاة حديثا)
Necrologie	
Noyau sémantique	نواة دلالية
Perspective fonctionelle	منظور وظيفي
Pertinence	حصافة
Phrase de base	جملة قاعدية
Pré-discursif	قبل خطابي
Présupposition	افتراض مسبق
Procédés allusifs	إجراءات تلميحية
Progression analytique	تدرج تحليلي
Progression à thèmes dérivés	تدرج بمواضيع مشتقة
Progression linéaire	تدرج خطي
Progression synthétique	تدرج تركيبي
Progression thématique	تدرج موضوعاتي
Proposition	جملة/قضية
Pronominalisation	إضمار
Recouvrements sémantiques	تغطيات دلالية
Référence	إحالة
Référence anaphorique	إحالة عائدية/ورائية
Référence cataphorique	إحالة أمامية
Référence démonstrative	إحالة إشارية
Référence contextuelle	إحالة سياقية
Référence endophorique	إحالة داخلية
Référence exophorique	إحالة خارجية
Référence pronominale	إحالة ضميرية
Référence situationnelle	إحالة مقامية
Référent	محيل عليه
Règles de combinaison	قواعد التأليف
Règles de communication	قواعد التواصل
Reitération	تكرار

Relation anaphorique	علاقة عائدية
Relations associatives	علاقات تآلفية
Relations structurales	علاقات بنوية
Rôles casuels	أدوار حالية
Rupture	قطيعة
Rupture thématique	قطيعة موضوعاتية
Sous-Jacent	مقدر
Savoir mutuel	معرفة مشتركة
Structures pragmatiques	بنى تداولية
Structures sémantiques	بنى دلالية
Structures thématiques (de base)	بنى موضوعاتية(قاعدية)
Structures textuelles	بنى نصية
Structure textuelle sémantique	بنية نصية دلالية
Substitution	استبدال
Substitution nominale	استبدال اسمي
Substitution pronominale	استبدال ضميري
Succession temporelle	تتابع زمني
Suite casuelle	متتالية حالية
Système de corrélations internes	نظام التعالقات الداخلية
Système périphérique	النظام الجانبي/ الفرعي
Tautologie	حشو
Thème constant	موضوع ثابت
Textualité	نصية
Texture	نسيج
Tournures syntaxiques	أشكال تركيبية
Traces lexicales	آثار معجمية
Unité sémantique	وحدة دلالية
Valeur sémantique	قيمة دلالية

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع.

المصادر والمراجع العربية :

ابن عاشور الطاهر: - تفسير التحرير والتنوير

الدار التونسية للنشر . تونس 1984.

ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله): - شرح ابن عقيل
دار الفكر – 1974 .

ابن يعيش (موفق الدين): - شرح المفصل.
عالم الكتب - بيروت - د.ت.

أبو غزالة إلهام وأحمد علي خليل: - مدخل إلى علم لغة النص :
تطبيقات لنظرية روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر.
الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط2 1999.

الاستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن): - شرح كافية ابن الحاجب.
دار الكتب العلمية – ط1 1998.

الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين محمود): - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم
والسبع المثاني. دار إحياء التراث العربي-
بيروت – ط4 1985 .

التفتازاني سعد الدين: - مختصر السعد: شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم.
تحق د: عبد الحميد هنداوي.
المكتبة العصرية - صيدا - بيروت . ط1 – 2003 .

الجرجاني عبد القاهر: - دلائل الإعجاز (في علم المعاني)
دار المعرفة - بيروت . 1978 .

الرازي فخر الدين: - تفسير الفخر الرازي.
دار الفكر - ط1 . 1981 .

الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله: - البرهان في علوم القرآن.
المكتبة العصرية - صيدا - بيروت . د.ت .

الزمخشري(أبو القاسم جار الله محمود بن عمر): - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . دار المعرفة.
بيروت - د .ت .

الزناد الأزهر: - نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصا.
المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء وبيروت - ط3 . 1993.

السكاكي(أبو يعقوب يوسف بن محمد علي): - مفتاح العلوم.
حققه وقدم له د: عبد الحميد هنداوي.
دار الكتب العلمية - بيروت. ط1 . 2002 .

السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان): - تناسق الدرر في تناسب السور. دراسة وتحقيق:
عبد القادر أحمد عطا - دار الكتب العلمية.
بيروت - ط1 . 1986 .
- لباب النقول في أسباب النزول .
دار الكتاب العربي - بيروت . 2005 .

- الإتقان في علوم القرآن .
عالم الكتب - بيروت - د . ت.
الشاوش محمد: - أصول تحليل الخطاب: في النظرية النحوية العربية.
جامعة منوبة والمؤسسة العربية للتوزيع . 2001 .

الطبرسي: - مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت - دار مكتبة الحياة . د . ت.

الطبطبائي طالب سيد هاشم: - نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب. مطبوعات جامعة الكويت - الكويت.
1994 .

الفراء: - معاني القرآن . ط2 . بيروت - عالم الكتب . 1980 .

الفقي صبحي إبراهيم: - علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق .دراسة تطبيقية على السور المكية. جـ1 - ط1 . دار قباء للطباعة والنشر- القاهرة . 2000.

الفهري عبد القادر الفاسي: - اللسانيات واللغة العربية.
منشورات عويدات - بيروت - باريس 1986 .

الواحدي (أبو الحسن علي بن أحمد): - أسباب النزول .
مكتبة الهلال - بيروت - ط2 . 1985 .

بحيرى سعيد حسن: - علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات .
الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان. 1997 .

خطابي محمد: - لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب .
المركز الثقافي العربي - بيروت - ط1 . 1991 .

سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): - الكتـاب .
تحق: عبد السلام محمد هارون.
مكتبة الخانجي - ط3 . 1988.
دار الجيل - بيروت - د. ت .

سيد قطب: - في ظلال القرآن .
دار الشروق - ط11 . 1985 .

عبد المجيد جميل: - البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية - الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1998 .

عبد الواحد صالح بهجت: - الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل.
دار الفكر للنشر والتوزيع - ط1 . 1993 .

عفيفي أحمد: ـ نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي.
مكتبة زهراء الشرق ـ ط1 . 2001 .

مفتاح محمد: ـ تحليل الخطاب الشعري:(استراتيجية التناص) .
المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء وبيروت ـ ط3 . 1992.

مونقانو دومينيك: ـ المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب .
تر: د محمد يحياتن . منشورات الاختلاف ـ ط1 . 2005.

هاينه من فولفجانج و فيهفيجر ديتر: ـ مدخل إلى علم اللغة النصي .
تر: فال بن شبيب العجمي ـ مطابع جامعة الملك سعود .
1999.

المراجع الأجنبية :

ADAM J. M :- Pour une analyse textuelle : l'exemple du contre du graal, **pratiques** № 9 Metz 1976.

- Linguistique et discours littéraire Paris, larousse. 1976.

- Matéo- Falconé : Analyse macro- textuelle. **Pratiques** № 11. Metz, 1976.

- Ordre du texte, ordre du discours **Pratiques** № 13 , Metz, 1977.

- La cohésion des séquences de propositions dans la macro-structure narrative. **Langue française** , № 38, La rousse 1978

- Réflexion linguistique sur les types des textes et des compétences en lecture. **L'orientation secondaire et professionnelle** № 4, Paris 1985 .

- Les textes : types et prototypes NATHAN – 1992 .

- Une approche unifiée des plans d'organisation textuelle,IN **science pour la communication** 26 ,1988.

- Linguistique textuelle :des genres de discours aux textes. NATHAN,1999.

AGERBECH , P : - Un aperçu de certains aspects de l'anaphore nominale et pronominale . thèse de 3ème cycle, Paris 7 , 1981 .

ANSCOMBRE (J.C)/ DUCROT (O)M : - L'argumentation dans la langue. Pierre Margada éditeur, Bruxelles, 1985 .

APOTHELOZ (D) : - Rôle et fonctionnement de l'anaphore dans la dynamique textuelle. DROZ-GENEVE 1995.

AUGUST (F) , RUTH (L) : - The mental representation of the text. In Text Processing , G. Denhiere and J. P. ROSSI :(Editors), 1991 .

AURI CCHIO (A), MASSERON (C), Perrin (C) : - L'anaphore démonstrative à fonction résomptive. **Pratiques** № 85, 1995.

BAHMANI , N : - Grammaire fonctionnelle de l'Arabe du coran ,éd BAHMANI Nadjar , R. F.A , 1998 .

BENVENISTE . E : - problèmes de linguistique générale, Paris , Gallimard, 1982.

BOSCH (P) : - Coherence and cohesion. In connexity and coherence. Edited by Wolfgang Heidrich, Fritz NEBAUER, Berlin 1989 .

BRESAR MOJCA(Schlamberger): - Le rôle syntaxique et pragmatique des connecteurs dans le discours argumentatif français, **LINGUISTICA** XLII , Lubiljana2002.

BUSQUESTS (J) : - Une approche de la cohérence du discours dans la tradition de la sémantique dynamique. **VERBUM** . Tome XX III, № 1.PUN 2001.

CAREL (MORION) : - Argumentation interne aux énoncés. **Revue de Sémantique et Pragmatique** № 11, Juin 2002.

CHABROL . C : - De quelques problèmes de grammaire Sémiotique narrative et textuelle , Paris , Larousse , 1973.

CHAROLLES . M : - Grammaire de texte, théorie du discours, narrativité. **Partiques** . № 11-12. Metz , 1976 .

- Sur le problème de la cohérence verbale : théorie et pratiques pédagogiques, **Cahiers du CRRELEF**, № 5 , Basançon , 1977 .

- Les plans d'organisation textuelle ,**Pratiques** № 57,Mars 1988.

- Analyse du discours ,grammaire de texte et approche grammaticle des faits de textualité, **Le français aujourd'hui** № 86, Juin 89.

- Coherence as a principle of the regulation of discursive production , in Connexity and coherence, edited by Wolfgang heydrich , Fritz Neubauer .Berlin 1989.

- Cohésion,cohérence et pertinence du discours, **Travaux de linguistique**, № 29 ,1994 .

CHARCHI . L : - L'ellipse comme facteur de cohérence, **Langue française** № 38 , Larousse 1978 .

COIRIER (P), GAONACH , PASSERAULT (J.M) : - Psycholinguistique textuelle. Une approche cognitive de la compréhension et de la production des textes. Armand COLIN, Paris 1996 .

COMBETTES . B : - pour une linguistique textuelle, G.R.D.P Nancy, 1975.

- Ordre des éléments de la phrase et linguistique textuelle . **Pratiques** № 13 . Metz , 1977 .

- Thématisation et progression thématique dans les récits d'enfants. **Langue française** № 38 , Larousse , 1978.

- Pour une grammaire textuelle. DEBOEC-DUCULOT 1988.

- L'organisation du texte. Coll Didactique des textes, U.de METZ , 1992.

- Grammaire de phrase, grammaire texte : le cas des progressions thématiques . **Pratiques** 77 , 1993 .

CORBLIN . F : - Défini et démonstratif dans la reprise immédiate, **Le français moderne** № 51 . 1983 .

- Sur la notion de connexion .

DERVILLER-BASTUJI . J : - Structure des relations spatiales dans quelque langues naturelles. Thèse d'état , Paris7 , 1979.

DUBOIS . J : - Grammaire structurale du français : Nom et prénom, Paris . Larousse 1981 .

DUPONT (D), FAUVAUX (T) , GHENET (H) : - La dynamique de l'information : éléments de grammaire textuelle. DE BOECK – DUCULOT , 1994.

FASSI FEHRI . A : - complémentation et anaphore en Arabe moderne . thèse d'état , Paris 3 . 1981 .

FAUCONNER . G : - La coréférence : syntaxe ou sémantique . Paris . seuil . 1974.

- étude de certains aspects logiques et grammaticaux de la quantification et de l'anaphore en français et en Anglais . thèse d'état . Paris . 1976 .

FOSSION (A), LAURENT (J.P) : - Pour comprendre les lectures nouvelles, DE BOECK - DUCULOT. Bruxelles. 1981 .

GARROD (Simon) : - Pronouns and cognitive connexity. In : TEXT and TEXT Processing G.DENHIERE and J.P.ROSSI (editors). 1991 .

GREIMAS. (A.J) : - Introduction à l'analyse du discours en sciences sociales. HACHATTE . 1979 .

GROBETS (A) : - Pour une approche linguistique et discursive de l'organisation informationnelle. **Revue de Sémantique et pragmatique** . № 8 , P U O , 2000.

HALLIDAY . M.A.K : - Cohésion in English . London . Longman 1983.

- An introduction to Functional grammar. Edouard Arnold, Publishers , London 1985 .

HARMA (T) : - Analyse du discours et linguistique textuelle . Domaines Français et Finlandais . DISCOSS 1, 1985 .

HARRIS (Z.S) : - Discours analysis, **Language** vol 28. Trad. fr in **Langages** 13. 1969.

HAZAËL . MASSIEUX . M.C : - communication et situation linguistique. Thèse de 3ème cycle. Paris III . 1976 .

JEANDILLOU (J.F) : - L'analyse textuelle. Arnand Colin . 1997 .

KINSTSCH.W et UAN.DIJK : - comment on se rappelle et on résume des histoires. **Langages** № 40. Paris . Didier-larousse . 1975 .

KLEIBER. G : - Les démonstratifs(dé) montrent-ils ? sur le sens référentiel des adjectifs et pronoms démonstratifs. **Le français moderne** . № 51 . 1983 .

LE BOUFFANT (M) : - De la phrase au texte **Le français aujourd'hui** № 86 . Juin 89 .

LONZI . L : - anaphore et récit. **Communication** № 16 . Seuil 1970 .

LUC (C), VIBREL (J) : - Le modèle d'architecture textuelle : Fondement et expérimentation . **VERBUM** , Tome XX III , № 1. P U N. 2001 .

LUNDQUIST (L) : - La cohérence textuelle : Syntaxe, sémantique , pragmatique, NYT NORDDISK FORLAG, KObenhavn 1980 .

- Coherence in scientific text. In connexity and coherence. Edited by WOLFGANG Heidrich, Fritz NEBAUER. Berlin 1989.

LYONS . J : - Sémantique linguistisque . Paris, Larousse 1980 .

MAILLARD. M : - Anaphores et cataphores, **Communication** № 19 , Seuil 1972 .

- Essai de typologie des sustituts diaphoriques, **Langue française** , № 21. Paris, Larousse 1974 .

MAINGUENEAU (D) : - Initiation aux méthodes de l'analyse du discours. Paris, 1976.
- Pragmatique pour le discours littéraire. Paris, Bordas 1990.

MARTINET. A : - Eléments de linguistique générale. Paris, Armand-Colin 1970.

MOECHLER (J), REBOUL (A) : - Dictionnaire encyclopédique de pragmatique .Seuil 1994.

MOUBARAK . M : - Pronoms démonstratifs et relatifs chez les grammairiens arabes. Thèse de 3ème cycle. Paris 3 , 1971 .

NESLPOUS (J. L) : - Tendances actuelles en linguistique générale. DELACHAUX et NESTLE , Paris 1993 .

PINCHON. J : - Les pronoms adverbiaux « en » et « y » Genève , DROZ , 1972 .

PERRET (M) : L'énonciation en grammaire de texte . NATHAN .1994.

PEYTARD . J : - Le récit des écoliers (enjeu d'une pratique). **Langue Fraçaise** № 38. Larousse 1978.

PROPP (V) : - Morphologie du conte. Seuil 1970.

RASTIER (F) : - Les fondations de la sémiotique et le problème du texte, **Revue de sémantique et pragmatique** . № 5 . P U O . 1999.

REBOUL (A), MOESCHLER (J) : - Pragmatique du discours. Armand Colin. Paris 1998.

REICHLER – BEGUELIN (M-J) : - Anaphore, catophore et mémoire discursive, **Pratiques** № 57 , Mars 1988 .

ROGGERO. J : - La substitution en Anglais . Paris , P. U . F 1968 .

ROSSARI (C) : - Les relations de discours : approches rhétoriques approches pragmatiques et approches sémantiques, **VERBUM**, Tome XX I I I , № 21 P U N 2001.

- Les relations de discours avec ou sans connecteurs, **Cahiers de linguistique** № 29. 1994 .

ROULET (E) : - Une approche discursive de l'hétérogeinité discoursive. **E L A** № 83 , 1991 .

RÜCK (H) : - Linguistique textuelle et enseignement du français. HATIER-CREDIF 1980.

SARFATI (G-E) : - Eléments d'analyse du discours . NATHAN , 1997 .

SCHNEDECKER (C) : - Besoins didactiques en matière de cohésion textuelle : le problème de continuité référentielle. **Pratiques** № 85. 1995 .

SEARLE (J-R) : - Les actes de langage . Collection savoir, HERMANN, Paris 1972 .

SIMONIN-GRUMBACH . J : - Linguistique et étude des textes littéraires. A propos de «le temps» de H.WEINRICH. **Pratiques** № 13 . Metz 1977 .

SLAKTA. D : - L'ordre du texte. **Études de linguistique appliquée** № 19 . Paris, Didier 1975 .

SPERBER (D), WILSON (D) : - La pertinence. Communication et cognition. Les éditions de MINUIT, Paris 1989 .

TESNIERE. L : - Eléments de syntaxe structurale. Paris. Klincksieck, 1966 .

TRABASSO (Tom) : - The development of coherence in narratives by understanding intentional action IN text and text processing G.DENHIERE and J.P ROSSI (editors), 1991.

TURGO (G), COLTIER (D) : - Les marqueurs d'integration linéaire, **Pratiques** № 57 , Mars 1988.

VAN-DIJK. T.A : - Grammaires textuelles et structures narratives. Sémiotique narrative et textuelle . Paris . Larousse . 1973 .

- Some aspects of text grammars : a study in theoretical linguistics and Poetics. Mouton. The hague . Paris 1972.

- Text and Context. Explorations in the semantics and pragmatics of Discourse. Longman Group. 1977.

VIGNER. G : - Lire : du texte au sens. Paris , C.L.E international . 1979 .

VUILLAUME. M : - La deixis en Allemand. Thèse d'état . Paris 4 . 1980.

فهرس المحتويات

مقدمة.....01

الباب الأول:
الانـسجــام

مدخل 15

الفصل الأول : الانسجام بين مفهومي الاستمرارية والقطيعة.....16

1- الانسجام ومفهوم الاستمرارية 17

1.1- ميشال شارول ومسألة الانسجام 17
1.1.1- نحو النص 17
1.1.1.1- مسوغات نحو للنص في مقابل نحو للجملة.....17
2.1.1.1- شكل نحو النص 21

2.1- مفهوم الانسجام 24
1.2.1- العناصر المحققة للاستمرارية.....25
2.2.1-نحو وضع قواعد للانسجام.....35
3.2.1-مسألة الانسجام على مستوى الفهم.....45
1.3.2.1- أهمية تحديد عناصر الاتساق.....46
2.3.2.1- العناصر المحققة للاتساق.....47
3.3.2.1- الانسجام وعدم كفاية عناصر الاتساق.....50
4.2.1- بين مبدأ الانسجام ومبدأ الحصافة.....52
5.2.1- الانسجام بين مسألة الربط بين الوقائع والاستمرارية الإحالية.....56

3.1- خلاصة 58

2- الانسجام ومفهوم القطيعة 59

1.2- أنماط التعبير الخطابي 60
2.2- القطيعة ومفهومي الموضوع العام والموضوع الشامل 63
3.2- مفهوم القطيعة من خلال ديناميكية المعلومة 65
1.3.2- الموضوع والمحمول: محاولة تحديد.....67
1.1.3.2- من مستوى الجملة إلى مستوى النص 69
2.1.3.2- من الاعتماد على المضمون إلى مبدأ الخطية 73
3.1.3.2- أنواع التدرج 73
1.3.1.3.2- التدرج بموضوع ثابت 74
2.3.1.3.2- التدرج الخطي 76
3.3.1.3.2- التدرج بمواضيع مشتقة 77

4.2- القطيعة في البنية الخطية 77
1.4.2-مفهوم القطيعة الموضوعاتية.....79
2.4.2- الانزلاق الموضوعاتي 81
3.4.2- التحويل الموضوعاتي 82
4.4.2- القطيعة التامة 84
5.4.2- القطيعة ومفهوم البنية الكبرى.....86

الفصل الثاني : نحو نظرة موسعة للانسجام : من بنية الجملة إلى بنية النص 89

- مدخــل.....90

1- مفهوم النص عند لاندكيست 91
1.1- النص باعتباره دليلا عاما 91
2.1- النص باعتباره وجودا فعليا 92
3.1- النص باعتباره تتابعا منسجما من الجمل 92

2- صورة النص 94

3- مفهوم الانسجام 96
1.3- محاولة ايزنبرج 97
2.3- محاولة هاروغ 98

3.3- محاولة ارينا بيلار 98

4- المقاربة النصية الفعلية للانسجام 100
1.4- المفاهيم الأساسية في الانسجام النصي 103
1.1.4- الإحالة المشتركة 104
1.1.1.4- بين الإحالة والإحالة المشتركة 104
2.1.1.4- الأوصاف المحددة 106
3.1.1.4- دور الافتراض وعدم كفاية تحقق الإحالة المشتركة 107
4.1.1.4- الإحالة المشتركة وبلورة موضوع النص 110

2.4- الترابط الدلالي 111

3.4- الربط بواسطة الروابط 113
1.3.4- الروابط: محاولة جرد 116

4.4- من العناصر الرابطة إلى البنى النصية 117
1.4.4- البنية الموضوعاتية 117
2.4.4- البنية الدلالية 120
3.4.4- العلاقات الدلالية في النص 122
1.3.4.4- الشكلانيون الروس.....123
2.3.4.4- بروب ومسألة الوظائف 125
3.3.4.4- ڤريماس والنموذج العاملي.....127
4.3.4.4- ڤريماس والنموذجالوظيفي 129
5.4- النص وعلاقته بالخارج 131
1.5.4- البنية النصية التداولية 132
1.1.5.4- علامات المتكلم : من الكلام إلى النص 135
2.1.5.4- علامات الأشخاص.....137
3.1.5.4- الإجراءات التلميحية.....138
4.1.5.4- مستوى الخطاب.....139
5.1.5.4- التدقيقات الميتالغوية.....139
6.1.5.4- الوظائف التركيبية.....139

5- تحليل الانسجام : من الفعل الكلامي إلى البنى النصية 143

1.5- كيف يتم التحليل في مستوى الجملة والعبور منه إلى مستوى النص؟ 144
2.5- حدود استغلال نحو الحالات 145
1.2.5- نظرة فيلمور للجملة 146
2.2.5- كيف يتم التحليل استنادا إلى نحو الحالات 147
3.5- الجانب الإجرائي عند لاندكيست 150
1.3.5- خطوات التحليل 151
2.3.5 - دراسة الانسجام.....155
1.2.3.5- على المستوى الموضوعاتي 155
2.2.3.5- على المستوى الدلالي 156

6- خلاصة 164

الفصل الثالث : الانسجام ومسألة التلقي : مدخل إلى نظرية الحصافة 165

1- منطلق النظرية 166
2- مفهوم الأثر السياقي 167
3- مفهوم السياق 172
1.3- مبدأ الانتقاء في السياق 174
2.3- كيف يتم اختيار السياقات 178
1.2.3- ماذا يتم في ذهن المتلقي؟.....179
2.2.3- ترتيب الأحداث في عملية الفهم 180
4- بين نظرية الحصافة ومنظور ڤرايس 183
1.4- نظرة ڤرايس 183
2.4- فيم تختلف نظرية الحصافة عن نظرة ڤرايس 185
3.4- كيف يظهر رفض سبيربر وويلسون لنموذج الوضع 188

5- خلاصة 190

الباب الثاني:
الاتساق : مدخل إلى نظرية هاليداي ورقية حسن

- مدخل 196

الفصل الأول : مفهوم النص عند هاليداي 197

1- العلاقة نص – مقام 199

2- العلاقة نص – نص 201

1.2- مفهوم النسيج والاتساق والعلاقة 202
2.2- بين النسيج والبنية 205

3- النص بين العلاقات الداخلية والعلاقات الخارجية 208

الفصل الثاني : وسائل الاتساق النصي 210

1- الإحالة 211
1.1- ضمائر الشخص بين الإحالة الموسعة والإحالة المحدودة 215
2.1- الإحالة في أسماء الإشارة 216
3.1- المقارنة 219

2- الاستبدال 223
1.2- أنواع الاستبدال 223
1.1.2- الاستبدال الاسمي 223

2.1.2- الاستبدال الفعلي 226
3.1.2- الاستبدال الجملي.....229
3- الحذف 232
1.3- الحذف الاسمي 233
2.3- الحذف الفعلي 236
3.3- الحذف الجملي 239

4- الوصل 241
1.4- أنواع الوحدات الواصلة 243
1.1.4- and بين العطف والاتساق.....243
2.1.4- بقية الوحدات الواصلة 244

5- الاتساق المعجمي 246
1.5- بين الاتساق النحوي والاتساق المعجمي 246
2.5- أنواع الاتساق المعجمي 247
1.2.5- التكرار.....247
1.1.2.5- تمثيل للتكرار.....247
2.1.2.5- التكرار ومسألة وحدة الإحالة 249
2.2.5- التلازم 252
6- خلاصــة.....255

الباب الثالث :
الدراسة التطبيــقية

- مدخـل.....258

الفصل الأول : الاتساق في سورة البقرة 259

1- الضمائر ودورها في الاتساق 260

1.1- أنا، أنت / هو في العرف اللساني 261
1.1.1- أسماء أشخاص / ضمائر 261
2.1.1- زوايا النظر في المقابلة 263
3.1.1- مبدآ المقابلات في الضمائر 264
1.3.1.1- المبدأ الخطابي 264
2.3.1.1- المبدأ الإحالي 266

2.1- الإحالة في ضمير الغائب 271
1.2.1- العناصر التي يحيل عليها الضمير.....271
1.1.2.1- ما يحيل عليه الضمير هو من نوع (س+ن) أو (ال + س) 272
2.1.2.1- ما يحيل عليه الضمير هو من نوع (اسم+اسم)أو(اسم+ضمير).....273
أو(اسم+صفة)..
3.1.2.1- حالات خاصة في إحالة الضميرين هما وهم 277
4.1.2.1- محاولة جرد لمختلف الوحدات التي يحيل عليها الضمير 283
5.1.2.1- نوع الإحالة في الضمائر 286

3.1- المقابلة آدمي/غير آدمي في الضمائر 289

4.1- الضمير بين الدور الإحالي والدور الاتساقي 298

2- أسماء الإشارة ودورها في الاتساق 300

1.2- الإحالة في أسماء الإشارة 300
1.1.2- أسماء الإشارة بين الإحالة الداخلية والإحالة الخارجية 300
1.1.1.2- الإحالة الخارجية في أسماء الإشارة 302
2.1.1.2- أسماء الإشارة والإحالة الداخلية 307
1.2.1.1.2- أولئك والإحالة الداخلية.....308
2.2.1.1.2- أسماء الإشارة الأخرى 313
1.2.2.1.1.2- اسم الإشارة ذلك 313
2.2.2.1.1.2- اسما الإشارة ذلكم و كذلك 315
3.2.2.1.1.2- اسم الإشارة تلك 318

2.2- التقسيم المسافي في أسماء الإشارة 319

3.2- مجال الحركة الإحالية بين الضمائر وأسماء الإشارة 328

3- الاتساق المعجمي 332
1.3- التكرار 333
2.3- التقابل 340
3.3- التلازم.....346

4- الاتساق المؤسس في الحدود بين الجمل 350

1.4- كيف يتحقق العطف؟ 352
2.4- نماذج من الربط في الحدود بين الجمل 358
1.2.4- وجوه الربط بالواو لمسوغ نحوي.....358
3.4- الفصل بين الجمل والعلاقات الاتساقية.....362
1.3.4- بعض صور الفصل في سورة البقرة 370
1.1.3.4- التبيين 370
2.1.3.4- التأكيد 373
3.1.3.4- البدل 375
4.1.3.4- علاقة التعليل 376
2.3.4- الفصل لأجل الاختلاف 380
5- نماذج من تحليل الاتساق 387

1.5- المقطع الأول 388
2.5- المقطع الثاني 392
3.5- المقطع الثالث 397
4.5- كيف تتحقق العلاقة بين المقاطع 400

الفصل الثاني : دراسة الانسجام في سورة البقرة 403

1- مدخل إلى تقسيم سورة البقرة 404

2- آراء بعض المفسرين في تقسيم سورة البقرة 405

1.2- عند سيد قطب 405
1.1.2- حول القرآن وسوره 405
2.1.2- نظرة سيد قطب إلى سورة البقرة.....407

2.2- سورة البقرة من منظور الطاهر بن عاشور 411

1.2.2- أغراض سورة البقرة 413
2.2.2- كيف يتحقق الربط بين الأجزاء 415
3.2.2- العلاقات في البنية الخطية للسورة 417

3.2- سورة البقرة من خلال الرازي 422

1.3.2- الكليات التي يؤسس عليها الرازي تفسيره 422
2.3.2- سورة البقرة كبنية موضوعاتية عند الرازي 430

3- محاولة لتحليل الانسجام في سورة البقرة 433

1.3- البعد الخطابي وأهميته في تحليل الانسجام 433
1.1.3- أركون والبنية الخطابية في القرآن 435
2.1.3- البنى الخطابية في سورة البقرة 436
1.2.1.3- تعليق على البنى الخطابية 439
2.2.1.3- اندراج البنى الخطابية في بعضها 443
3.2.1.3- مدخل إلى ربط البنى الخطابية 449

الخاتمة 452

قائمة المصطلحات 457
المصادر والمراجع 462
فهرس المحتويات 475